تفاؤل أم تشاؤم ؟

على أبواب العام الجديد

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

بالامس أتم كوكبنا الصغير دورة من دوراته الابدية ، فوقفنا نودع عامنا الماضى ، ونستقبل عامنا الجديد .. وجعلنا نرسل الى عامنا المنصرم نظرات امتزج فيها السرور بالألم ، والايمان بالشك ، والامل الباسم بالحسرة والكمد ! ثم أخذنا نتطلع الى عامنا الجديد ، بقلوب متلهفة وأبصار حائرة ، تحاول أن تجد وسط الظلام الدامس ، شعاعا لامعا يهتدى به الضال ، وطريقا واضحا يبلغ به الخائف مأمنه ، ويرد الى النفس هدوءها واطمئنانها

وما برحت ينابيع الامل تتفجر فى النفس البشرية ، ما دام فى الانسان عرق ينبض ، وقلب يخفق . وعلى الرغم مما يحيط بالعالم من بواعث الألم والضجر ، لا تستطيع الروح البشرية أن تخلد الى اليأس ، وتستسلم الى القنوط .. لهذا كانت نظرتنا الى العالم الجديد لا تخلو من التفاؤل ، ولو اضطررنا الى مخادعة النفس حينا والتغرير بها حينا آخر .. وقد سبق للشاعر العربى أن مثل لنا هذه الصورة فى صراحة مؤلمة حين قال :

اكذب النفس اذا حدثتها ! ان صدق النفس يزرى بالأمل

أو حين قال :

منى ان تكن حقا،تكن أعذب المنى! والا ، فقد عشنا بها زمنا رغدا ..

***

قضى الله لهذا الكوكب ، الذى نعيش على ظهره ، أن تتصل أرجاؤه وأقطاره بصلات قوية متينة ، وأن تتشابك فيه مصالح الشعوب والامم ، بحيث تسعد معا ، أو تشقى معا ، وأن تنعم كلها بالعيش الهانىء الرغد ، أو ترزح كلها فى أغلال الحرمان والبلاء . ومن الجهل الفاضح أن يزعم انسان اليوم ان فى وسعه أن يسعد هو وقومه ، وسط عالم تسوده الفاقة والآلام . فان الدرس الواضح الذى علمتنا اياه الاحداث والخطوب ، والذى لا ينكره الا جاحد أو جامد ، هو أن الحياة البشرية على سطح هذا الكوكب باتت من شدة الاتصال والتماسك ، بحيث لا بد للامم أن تحيا جميعا ، أو تهلك جميعا ، ولا بد لها أن

تسلك الى الحياة سبيل التعاون والتآزر ، وأن تدرك أن مصلحة أمة من الامم لا يمكن أن تقوم الا برعاية مصالح الأمم جميعا

هذه الحقيقة الواضحة قد أدركها المفكرون فى مشارق الارض ومغاربها. ولكن لا يزال هنالك أفراد فى كل قطر ، يعيشون فى منتصف القرن العشرين بعقول القرون الغابرة ، ولا يزال شعور الانانية القومية أو الجنسية ، يصور لهم أن لامتهم مصالح غير مصالح العالم ، وانهم يستطيعون أن يسعدوا وسط شقاء الشعوب ، وأن ينعموا ويطعموا ، وغيرهم يهلك جوعا وشقاء . ومن أكبر بواعث الاسف أن بعض هؤلاء الجامدين الرجعيين له نفوذ وسلطان فى بعض الاقطار ، وسيظل العالم يتعثر ويتلوى من الألم ما دام لامثالهم شأن فى تسيير الامور ، وتوجيه الشعوب

***

كان العام الذى ودعناه بالامس عاما عجيبا ، اجتمعت فيه عوامل الخير والشر ، وبدت فيه بوارق الأمل ، وبواعث الألم والكمد .. كان العالم يئن تحت نير عذاب وبيل فرضته عليه هذه الحرب الهائلة ، التى أخذت الارض من أطرافها ، وشملت كوكبنا كله ، ووصل أذاها الى كل منزل ، واحترقت بلهيبها كل أسرة . وأخذ الناس فى جميع الاقطار يرتقبون بفارغ الصبر انتصار الامم المتحدة وفى طليعتها روسيا وبريطانيا وأمريكا ، ويتتبعون مراحل الحرب بقلق وتلهف ، ايمانا بأن الانتصار على قوى المحور سيعيد الى الشعوب ما تصبو اليه من الهدوء والأمن والرخاء . لذلك اغتبط الناس وامتلأت صدورهم فرحا حين رأوا الجيوش الظافرة تدخل عاصمة الالمان ، وسط الربيع الماضى ، وشاهدوا علم السلام يرفرف أخيرا على ربوع أوربا

كان ربيعا يبعث ميت الرجاء ، وتنتعش له النفوس ، وتزدهر الامانى ، فلم يكن بمستغرب أن أخذ الناس يظهرون سرورهم من غير تحفظ ، واستخفهم الطرب ، وتنادوا بأن عهد الويل والشقاء قد ذهب الى غير رجعة

ولكن لم يلبث الناس أن أخذوا يخففون من غلوائهم ، حين قيل لهم ان سرورهم هذا سابق لأوانه ، وانه لا يزال فى الارض حرب شعواء تدور رحاها فى الشرق الأقصى ، وانه لا راحة لانسان فى قطر من الاقطار حتى تلقى اليابان السلاح ، وتستسلم للحلفاء من غير قيد ولا شرط . فعاد الناس الى الاعتصام بالصبر ، ووطنوا النفس على أن هذه الحرب فى الشرق الاقصى ، لا بد لها أن تطيل عذاب العالم فترة أخرى من الزمن قد تبلغ عاما أو أكثر ، ومن بعدها تنجلى الغمة ، وتتفرج الكربة

ولكن المقادير رأفت بالناس ، فلم يطل انتظارهم أكثر من ثلاثة أشهر . لان الامريكيين — وهم الذين يضطلعون بالنصيب الاكبر فى محاربة اليابان — قد وفقوا الى اختراع باهر رائع ، وهو عبارة عن قنبلة تلقى على المدن فلا تبقى منها ولا تذر ، ولا ينجو من غوائلها

منزل ولا مصنع ولا كائن من الكائنات . وقد شهد الناس من مبتكرات التخريب والتدمير في هذه الحرب العجب العجاب ، ولكن هذه القنبلة الجديدة جعلت كل ابتكار آخر يبدو ضئيلا تافها . فلم يكد عدد صغير منها أن يلقى على مدينتين اثنتين من مدن اليابان ، حتى خرت حكومتها على الاذقان ، واستسلمت قواتها في البر والبحر دون أن تخوض معركة أو تنهزم في موقعة . وهكذا تم للعالم ما كان يصبو اليه من هزيمة قوات المحور في الشرق والغرب ، وانتهاء تلك الحرب التي دامت ستة أعوام . وعند ذلك خيل للناس أن انتهاء الحرب لا بد أن يكون معناه استقرار السلم والامن

ولقد ساورت كثيرا من الناس المخاوف ، حين أدركوا ان هذا النصر في الشرق الأقصى لم يكسب الا باستخدام هذه الاداة الجهنمية ، وأخذ بعض الكتاب ينادي بأن مثل هذا السلاح الفظيع ما كان ينبغي أن يستخدم ، حتى ولا في احراز النصر على اليابان ، وتمنى آخرون أن تلك القنبلة لم تبتكر ولم تخطر لامرىء ببال . غير أن هذه الاصوات الشاذة لم تلبث أن أخمدتها صيحات الفرح ، وطغى عليها ضجيج المحتفلين بالانتصار الباهر على قوى البغي والعدوان

***

ولم تكن هزيمة دول المحور هي الامر الوحيد الذي دفع الناس الى التفاؤل ، والتطلع الى عهد جديد ، كله سلم وأمن ورخاء . بل كان هنالك انتصارات أخرى في ميدان التعاون الدولي ، لا تقل في خطرها عن الانتصار في ميادين القتال . فقد استطاع أقطاب الدول الثلاث الكبرى (بريطانيا وروسيا وأمريكا) أن يعقدوا في شهر فبراير الماضي اجتماعا في يالطا على ساحل البحر الاسود ، وضعوا فيه الحجر الاساسي لبناء الامم المتحدة ، ثم اجتمعت وفود الامم في شهر ابريل على شاطىء المحيط الهادي ، لكي تنشىء نظاما عالميا جديدا لجامعة الامم المتحدة ، يقوم على رعاية حقوق الشعوب وعلى المساواة بين الدول ، ويعمل على نشر العدل والرخاء ، ويحاول أن يمحو الحروب من سجل العلاقات الدولية . وتمخض مؤتمر سان فرانسسكو عن وثيقة ذات مزايا عديدة ، وان لم تكن من الكمال بالدرجة التي كان ينشدها محبو السلم في جميع انحاء العالم ، ولكنها على كل حال بداية طيبة ، تبعث الأمل على أن ذلك العهد الجديد وشيك التحقيق ، وأن التعاون بين الامم لن يلبث أن يؤتي أطيب الثمرات

وهكذا انقضت الثمانية الاشهر الاولى من العام الماضي . . وفي كل شهر يرتفع الأمل رويدا رويدا ، حتى اذا بلغنا منتصف الصيف كانت الآمال قد بلغت عنان السماء . واجتمع الاقطاب الثلاثة ، الامريكي والروسي والبريطاني ، في مدينة بوتسدام ، وأبلغ العالم أن هذا الاجتماع الخطير كان ناجحا غاية النجاح ، حلالا لجميع المشكلات ، وباعثا على تمام الرضى والارتياح . ولم تبق سوى فترة صغيرة من الزمن حتى نرى العهد الجديد قد أينع زهره ودانت قطوفه . وزاد في التفاؤل أن تولت شؤون الدولة البريطانية حكومة من

العمال ، لان فى هذا ما يبعث على ازدياد الوفاق والوئام بين الروس والبريطانيين والامريكان

ثم انتظرنا ـ وقلوبنا ممتلئة غبطة وأملا ـ فاذا الجو الصافى يغشاه الكدر من كل صوب ، واذا الامانى الزاهرة يتسرب اليها الذبول قبل الاوان . واذا الخلاف يطول بين بريطانيا وأمريكا حول المال والاعارة والايجار .. واذا روسيا توغل فى بلاد البلقان والمجر ، وتقيم فيها الحكومات التى ترضاها وتلائمها ، تحت ظل أسنتها ومدافعها . وتحار الدول الغربية فيما عساها أن تصنع ، فتعترف ببعض هذه الحكومات ، وتأبى الاعتراف بالبعض

ويجتمع وزراء خارجية الدول الخمس فى لندن لكى يضعوا شروط الصلح لكل دولة من الدول التى حاربت الحلفاء . فيطول بينهم الاخذ والرد ، ويحتدم الجدال حتى يبلغ درجة الخصام . ولا يتورعون حتى عن تبادل الالفاظ الجارحة . ثم ينفرط عقد الاجتماع دون أن يتمكن أعضاء المؤتمر من حل مشكلة واحدة ، أو يتفقوا على أمر واحد ذى خطر

من بعد هذا الفشل الذريع كان من الواضح أن شقة الخلاف قد عظمت ، والهوة قد اتسعت بين المجموعة الروسية والمجموعة الغربية . وفى الاسابيع التالية لم تزدد تلك الهوة الا اتساعا ، ومضت روسيا نحو الغايات التى تنشدها دون أن تعبأ كثيرا بشريكاتها فى الحرب وزميلاتها فى النصر

وحسبنا مثالا على الخلاف الذى يفرق بين حلفاء الامس ما نراه يجرى اليوم فى بلاد البلقان والمجر وايران ، وفى المانيا نفسها ، وفى ذلك الجدل العقيم الذى دار حول القنبلة الذرية ، واستئثار بعض الدول بها دون البعض ، ومن الصعب على المرء أن يحتفظ بما يكنه من الاحترام لاولئك الساسة العالميين ، الذين يراد منهم أن يضعوا أسس السلم ، فيقضوا الوقت فى جدل عقيم حول أدوات الحرب . ومن المهازل التى تبعث على السخرية والألم ما شهدناه بالامس من تسابق الروس والامريكان الى اختطاف العلماء والباحثين من الالمان وما كان من نقلهم بسرعة الى روسيا وامريكا ، ومعاملتهم بمنتهى الرعاية والاكرام ، وذلك لكى يظفروا منهم بأسرار جديدة عن أدوات جهنمية أخرى لازهاق الارواح ، وتدمير المدن فى نطاق أوسع وأعظم مما شهدناه فى الحرب العالمية الثانية

هكذا ينقضى عام ١٩٤٥ ، وقد غشيت سماءه سحب كثيفة ، حالكة السواد ، رعدها يصم الآذان ، وبرقها يغشى الابصار . وفى مثل هذه الحال نقف اليوم نستقبل عامنا الجديد، ممسكين آمالنا بأيدينا ، لعلنا نستطيع أن ننقذ بعضها من بين تلك الغياهب الرهيبة

فياليت شعرى ، هل تنتصر قوى الخير والأمن، أم يظل العالم فريسة الخوف والفوضى؟

ان رجال الحرب قد قاموا بواجبهم خير قيام ، وانتصروا على العدو المشترك انتصارا كاملا ساحقا ، ثم وضعوا هذا النصر الباهر فى أيدى رجال السياسة ، لكى يجعلوا منه وسيلة لاعادة بناء صرح الحضارة ، على أسس من العدل والانصاف . فهل يضيع رجال السياسة هذه الفرصة النادرة بحماقتهم وجمودهم ، ويعودون الى أساليبهم العتيقة البالية ،

التى تقوم على الانانية والغرور ، فيمهدون بذلك لحرب أخرى أشد هولا وتدميرا من الحرب الاخيرة ؟

لئن قسنا المستقبل على الماضى القريب ، ونظرنا الى فشل وزراء الخارجية فى مؤتمرهم الطويل بلندن ، وعجزهم الى الآن عن عقد مؤتمر آخر على شدة الحاجة اليه ، كان من الصعب علينا أن ننظر الى العام الجديد نظرة التفاؤل . ولكن الطبع البشرى لا يستطيع الركون الى اليأس . ولا بد لنا أن نقدر أن كثيرا مما شهدناه من الفوضى فى الاشهر الماضية كان سببه سوء الظن والوساوس التى تملأ الصدور . وأن المصلحة الحقيقية لكل دولة هى أن تقتصد فى مطالبها ، وألا تسرف فى تجاهل مصالح الدول الاخرى . وليس من الامور المستحيلة أن يثوب الرشد الى عقول قادة الامم ، فيعملوا مؤتلفين متعاونين على اعادة الأمن والرخاء الى جميع الاقطار ، بما فى ذلك الدول المغلوبة نفسها ، وأن ينيلوا هذا العالم المعذب ما يصبو اليه من الهدوء والاستقرار

***

ان شمس ١٩٤٦ تشرق على عالم قد انقسم الى شطرين كبيرين ، بينهما الآن ، فيما يبدو لنا ، هوة سحيقة ، ولا يدرى أحد كيف يتصل طرفاها ، وأى قنطرة هائلة تستطيع أن تصل بين جانبيها . الشطر الاول هو المعسكر الروسى ، الذى يشتمل على الجمهوريات السوفياتية فى أوربا وآسيا ، ومعها أكبر عدد ممكن من الاقطار المجاورة التى تستطيع أن تجتذبها روسيا اليها وتسيرها فى الفلك الذى تدور فيه ، ومن هذه الاقطار جميع دول البحر البلطى ، وبولنده ورومانيا وبلغاريا ويوجوسلافيا وبلاد المجر . كذلك بعض بلاد المغول والتركستان الصينى ، وكل دولة تختار النظام الشيوعى أو الاشتراكية المتطرفة ستدخل بهذا العمل فى دائرة النفوذ الروسى ، سواء أكانت مجاورة لروسيا أم بعيدة عنها ، وتمتاز هذه المجموعة الروسية بالتجاور والاندماج ، وبأنها كتلة واحدة تمتد من المحيط الهادى شرقا الى البحر البلطى والمحيط الاطلسى غربا ، وقد اقترب نفوذها جدا من البحر الابيض المتوسط ، بحيث لا يفصلها عنه سوى شقة ضيقة ضئيلة . ويمتاز هذا المعسكر بأن له موقفا حربيا ممتازا ، وليس من السهل أن ينال بسوء

أما المعسكر الثانى ، الذى أطلق عليه اسم « المعسكر الديمقراطى » ، فيشتمل على مجموعة الامم البريطانية وأصدقائها وحلفائها ، ومجموعة الدول الامريكية وأصدقائها وحلفائها . ولا شك أن هذا المعسكر أكبر عددا واكثر عدة وموارده المالية والاقتصادية أعظم من موارد الفريق الاول . وله ميزة السيطرة التامة على البحار والمحيطات ، ومسالك التجارة العالمية . وليس لهذا المعسكر من قوة التماسك والاندماج واتفاق الكلمة ما للمعسكر الروسى ، ولكن اذا أصرت روسيا على موقفها الذى تقفه اليوم ، فان هذا قد يؤدى الى تسوية ما فى المعسكر الديمقراطى من الاختلاف ، وقد يؤدى هذا أيضا الى نوع من التسامح فى معاملة ألمانيا واليابان

ولا بد أن تكشف الحوادث المقبلة عن أحد احتمالات ثلاثة :

أولها : أن تظل الهوة السحيقة قائمة بين المعسكرين ، وهذا معناه أن انتهاء هذه الحرب ما هو الا فرصة للاستعداد لحرب أخرى أشد من الاولى هولا وفظاعة

الثاني : ان يبذل الطرفان الجهود اللازمة للتقارب والتآلف ، والتوفيق بين وجهات النظر ، والتعاون التام فى ميادين السياسة والاقتصاد . بحيث تصبح الأمم المتحدة جديرة حقا بهذا الاسم . ولا بد للوصول الى هذه الغاية من أن تخلص النيات وأن يحسن كل فريق ظنه بالفريق الآخر

أما الاحتمال الثالث فهو أن يحدث شيء وسط بين هذا وذاك ، فيحاول كل من الفريقين أن يحصل على أقصى ما يستطيع الحصول عليه من المزايا المادية والسياسية ، ويتنازل عن بعض رغباته المتطرفة ، ويقبل الفريق الآخر هذا الحل الوسط كوسيلة للخروج من المأزق ، ولابقاء نوع من التعاون بين المعسكرين . وهذا الاحتمال الثالث ـ ان وقع ـ سيرتكب فيه بعض الظلم ، أملا فى أن يصلح المستقبل هذا الفساد ، وأن تصفو الضمائر على مدى السنين بعض الصفاء . ولا يختلف مثل هذا الاجراء كثيرا عن الاساليب السياسية القديمة ، التى أثبتت من قبل عجزها عن المحافظة على الأمن والسلم

ويزعم كثير من الكتاب أن مفتاح المستقبل فى يد روسيا . فهى التى تستطيع ـ اذا شاءت ـ أن تلم الشمل وترأب الصدع ، وتشيع التفاهم والتعاون بين جميع الدول . وتعيد الى العالم ذلك الهدوء والاستقرار الذى ينشده . فهل صحيح أن السياسة الروسية هى العقبة الكؤود ، التى تحول دون الاتفاق والتعاون فى جميع الشؤون ؟

لننظر لحظة فى المسائل التى شجرت بين الفريقين ، ولنحاول أن ندرك مدى الهوة التى تفصل بينهما !

ان روسيا قد عانت أشد الويلات فى هذه الحرب ، وبذلت أكبر التضحيات . وقد خربت بلادها ، ودمرت حياتها الاقتصادية بدرجة لم تعرف الدول الاخرى لها مثيلا . وقتل من أبنائها وعذب أضعاف من قتل وعذب من أبناء الدول الاخرى . ولولا تضحياتها الهائلة لما أمكن للعالم أن يتخلص من الخطر النازى . وقد استطاعت روسيا أن تنال هذا النصر الباهر بفضل جهودها الجبارة من جهة ، وبفضل المساعدات القيمة التى أمدتها بها الدول الغربية من جهة أخرى . فهل هذه التضحيات الهائلة تخولها الحق فى أن تطالب بمكافآت باهظة على حساب دول أخرى لم تقترف اثما ولم ترتكب عدوانا على روسيا فى أى وقت من الاوقات ؟

لقد أمكن لروسيا أن تضم الى البلاد السوفياتية جميع دول البلطيق : لتوانيا ولاتفيا واستونيا ، وأن تضم أجزاء من فنلنده ، كذلك أمكنها أن تقيم فى بولنده ورومانيا وبلغاريا ويوجوسلافيا الحكومات التى ترضاها وقد اقتطعت لنفسها قطعة كبيرة من بولنده ورومانيا وقطعة صغيرة من تشيكوسلوفاكيا ، وضمتها الى الاراضى السوفياتية . وقد هزمت المانيا

وسحقت وجردت من السلاح ، فزال الخطر الجرماني زوالا يمتد من غير شك الى زمن بعيد

وأكثر الناس يرى أن في هذا كله تأمينا كبيرا لسلامة روسيا ، وضمانا لها ضد كل اعتداء محتمل . ولكن روسيا تريد — فيما يظهر ضمانا أقوى وأعظم . وهي لا تقنع بالضمان المشترك الذي يكفله نظام الأمن في ميثاق الامم المتحدة ، بل تريد أن يكون أمنها مضمونا بما لها من النفوذ ، وبما تبسط يدها عليه من الاقطار . ولذلك حاولت أن يمتد سلطانها الى اليونان ، وأن تكون لها قاعدة حربية في مضيق البسفور والدردنيل . وتريد أيضا أن تجعل من ايران دولة تتأثر دائما بالسياسة الروسية

وقد ردت روسيا عن بلاد اليونان ردا عنيفا ، ونزلت القوات البريطانية هناك لكي تعيد الى البلاد النظام والاستقرار ، ولكي تمكنها من اقامة نظام ديمقراطي ، والارجح أننا سنشهد في العام المقبل حكومة جديدة في هذه البلاد المعذبة ، بينها وبين بريطانيا تحالف صريح

كذلك ردت روسيا عن المضايق ، في شيء من الحزم . فأعلنت تركيا انها ستخوض غمار الحرب — ولو منيت فيها بالهزيمة — اذا أريد احتلال أي جزء من أرضها ، سواء أكان ذلك في منطقة المضيقين ، أو على حدود القوقاز ، حيث أرادت روسيا أن تستولى على مقاطعتي قرص وأردهان لضمهما الى جمهورية أرمينية السوفياتية . ولقد سكتت روسيا عن هذين المطلبين مؤقتا ، ولكن سكوتها هذا لن يطول

***

وتريد روسيا أن يكون لها نفوذ قوي في دولة ايران، ولو لم تحتل أي جزء منها احتلالا عسكريا دائما ، وقد أبدت رغبتها في أن تمنح امتيازات واسعة النطاق لاستخراج البترول ، أسوة بالدولتين البريطانية والامريكية . وأحفظها أن ايران رفضت هذا الطلب ، ورأت أن الحكومة الايرانية برفضها هذا تحابي فريقا من الدول دون فريق

وفوق هذا كله طالبت روسيا بأن تطلع على المبتكرات الحربية الحديثة التي وفقت اليها الدول الغربية ، وعلى الاخص تلك القنبلة الذرية ، التي كان لها ذلك الأثر البالغ في استسلام اليابان . وقد أبت أمريكا أن تجيب روسيا الى طلبها هذا

وفي الجدال الطويل الذي دار بين وزراء الخارجية في لندن طلبت روسيا ألا يشترك في وضع شروط الصلح مع أي دولة من دول الاعداء ، سوى الحكومات التي كانت في حرب معها . وذلك طبقا لاتفاق الأقطاب الثلاثة في بوتسدام . فأبت الدول الاخرى الا أن تشترك جميعا في وضع شروط الصلح كلها

وهنالك خلافات أخرى حول الاشتراك في حكم بلاد اليابان بعد هزيمتها ، وفي التصرف في شؤون ألمانيا والنمسا . ومن الجائز أن يشجر الخلاف حول أمور أخرى أقل خطرا ، ولكن هذه الموضوعات هي أهم المسائل التي لا تزال تفرق بين المعسكرين

ومن الواضح ان بعض - ان لم يكن كل - هذه الخلافات ، أقل خطرا من أن يسبب انشقاقا فى الصفوف ، وتفريقا بين حلفاء اشتركوا فى القتال والتضحية . ومن الجائز أن تكون هذه الخلافات مجرد المظهر الخارجى لما وقر فى النفوس من سوء الظن وقلة الثقة والاطمئنان الى الفريق الآخر . ومن المعروف أنه لا يزال فى البلاد الديمقراطية طوائف من الرجعيين الذين يظنون أن مصادقة الروس البلاشفة لم تكن سوى ضرورة حربية ، وانها جديرة بأن تزول بزوال الحرب . بل لعل منهم من يتوهم أن الخطر الروسى أقسى عليهم من الخطر النازى نفسه . وهؤلاء لا يتورعون عن الادلاء بآرائهم ، وتسجيل أقوالهم ، وتنقل الى الروس هذه العبارات فى صورة لا تخلو من الغلو والتشويه

ويؤلم الروس بوجه خاص ان يطالبوا دائما بأن يكفكفوا من مطامعهم ، ويحدوا من رغباتهم ، وأن ينشدوا العدل والانصاف فى سياستهم ، بينما المعسكر الديمقراطى لا يتردد عن ارتكاب الاثم والبغى بغير الحق ، اذا كان فى هذا ما يتوهم أنه مصلحة له ، ولو ان الدول الديمقراطية حرصت على أن تكون طاهرة بريئة فى سياستها نحو جميع الاقطار ، لكان فى هذا خير رادع للروس عن غلوهم فى أطماعهم

***

وبعد ، هل يظل هذا التقاطع والتنافر قائما بين الفريقين ، أم يأتى العام الجديد بتغيير جوهرى فى موقف كل فريق من الآخر ؟

ليس فيما شهدناه - فى ختام العام من الاحداث - ما يدل على رغبة أحد الفريقين فى أن ينزل عن موقفه ، أو أن يخفف من غلوائه . . ولكن على الرغم من هذا الجمود الذى نشاهده الآن ، يحق لنا أن نتوقع أن مثل تلك الحال لا يمكن أن تدوم ، وان كلا الفريقين سيحاول أن يبذل جهدا لاكتساب رضا الفريق الآخر . وحاجة روسيا الى الهدوء والاستقرار ليست أقل - ان لم تكن أعظم - من حاجة الدولتين الكبيرتين بريطانيا وأمريكا، وليس فى وسع روسيا اليوم أن تستغنى عن المساعدات التى تستطيع أمريكا أن تقدمها لها. فلعل هذه الاعتبارات أن تحمل الروس على التخفيف من مطالبهم ، والحد من أطماعهم ، وأن يقتنعوا - ولو مؤقتا - بما حصلوه وما بلغوه ، وهو ليس بالشىء الهين اليسير

ولقد يزعم بعض الناس أن فى بقاء الخلاف بين الطرفين مصلحة للامم الصغيرة عامة ، وأمم الشرق الاوسط والعالم العربى بوجه خاص ، والرد على هذا الزعم هو أن البلاد العربية قادرة ان شاء الله على أن تصون حقوقها بنفسها وبجهودها وتضامنها . وهى ليست فى حاجة الى شجار يقع بين الدول لكى تضمن لنفسها الاتحاد والتقدم ، بل ان مصلحة البلاد العربية لا تختلف عن المصلحة الكبرى للعالم ، وهى أن يسوده السلم والأمن ، وان تقوم الامور فيه على قواعد العدل والانصاف ، والمبادىء الانسانية السليمة

محمد عوض محمد

« ليس العالم خيرا خالصا ، وليس هو شرا خالصا ، ولكنه تغالب بين الخير والشر ينتهى دائما الى نوع من الرقي قد نحبه أو لا نحبه ، ولكنه رقي على كل حال »

أيتقدم العالم أم يتأخر؟

بقلم الدكتور طه حسين بك

يلم بالعالم فى هذه الايام طائف من التشاؤم ، يحسبه بعض الناس غريبا مع انه طبيعى مألوف لا غرابة فيه . يحسبه بعض الناس غريبا لانهم كانوا يقدرون ان انتهاء الحرب واستقرار السلم ، سيملآن القلوب غبطة وابتهاجا ، وسيدفعان الانسانية الى الاستبشار والتفاؤل واستقبال حياة راضية كلها أمل ورجاء

فلما وضعت الحرب أوزارها ، ونظر الناس فلم يروا سرورا ولا حبورا ، وانما رأوا عبوساً وحزنا ، ورأوا مصاعب فى السلم ليست أهون شأنا ولا أقل خطرا من تلك المصاعب التى كانت تثيرها الحرب ، بل رأوا ان انتهاء الحرب لم يقر النظام ، ولم يثبت الأمن ولم يحقن الدماء . فما زال الموت والدمار يصبان على بعض الناس هنا وهناك . وما زالت الشعوب حذرة مترقبة ، يخشى بعضها بعضا ، ويحقد بعضها على بعض ، ويكيد بعضها لبعض . رأوا هذا كله فسقط فى أيديهم ، ووقع فى نفوسهم من كذب الأمل وخيبة الرجاء شيء عظيم . وما هى الا أن يسوء ظنهم بالحياة ، فيسوء حكمهم عليها ورأيهم فيها ، واذا التشاؤم يشيع آثاره السيئة فى القلوب ، ويسبغ ألوانه الشاحبة على الوجوه ، ويجرى فى اصوات الناس ، حين يتحدث بعضهم الى بعض عن أمس واليوم وغد ، نغمات فى بعضها كثير من السخط القاتم ، وفى بعضها كثير من السخر الباسم ، وكلها يصور سوء الظن وقبح الرأى والشك المنكر فى كل ما أحيا القلوب من الامانى ، وأضاء النفوس من الآمال . ومع ذلك فليس فيما يحدث من الاحداث ويلم من الخطوب ، شيء غريب لم يكن منتظرا ولا متوقعا . فقد دفعت الامم الى هذه الحرب المنكرة دفعا عنيفا لا روية فيه ، وبذلت فى أعوامها الطويلة من الجهود ما استنفد قوتها المادية والعقلية والانسانية بوجه عام . لم يشترك فيها المحاربون وحدهم من جنود البر والبحر والجو ، وانما اشترك فيها المحاربون والمدنيون جميعا . ولم يصطل نارها القادرون على احتمال الاثقال والنهوض بالاعباء من الرجال وحدهم ، وانما اصطلى بنارها الأقوياء والضعفاء على السواء . شقى بها الرجل الذى

خلق لمواجهة الخطوب وأعطى القدرة على هذه المواجهة ، وشقى بها الشيخ الفانى والطفل الناشىء والمرأة الضعيفة ، شقى هؤلاء جميعا بما صبت الحرب عليهم من ويل فى النهار والليل، وشقوا جميعا فى حياتهم المادية اليسيرة بما قتر عليهم فى الرزق ، وبما قطع بينهم وبين الراحة والهدوء والدعة من الاسباب . فهم كانوا يعيشون فى خوف متصل وحرمان متصل وضيق ليس يشبهه ضيق . وهم كانوا يحملون أنفسهم من المكروه على الوان لم تعرفها الشعوب قط . وهم كانوا مضطرين الى ذلك اضطرارا لا محيد عنه ولا خيار فيه . ثم ان هذا الشر كله لم يكن مقصورا على الامم المحاربة وحدها ، وانما تجاوزها الى غيرها من الامم التى اختارت الحيدة وآثرت العافية ، وظنت انها ستجد فى البعد عن الحرب أمنا من أهوال الحرب . فاذا هى لا تجد أمنا ولا شيئا يشبه الأمن ، واذا البؤس والشقاء يصلان اليها ، ويمسان طبقاتها على ما يكون بينها من تفاوت واختلاف . واذا الموت والدمار يصبان على بعضها صبا بمقدار قربها من ميادين الحرب ، ووقوعها فى طريق المحاربين . فلاول مرة فى تاريخ الانسانية لم تستطع أمة من الأمم مهما يكن حظها من الحضارة وحرصها على السلامة وموقعها من الكرة الارضية ، ان تسلم من أهوال الحرب أو تبرأ من هذا الشقاء الذى تجره أهوال الحرب على الناس

فاى غرابة فى أن يكون هذا كله قد أثر أبلغ الأثر وأعمقه فى عقول الناس ونفوسهم وقلوبهم ، لانه أثر أبلغ الأثر وأعمقه فى حياتهم المادية والمعنوية ، ما ظهر منها وما بطن. وأى غرابة فى ان يداعب الناس أثناء الحرب أمانى حلوة وآمالا عذابا ، لان سكوت الموت والدمار فى نفسه خير لا يشبهه خير ، ثم أى غرابة فى أن يسكت الموت والدمار عن الناس، وتتصل آلام الحرب الاخرى عليهم ، فلا يكون ابتهاجهم بانتهاء الحرب ملائما لما كانوا يقدرون

كل هذا طبيعى مألوف لا غرابة فيه ، ولكن الانسان عجل بطبعه مسرف فى الطمع والطموح ، لا يقنع بشىء وانما يطمع فى كل شىء، وهو سريع الى الرضى سريع الى السخط سريع الى الأمل سريع الى اليأس ، تسيطر عليه الغرائز اكثر مما يسيطر عليه العقل ، وتصرف ارادته الأهواء والعواطف ، اكثر مما تصرفها الروية الهادئة المستأنية . وهو من أجل ذلك يحكم على الاشياء احكاما سريعة ، لا تمهل فيها ولا تبصر ، يسرف فى التفاؤل لايسر الاشياء ، ويغلو فى التشاؤم لايسر الاشياء أيضا . ويتنقل بين هذين الطورين ، كما تتنقل الكرة بين أيدى اللاعبين . والحمد لله على أن قوانين الطبيعة ونظم الكون تجرى فى طريقها هادئة مطمئنة ، لا تحفل بالانسان ولا تؤبه له ، ولا تتأثر بنوبه من الرجاء الى اليأس ومن اليأس الى الرجاء . وقد أظهر الانسان عجزه عن تنظيم أمره باسرافه فى الاندفاع مع غرائزه وأهوائه ، وقصوره عن الاستجابة للعقل والروية . فتعرض لهذه الأهوال التى تعرض لها ، وخضع لهذه الآلام التى ما زال يخضع لكثير منها الى الآن. وقد أسرف الانسان فى الايمان بنفسه حتى انتحل لها القدرة على كل شىء ، وأسرف فى

الثقة بعقله ، حتى استيقن انه قادر على ان ينفذ من كل مشكلة ويخلص من كل مظلمة ويقهر كل ما يمكن ان يعترض سبيله من مصاعب أو عقبات . والغريب انه على ثقته بعقله لا يستجيب له دائما ، ولا يهتدي بهديه الا قليلا . فهو يؤمن بالعقل حتى يفسد عليه الغرور أمره ، وهو يخضع للغرائز حتى يفسد عليه الضعف أمره ، وهو مضطرب لذلك بين هذا النور الضئيل الذى يرسله العقل ، وهذه الظلمة الكثيفة التى تنشرها غرائزه الجامحة . وليس لشقائه مصدر الا هذا الاضطراب بين الظلمة والنور . وقد اطمأن الانسان الى عقله ، ورأى أن هذا العقل قد استكشف له الوانا من العلم والفن ، اذل له الطبيعة وسخرها لاغراضه المختلفة ، وجعله سيد الارض والبحر والجو ، فخيل اليه انه يستطيع ان ينعم بهذا السلطان الواسع العريض دون أن يتعرض لبؤس أو شقاء . ولكنه يرى البؤس يكتنفه من كل وجه ، والشقاء يأخذه من كل مكان ، فتملكه الحيرة فى أمره . . ما باله يستطيع أن ينعم ويسعد ثم لا يجد الى النعيم والسعادة سبيلا . وما أجدره أن ينعم ويسعد لو أنه اهتدى بهدى العقل وحده ، فلم يسرف للاستجابة فى الغرائز والاندفاع مع الاهواء . ليس غريبا اذن ان ينظر الناس الى الحياة نظرة تشاؤم بعد ان انتهت الحرب، ولم تتحقق آمال المنتصرين ولا آمال المحايدين ، ولم يكشف الضر عن المنهزمين

***

وأمر الانسان فى ذلك يشبه أمر المريض الذى كانت تأخذه الآلام الثقال المنكرة ، فكان يتمنى أيسر الهدوء لهذه الآلام ، يراه الفوز كل الفوز ، ثم انجلت عنه غمرات المرض وأدرك البرء ، ولكن عصر النقاهة طال عليه ، فلم يسترد قوته كاملة ولا نشاطه موفورا ، فضاق بالحياة وساء رأيه فيها وحكمه عليها

كذلك كان الناس فى مثل هذا الوقت من العام الماضى يتمنون أيسر السلم ، يتمنون أن تسكت المدافع وتسكن الطائرات . فلما سكتت المدافع وسكنت الطائرات ، وأتيح للناس أن يعملوا هادئين وينامو آمنين ، تمنوا ان يستأنفوا حياتهم تلك التى كانوا يحيونها قبل الحرب ، وقد طال عليهم الانتظار مع ان الحول لم يحل على انتهاء الحرب بعد . فهم يتعجلون العافية الكاملة والنشاط الموفور ، وهم بحكم هذا التعجل يتشاءمون ويسيئون رأيهم فى الحياة وحكمهم عليها . وانت فى أوقات السلم العادية ، ترى السخط والتشاؤم فى جيلين من الناس أحدهما جيل الشيوخ الذين أدركهم الضعف وشاع فيهم الفتور ، فاشتد حزنهم على ما فات ، وساء رأيهم فيما هو آت ، وأصبحت نظرتهم الى الحياة لا تخلو من هذا التشاؤم البغيض . والآخر جيل الشباب الذين لا يقنعون بما قسم لهم من الحياة، وانما يطمعون فى خير منه ، ويتعجلون هذا الطمع ويندفعون اليه اندفاعا . هم ساخطون على ما قدم أسلافهم ، طامحون الى أن يصلحوا ما أفسد هؤلاء الاسلاف ، وان ينشئوا لانفسهم عالما جديدا ، خيرا من العالم الذى أنشأه لهم آباؤهم . فأنت ترى فى جيل الشيوخ

تشاؤما قوامه اليأس ، وفي جيل الشباب تشاؤما قوامه الأمل ، وأنت ترى عند الكهول تفاؤلا معتدلا فيه شيء من أمل الشباب وفيه شيء من اناة الشيوخ

***

واكثر ما يشتد التشاؤم ويتجاوز الفلاسفة والشعراء الى عامة الناس ، حين تحدث الاحداث العنيفة ، وتلم الخطوب المنكرة ، فتتغير قيم الاشياء ويتغير تقدير الناس لها وحكمهم عليها . هنالك يسوء الظن ويقبح الرأى ، ويستخف الناس بما كانوا يكبرونه من قبل ، فيستقبلون حياتهم متشائمين لا يحفلون بشيء ولا يؤبهون لشيء . ويظهر هذا التشاؤم فى مظهرين مختلفين ، احدهما مظهر اليأس والارتفاع عن صغائر الحياة ، والثانى مظهر الاستخفاف والاندفاع الى اللذات والازدراء لكل شيء . وانت ترى نماذج من عصور التشاؤم فى القرن الثانى للهجرة حين كانت الثورة التى ادالت من الامويين للعباسيين ، واظهرت بشارا ومسلما وأبا نواس . وفى اثناء القرن الرابع حين كانت ثورة القرامطة وحين ظهر المتنبى وابو العلاء ، وفى أثناء الثورة الفرنسية واعقاب الامبراطورية الفرنسية أيضا

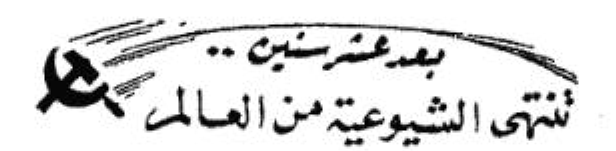
وأكبر الظن انا نستقبل بعد انتهاء هذه الحرب أزمة عنيفة من هذه الازمات التى سيتشاءم الناس فيها كثيرا ، فيلسف بعض الخاصة حتى يملأ الحياة سخطا ، ويقيم لنا العالم على شر منكر ، ويخيل الينا ان العالم يرجع ادراجه ويسرع الى وراء ، ويتهالك كثير من العامة على اللذات وارضاء الشهوات ، سواء منها الكريم والحقير مستخفين بكل شيء مزدرين لكل قيمة ، ويثبت قليل من الناس على الثقة بالعقل ، وعلى حسن الرأى فى الحياة ، فيعملون وينتجون وينتهون بمزاج العالم الى الاعتدال ، ويحققون التوازن بين التفاؤل والتشاؤم ، ويمضون بالانسانية فى طريقها الى ما قدر لها من الرقى والكمال

وقد تظن انى بعد هذا الحديث الطويل لم أجب عن السؤال الذى اتخذ عنوانا لهذا المقال فهل يمضى العالم الى أمام أم هل يرجع العالم الى وراء . أما أنا فاعتقد انى قد أجبت عن هذا السؤال اجابة واضحة لا لبس فيها ولا التواء . فما دام التشاؤم عرضا من اعراض الازمات التى تلم بحياة الناس بين حين وحين ، فالتفاؤل المعتدل هو الاصل وهو الحق الملائم لطبيعة الاشياء . فالعالم يتقدم ويمضى الى امام ما فى ذلك شك ، وهو يتقدم ويمضى الى أمام حتى فى أشد الايام ظلمة وأعظمها نكرا ، لان قوانين الطبيعة تمضى فى طريقها لا تحفل برضى الانسان ولا بسخطه ، ولا تأبه لتفاؤل الانسان ولا لتشاؤمه ، ولان تقدم العالم لا يكترث بشيء له صرامة القانون وقسوته ، فهو يمضى فى طريقه حتى على جثث الذين يسقطون ، فتمتلىء بهم هذه الطريق . مثله فى ذلك مثل الجيش المنتصر الذى يمضى أمامه ، رغم الذين يسقطون من جنده ومن جند العدو ، لا يتردد فى ان يطأ صرعاهم فى زحفه المتصل الى النصر

ما اكثر الهول الذى صب على الناس فى هذه الحرب ، ولكن ما اعظم الرقى الذى اتاحته هذه الحرب للناس . هو رقى منكر بالقياس الى هذه الاجيال الحاضرة ، ولكن الاجيال المقبلة التى لم تشهد الحرب ستفيد منه خيرا كثيرا . سعة فى الحيلة لقهر المصاعب والتغلب على العقبات ، ورقى مادى هائل فى الغاء مسافات الزمان والمكان جميعا . ورقى فى الشعور بالحاجة الى العدل الاجتماعى والسياسى ، وفى الميل الى تحقيق هذا العدل وفى تعجل تحقيقه ، ورقى فى الشعور بأن سياسة الشعوب يجب أن تصير الى الشعوب ، ولا تظل محتكرة لطبقة بعينها من الطبقات ، ورقى فى الشعور بالألم ليمكن اتقاؤه أو تخفيفه ، وفى الشعور بالأمل ليمكن تحقيقه أو السعى المنتج اليه . ورقى فى الحس الدقيق باشياء ما كنا نحسها وما كانت تخطر لنا على بال . بحكم هذه الحرب وما دعت اليه من التفكير المتصل ، والاحتيال المستمر للتخلص من المصاعب والتغلب على العقبات ، أتيحت للانسان أشياء ما كان يظن انها ستتاح له فى يوم من الايام . هذه البلاد التى اضطرت الى الجوع والبؤس والحرمان ، واستطاعت مع ذلك ان تقهر الجوع والبؤس والحرمان . لم تبلغ ذلك الا لانها أعملت العقل ، ونجحت فى أعماله حتى تمكنت من احتمال الشقاء أولا ، ثم من التغلب عليه بعد ذلك ، ثم من استئناف السير فى طريق السعادة آخر الامر

ما أكثر ما يتشاءم المتشائمون باستكشاف القنبلة الذرية ، ولكن هذا الاستكشاف نفسه قد فتح للناس أبوابا رائعة من الأمل فى ترقية الحياة المادية ، ثم فى ترقية الحياة المعنوية ، ثم فى تيسير انتشار العدل والرضاء بين الناس . يجب أن يؤخذ العالم على علاته فليس هو خيرا خالصا ، وليس هو شرا خالصا ، ولكنه تغالب بين الخير والشر ينتهى دائما الى نوع من الرقى قد نحبه أو لا نحبه ، ولكنه رقى على كل حال . ولا على الناس أن يتشاءموا أو ان يتفاءلوا فما تعبأ الطبيعة بتشاؤم المتشائمين ولا بتفاؤل المتفائلين ، وانما هى ميسرة لما خلقت له ، تمضى فى طريقها قدما ، تقف أحيانا لتستأنف المضى ، ويخيل الى الناس انها تتراجع أحيانا ، ولكنه تراجع الذى يريد ان يتهيأ للوثوب . وانى لانصح للقارىء وان كان من المدلين بالقرن العشرين أن يقرأ قصة كتبها فولتير فى القرن الثامن عشر وهى قصة «العالم على علاته» Le monde comme il va فسيجد فى هذه القصة الرائعة أصدق تصوير لهذا المزاج الذى ائتلفت منه حياة الناس دائما ، والذى يشتد فيه التشاؤم حتى يوشك أن يبلغ اليأس ، ويشتد فيه التفاؤل حتى يتجاوز من الامل كل حد ، وينتهى آخر الامر الى الثقة بأن الاسراف فى اليأس ضعف ، وبأن الاسراف فى الامل غرور ، وبأن الحياة لا تحفل بالاحياء ، وانما تدفعهم الى أمام راضين أو ساخطين ، فالخير لهم ان يقبلوها على علاتها ، وان يحيوها كما أراد الله لها أن تكون

طه حسين



بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

● ان الشيوعية في اعتقادنا مذهب غير قابل للنجاح ولو لم تنعقد المقابلة بينها وبين الديمقراطية أو مبادىء الحرية الانسانية . وهي في اعتقادنا تحمل جراثيم فنائها ولو تركت وحدها في عالم متسامح معها بغير منافسة ولا نزاع ●

نعم ستنتهي الشيوعية من العالم لانها مذهب غير قابل للبقاء، وكل تجربة له تقصيه من برنامجه المقرر ، وتقترب به مما يناقض دعواه

واذا قلنا ستنتهي الشيوعية من العالم ، وجب ان نذكر انها لم تبتدىء قط على النحو الذي أراده كارل ماركس وتابعوه وخالفوا الإشتراكيين من أجله أشد المخالفة ، ليقيموا مذهبهم على المبادىء العلمية التي تكفل له الدوام كما يقولون

فكل ما حدث الى اليوم فهو محاولات في سبيل التطبيق والتوفيق ، وقد مضى على هذه المحاولات زهاء ثلاثين سنة ، وهي لا تستقر على مبدأ من مبادىء الشيوعية الماركسية سنة واحدة الا اضطرت الى العدول عنه في السنة التالية ، ثم تجري على خطة لا هي بالشيوعية ولا هي بالديمقراطية ولا هي بالفاشية كما يعترف بها أبناء هذه المذاهب المختلفة . مع ان الفخر الاكبر الذي كان يفخر به كارل ماركس وأتباعه هو « الاساس العلمي » الذي ينفردون به عن مذاهب الاصلاح الاخرى

***

فالشيوعيون اليوم يعترفون بنوع من الحكر المتوارث للافراد العاملين في الزراعة يشبه الملكية من جميع الوجوه ، ويقبلون الميراث في المنقولات ، ويبيحون الادخار وتكديس الاموال ، ويسمحون بتفاوت المكاسب وطبقات المعيشة الى أبعد الحدود ، ويعزلون الجنسين في سنوات التعليم ، وينادون بالوطنية التي كانت في عرفهم بدعة من بدع رأس المال ، ويفتحون المعابد ويتغاضون عن العبادات الالهية بعد أن حرموها وأنشأوا في العواصم متاحف تسمى بالمتاحف « اللاالهية » لادحاض كل عقيدة يؤمن أصحابها بالله

وبلغ من تفاوت الشيوعيين في طبقات المعيشة ان الخدمة المنزلية التي كانت محرمة في أيام الثورة الاولى تكاثرت باسم العمال « البيتيين » ولا تزال تتكاثر على توالي السنين . فكان عدد هؤلاء الخدم قبل الثورة مليونا ونصف مليون ثم هبط الى عشر هذا العدد عقب

استقرار الامور بعض الاستقرار فى سنة ١٩٢٣ ، وكان هذا النوع من الخدمة محوطا بما يشبه التنكر والتهريب لدلالته على اختلاف الطبقات وتفاوت الناس فى مستوى المعيشة على سنة رأس المال ، فلما اتسع الفارق بين الطبقات زاد عدد الخدمة فى البيوت على اربعمائة ألف رجل وامرأة ، وسكتت الاحصاءات الرسمية بعد ذلك عن اعلان الزيادة فيه كل عام ، فلم تعلن منذ سنة ١٩٣٢

***

قال دافيد دالن صاحب كتاب روسيا السوفيتية على حقيقتها « ان مقياسا آخر لحالة المعيشة فى روسيا هو تفشى الدعارة فى السنوات الاخيرة .. فان الغاء الدعارة فى أرض السوفييت خرافة يروجها قليلو الاطلاع على حقيقة الاحوال »

ومستر دافيد دالن هو صاحب كتابين آخرين عن روسيا غير الكتاب المشار اليه ، وهما سياسة روسيا الخارجية بين ١٩٣٩ و١٩٤٢ ، وروسيا والقارة الاوربية بعد الحرب العالمية ، وهو من الثقات المطلعين أوسع الاطلاع على هذا الموضوع

ولا يقال ان الكلام على تفاوت الطبقات فى روسيا اشاعات من تلفيق خصوم الشيوعية كما يقال فعلا فى الاجابة على كل ما يكتب من هذا القبيل ، فان الخبراء الشيوعيين أنفسهم يؤيدون ما يروى عن تفاوت المعيشة هناك ، ومن ذلك ما كتبه الرفيق ليتسكر Lipetsker بمعهد القانون فى مجمع العلوم بموسكو حيث قال ما يفهم من عنوانه « انك تستطيع أن تكون غنيا فى البلاد الروسية » كما جاء فى عدد اكتوبر الماضى من مجلة « الماجازين دايجست »

وفحوى كلامه ان التفاوت لا يبلغ فى بلد من البلدان مبلغه فى البلاد الروسية ، وكل ما يلطف به وقع هذا الاعتراف « ان تفاوت الدخل يختلف بين حد أدنى مقرر وبين الحد الاعلى الذى تقرره كفاءة الفرد وقدرته على كسب المال ، ولا يختلف بين الفقر المدقع والغنى الفاحش فى حال من الاحوال »

قال الرفيق ليتسكر « ومن موارد الدخل الاضافية فوائد المال المدخر المودع فى قروض الحكومة »

ثم سأل : وماذا يعمل الصانع برأس ماله ؟ فأجاب : «انه يستطيع ان يشترى بيتا قائما أو يبنى بيتا جديدا ، وان يؤجره لغيره ، ويستطيع بجهده الفردى أن يملك مزرعة خاصة أو يدير محلا صناعيا لحسابه ما دام يديره بعمله أو عمل ذويه ، ولكنه لا يستطيع ان يستغل عمل الآخرين أو المتاجرة بالبيوت أو الاقراض بالربا »

***

وصفوة القول ان الشيوعية تبتعد بطول التجربة عن مبادىء كارل ماركس « العلمية » المزعومة ولا تقترب منها ، وان المبشرين بمبادىء كارل ماركس لا يعتبرون التجربة الروسية دليلا على النجاح الذى يقنع المخالفين ويثبت أقدام المصدقين ، لان النجاح يفتح

الابواب لمن يحب ان يراه : يفتح الابواب للمقبلين على البلاد الروسية ليشهدوا بأعينهم دلائل الفارق البعيد بين نظامها ونظامهم ومعيشتها ومعيشتهم ويرجعوا الى أوطانهم وهم مبشرون بفضل ما شهدوه منكرون لما كانوا عليه ، ثم يفتح الابواب للروسيين الراغبين فى السياحة والتطواف ليشهدوا كذلك دلائل الفارق البعيد بين نظامهم ونظام العالم فى البلاد الديمقراطية ويرجعوا الى منبتهم الاول وقد ازدادوا ثقة بما كانوا يسمعونه من الاشادة بالدعوة الماركسية والنعى على الديمقراطية والديمقراطيين

ولكن الذى يحصل فعلا لا يدل على الثقة بالنجاح ، لانه اصرار على التشديد فى منع الخروج والدخول وارجاء الامر جهد المستطاع أملا فى تحول الاحوال ، وخوفا من الانهيار اذا تمت المقابلة والمقارنة بين الشيوعية والديمقراطية قبل تمام ذلك التحول المنظور

الا ان التحول سيقع ــ كما يقع الآن شيئا فشيئا ــ فى بلاد الروسيين ، قبل ان يقع فى بلاد الديمقراطيين

لان عوامل النجاح فى صف الديمقراطية وليست فى صف الشيوعية اذا نظرنا الى الوعود المقرونة بالتجارب والاعمال

***

فالديمقراطية تعطى الحرية وتستبقى الحافز الشخصى الذى لا تستغنى عنه طبيعة الانسان، وتملك وسائل التطور فى انصاف الطبقات ، وتقوى على الاخذ من مذاهب الأصلاح دون ان تخل بمبادئها التى لا تدين بالتحكم أو « الدوجما » على طريقة الماركسيين

اما الشيوعية فهى تأخذ حرية الناس ثمنا لوعود الرخاء على المبادىء الماركسية دون غيرها ، ثم لا تنجز تلك الوعود ولا ترد الحرية الى أصحابها ولا تزال مبتعدة عن أساسها كلما اقتربت من مذهب الحرية والحريين

بل تستطيع الديمقراطية ان تضمن التطور فى انصاف الطبقات دون ان تحتاج الى التجارب الدموية التى مرت بالشيوعيين فى تجاربهم الاولى ، وكل خطأ من أخطاء الديمقراطية أو تسويف من تسويفاتها هو فى حاضره ومصيره أهون من ثلاثين مليونا تسفك دماؤها فى القلاقل والفتن أو تهلك بالاوبئة والمجاعات ، وأهون من حصر السلطان نيفا وعشرين سنة بغير قدرة على التبديل أو توجيه النقد فى الكبير والصغير من الامور

فمن رأى هذين الجوادين يتسابقان فى المضمار ثم أخطأ السابق منهما فاللوم عليه ، واذا راهن على المتخلف منهما فمن جزائه الحق ان يخرج خاسر الرهان

على ان الشيوعية فى اعتقادنا مذهب غير قابل للنجاح ولو لم تنعقد المقابلة بينها وبين الديمقراطية أو مبادىء الحرية الانسانية

وهى فى اعتقادنا تحمل جراثيم فنائها ولو تركت وحدها فى عالم متسامح معها بغير منافسة ولا نزاع

وانما تحمل جراثيم الفناء لانها تقيم العقيدة على المصلحة المادية ، وهى لا تكون أبدا

أساسا للعقائد ولا حاجة بالناس أبدا الى العقائد لو كانت المصالح المادية هى كل ما يبغون، وهى كل ما يعيشون من أجله ويموتون . فانهم يموتون فى سبيل العقيدة وما من مصلحة فى الدنيا تتجاوز مصلحة الحياة ، وانهم ليجتمعون فى بيئة مادية واحدة وبينهم من التفاوت فى الاخلاق والهمم والاذواق ما يستعصى تفسيره على كل علة من علل الماديات ، وليس أسخف من القول بان المصالح المادية تنشىء العقائد والفنون الجميلة ، ثم لا يقول لنا القائل بهذا لماذا تلجئنا المصالح المادية الى صناعة التماثيل ونظم الشعر وسماع الغناء

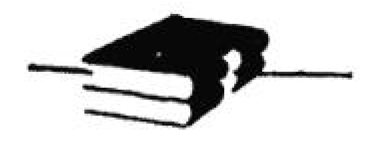
***

والشيوعية مصادمة لروح التقدم ونزعة الكمال فى البشرية لانها موكلة أبدا بالاسفل الاسفل من كل شيئين متقابلين . وكفاها من ذلك انها تقابل بين العقل والمادة عند التعرض لاساس الفلسفة الثنائية فتقول بتقديم المادة على العقل فى مراتب التكوين ، فلا عجب بعد ذلك ان تحابى الايدى فى معرض المقابلة بين الايدى والرؤوس وان تنحاز الى أوطأ كل شطرين حيثما تنازع شطران

ملايين الجنود وألوف الابواق لن تفلح فى استبقاء مذهب يهدم الحوافز الفردية وهى طبيعية حتى فى تجديد الانواع ، ويبخس المواهب العالية وهى غاية التطور فى تاريخ بنى الانسان ، ويلغى الحرية فى سبيل المعدة الحيوانية ، ويجعل العقيدة من المصلحة والعقل من المادة والاسفاف الى الحضيض هو أساس المساواة ، ولن يحمل مذهب قط كل هذه الجرائم من جرائم الفناء ثم يرجى له بقاء

وقد تتحول الشيوعية عن أسسها جميعا قبل عشر سنين بقليل أو بعد عشر سنين بقليل، ولكننا نؤمن بالجانب الاعلى فى الطبيعة البشرية حين نقول ان الجانب الاسفل منها لن يسود فى مجرى التاريخ ، وان من شباب هذا العصر من سيبصر بعينه زوال الشيوعية من العالم قبل ان يبلغ مبلغ الشيوخ

عباس محمود العقاد



عبادة الماضي

بقلم الأستاذ أحمد أمين بك

أتظن أن الناس يعبدون آلهتهم وحده ؟ ويقيمون له الشعائر وحده ؟ ويطيعونه ويعظمونه وحده ؟

كلا . ان هناك معبودا آخر للناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، يطيعونه ويخضعون له ويقدسونه ويصدرون عنه فيما يفعلون ويتركون ، هو الماضي الحافل بتقاليده وأفكاره وأعماله

لئن كانت ميزة الانسان الكبرى ، هي تطوره وقدرته على التغير والتحسين والتجديد، فان فيه عنصرا قويا موروثا من أصله الحيواني ، هو عنصر الثبات والاستقرار وبقاء القديم على قدمه

هل رأيت القطيع من الغنم يسير أمامه حمار يهديه ويرشده ، فان سار الحمار يمينا سار القطيع يمينا ، أو يسارا فيسارا ، وان قفز عقبة قفز كل القطيع وراءه ، واحدة بعد أخرى؟

في الانسان شبه كبير من هذا المنظر ، فهو في أغلب أعماله لا يعمل العمل أو يتجنبه ، لانه وزن منافعه ومضاره وحسب نتائجه ، ولكن لان من قبله من الناس عملوه أو تركوه، والجيل اللاحق يتبع الجيل السابق بالتقليد كقطيع الغنم في سيره وفي قفزه

***

ماذا نأكل وماذا لا نأكل ، وماذا نشرب وماذا لا نشرب ، وكيف نأكل ونشرب ، وماذا نلبس وكيف نلبس ، وكيف نحترم وكيف نحتقر ، وكيف نبدأ التحية وكيف نردها ، وما الأعداد التي نتشاءم منها والتي نتفاءل منها ، ولم نحارب وكيف نحارب ، ونظام الحكومة وكيف يكون ، وأساليب الشعراء في شعرهم وبحور الشعر وأوزانها ، وأساليب النثر ، وآداب اللياقة ، واحترام الاغنياء واحتقار الفقراء ، وآلاف وآلاف من الامثلة في الحياة المادية والسياسية والفنية والاجتماعية والعقلية والاقتصادية ، لم نفعلها لاننا درسناها وعرفنا خيرها وشرها ، ولكن هذا ما وجدنا عليه آباءنا وانا على آثارهم لمقتدون

وليس يستطيع أن يظهر فوق لجة الماء ، ويكافح ضد التيار ، الا أفراد أقل من القليل، يظهرون على توالي الاجيال ، ويستطيعون أن يكفروا بعبادة الماضي، وان يزنوا الامور بقيمتها الذاتية ، لا بالتقاليد المرعية ، ويفرقوا بين السخيف والمعقول ، وما يستحق البقاء وما يستحق الاعدام من النظم والافكار والعادات . كم من آلاف السنين مضت قبل أن

واطمئنان فوائد الاستعمار ومضاره حتى للمستعمرين أنفسهم ؟ ما هى النتيجة لو حسب ما يستغله الفاتحون من أموال المفتوحين ، وماذا يكلفهم ذلك من نفقات الجيوش والاسلحة فى السلم والحرب ، وما يكلفهم من ضحايا فى الانفس بجانب الضحايا فى المال ، فضلا عن الحزازات النفسية الدائمة ؟ ألاستعمار لهذا الغرض — والنتيجة لا محالة أن الاضرار أكبر من المنافع — أم الاستعمار للحصول على المواد الخام ، من الامم المفتوحة ؟ فهل حسب حساب الفروق بين احتكار المواد الخام وجعلها عرضا مشاعا للجميع ، فيشتريه كل من قدر عليه ، وما يسببه الحل الاول من حرب وما يسببه الحل الثانى من سلم ؟ وهل بحث العلاقة بين الاستعمار وسعادة الامم فرئى أن سعادة الامة بقدر ما تستعمر ؟ الحق ان هذه المسائل وأمثالها كلها لم تبحث فى « المعامل » كما بحثت المسائل المادية ، وانما فعلها الاولون لبقايا وحشية فيهم ، وفعلها الآخرون عبادة للصنم القديم

***

وقل هذا فى النظم الاقتصادية ، فهى لمنفعة الاقوى لا منفعة الاحق . وهى تساعد السلاب النهاب على السلب والنهب ، أكثر مما تساعد المستقيم العفيف على نيل حقه . وانما يمنع من تغييرها مع ظهور خطئها انها صنم قديم يعبد ، وليس من يشجع على تكسير الاصنام

ومن عجيب الامر أن عباد الاصنام القديمة ، أسعد بالا وأكثر اطمئنانا ، ويصفق لهم ويرحب بهم من يشقى بنظامهم . فاذا دعا داع الى كسر الصنم ، ووزن الامور بميزان العقل ، ووضع المسائل فى « المعمل » تحت التجربة والاختبار فهو المغفل ، وهو الخائن ، وهو الذى يرجم بالحجارة . ومما يزيد الامر سوءا ، ان زمام العالم فى يد حفنة من الناس تسيرهم النزعات القديمة وعبادة القديم ، اما عن اعتقاد منهم أو لضغط البيئة عليهم ، ودعاة « المعمل » والاختبار لا شىء فى أيديهم ، ودعاة الاصنام القديمة كل شىء فى أيديهم

ألا تستطيع كل الاهوال التى لقيها الانسان فى هذه الحرب — وما كان أقساها — وما يجد الآن من فوضى وقلق واضطراب وفزع ، أن تكشف الغطاء عن بصره ، فيرى أنه كان مفتونا بعبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، وأن عبادتها سبب كل ما هو فيه من شقاء ، فينتقم منها ويحطمها ، ويرى أن الحق وحده — لا القديم — أولى بالعبادة ؟

هذا هو الامل الوحيد والا فويل للانسان

احمد امين

كليوباترة .. في خان الخليلي

للاستاذ محمود تيمور بك

هذا عنوان قصة تحليلية كبيرة ، قدمها محمود تيمور بك للطبع .. وفيها ينعقد مؤتمر المدينة الفاضلة لدعم السلام متخذا القاهرة مقرا له ، وتحضره بعض الشخصيات التاريخية الكبرى مبعوثة من عالم الارواح ، وعلى رأس هذه الشخصيات «كليوباترة» . وفيما هي مقيمة بمعبد أبي الهول اذ يزورها الفنان الامريكي « مارتن » فيخرجان معا للنزهة ، ويتفقان على أن يذهبا الى « خان الخليلي » الجديد الذى شيد على انقاض خان الخليلي الحالي ، وفيما يلي يصف مندوب وزارة الخارجية المرافق لكليوباترة تلك الزيارة

وأقبلنا على « خان الخليلي » وتركنا السيارة ، فاجتزنا البوابة الكبيرة الواسعة المؤسسة على الطراز الشرقي القديم كأنها بوابة المتولي عادت اليها جدتها وفخامتها . ودخلنا ، فاذا نحن في السوق المظلمة : طريق مسقوف هادىء النور يصل اليه الضوء مصفى مختلف الالوان من خلال سقفه الذى تكسوه ألواح البلور ، فكان ذلك يضفي على المكان روحا ساحرة تملأ النفس خشوعا ورهبة . وعلى جانبي السوق حوانيت كلها منشأ على الطراز الشرقي كثيرة الزخرف ، ترى فيها المصاطب ممتدة بجوار الابواب ، وعليها مختلف الطنافس يجلس عليها رواد السوق وأمامهم التراجيل ينفثون منها الدخان المعطر . وكانت المجامر على الابواب تبعث بخورها الذكي يتعالى في أشكال رائعة وينتشر في الجو كأنه أحلام تتزايل . وأظهر ما يمتاز به هذا المكان أن جميع من فيه من أصحاب الحوانيت والعمال يرتدون الملابس الشرقية الزاهية المبرقشة . فكنت ترى غلام القهوة يهرول بسراويله المنتفشة ، ومن نطاقه تطل غدارة مرصعة وهو يحمل أكواب القهوة الفواحة للزوار . وهناك صاحب حانوت واقف بقامته المبسوطة أمام الباب في جبة وقباء حريري وعمامة مهيبة يحيي الناس في أدب بالغ يذكرنا آداب العصور الخالية . ووقفت كليوباترة وزميلها مشدوهين يطوفان ببصرهما حولهما كأنهما في عالم الرؤى . وسرعان ما وجدنا الانظار تتجه نحو كليوباترة ، والهمس يتناثر شيئا فشيئا ، والناس يتجمعون وهم يرمقونها

فى تطلع وفضول ، وتزايدت الزحمة ، وجعل لفظ كليوباترة ينتقل على الافواه سريعا ، وأخذ الناس يتدانون منها رويدا .. وظهر على الملكة شىء من الحيرة ، ولم تدر ماذا تفعل؟ أتشق لها بين الزحام طريقا؟ أم ترتد راجعة من حيث أتت؟ وما هى الا أن استوقفها شيخ مهيب الطلعة يرفل فى ثياب من الدمقس كأنه وزير من وزراء السلاطين الغابرين ، فتقدم نحوها وانحنى فى تحية كريمة . وابتسم قائلا :

ـ ألا تشرف مولاتى الملكة متجرى المتواضع ؟

فاستجابت كليوباترة لدعوة الرجل ، وتقدم أمامنا يهدينا الطريق ، واجتزنا ممرا تتدلى من سقفه قناديل تشع مزيجا من نور خافت تطمئن به النفس ، وتسكن اليه الاعصاب . وعلى جانبه الايمن منظر من التماثيل يصور سلطانة فى أبهى زينتها تحيط بها الجوارى يقمن على خدمتها . فتقدمت من كليوباترة وهمست :

ـ انها يا مولاتى مخازن بنت السلطان التى ترغبين فيها ..

وبعد أن اجتزنا الممر اذا بنا فى بهو عظيم تحيط به أرائك فاخرة مكسوة بالمخمل ، وقد بسطت أرضه بالطنافس ، ونثرت فى أنحائه النمارق الثمينة ، تتوسطه نافورة ترسل الماء فى حوض مكسو بالقاشانى . وعلى حافات الحوض تماثيل طير تحسو الماء فى هيئات شتى . وفى جوانب الحوض وأعماقه ركبت مصابيح ترقرق أضواؤها المختلفة الالوان على صفحة الماء ...

والتفت صاحب الحانوت الى كليوباترة قائلا :

ـ أى مكان تؤثرين يا مولاتى ؟

فأجابت فى صوت خافت وهى تشيع بصرها حولها :

ـ هنا على الحشايا بجانب البركة !

وسرعان ما وجدناها تثنى ركبتيها على حشية ، وفعل كذلك «مارتن» بعد أن عانى مشقة لكى يتربع فى جلسته على النحو الشرقى . وصفق صاحب الحانوت يأمر بالقهوة والنراجيل ..

وصافحت الآذان نغمات موسيقية لينة هادئة كأنها آتية من بعيد ، فيها طابع البداوة الساذجة والايقاع الشرقى الصميم

وسرعان ما عبق الجو ببخور خفيف طيب الاريج ، يشعر به المرء وهو يسرى فى أوصاله فيبعث فيها سكينة الاحلام ..وأسبلت كليوباترة جفنيها ، وشاع على محياها اطمئنان جميل . وبعد هنيهة أقبل صاحب المتجر عليها فى تلطف جم كأنه لا يريد أن يزعجها فى جلستها الحالمة . وقال لها وهو ينحنى أمامها :

ـ أتأذنين فى أن نبدأ عرض الازياء .. لدينا مجموعة فاخرة من أجمل الازياء العصرية: أثواب السهرة ، أثواب الاصيل ، أثواب الرياضة ، مع ملحقاتها من العصائب والحقائب والقبعات وما اليها .

فأجابت كليوباترة وهى مسبلة الجفنين على حالها كأنها تهمس :
ــ أريد أن أشهد أزياء شرقية خالصة ..
فقال لها الرجل وهو ينحنى :
ــ أمر مولاتى ..
واستدعى بعض عماله ، فأصدر اليهم أوامره . وبعد لحظة أقبل أحد الخدم بأقداح القهوة ووزعها علينا ، وكانت الأقداح مرصصة فى صينية فضية عليها نقوش شرقية رائعة. وأقبل خادم آخر بالنراجيل ، وكانت من البلور المفرغ ذى التصاوير المرقشة بشتى الالوان .. وانتقى صاحب المتجر نارجيلة تفضل أخواتها أناقة وحسنا ، وتقدم بها الى كليوباترة يقول :
ــ ألك يا مولاتى أن تجربى هذا الطباق العجمى الاصيل ؟ انه أنقى طباق تصدره بلاد فارس ..
ولم يكد يتم جملته حتى وضع النارجيلة عن كثب منها وقدم لها مبسمها العقيقى تشع منه ومضات تخطف الابصار . فرنت اليها كليوباترة لحظة صامتة ، ثم همهمت :
ــ لم أجرب التدخين قبل اليوم ..
فتناول « مارتن » نارجيلته وبدأ يعدها وهو يقول للملكة :
ــ لن تخسرى شيئا اذا دخنت ..
فقالت كليوباترة :
ــ ولن أكسب شيئا .
وخطا صاحب المتجر بضع خطوات من كليوباترة ، وقال وهو يبسط يديه فى احترام بالغ :
ــ بل تكسبين كثيرا يا مولاتى .
فقالت كليوباترة :
ــ أحسبك من أنصار التدخين !
فقال الرجل مبتسما :
ــ ومن خبرائه الفنيين .
فقالت كليوباترة :
ــ انتهى الى علمى أن الطباق لا يخلو من سموم
فقال « مارتن » وهو يحاول أن يجذب أول نفس من نارجيلته :
ــ لذلك فكرنا نحن الامريكان أن نتخلص منه باحلال اللبان محله .
فقال صاحب المتجر :
ــ وهل أفلحتم ؟

فابتسم « مارتن » وقد نجح أخيرا فى انطاق نارجيلته فجعلها ترسل كركرتها الاصيلة ، وقال :

ـ حقا لا أدرى يا سيدى ، ولكنها محاولة محمودة على كل حال فى سبيل مكافحة العادات الضارة . .

فقال صاحب المتجر :

ـ لقد سبق لكم يا سيدى أن حاربتم الخمر فشاع بينكم ما هو أدهى منها وأخطر ، فاذا حاولتم جادين أن تحاربوا الدخان وتحلوا محله اللبان فما أسرع أن نجد اللبان هذا وقد انطوى على مخدر يفوق فى سمه سم الدخان . .

فتضاحك « مارتن » وقد اغتبط بكركرة النارجيلة فأخذ يتابع جذب أنفاسه بسرعة ، وقال موجها الكلام لكليوباترة :

ـ ان صديقنا هذا على جانب من الحق . .

والتفت الى صاحب المتجر قائلا :

ـ وبماذا تفسر هذه الظاهرة اذن يا مولانا ، ظاهرة اقبال الانسان على ما يضره ؟

فقال الرجل وقد راح يشمر كميه :

ـ الامر يسير ، غاية فى اليسر . . ان الضرر يا سيدى عامل أساسى فى هذه الحياة لا غناء للجنس البشرى عنه ، والانسان اذا لم يحصل على هذا الضرر بكميات قليلة مناسبة فهو منزلق الى أن يناله بكميات وافرة . والجسم البشرى فى حاجة الى قسط ولو قليل من السموم ، لان على هذا القسط الضئيل يقوم اتزان الجسم واعتداله .

فهمهمت كليوباترة :

ـ اتزان الجسم واعتداله ؟ . . كيف ؟

فقال الرجل فى لهجة كلها رزانة وثبات :

ـ الصحة المطلقة ليست بالصحة الطيبة يا سيدتى . . ألا تعلمين أن الدم اذا زاد عن حده فى الجسم احتاج الى حجام ليفصده ويكسر من حدته ؟ . . ان جسم الانسان يا مولاتى ككل مركب آخر من المركبات قائم على عنصرى الخير والشر ، ولا يمكن أن نجد مركبا خاليا من هذين العنصرين . .

فقالت كليوباترة : أنت يا صديقى تتكلم فى أسلوب يحاكى أسلوب الفلاسفة . وحديث الفلسفة كله نظريات . .

فصاح « مارتن » وهو ينفث الدخان جزافا من فمه :

ـ كلام صائب . . الفلسفة النظرية سفسطة ، لذلك رأينا نحن الامريكان أن نتركها جانبا ، ونحل محلها الفلسفة التجريبية العملية . .

وقالت كليوباترة :

ـ ان التدخين يغدو على مر الايام ـ كما يقولون ـ عادة شديدة الوطأة على المدخنين ،

عادة مستبدة عاتية تكبلهم بقيود ثقال !

فابتسم صاحب المتجر ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن الشجاع قوى الارادة من يستطيع أن يجعل العادة طوع ارادته، لا أن يدعها تستبد به . .

فقال « مارتن » ، وقد أخذ يسبح فى شبه أحلام عذاب وهو يجذب أنفاسه ثم يرسلها دخانا كثيفا :

ـ العاقل الشجاع من عرف مواطن الشر فتجنبها . .

فقال صاحب المتجر فى حماسة :

ـ لن يكون المرء عاقلا شجاعا أبدا اذا جلس على الشاطىء يرقب النهر ، وهو يجرى بمائه الصافى الجميل ، بل العاقل الشجاع من استطاع أن يقذف بنفسه فى لجته ليجرب العوم على ما فيه من مغامرة ، فيستمتع بلذته ، ثم يخرج بعد ذلك ناجيا معافى !

فتضاحكت كليوباترة وهى تقول :

ـ مهما قلت يا سيدى فلن أدخن من نارجيلتك هذه . . فمعذرة . .

فابتسم الرجل ، وقال :

ـ الامر لك يا مولاتى على كل حال . .

وترك النارجيلة مكانها بجوار الملكة . .

وفى هذه اللحظة دنا أحد عمال المتجر من مضيفنا ، وهمس فى أذنه ببضع كلمات ، ثم انصرف . فقال صاحب المتجر للملكة :

ـ سنبدأ العرض يا مولاتى . .

وكانت الموسيقى ما تزال ترسل أنغامها المشبعة بالحنين ، كأنها تمثل سير قافلة تعبر الصحراء ظاعنة عن الاهل والوطن ، وكان البخور ما برح يعقد سحائبه الرقيقة فتجوب آفاق المكان وتتسلل الى نفوسنا تملأها انشراحا وبهجة . .

وبعد قليل بدأ عرض الازياء . . فظهرت دمية بشرية تتلألأ فى حلتها التركية ذات الصدار المزركش والسراويل الحريرية السابغة ، عليها نطاق موشى يبهر العيون ، وتبعتها دمية أخرى ترتدى ثوب الفلاحة المصرية الفضفاض ، وتجلجل بحليها التى تزحم صدرها وتحجب معصميها ، وخلخالها يرن فى قدميها على ايقاع سوى . وتلتهما دمية ثالثة ترتدى ثوبا بدويا يتألف من عباءة حريرية هفهافة على لون البنفسج ، وعقال مقصب تحته خمار ناصع مطرز بالذهب . وتراءت بعدهن دمية رابعة تمثل القاهرية فى ملاءتها البلدية وعصابتها الساطعة الالوان ذات الهداب المصطف على الجبين . .

وتتابعت عارضات الازياء يرتدين ضروبا من الزى الذى يمثل شتى أرجاء الشرق . وكانت هاته العارضات يسرن فى لين وتخطر ليبرزن محاسن أثوابهن فى رشاقة ودلال ، وتستدير كل منهن على عقبيها مرة بعد مرة طوعا للنغم الموسيقى الهادىء الحنون . وكانت

الاضواء المختلفة الالوان تسلط عليهن فى روعة وتفنن ، فتحيل هذه الدمى السائرة أمام الانظار أطيافا شفافة من عالم الرؤى . وفى أثناء ذلك كانت كليوباترة مسترخية فى ضجعتها وهى تتمم النظر معجبة مأخوذة .. ثم لمحت يدها وقد امتدت الى مبسم النارجيلة وأدنته من فمها ، ثم راحت تجذب الانفاس فى رضا وسرور !

ومكثنا على هذه الحال وقتا وكأننا فى حلم جميل ..

ثم انتهى العرض ، فرأينا كليوباترة تنهض وئيدة الخطو قاصدة احدى المقاصير ومعها صاحب المتجر تتحدث اليه بمطالبها من تحف متجره . وبعد وقت خرجت الينا ترفل فى ثوب أسيوطى أسود يلتمع فيه نثار ذهبى براق ، وقد بسطت على منكبيها ملاءة بلدية ، وحلت رأسها بعصبة زاهية يسترسل هدابها على جبينها الوضاح .. وكانت تحاول احكام لف الملاءة على جسمها على نحو ما رأت من الدمية التى تمثل المرأة القاهرية . وأقبلت على « مارتن » تقول مبتسمة مداعبة :

ـ ما رأيك فى هذا الزى يا مارتن ؟

وكان « مارتن » قد فغرفاه وحلق ببصره فيها كأنه يريد أن يبتلعها بعينيه ، وهمهم :

ـ شىء من وراء المعقول

ـ اخترت هذا الزى لانه وطنى أصيل من صنع بلادى .. انى به لمزهوة فخور !

ـ انه آية من آيات الابداع الفنى

ـ ومع ذلك هى ملابس متواضعة يا مارتن .. انظر !

ودارت على عقبيها تبسط الملاءة وتلمها متضاحكة ، وواصلت حديثها قائلة :

ـ ليس فى هذا الزى شىء من تزاويق أزياء الامراء والسلاطين ..

ـ انك الآن تمثلين الملكة الديمقراطية الحقة التى ترغب فى أن تكون مع الشعب قلبا وقالبا

ـ بل قل أمثل المصرية وكفى !

ثم أخذت تصعد فيه نظرها قائلة :

ـ وأنت ؟

ـ ماذا ؟

ـ أتظل أمريكيا على حالك ؟

ـ وماذا تريدينني أن أكون ؟

ـ ألا ترغب فى أن تكون مصريا مثلى ؟

فانحنى أمامها قائلا :

ـ أنا كما تأمرين !

فأشارت كليوباترة الى صاحب المتجر ، وقالت له :

ـ عليك به ، اصبغه صبغة مصرية صميمة ، وغد به على عجل !

وما لبثنا قليلا حتى عاد الينا « مارتن » فى زى عمدة ريفى من عمد العهد الماضى ، وهو

يخب فى قبائه وجبته ، والمطرف الكشميرى يلتف حول رقبته ويغطى كتفيه ، وعلى رأسه عمامة مهيبة يترنح رأسه تحتها ، وفى قدميه مركوب أحمر يزهو ، وبيده مسبحة ذات حبات غلاظ . فما ان لمحته كليوباترة حتى كركرت فى ضحكتها ، وقالت لصاحب المتجر:

ــ مرحى ! لقد أحسنت صنعته !

وتدانت من « مارتن » وأخذت بيده ، ثم واجهتنا وهى تقول لى :

ــ صارحنى يا حضرة السكرتير برأيك فى زينا .. بماذا تشبهنا ؟

فلبثت مترددا لحظة ، وأنا أنقل بصرى بينهما ، وقالت كليوباترة :

ــ تكلم ، ليس عليك من حرج .. بماذا تشبهنا ؟

فقلت بعد حيرة وتوقف :

ــ عمدة من الريف اختار عروسا قاهرية !

وخشيت أن تحس كليوباترة من قولى ما يثير غضبها .

فبادرت أستدرك خطئى قائلا :

ــ عفوا .. أقصد .. أعنى .

فقاطعتنى قائلة :

ــ لقد أحسنت الوصف ..

والتفتت الى « مارتن » تقول :

ــ عمدة من الريف اختار عروسا قاهرية .. والآن ، يا حضرة العمدة الهمام ، ماذا تقترح أن نعمل الآن ؟

فصاح « مارتن » فى حماسة ، وفى لهجة تمثيلية :

ــ الى المأذون الشرعى توا !

ــ اذن هيا .

وأخذت بيده وهما يتضاحكان ، واتجها الى الباب ونحن على أثرهما . وسمعتها تقول بعد لحظة :

ــ لقد أوصيت صاحب المتجر أن يعد لنا أصنافا من البخور الممتاز .. ان رائحته تسكن اليها الاعصاب ، وأعمال المؤتمر كما تعلم مثيرة مرهقة !

ثم نادتنى وقالت :

ــ ماذا بقى علينا أن نزوره الآن فى هذه السوق العجيبة ؟

فقلت لها :

ــ متحف الشمع يا مولاتى ..

وانصرفنا ..

محمود تيمور

« وددت ان لا أرى درسا في العلم يلقى الا في معمل .. ومعامل المدارس اليوم في حالة لا تسر سواء ما كان أهليا وما كان حكوميا . وهي معامل خلقت لايضاح حد أدنى من حقائق تجوز بالطالب باب الامتحان سواء اتضحت كلها أو لم تتضح »

التقدم العلمي والتربية

بقلم الدكتور احمد زكي بك

مر على العالم قرون بدلت من حاله ، وغيرت من مظاهره ، فلو أتيح لرجل عاش في القرن العاشر أو الخامس عشر أن يستيقظ في هذا القرن العشرين لهاله ما يرى هولا كبيرا

منذ قرون كنا نحسب السماء مصابيح تدور بالنور من فوق هذه الارض ، لتضيء أنهارها وتهدى ليلها ، ولتبهج الفنانين وتثير الشعراء ، وتدرجنا ، فحسبنا الارض تدور على نفسها ، كما يدور الحجر في مقلاعه . والجانب الآخر الذي لم نكن عندئذ ندريه من هذه الارض ، حسبناه يمتد عمقا في الناحية الاخرى من الكون ، وهي ناحية مظلمة ، لم يكن يدرك لها غور ولا يعرف لها قرار . واليوم نعلم أن الارض كرة كبعض الكرات ، وان الارض لاجرام السماء ، وليست أجرام السماء للارض . وكشفنا بالعلم عن سكان السماء ، كما تكشف عن سكان الارض ، ويقعد الفلكي اليوم بالآلة فيحدثك عن النجوم : ما مادتها وما حرارتها ، وما دورانها وما سرعتها . وبالنظارات العظيمة يرى ما لا تراه العين ، وبالتصوير الشمسي يرى ما لا تراه النظارات . ويحسب لك حركات الاجرام ما يرى منها وما لا يرى . وهي تطلع من حيث يقول ، وفي الدقيقة والثانية التي يقول حتى كأنه منها على ميعاد

وفي الكيمياء كنا نحاول في أوائل القرن الماضي ان نفهم على حذر ما الذرة وما الجزئي ، وما الاجسام وما تركيبها ، فصرنا في هذه الايام نستشف تركيب الاجسام ، فنراها عارية كما خلقها الله . واستطعنا بعد ان عرفناها ان نهدمها ، أو نهدم منها ، أو نعيد بناءها ، كالذي كان . وخلقنا من الاجسام على هوانا الالوف ومئات الالوف ، وخلقنا ما خلق الله وما لم يخلق ، ولكن خلق على أيدينا امكانه

وفي الطب ، منذ قرن واحد لا غير ، كنا نجهل ما المرض ، وما المكروب وما العدوى . وكانت الجراحة تودى بصاحبها عادة الى القبر ، فصارت الجراحة اليوم على ما نعرف ، وانعدمت معها الآلام . والوضع الذي كان محنة المرأة في هذا الوجود فوق محنتها برجلها ،

قد زالت آلامه ، واستطاعت المرأة أن تضع وهي تحلم الاحلام الجميلة

والمكروب عرفنا اليوم كيف نبيده داخل الجسم بالسلفاميد وأهل فصيلته ، فما لم يبد به أبدناه بالبنسلين . واليوم يحدثوننا عن مادة جديدة أخرى نستكمل بها الجهاد ضد الامراض ويسمونها « ستربتوميسين » ، وهي شبيهة بالبنسلين ، وتقتل في الجسم مكروب التيفود ومكروب الكوليرا وشتى من مكروبات أخرى . وهي تقتل ما لا يقتل السلفاميد وما لا يقتل البنسلين . والخطير في كل هذا أن الباب قد انفتح على مصراعيه في السنوات القليلة الماضية لاستئصال جراثيم الداءات في الجسم استئصالا شاملا كاملا حاسما

وفي النبات والحيوان — على تباطؤ خطاهما بالنسبة لحظ العلوم الاخرى — أتى العلماء فيهما بالاعاجيب . ومن أمثلة ذلك ان تلقيح البهائم صار اليوم من الانابيب ، فأنت تستطيع في القريب أن تأتي لبقرتك أو جاموستك بأقوى لقاح من اية بقعة في الارض — انبوبة يحملها اليك البريد فيما يحمل من خطابات — فيأتيك الولد فحلا وان كنت تجهل من أبوه

ومن أمثلة ذلك أيضا أن الحب يترك في الارض فلا ينبت ولا يجود الا بعد أشهر ، والشهور في حكم العلم الحاضر شيء كثير . فلم لا تكون الشهور أسابيع ، أو لم لا تكون الغلة على الشهور أضعافا مضاعفة ؟ وقد أخرجوا لنا من نتاج الارض — على اختزال الزمن — احجاما زادت عشرات المرات وتلك بداية لها ما وراءها

والجيولوجيا ، في طلب الزيت ، تثقب الارض ثقوبا بلغ طول ما روته الاخبار الاخيرة خمسة عشر ألفا من الاقدام ، وهي ثقوب تجرى السوائل فيها هابطة صاعدة ، على بعد المدى ، في انتظام كالذي نعرفه في الاوردة والشرايين

وكانت مطايانا الحمير والخيل والابل في سالف العصور ، ثم جاء عصر البخار ، ثم كانت السيارة في حياة أكثرنا ، ثم كانت الطائرة التي تلف حول الكرة الارضية في بضعة أيام ، وستكون في المستقبل قذائف تحمل الناس عبر المحيطات في ساعة أو بعض ساعة . واذا قيل لكم ان سبيل الناس الى القمر والمريخ قد تمهدت ، فلا تكبروا ذلك قولا ، ولا تكفروا به ، وقد آمنتم بالذرة وتحطيمها بعد ان كان العلماء في ريبة من ذلك منذ سنوات قلائل

هذا هو تقدم العلم .. فأين منه تقدم التربية ، بل أين منه تقدمها وتطورها في مصر ؟ لا شيء في هذه الدنيا ثابت أبدا الا قوانين الطبيعة ، قوانين الله ، فهذه وحدها لها الثبوت والدوام ، وكل ما عداها ففي تغير وفي تحول ، حتى المعاني من معنى للحق ومعنى للفضيلة في تبدل مستمر دائم . واللغة ليس من طبيعتها ان تجمد أبدا ، ولا أن تصمد على حال واحدة في هذا الزمان المتغير . وكذلك التربية لا بد أن تتغير وأن تتبدل وان تتحول مع تحول الزمان . فالتربية التي كانت لنا في أول القرن التاسع عشر ، لا يعقل ان تكون لنا في أول القرن العشرين .. والتربية التي كانت لنا في أول القرن العشرين لا يمكن مع هذا النمو الذي حدث في العلم ان تكون لنا هي في منتصف القرن العشرين

قارنوا مقدار العلم الذي حصلتموه اطفالا بالذي حصله الابناء ، ثم قارنوا غدا بالذي

حصله الاحفاد ، وعندئذ يتبين لكم صدق ما أقول : ان التربية قد تخلفت كثيرا عن العلم

ويتلخص ما آخذه على تربية اليوم ، من حيث هى رسالة العلم الى الناس ، فى أمور ثلاثة : أولها يتصل بالكم ويرجع الى قسمة الزمن ، بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، وثانيها يتصل بالكيف وهو ان تدريس العلوم لا يؤبه به ، وثالثها ان دراسة العلوم تنتهى اليوم فى العادة عند ما انتهت اليه دراستها منذ عقود . اما عن قسمة الزمن بين العلوم وغيرها من الدراسات ، فهى التى يطلق عليها مجمع اللغة « القسمة الضيزى » . ولهذا أسباب ، منها ان التقليد جرى من قديم بذلك ، ومنها ان حاجات الحياة التى تستجد لاتمس فى المدارس ، ولا ترن أصداؤها بين جدران المعاهد ، الا بعد فترات تقصر وتطول تبعا لنصيب الامم من اليقظة وتوثبها للحياة . ومنها ان وزارة المعارف الى الامس غير البعيد كان يسيطر عليها ذلك النفر الذى يسمونه « خريج الآداب » . وكان يرى ان مسألة توزيع الزمن على الدراسات تتعلق قبل كل شيء بكرامة أربابها . ولقد شهدت لجانا من تلك اللجان التى ترسم فيها الخطط ، وعرفت كيف يساجل رب التاريخ أستاذ الطبيعة ، وكيف يناهض رب الجغرافية أستاذ الكيمياء ، فكانت كأحسن ما تكون الاسواق مزايدة على بضاعة

اما ان تدريس العلوم لا يعنى به عناية تتناسب مع خطره ، فيستدل على ذلك اجمالا من زيارة المعامل ، فالمعامل محاضن العلم ، وهى محاضن العلماء . وقد وددت ان لا أرى درسا فى العلم يلقى الا فى معمل . ومعامل المدارس اليوم فى حالة لا تسر ، سواء منها ما كان أهليا وما كان حكوميا . وهى معامل خلقت لايضاح حد أدنى من حقائق ، تجوز بالطالب باب الامتحان سواء اتضحت له كلها ، أو لم تتضح . ولا اخال فيها شيئا يوقظ فى الطالب حب العلم بل التحمس له والنبوغ فيه . فانا خبير بأمور هذه الامتحانات ، فهى امتحانات توضع لتتفق مع أغبى المتبارين ذهنا

وتدخل المعامل فى عام ١٩١٥ وتدخلها فى عم ١٩٤٥ فلا ترى فيما تبصره فرقا ، هذا على فرض استكمال المعمل أداة ومادة . وهذا يؤدى بنا الى ثالث ما أخذته على تربية اليوم من حيث هى رسالة العلم الى الناس ، وهذا الامر الثالث هو ان دراسة العلوم تنتهى اليوم عند ما انتهت اليه دراستها منذ عقود . أجل ! تدخل المعمل فلا تكاد تتبين هل نحن فى هذا القرن ، أم فى القرن الذى مضى . اما سبب هذا فهو اننا نقتصر فى تعليم العلوم على مبادىء سلختاها سلخا من مجموعات المعارف العلمية العامية ، وطلقنا ما بينها وبين الحياة ، والذى تطلق ما بينه وبين الحياة لا تؤثر فيه الفصول والاعوام

لقد التمس المدرسون والمفتشون عن كل هذا عذرا ، وسوف يعتذرون بضيق الوقت . ان وقت الطالب فى الفصل لا يقصد به ان يحتوى كل ما يراد للطالب ان يعلمه ، فتعليم الطالب العلوم يبدأ فى الفصل ، ولكنه ينتهى فى غيره . وهو ينتهى فى الكتب ، وينتهى فى متاحف المدرسة والمدينة ومتاحف الدولة ، ثم فى الحياة نفسها من مراصد ومعامل ومصانع

ومعاهد . ان الاشتياق الى المعرفة الذى يبدو عند الطالب بتحطيم ساعة أبيه ليعلم سر مايدق منها ، هذا الاشتياق يجب استغلاله ، ويجب اثارته ، ولكنا لا نفعل ذلك . انما نأخذ فى التحدث عن الاجسام المرنة وغير المرنة ، والقوة الدافعة وغير الدافعة ، والجهد الحادث والجهد المتحمل ، ونعد الطالب انه سوف يرى تطبيقات ذلك فى الحياة ، وهو وعد لا يتحقق أبدا . ويغلب أن يخرج وهو لا يزال يتساءل عن ساعة أبيه وسر دقاتها

بئست مدرسة لا تثير الطالب من بعد درسه الى الاستزادة من الكتب ، وبئس معلم يرمى فى درسه الى الاستيعاب والاستظهار والحفظ . ذهب كبير وزراء بريطانيا العظمى فى عهد الملكة فيكتوريا الى مولاته ليقدم اليها وزراءها الجدد ، فلما جاء دور وزير العدل قدمه اليها بقوله : هذا هو الرجل الذى يعرف كل قوانين دولتك يا مولاتى . فما كان من الوزير الا ان استدرك : بل أنا الرجل الذى يستطيع ان يستخرج تلك القوانين من بطون الكتب يا مولاتى

ان عادة القراءة لا توجد فى الطفل والشاب لانها لا توجد الا فى القلة من مدرسيه والقائمين على تربيته . ولان الكتب الصالحة لاستيعاب العلوم غير كافية فى العربية ، فمكتبة الطفل العلمية يجب ان تشغل بال أهل الرأى وان يعطوها الكثير من عنايتهم

ومع الكتب يأتى دور المتاحف ، فيرى الطالب فيها مصورا فى الخشب والحديد ، ماصورته الجمل والكلام فى الكتب وفى الفصول . أين هى النماذج المفصلة التى تغنى مدرس العلوم عن كثير من الشرح والتوضيح ، ثم هى تجعل من النظريات حقائق ومن الخيالات وقائع

ومتاحف الدولة ، أين منها متاحفها العلمية ، أين تاريخ السفينة ، وتاريخ القاطرة ، وتاريخ الطائرة يراه الطالب مرتسما فى نماذج ، وليس أسطرا فى الكتب ، تصطف نماذج منه على المناضد فى صالات المتاحف وردهاتها . ثم أيها أقمن بهذا العصر وأثمن ، تاريخ البخار فى آلاته أم تاريخ هنرى الثامن بين التعالى من زوجاته . وأيهما أكثر تفتيحا للذهن العصرى ، مغامرات نابليون فى فتوحاته ، أم مغامرات العالم العصرى بين جزيئاته وذراته

اننا نعطى العلم للتثقيف العام وللتفطن العام ، ولكن قد يقع فى خلال ذلك ما لا يدور فى الحسبان : قد يحدث ان تولد العبقرية العلمية أثناء درس ممتع ، أو عند قراءة كتاب ذى ايحاء ، أو فى ردهة متحف ، أو عند منضدة معمل ، أو عجلة مصنع . والعباقرة مطالب الامم فى هذه العصور . ولست أقصد بالعباقرة من تخلق الصحف أو تبتدع الدعايات . ولكن أقصد بالعباقرة من يولعون بالعلوم والفنون ولعا شديدا ، ويسدون آذانهم عن كل شيء عدا ما هم فيه . فهؤلاء قيمتهم لا تقدر بمال ، واكتشافهم فرض على الدولة ، لانه اكتشاف أغلى من كشف ألف مومياء ، ومن كشف آلاف الكنوز فى الصحراء

اما التعليم الشعبى ـ تعليم الفلاح والصانع ـ فلست أدرى لم لا يتساءل الناس عن حظ هؤلاء القوم من العلوم والفنون ؟ ان هم أولى الامر فيما يختص بجمهور الامة ، هو محو الامية . وأفهم من هذا تعليم القراءة والكتابة وشيئا من القواعد الحسابية ، ولا أظن ان

أولى الامر يفهمون غير هذا ، وعلى الاخص لا أظن ان أولى الامر ادخلوا فى حسابهم تعليم العلوم . ولست أجد طبقة من طبقات الامة أحوج الى العلم من طبقة الفلاحين والصناع . ان الفلاحة علم والصناعة علم ، والعلم انفع للفلاح والصانع منه للمحامى والقاضى . فهذان يتلقيانه للاستنارة ، اما الفلاح فلزيادة انتاج الارض ، ودفع المرض عن زرعه وبهيمته ، واما الصانع فلانه يعمل فى الحديد وفى الزيت وفى المواد عامة ، ويعمل فى البخار وفى الكهرباء وكل هذه لا يجود فيها سوى صانع عالم

اننا نضحك من الفلاح لانه لا يفهم معنى المرض . وكان الاولى ان نضحك من أنفسنا، فنحن انما فهمنا معنى المرض بوسيلة هى العلم ، وحرمنا الفلاح منها فكيف يأتيه فهمه . ان الفلاح منطقى ، ومنطقه منطق الطبيعة ، منطق العلم الذى لا بد له ان يرى ليقتنع ، وان يجرب ليؤمن ، وهو منطق دينه الذى علمه اياه القرآن

والرأى عندى ان الامية لا تزول بتعليم القراءة والكتابة . والقراءة والكتابة نفسهما مصيرهما الى الزوال اذا لم يكن عند الزارع والصانع حافز دائم الى استخدامهما . وخادع نفسه من رجال التعليم من يظن انه يخلق هذا الحافز الدائم بما يتقدم به الى الفلاح والصانع من قصص أبى زيد والخليفة . فهذا الحافز الدائم لا بد ان يتصل بالحياة وبمنابع الحياة ، ورجل التعليم أوجد ذلك فى الكتب العلمية التى تحكى عن الارض وتحكى عن الزرع وعن المصنع والاسواق

وطريق الزارع والصانع الى العلم لن يكون كطريق طالب المدينة الذى يطلب العلم منظما فى شتى صنوفه ودرجاته . فالواقف تحت شجرة العلم له سبيلان الى قطف ثمارها : سبيل الرجل الغنى الذى يروم الوصول الى الثمرة بتسلق جذع الشجرة ثم الصعود الى فروعها واقتطاف ثمارها ، فى منطق وهوادة . وهذا السبيل يتخذه من يتدرجون مع العلم فى درجاته من ابتدائى الى ثانوى الى جامعى . ولكن هناك سبيلا أخرى للواقف تحت هذه الشجرة ، شجرة العلم ، لينال ثمارها . وهى سبيل الرجل الفقير . . سبيل الفلاح والصانع ، وهى القذف بالطوب . وليس من شك فى ان الثمرة ستسقط عوراء نتيجة ما يصيبها من حجر ، ولكن العور ولا كل العمى ، وسبيل الطوب سبيل مختصرة . ولا تحتاج لكل هذا المنطق الطويل المتراخى الذى لا تتسع له أوقات العامة ، ولا مطالب الحياة عند من يستمد من عمل يده قوت الحياة

فهذا العلم الطوبى لا بد من احيائه الى جانب التعليم المدرسى ، وهو نمط من العلم الملفوف ، يعنى بالنتائج قبل عنايته بالفروض ، ويعنى بالغاية قبل عنايته بالوسيلة ، ويعنى بالظاهر قبل الباطن ، وفى الاجمال دون التفصيل . هو طبخة الطابخ يقدمه اليك دون أن يذكر كيف انطبخت ، ولا يستطيع أحد ان يدعى ان الطعام المجهز لا يستمرئه أو ينتفع به غير طابخه

احمد زكى



بنات البلد فى ملاءاتهن اللفافة التى تبرز رشاقتهن وفتنتهن ، كما تخيلهن الفنان محمود سعيد

الفنان محمود سعيد

بقلم الأستاذ احمد راسم بك

فى صباح أيام الآحاد من عام ١٩١٥ كان يجتمع عدد من الشبان المولعين بالرسم والتصوير فى محل المصور المشهور « زنانيرى » الذى كان يقطن إذ ذاك فوق ستديو « ألبان » بالأسكندرية .. ليتوفروا على الرسم تحت اشرافه

وكان من بين هؤلاء القاضى « هير روس » والمصور « سباستى » وشريف صبرى ومحمود سعيد وغيرهم .. ولكن قضت الظروف أن يغلق الأستاذ « زنانيرى » أبواب محله بعد ثلاث سنوات من ذاك التاريخ ، وكان ذلك داعيا لتفريق هؤلاء الهواة وتشتيت شملهم

وكان محمود سعيد هو الهاوى الوحيد الذى حذا حذو استاذنا وحاكاه فى طريقة رسمه محاكاة دقيقة إلى درجة لا أستطيع معها المبالغة فى تقديرها خشية أن يترتب على ذلك معنى التقليل من شخصيته والاستخفاف بمقدرته الفنية



بنت البلد الساهمة المفكرة فى انتظار الزوج الذى يسعدها وينشىء لها بيتاً

ابنة الفنان محمود سعيد وقد تمثلت فيها البراءة والطهر والعفاف . . وهى من أروع ما رسمه الفنان ↓

وقد استمر « سعيد » بعد ذلك يعمل ويجهد متأثراً بطبعه وبالمحيط الذى نشأ فيه ، وبالمدارس التى كان يأخذ عنها . . إذ كان ينتهز فرصة سفره الى الخارج ليزور المتاحف الفنية ، ويختلط بكبار المصورين فى مختلف البلاد الأجنبية . وقد كان هذا من الأسباب التى مهدت السبيل إذ ذاك لبعض النقاد أن يرجعوا باللوم على « سعيد » على أن فنه قد تأثر تأثراً واضحاً بفن الايطاليين الأولين، وأعود مرة أخرى فأقول: من ذا الذى يستطيع أن يفخر بأنه قوة جديدة لا علاقة لها بالماضى وانه لم يتأثر بعوامل خارجية مدى تربيته الفنية ؟ ! فما عقل الانسان إلا ملتقى آراء غيره ومكان امتزاج أفكارهم . ومن منا بلغ به الغرور يوماً أن يدعى استنباط شىء جديد لا يمت بصلة الى شىء سبقه ؟ !

دارت عجلة الزمن وأصبح « سعيد » أبرز مصور مصرى عرفته البلاد . واذا كان اعجابى بفنه عظيماً فذلك راجع الى أنه المصور الوحيد الذى كان فى مكنته أن يصل الى المثل الأعلى فى رأيى ، والذى استطاع أن يبرز الفكرة التى كانت تدور فى عقلى وتجيش فى صدرى وتملأ نفسى عن هذا الفن

إن سعيداً مصور مصرى بأدق ما فى هذه الكلمة من معنى ،وليس فنه مصرياً لأنه احتذى فى طريقة

رسمه طريقة القدماء ، ولا لأنه سجل على لوحاته مناظر مصرية معروفة . ولا لأنه أبرز عليها مناظر حريم القصور فى العصر الماضى ، أو مناظر القوافل تسير فى الصحراء ، ولا لأننا نجد فى لوحاته منظر الباشاوات الحريرية المطرزة المزركشة الحواشى وهى ملقاة على المقاعد المصفوفة داخل أحد القصور الشرقية القديمة

لم يكن فنه كما قلنا مصرياً لاشتماله على المناظر أو المناسبات التى تمت لمصر بسبب ، وإنما كان فنه مصرياً بما تستلهمه روحه من لون السماء والنهر ، وما ينبعث منهما من حرارة وقوة ، وعما يشع على قلبه من ذلك الضياء الذائب فى أعماق النهر والسماء . وهاتان الحاستان هما وحدهما اللتان تمكن «سعيد» من تسجيلهما فى جو لوحاته ورسومه



بنت الفنان بعد أن صففت شعرها ، وارتدت الملابس الافرنجية

إن تصوير سعيد يستمد مصريته من صفاء الجو وشفافية الألوان ، ومن عظمة الكائنات السليمة التى لا يحجبها عن العين غبار أو ضباب ، ومن ذلك اللون الخمري الذى يستمد خمريته من الطمي ، وذلك اللون الذى ينعكس على العين من ضياء قطع الأرض المغمورة بالمياه ، ومن ارتعاش أشعة النور الفسفورية ومن تلك الأشعة المقرونة بتلك الألوان القاتمة التى تعثر عليها دائماً فى حوارى مصر المكسوة بالطين

إن هذه الألوان هى عينها التى تعلو وجوه النساء الوطنيات اللائى يتصدى « سعيد » لرسمهن وهى نفس الألوان التى تتمثل فى تجاعيد شعورهن وعلى أهداب أذرعتهن

ينبعث من جميع لوحات « سعيد » عظمة ووقار كبيران . وأنه ليتمثل لك هذا الوقار وتلك العظمة فى صورة هؤلاء العذارى اللواتى تفيض الشهوة من هيكلهن . . وفى صورة ابنته الطفلة أيضاً فكانت جميع نماذجه تكتم فى صدرها خواطر رصينة تحدرت عليها من أجيال عديدة سبقت

أحمد راسم

فتياتنا الجامعيّات
في معترك الحياة

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« .. وأنا أعلن هنا بملء صراحتي ، وملء تجربتي ، أن الفتاة الجامعية لا ترنو الى « المهنة » ولا تتطلع الى أمجادها ، لانها لا تمدها بالأمن والاستقرار بعد الذى عانت في جهادها الشاق الطويل .. وكل الذى يقال غير ذلك زور أو تضليل أو رياء ، فما منا واحدة لم تحلم بالبيت السعيد تستريح في ظله بعد الأين والكلال ، وما منا واحدة لم تهف الى الشريك الأمين الذى يتكامل معها ويهيىء لها حياة طبيعية كريمة ، وما منا واحدة لم تصغ – من أعماقها وبكل كيانها – الى ذلك الصوت القوى الصادق الذى يدعوها الى المستقر الآمن في العش ، ويثير حنينها الفطرى الى البيت ، وأشواقها المكبوتة الى الأمومة »
بنت الشاطىء

تشاء الصدفة أن تنشر « الاهرام » في اليوم الذى تهيأت فيه لكتابة هذا المقال ، رسالة من أحد أساتذة الحقوق في جامعة فاروق ، عرض فيها قضية طالبة متفوقة ممتازة ، كان من حقها – بحكم تفوقها وامتيازها – أن توفد في بعثة لدراسة القانون ، تعود بعدها للتدريس في الكلية . لكنها ووجهت بمعارضة قوية ، تعترف بحقها في البعثة ، وتنكر ما عدا ذلك من التحاقها بهيئة التدريس ، لانها فتاة .

وقال قائل : « هـذا لون من ألوان التفكير المضطرب المتناقض فيما يختص بالمرأة واستحقاقها لهذه المهنة أو تلك » على حين أراها نتيجة طبيعية حتمية ، لهذه الحركة التى أخرجت الفتاة من دارها لتتعلم ، من غير أن تعين لها منهجا خاصا تدرسه ، أو تحدد لها هدفا بعينه تتجه اليه .

والواقع أن المسألة ليست جزئية خاصة بما يقوم بين أنصار القديم والحديث من عراك ونضال ، وانما هي مسألة عامة ترد الى قضية كبرى ، هى قضية هذه النهضة النسوية الطارئة المستحدثة في الشرق ، وحرمانها – في نشأتها الاولى – من التوجيه الراشد ، والاشراف الأمين ، والسير المسدد المطمئن .

ولكى نفهم موقف الجامعيات ، ونقدره حق قدره ، نرى واجبا علينا أن ندرس المسألة الكبرى من شتى نواحيها ، درسا صحيحا شاملا مطمئنا ، يلقى ضوءا على ما داخل الحركة

من عناصر شوهت جمالها ، وما لابسها من ظروف ضللت سيرها ، وما واجهها من عوائق أثقلت خطاها ، وما صحبها من أخطاء ضاعفت غرامة الانتقال التي دفعتها الجامعيات الاوليات

ان المتتبع لخطوات الفتاة الجامعية في سيرها المتعثر من الأمية العمياء الى قاعات الدرس الجامعي ، ليروعه احتمالها النادر لمتاعب ذلك المنهج الضال الذى ارتجل لها ، وجلدها العجيب لمشاق الدرس الشاذ الذى يبدو أنه قد أسقط أنوثتها من حسابه ، وجهادها الظافر في معركة لم تهيئها طبيعتها ولا ظروفها للنضال فيها

وما بنا الآن أن نعود فنطوى الزمن ، ونصحب الفتاة في خطواتها الى الجامعة ، وحسبنا أن نقرر هنا ــ في ثقة وقوة ، وعن تجربة ويقين ــ أنها كانت حركة « استشهاد » في ذلك الدور الانقلابى الذى نعده أعنف انقلاب شهده تاريخنا الاجتماعى الحديث

ونحن نعذر الذين يتوهمون في هذا الوصف شيئا من الاسراف أو المبالغة ، فما يستطيع سوانا أن يقدر مدى ما احتملناه وعانيناه في تلك المعركة الظافرة الخاسرة معا !

ندع هذا الماضى الآن ، الى اليوم الذى نستطيع أن نكشف فيه عن أخطائه ومتاعبه وضحاياه ، لنتحدث عن الجامعيات اللائى قطعن الشوط بسلام ، وبدأن السير فيما يسمونه معترك الحياة

ماذا تبغى الفتاة الجامعية بعد أن أتمت دراستها العالية ؟

سؤال لم يفكر فيه الذين دفعوها من قبل الى مدارس أنشئت ارتجالا على غرار مدارس البنين واستعيرت لها نظمها ومناهجها

وكذلك لم تفكر فيه الفتاة . كان كل همها أن تصل الى نهاية الشوط ، وأن تربح السباق وقد شغلت بهذا حتى عن نفسها

خذلتها البيئة فلم تتخاذل .. وقاومتها الظروف فلم تهن ..

وتمردت عليها فطرتها فلم تتراجع .. ومضت لا تلوى على شيء

حتى اذا تم لها ما أرادت وقفت لاول مرة تسأل : أين تمضى ، وفي أى اتجاه تسير ؟..

بل وقفت تصغى ــ لاول مرة ــ الى نفسها وهى تسألها :

فيم كل هذا ، والام ؟ ولم ؟.. وعلام ؟

فيم الظفر والتغلب ؟ والام القتال والنضال ؟

لم الضجيج والطنين ؟ وعلام السعى والمسير ؟

ماذا بعد هذا كله ، وماذا وراء ذلك كله ؟

لم تعد الفتاة ترى شيئا ، أو تستبين على الأفق معلما ..

قال ناس : هناك الوظيفة ، والكسب ، والعمل ، والحركة ..

هناك الظفر ، والحرية ، والمساواة . وأصغت الجامعيات الى هذا ، ومالت منهن من مالت ، فكان عبثا جديدا ، واستشهادا جديدا ، مضت الى دنيا الناس ، تطلب الوظيفة وأمجادها ، والشهرة وأضواءها ، وتدفع في هذا الميدان ما تدفع من كرامتها ، وتخسر

فيه ما تخسر من أنوثتها ، وتفقد فيه ما تفقد من شبابها ونضرتها ، ثم لا تكاد تصل الى شيء منه حتى تكفيء فتعود من حيث ابتدأت ، وتقف لتصغى من جديد الى نفسها وهى تلح فى سؤالها :

ثم ماذا ؟ فيم كل هذا ، والام ، وعلام ؟

عاد السؤال والاستجواب ، وعادت الحيرة والضلال . .

وجهل الناس هذه المعركة العنيفة فى نفس الانثى ، وذلك النضال الصاخب فى كيانها المتعب ، فراحوا يتحدثون عن حقها فى الوظائف ، ويختلفون فى أمرها ، ويختصمون من أجلها ، وكل يدعى أنه الحريص على خيرها ، العامل لحسابها

وهذا تناول جزئى محدود للمسألة ، بل هو فى نظرنا أمر ثانوى ، لان المهنة لا يمكن أن تكون بحال ما ، هدفا أخيرا للفتاة ، ومستقرا لها ، اللهم الا أن تبتلى بشذوذ ، أو يضللها انحراف

ويتحدثون هنا عما أثبتت الجامعية من كفاية فى الاعمال التى شغلتها ، ويشيدون بذكر نجاحها فى هذا الميدان أو ذاك ، وليس هذا بغريب من مثل تلك المجاهدة التى ظفرت فى معركة الدراسة على شذوذها ، ومتاعبها ، ولكن الفتاة ــ فيما بينها وبين نفسها ــ لا تقف طويلا عند هذا النجاح ، ولا تجد فيه الرضى النفسى واللذة الخالصة . .

وأنا أعلن هنا بملء صراحتى ، وملء تجربتى ، أن الفتاة الجامعية ، لا ترنو الى «المهنة» ولا تتطلع الى أمجادها ، لانها لا تعدها بالأمن والاستقرار ، بعد الذى عانت فى جهادها الشاق الطويل

وكل الذى يقال غير ذلك ، زور ، أو تضليل ، أو رياء ، فما منا واحدة لم تحلم « بالبيت السعيد » تستريح فى ظله بعد الأين والكلال ، وما منا واحدة لم تهف الى «الشريك الأمين » الذى يتكامل معها ويهيىء لها الحياة الطبيعية الكريمة ، وما منا واحدة لم تصغ من أعماقها ، وبكل كيانها ، الى ذلك الصوت القوى الصادق الذى يدعوها الى المستقر الآمن فى العش ، ويثير حنينها الفطرى الى البيت ، وأشواقها المكبوتة الى الأمومة . .

وليست مسألة الزواج عند الفتاة الجامعية بالامر الهين أو القريب ، بل انها تتعقد أحيانا حتى تصير مشكلة يتعذر حلها ، ولست أرى أن أتناول هذه النقطة الهامة ، عرضا فى ذلك المقال ، وانما أرجئها الى مقال مستقل ، يتحدث عن « زواج الجامعيات » حديثا شاملا

وقد شاع عندنا خطأ كبير ، خلط فيه القوم بين تعليم الفتاة وبين الاحتراف ، بحيث نظروا الى التعليم على أنه مجرد وسيلة للوظيفة ، فان لم تحترف الفتاة اثر تعلمها ، اعتبرت دراستها ــ فى رأيهم ــ عبثا خاسرا وعمرا مضيعا ، وأذكر هنا تلك الدهشة التى قوبلت بها استقالتى من التدريس فى كلية الآداب ، وتفتيش اللغة العربية بمدارس البنات ، كنت حيثما اتجهت أقابل بسؤال واحد : ولم كان التعليم والدرس وفيم كان كل هذا الجهاد الطويل ؟ فاذا أجبتهم بما سجلته رسميا فى كتاب استقالتى عن « شعورى بأن الاحتراف

يؤذي فطرتي ويعطل مواهبي وقد آن لي ـ بعد أن أتممت دراستي الجامعية العليا ـ أن آوي الى حياة كريمة عاملة ، في ظل بيت كريم ، هزوا رؤوسهم في عجب ، ونظروا الى نظرات متسائلة عما ألم بي حتى أتخلى عن مثل هذه الوظيفة الفريدة الرابحة ، بعد ذلك النجاح الظافر

ومن المستغرب ، أن يقع في خطأ الخلط بين التعليم والاحتراف ، بعض المشتغلات بالحركة النسوية عندنا ، فقد رأينا المؤتمر النسوي المنعقد في القاهرة في ديسمبر ١٩٤٤ ، يقرر فيما يقرر : « المطالبة للفتاة بالوظائف التي تؤهلها لها دراستها » كما وقع في مثل هذا الخطأ أدباء مثقفون كانوا جديرين بأن يروا التعلم ضرورة تطلب لذاتها ، وليس وسيلة للاحتراف . من هؤلاء : الاستاذ محمد زكي عبد القادر ، حيث كتب في الاهرام معقبا على رسالة أستاذ الحقوق ، التي أشرنا اليها في صدر هذا المقال : « واحدة من اثنتين : اما أن ندع المرأة لتأخذ حظها من الحياة كما يفعل الرجل . . واما أن نعود بها الى البيت كما كانت : لا تتعلم ، ولا تخرج الى الاندية والمجتمعات والمحاضرات والمناظرات ، ومن ثم نقفل في وجهها الجامعة ، ونقفل في وجهها التعليم الثانوي المؤدي الى الجامعة ! »

فهل سمع الناس ، في أي بلد من بلاد العالم المتحضر ، من ينادي باغلاق المدارس أمام الفتاة ، والغاء تعليمها ، اذا لم يحل بينها وبين « الامتهان » عقب اتمام الدراسة ؟ ذلك ـ في رأينا ـ أثر من السياسة التعليمية الخطرة التي حملها الينا « دنلوب » في منهجه الاستعماري البغيض ، فجعل المدارس معامل لتخريج الموظفين ، لا لتثقيف أبناء الشعب

اننا في عصر لم تعد الحياة الانسانية فيه تكتفي للانسان بالطعام والشراب والمأوى ، فتلك حاجات مادية ميسرة للحيوان على اختلاف فصائله ، وللانسانية وراءها قدر من المعنويات تراه ضرورة من ضرورات الحياة لا تقوم بدونه ولا تحتمل اذا خلت منه ، وانها لتأبى أن يجحد هذا الحق أو يماري فيه ، ما دام الانسان يجد نفسه ويحس ذاته ويحترم انسانيته ، وهي ـ لذلك ـ ترفض الوقوف عند أقوال الممارين في تعليم الانثى ، والتصدي لمناقشة هذه الاقوال ، لان أوان ذلك قد فات منذ انتهى العصر الحيواني الذي كانت حياة الانسان فيه تقوم على الحاجات المادية فحسب !

ان الكلام في حق الانثى في العلم ، رجعة الى الوراء لا يحتملها العصر الذي حطم الذرة ، ومضيعة للوقت لا تحتملها الحياة الجادة في سيرها

فلا يقل قائل بعد اليوم : « خلوا الفتاة تحترف كالرجل أو فاغلقوا المدارس في وجهها » فان التعليم قد صار ضرورة تزيد في انسانية الانسان وحياة الحي ، ولننقل المعركة الى ميدان جديد ، لنرى ماذا تتعلم المرأة ، ونحدد موقفها المضطرب القلق بين الوظيفة والبيت ، وانا لفاعلون ، رضينا أو كرهنا ، لان الحياة لن تنتظرنا حتى نبدي ونعيد في أمر فرغ منه ومضى أوانه

شوشاي بنت الشاطىء



تطور سياسة روسيا الخارجية

بقلم الأستاذ محمد رفعت بك

يخطىء من يظن ان السياسة الخارجية لدولة ما رهينة بآراء وزرائها ، وحكوماتها تتشكل وتتلون وفق أهوائهم وميولهم وخططهم فحسب. فهناك اعتبارات جغرافية وتاريخية ثابتة تتحكم فى توجيه السياسة الخارجية لكل دولة ، واستمرار هذه الاعتبارات هو الذى يجعل الناس يقولون مثلا ان السياسة التى تنتهجها حكومة العمال الانجليزية هى نفسها سياسة المحافظين والمؤتلفين من قبلهم ، وان اتجاه سياسة حكومة السوفيت بشأن المضايق ودول البلقان ان هو الا صدى للسياسة التى سار عليها قياصرة الروس منذ عهد بطرس الاكبر وكترين

وعلى الرغم من أن ثورة سنة ١٩١٧ فى روسيا ، قد أوجدت هوة عميقة فصلت بين عهد القياصرة وعهد السوفيت ، فان روسيا ما كادت تفيق الى نفسها وتستعيد مكانتها الدولية ، حتى وصلت ما كان قد انقطع من خيوط السياسة الخارجية التى استمسكت بها الحكومة الروسية قبل الثورة

ومن أهم الحقائق الجغرافية التى لم تستطع روسيا ان تتنكر لها رغم تغير نظم الحكم فيها ، انها بسبب تجمد مياه بحارها فى معظم شهور السنة ، بحاجة الى منافذ تيسر لها الاتصال بالمناطق الدافئة النشيطة فى حركتها وتجارتها . وعلى ذلك لا بد لها من السيطرة على ساحل بحر البلطيق غربا ، ومن التحكم أو التدخل فى مضايق البسفور والدردنيل ، لتتصل بالبحر الابيض المتوسط والشرق

ومن الحقائق التاريخية التى لا ينفك ذكرها عالقا بأذهان الروس ، ان هناك شعوبا من الجنس السلافى الذى اليه تنتسب روسيا يسكنون فى شبه جزيرة البلقان ، وان روسيا ما فتئت طوال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، تحنو عليهم وتدربهم وتحرضهم وتخوض الحروب من أجلهم ، حتى اطرد نموهم وكمل استقلالهم وأصبحت روسيا تعتقد ان من حقها عليهم ان يخصوها بالامتياز والنفوذ الاول بين الدول

هذان مثالان من تأثر السياسة الخارجية فى روسيا بالاعتبارات الجغرافية والتاريخية ، وسيتبين هذا الأثر مع العوامل الاخرى فى سياق الحديث عن تطور هذه السياسة

***

لما قامت الثورة البلشفية فى روسيا فى مارس سنة ١٩١٧ ، وكانت رحى الحرب العالمية

الاولى لا تزال تدور وتطحن شباب الدول المتحاربة ، أعلن الثوار ان مبادىء النظام الجديد انما تقوم على التعاون والمساواة والاخاء بين الشعوب ، وانهم لا يعتقدون فى تفوق جنس على آخر أو تسلط دولة على أخرى . ورأى زعماء الثورة ان مواصلة الحرب بعد انهيار النظام فى صفوف الجنود والبحارة قد يجر روسيا الى هزائم حربية ، لا تلبث ان تفت فى عضدها فتعوق سير الاصلاحات الداخلية فيها ، وقد تقضى على الثورة نفسها وهى لا تزال فى المهد ، لذلك جنحت حكومة الثوار الى السلم ، وسارعوا الى اعلان سياستهم الجديدة ، وتتلخص فى نشر السلام العاجل ، وحق تقرير المصير للشعوب ، واستنكارهم ضم أراضى الغير أو دفع الغرامات الحربية ، وتبرئهم من المعاهدات السرية وشروطها

وقد أعقب ذلك ابرامهم معاهدة « برست لتفسك » مع المانيا وحلفائها فى مارس سنة ١٩١٨ ، وبمقتضاها فقدت روسيا فنلنده وأقاليم بحر البلطيق ، ونزلت لالمانيا والنمسا عن بولنده الروسية فى الغرب ، كما نزلت لتركيا عن قارص واردهان وباطوم فى الشرق . وكانت نتيجة هذه المعاهدة ان نزلت مكانة روسيا حربيا ودوليا الى الحضيض

***

ومع ان معاهدة فرساي سنة ١٩١٩ قد الغت معاهدة برست لتفسك وابطلت شروطها ، فان الحلفاء لم يدعوا روسيا للاشتراك فى مؤتمر الصلح . ذلك لانهم كانوا يكرهون حكومة البلشفيك فى روسيا ومبادىء الشيوعية أكثر من كراهيتهم للعسكرية الالمانية . ولذلك لم يترددوا فى اقامة جمهوريات بحر البلطيق والاعتراف باستقلال فنلنده وبولنده ، ليدرأ كل هؤلاء عن أوربا الغربية خطر الشيوعية ، وليقفوا سدا منيعا فى وجه حكومة السوفيت ، اذا ما تحركت جحافلها أو مبادئها نحو الغرب

أما فى البلقان فقد نزلت روسيا عن « بسارابيا » لرومانيا ، واستطاعت بجهودها ان تتغلب على أعداء الثورة البلشفية فى اكرانيا وروسيا البيضاء ، فضمتهما اليها بالقوة غير مكترثة بمبدأ تقرير المصير

أما فى الشرق فان استنكار روسيا للمعاهدات السرية ، وما ترتب على ذلك من نشرها شروط المعاهدة السرية التى تمت بينها وبين انجلترا وفرنسا فى سنة ١٩١٥ بشأن استحواذها على القسطنطينية والمضايق بعد الحرب ، ونزولها طبعا عن المطالبة بتنفيذ هذه الشروط — قد أوجد الطمأنينة فى نفوس الاتراك الكماليين وأقام بين تركيا وروسيا بدلا من العداوة القديمة صداقة وعهد أخاء توطدت أركانه لتشابه ظروف الدولتين ، واشتراكهما فى مقت الحكومات الغربية واساليبها فى تحريك الشعوب والحكومات ضدهما

وعلى ذلك سرعان ما اعترفت روسيا بحكومة انقره الجديدة ، وعقدت معها معاهدة الصداقة فى سنة ١٩٢١ ، وكانت تركيا قد استولت على قارص واردهان وارتيفان من ارمينيا ، فاحتفظت بها واستردت روسيا باطوم كما ضمت جورجيا وارمينيا الى جمهوريات

السوفيت ، ثم سوت روسيا مشاكلها مع بولنده، وعقدت مع المانيا معاهدة «رباللو» فى ايطاليا سنة ١٩٢٢ وبها كسبت المانيا فوائد اقتصادية وحربية لم تخطر على بال الحلفاء الذين استمروا فى عدائهم وجفائهم لنظام الشيوعية فى روسيا

بذلك استتب لروسيا الهدوء والسكينة ، فعمدت الى ثورتها تثبت أصولها وتطبق نظرياتها وتقمع أعداءها ، حتى تضمن لها الحياة والبقاء واستمرت هذه الفترة الاولى من حياة روسيا الجديدة الى يناير سنة ١٩٢٤ حين مات لنين زعيم البلشفية وقلبها النابض وعقلها المفكر وخلفه « ستالين »

***

وبتسلم ستالين مقاليد الحكومة السوفيتية الثالثة ، دخلت روسيا فى طورها الثانى من حياتها السياسية . ولم يكن ستالين كلنين من قادة الفكر النظريين ، فلم يدرس فى جامعات أوربا مثل لنين ، ولم يتعرف على مفكرى الغرب أو كتبهم أو آرائهم . بل كان ستالين رجلا حربيا عمليا مدركا للحقائق ، مؤمنا بمستقبل روسيا فى ظل المبادىء الشيوعية ، ولم يحلق به الخيال يوما أو يمتد به الامل الى الدرجة التى تجعله يضحى بمصلحة روسيا فى سبيل تحقيق الغرض العالمى الذى اليه قصد ماركس ولينين من بعده وترتسكى من بعدهما فى سبيل تعميم الثورة الشيوعية فى العالم بطريق العنف والقوة . بل عمل ستالين على تدعيم خطته « الاشتراكية فى بلد واحد » بانهاض روسيا صناعيا ، وقد مهد الطريق لتنفيذ برنامجه بتطهير الحكومة السوفيتية من عناصر الشيوعية العالمية وتشريد القائلين بها

ومن حسن طالع ستالين أن أوربا كانت تجنى فى هذه الفترة أحسن ثمار عصبة الامم ، فقد دخلت المانيا العصبة فى سنة ١٩٢٦ ، وسادت بلاد العالم موجة من حب السلام جعلت روسيا تشترك من صميم قلبها فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر تخفيف التسليح الذى انعقد بعد ذلك فى جنيف رغم ان روسيا لم تكن عضوا فى العصبة ، وقد كان مندوبها لتفنوف أقوى من رفع صوته فى المؤتمر مناديا بوحدة السلام فى العالم وبتخفيف التسليح بل ونزعه تماما فى مدى اربع سنوات

ولما لم يفد مؤتمر نزع السلاح شيئا وباءت عصبة الامم بخيبة أمل مريرة ، تنبهت روسيا الى موقفها ازاء الدول ، وأدركت انها انما تقف وحدها فى عزلة عن دول العالم حربيا وسياسيا ، ورأت روسيا ان مسابقة التسليح بين الدول ستعود حتما سيرتها الاولى ، وان مصيرها أصبح معرضا للضياع اذا لم تنهض بسد حاجاتها الحربية والصناعية بنفسها ، وعلى ذلك بدأ ستالين سنة ١٩٢٩ مشروع السنوات الخمس الشهير

***

ولما كان مركز روسيا المالى لا يسمح لها بالاقتراض اضطرت الى مضاعفة الانتاج وتطبيق مبدأ انكار الذات حرفيا ، حتى تستطيع ان تدفع أثمان العدد والآلات الضخمة ، وتوفى

أجور الخبيرين الاجانب الذين جاءوا من مختلف البلدان الغربية لتشغيل هذه الآلات وتمرين العمال والمهندسين الروس عليها ، حتى اذا ما انتهت السنوات الخمس شهد العالم مبهوتا مشدوها أكبر معجزات القرن العشرين الاقتصادية ، اذ تحولت روسيا - وكأن ذلك بعصا سحرية أو بمصباح علاء الدين - الى بلاد صناعية تنتج كل ما تحتاج اليه حربيا واقتصاديا وذلك الى جانب نهضة زراعية اجتماعية وحركة عمرانية ثقافية أصبحت مضرب المثل فى مداها وكفايتها وأصبح ستالين صاحب هذه النهضة الكبرى ومبدعها معبود القوم وملاذهم الأعلى فى السلم وفى الحرب

***

ولما كمل استعداد روسيا داخليا بدأت تلعب دورها على مسرح السياسة الدولية، وكانت الحركة النازية فى المانيا قد جعلت تقوى وتتغلب حتى استأثرت بالحكم وأصبح هتلر فى سنة ١٩٣٣ على رأس المانيا يحركها كيف شاء فلم يتطرق الشك الى ذهن ستالين ان روسيا قد استهدفت للعدوان عاجلا أو آجلا ، ان لم يكن من ناحية هتلر والغرب فمن ناحية الشرق ، وقد تنمرت اليابان على الصين واغتصبت منها منشوريا فى سنة ١٩٣١ متحدية فى ذلك عصبة الامم

وقف ستالين يرنو ببصره الى الافق الدولى علّه يجد لروسيا حليفا يخلص لها ويصدقها الوعد عند الحاجة ، فلم يجد أمامه سوى حليف واحد قد مد ذراعيه لاستقبالها هو عصبة الامم التى أولته مقعدا ثابتا فى مجلس العصبة سنة ١٩٣٤ وسارعت فرنسا وتشكوسلوفاكيا الى محالفة روسيا لتعرضها جميعا لخطر النازية . ولقد حاولت روسيا بكل ما لديها من قوة ان توقظ الدول الغربية من سباتها ، لتأخذ الاهبة لدرء الخطر النازى ، فلم تفلح اذ ان الحكومة الانجليزية كانت تعتقد ان مجرد الاستعداد للحرب كاف لاثارة سخط المانيا ودفعها الى اعلان الحرب ، وهو ما كانت ترهبه الدول الغربية وتعمل جاهدة على مفاداته

ثم نمى الى حكومة السوفيت ان دول الغرب لايضيرها ان تقع الحرب بين هتلر وروسيا، فيقضى هتلر على الشيوعية فى روسيا خدمة للانسانية جمعاء ، وتخرج المانيا من هذا النضال ضعيفة مهيضة الجناح ، فلا تعود تهدد دول الغرب ، فزاد ارتياب ستالين فى نيات الدول الديمقراطية ، وبدأ بشروع السنوات الخمس الثانية ، حتى يكمل استعداد روسيا حربيا ، ولا تكون تحت رحمة غيرها . وفعلا أعلن ستالين سنة ١٩٣٩ ان روسيا ستعتمد على نفسها وانها وحدها كفيلة بسحق اية قوة تعتدى عليها وانها لن تكون لعبة فى يد الدول

***

وأخيرا وضح الخفاء وقامت ايطاليا تتحدى العصبة بانقضاضها على الحبشة ، وتبعتها المانيا تحتل اقليم الرين وتحصنه ، وتعلن الخدمة العسكرية الاجبارية مخالفة بذلك نصوص معاهدة فرساي ، ثم توالى عدوان هتلر على النمسا والسوديت وتشكوسلوفاكيا ، ولم يعد

خافيا ضعف الحكومات الغربية وهزالها وتخلخل أوصالها أمام هتلر ، فعول ستالين على ان ينتقم لنفسه من دول الغرب ، وذلك بأن يوجه ضدها دفعة هتلر الاولى ، ريثما يتم له الاستعداد الكافى فأبرم مع هتلر معاهدة عدم الاعتداء فى اغسطس سنة ١٩٣٩ واهمل مساعى انجلترا المملة الطويلة فى هذا السبيل . ثم احتاط للمستقبل فأبرم معاهدة الحيدة مع اليابان فى ابريل سنة ١٩٤١ ودل بذلك على حنكة سياسية مدهشة ، فلم يكن يساور روسيا أقل شك فى ان هتلر سينقلب عليها عند ما يفرغ من اخضاع غرب أوربا ، وفعلا بدأ هتلر هجومه ضد روسيا فى يونيه سنة ١٩٤١ وظهرت معجزة روسيا الحربية بعد معجزتها الاقتصادية . فبينما كان ثقات الحربيين والنقاد فى جميع انحاء العالم يؤكدون هزيمة روسيا فى مدى لا يزيد على ستة شهور ، اذ بروسيا تقف وقفتها الشهيرة أمام أكبر وأضخم قوة حربية تحركت على سطح الارض منذ الخليقة ، فتصدها صدا باسلا عنيفا لمعت فيه عبقرية ستالين الحربية ، ثم تحول الدفاع الى هجوم كاسح كاسر ، تعالت فيه ألوية النصر بفضل الصلابة التى اشتقها الجنود والمجندات من « رجل الصلب » الذى على رأسهم ، وبفضل المعونة التى تلقتها روسيا من الحلفاء عن طريق ايران والبحار الشمالية، وأخيرا بفضل الانتاج الحربى المتزايد المتواصل المنبعث من المصانع الروسية المستورة فى بطون الكهوف والوهاد والجبال التى اعتصم بها الروس عند ما أوغل الاعداء داخل بلادهم

***

خرجت روسيا من هذه الحرب الضروس ، وهى عالمة تمام العلم فى دخيلة نفسها ان النصر قد رفعها مع الولايات المتحدة وبريطانيا فوق دول العالم جميعا ، وان موقفها من الدول بعد هذه الحرب يشبه كثيرا موقف روسيا فى سنة ١٨١٤ عقب هزيمة نابليون بونابرت فقد كان القيصر اسكندر الاول روح المقاومة الشعبية ضد نابليون وهو الذى أوصى بسياسة « المحالفة المقدسة » التى تولاها الوزير النمسوى مترنخ وجعلها شعارا للرجعية فى سياسة أوربا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر

ويخيل الينا ان روسيا الآن تريد ان تتقاضى ثمن النصر كما تقاضته عقب انكسار نابليون ولا تريد ان تغبن كما غبنت فى اعقاب الحرب العالمية الاولى

وأول ما ترمى اليه روسيا من اهدافها الخارجية ان تحوط مساحاتها الشاسعة بسياج حصين من الامان فتعود الى قواعدها فى بحر البلطيق ، وقد ضمت اليها فعلا جمهوريات البلطيق السابقة ، وكانت جزءا من أراضيها قبل الحرب العالمية الاولى رافضة حتى أن تفاوض بشأنها . ولروسيا مطامع فى بولنده الشرقية ستبحث فيها الدول فى مؤتمر الصلح

وتريد روسيا من الجنوب ان تكون لها الزعامة بين شعوب البلقان السلافية ، كما ان للولايات المتحدة الزعامة بين جمهوريات امريكا الاخرى . واذا كانت روسيا لا تطمع فى ضم جزء من هذه الاراضى ـ عدا بسارابيا وقد ضمتها فى سنة ١٩٤٠ حين كانت حليفة

لالمانيا ـ فانها تريد ان تجعل من هذه الاقاليم منطقة نفوذ خاصة بها . وستجر هذه السياسة حتما الى معارضة تركيا صاحبة ميثاق البلقان قبل الحرب والى معارضة الدول الديمقراطية الكبرى ولها فى البلقان عامة وفى اليونان والمضايق خاصة مصالح لا يستهان بها

ومع توتر العلاقات بين روسيا وتركيا لاسباب كثيرة أهمها تلكؤها فى اعلان الحرب على المانيا ـ ولو اعلنتها لشغل جناح المانيا الايمن فى اثناء هجومها على روسيا ـ فاننا لا نعتقد ان حكومة السوفيت تخاطر باعادة تاريخ القياصرة والمسألة الشرقية من جديد

***

وتعتبر روسيا أقرب الدول الاوربية الى منطقة الشرق الاوسط وحدودها تلامس فعلا ايران وافغانستان فضلا عن تركيا ، ولذلك فانه يهمها كثيرا ألا يهمل شأنها فى هذه المنطقة الحيوية كما أهمل فى الماضى فانها فوق سعيها فى انشاء العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بينها وبين بلدان هذه المنطقة يلوح انها ستعمل على تخصيص بعض المواقع الاستراتيجية لتكون مناطق دولية تشترك فيها روسيا . فقد طالبت روسيا بأن تكون عضوا مشرفا على نظام « طنجه » الدولى مع انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وأجيبت الى طلبها، وأكبر الظن انها ستطالب بشىء مثل هذا فى شرق البحر الابيض المتوسط

ولروسيا فى ايران مصالح اقتصادية مهمة ولذلك فهى تتلكأ فى الجلاء رغبة فى توطيد نفوذها فى الشمال حيث السكان من نفس الشعوب الخاضعة للسوفيت وحيث آبار البترول

وأما فى الشرق الاقصى فتريد روسيا ان تكون دولة « باسيفيكية » شأنها فى ذلك شأن الولايات المتحدة والصين وكندا وتعمل على ان تصل الى قواعدها التى كانت لها قبل سنة ١٩٠٥ وتعتقد روسيا ان اليابان بعد هزيمتها المنكرة ستصبح حقلا صالحا لانبات بذور الشيوعية بين اليابانيين

***

ووجه الخطر من سياسة روسيا فى آسيا ان تفتت الذرة الصينية واليابانية فتنطلق طاقة سوفيتية هائلة تهز العالم بأجمعه . وليس يدانى هذا الخطر من ناحية روسيا أى خطر آخر سواء أكان مبعثه البلقان أم البحر المتوسط

واذا لم تسارع الدول الكبرى الى تسوية هذه المشاكل الدولية بالاضافة الى القنبلة الذرية بواسطة مؤتمر الصلح أو مجلس الامن أو بتكوين اتحاد أوربى جديد عماده روسيا وبريطانيا فان الظنون والريب التى ما فتئت تسود عقلية السوفيت من ناحية دول الغرب ستقوى وتفرخ مع الزمن ولا يمضى وقت طويل حتى تنساب أجنة الحرب لا قدر الله !

محمد رفعت

« المثل الاعلى فى اعتقادى رجل يصلح لان يكون رئيسا ومرءوسا على السواء، فان أسعده الحظ ورفعه الزمن الى مقاعد الحكم احتفظ بوعيه، ولم يسترسل مع اغراء العظمة . أما اذا شاء القدر أن يظل مرءوسا ، فلا أظن أننا نريد منه أكثر من اخلاص وأمانة فى العمل ، ثم شجاعة أدبية موفورة تمكنه من مكاشفة رئيسه بالحق مهما كانت النتيجة »

المثل الأعلى بين الرجال

بقلم السيدة أمينة السعيد

لكل امرىء فى هذه الدنيا مثل أعلى يتطلع اليه ، ويغدق عليه من الصفات ما ينقصه ، ومن الخلال ما يفتقر اليه المحيط الذى يعيش فيه ، ولذلك تختلف المثل العليا للناس باختلاف بيئتهم وثقافتهم ومستواهم الاجتماعى ، ولكنها تشترك جميعا فى سموها عن مستوى الفرد العادى ، وبلوغها الكمال فى نظر صاحبها على الأقل . ولما كان الكمال صفة من صفات الله ، فلا يصح لنا اذن أن ننشده ونحن نتحدث عن المثل الاعلى بين الرجال ، ولنكن عمليين فى خيالنا حتى تتمشى مع حقائق الحياة ، ونصور رجلا يتيسر وجوده فى مجتمعنا ، اذا تحرر ذلك المجتمع من علله الحاضرة ، وكلها والحمد لله علل عارضة تزول بزوال حكم أجنبى طال عليه الأمد ، وأفسد الأخلاق من أجل أن يسود !

وأعتقد ان المثل الاعلى الذى أنشده رجل بحث الشعب عنه طويلا بين طبقات المجتمع المختلفة، فلم يجده، ولم يعثر على شبيه له بين الزعماء والرؤساء والمرءوسين والادباء والافراد العاديين ، لا لقلة الرجال فى البلاد ، وانما لان العناصر الطيبة قد تضاءلت بفعل مشاكل اجتماعية وسياسية أضرت باخلاق دعائم المجتمع ، وقادة الفكر فيه ، فضلوا سواء السبيل، وضللوا خلفهم شعبا كبيرا يؤمن بما يقولون وما يفعلون

***

ولا شك أن هذا الرجل المنشود سيظهر عن قريب ، لاننا نمر الآن خلال فترة وعى اجتماعى لم يسبق له مثيل فى تاريخنا الحديث ، وقد كشف ذلك الوعى الحجاب عن أعين الناس ، فتبينوا الحقيقة المؤلمة التى نعيش فيها ، ورأوا نقائص كانت من قبل خافية عليهم ، وأحسوا أن هذه النقائص تحدث فى بنيان المجتمع فجوات لا بد من تداركها اذا أردنا الرفعة والارتقاء ، ولذلك شاع القلق فى النفوس ، وبدأ الشعب يتطلب من دعائم المجتمع صفات جديدة يفتقر اليها الكثيرون

والمثل الاعلى فى اعتقادى رجل يصلح لان يكون رئيسا ومرءوسا على السواء ، وينجح فى كلتا الحالتين كل النجاح ، فان أسعده الحظ ، ورفعه الزمن الى مقاعد الحكم احتفظ بوعيه ، ولم يسترسل مع اغراء العظمة ، فينسيه بريقها الوهاج وطنيته وضميره ومبادئه وواجبه المقدس ، فمما يلاحظ فى بلادنا أن لمقاعد الحكم خمرا معتقة ، اذا ارتشفها الحاكم أسكرته بلذة النصر ، فيشغل بذلك النصر عن كل شيء عداه ، ويقضى أوقاته فى الصراع لا من أجل بلاده المسكينة وشعبها الذى يؤمن به ، بل من أجل الاحتفاظ بمقعد الحكم أطول زمن مستطاع ، ولذلك تمر الاعوام ، وتتغير العهود والحال واحد لا يتبدل ، فمشروعات الاصلاح تغط بين الدوسيهات، ولا تجد من يوقظها من سباتها العميق ، والكل ينادى بضرورة التعليم والحرية ، فلا من يلبى النداء ويتقدم للعمل فى جرأة ، لان الكل يخشى أن تذهب تلك الجرأة بالرداء المذهب والمقعد السحرى !

***

هذا ما نتطلبه فى مثلنا الاعلى اذا أسعده الحظ ، ورفعه الزمن الى مقام الحكم والسلطان، ولسنا بذلك ننشد كثيرا ، أو نطلب مستحيلا ، فتلبية نداء الضمير ، وتقديس المبادىء ، وخدمة الوطن أمور تتيسر عند ما تتلاشى مصلحة الفرد أمام صالح المجموع !

أما اذا خان الحظ صاحبنا ، ولم يرفعه الزمن الى مقام الحكم والسلطان ، وشاء القدر أن يظل مرءوسا ، فلا أظن أننا نريد منه أكثر من اخلاص وأمانة فى العمل ، ثم شجاعة أدبية موفورة تمكنه من مكاشفة رئيسه بالحق ، ومراجعته فى الخطأ مهما كانت النتيجة ، فلقد شاع النفاق والجبن أخيرا الى حد يوجب الحزن ، واصبحت هاتان الخلتان المقيتتان من مستلزمات الوظيفة كبيرة كانت أم صغيرة ، فمهما أخطأ الوزير أو الرئيس لا يجد فيمن حوله من يراجعه ويرشده الى الطريق الصحيح ، بل يجد الكل موافقا متغنيا بفضائل الخطأ ، وأهميته الحيوية للعمل ! وكأننا بذلك قد أخذنا على عاتقنا مهمة افساد الرؤساء وتضليلهم ، بدل اصلاحهم وتوجيههم نحو طريق الحق ، ولا ينتظر والحال هكذا أن يحل بيننا رئيس واحد يصلح لاى شيء !

***

ولقد شاع النفاق أخيرا ، واتسع أمره ، وزحف من دور الحكومة ومكاتبها ، الى نواحى المجتمع المختلفة ، حتى غدا الكل يعيش فى جو من الاوهام لا يمت الى الحقيقة بصلة . واذكر يوما انى جلست فى جمع من الاصدقاء يتوسطه كاتب معروف . وكان الجمع يضم عميدا سابقا لاحدى الكليات كما كان يضم أيضا العميد الجديد الذى حل فى مكانه ، ولكن الكاتب من سوء الحظ لم يكن يعرف غير الاخير . وتناول الحديث موضوع الاخلاق ، فانبرى الكاتب للكلام ، وندد بما وصل اليه الحال من فساد ، وحمل حملة شعواء على شباب اليوم ، واتهمهم بالنفاق وقلة الشجاعة الادبية . وفجأة التفت حوله ، ونظر الى

العميد الجديد، وجعل يصوغ له من عقود الثناء ما لا يحصى ولا يعد، وشكره باسم المجتمع على مجهوداته الموفقة فى رفع مستوى أخلاق الطلبة بعد ان انحط حالهم كثيرا فى عهد العميد السابق ! وتكهرب الجو فى الحال ، فكلا الرجلين يجلس بيننا ، وليس من اللائق أن يهان أحدهما هكذا ، فقطع العميد الجديد سلسلة الحديث ، وقدم سابقه الى الكاتب ، ليلفت نظره الى وجوده وبسكته ، فما كان من المتحدث الا أن قال :

ـ لقد أردت فقط أن أجامل أحدكما ، والحقيقة أن مستوى الطلبة قد انحط فى عهديكما !

وهكذا تورط بدافع النفاق فى اهانة أحدهما ، فلما انكشف الامر أهان الاثنين ليتخلص من حرج موقفه ، وما كان أغناه عن هذا الموقف المشين !

وقد يشتغل رجلنا المنشود بالادب ، فيسجل فى ميدانه نجاحا يكفل له شهرة وقيادة للفكر فى البلاد ، واذ ذاك اتطلب فيه ليكون مثلى الاعلى أمانة لفنه ، فلا يستغل مكانته وينحط بمستواه ليضمن سوقا رائجة لمؤلفاته . والاديب المثالى من كان مرشدا للشعب لا مفسدا للعقول من أجل الشهرة والمال ، فنحن نلاحظ أن بعض الادباء كلما ازدادت شهرتهم ونمت ثروتهم ، تضاعفت رغبتهم فى المزيد منهما . ومن أجل اطفاء نيران هذه الرغبة الطائشة يخرجون على الناس كل يوم برأى جديد شاذ يضر بعقول الناس، ويضللها عن طريق الحق . ومسئولية الادباء فى مصر وغيرها من البلدان التى لم تنضج ثقافتها تمام النضوج خطيرة الى حد بعيد ، لان الجيل الحديث يتبعهم ، ويؤمن بأقوالهم ، فان لم يتوخوا الامانة فى تحقيق رسالتهم أجرموا فى حق الوطن ، واستحقوا من أولى الامر عقابا شديدا

***

ولست أرى مانعا من أن يكون رجلنا المنشود عضوا فى تلك الطبقة التى يسمونها بالراقية ، واذ ذاك يتحتم عليه ـ اذا أراد أن يتربع على عرش المثالية ـ أن يكون صادقا فى قوله ، مهذبا فى سلوكه ، مستقيما فى تصرفاته ، وان يكون أيضا « جنتلمانا » لا قصابا! ولست أريد هنا بالقصاب ذلك الرجل الذى يذبح البهيم ، ويبيع لنا لحمه فى أيام معينة من الاسبوع ، بل أعنى به ذلك الشاب الانيق الذى يحترف ذبح سمعة الغير ، فينهال على كل اسم يعرفه أو لا يعرفه بلسان أحد من ساطور القصاب !

هكذا أريد مثلى الاعلى بين الرجال ، ولا أعتقد اننى أطلب كثيرا ، فمثل هذا الرجل يتيسر وجوده اذا تحرر المجتمع من علله الخلقية ، وتوخى كل منا الامانة فى العمل والتفكير والاحساس والسلوك !

أمينة السعيد

ناد للسجناء

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »
(قرآن كريم)

« السجن تأديب واصلاح وتهذيب » ! هذا هو الشعار المكتوب باحرف كبيرة على باب كل سجن ، أما كونه « تأديبا » فهذا ما لا شك فيه وما لا يحتاج الى بيان ، واما انه «اصلاح وتهذيب » ، فهذا أمر يعتوره الشك من كل جانب ، بل يكاد اليقين يكون نفيا لذلك وانكارا ، فان الغالبية العظمى من السجناء الذين تنتهى مدة سجنهم ، ويفرج عنهم ، لا يلبثون حتى يرتكبوا جرائم جديدة تعيدهم الى السجن !

ولقد ثبت بشأن السجناء ما ثبت بشأن العمال والفلاحين والطبقات الفقيرة : من أن أى اصلاح لا يجدى نفعا الا اذا كان الحافز الاول اليه شعور من يراد اصلاحه بحاجته اليه ، ورغبته فيه ، ثم اقدامه عليه . أما الاصلاح الخارجى ، الذى تقوم به الحكومات والهيئات ، فانه فى أكثر الاحوال يقتصر على القشور ولا يصل الى اللباب

ولقد آمن بذلك سجين محكوم عليه بالسجن المؤبد فى سجن سان كونتين الامريكى ، يدعى جروفر « البندر » فصار زعيم حركة اصلاح بين نزلاء ذلك السجن ، بل ربما صار زعيم حركة أوسع انتشارا فى جميع السجون فى أمريكا وخارجها . وقد لمس فى نفسه وفى زملائه كراهية لنصح الناصحين ، ووعظ الواعظين ، ورأى ان السجن سواء طالت مدته أو قصرت ، لا يصلح عيوبا ولا يهذب نفوسا . وانما يرتقى السجين نفسا ، ويسمو خلقا ، اذا رغب هو فى ذلك بدافع من نفسه . وعلى ذلك عزم ان ينشىء هيئة للاصلاح بين السجناء ، فى شكل ناد اطلق عليه اسم « نادى القاصدين »

وكان أول من دعاه للانضمام الى هذه الهيئة من بين نزلاء السجن ، رجلا يدعى « بات » محكوما عليه بالسجن عشرين عاما ، وهو أصلب المسجونين عودا وأقواهم شكيمة وأوسعهم نفوذا . وقد نجح فى اقناعه بفكرته ، ثم ضما اليهما سجينا آخر ، وهكذا بدأ « نادى القاصدين » ولا يزيد عدد أعضائه على ثلاثة حضروا اجتماعه الاول . .

ولكن سرعان ما انضم اليه آخرون واحدا بعد آخر ، ومن بينهم اناس محكوم عليهم لجرائم قتل أو سطو أو سرقة أو غيرها من الجرائم الخطيرة . بل من الاعضاء كذلك سجناء ينتظرون الحكم عليهم بالاعدام وآخرون يرتقبون تنفيذه فيهم . وقد بلغ عدد الاعضاء مائة وثمانين عضوا ، ولا يقل عدد الحاضرين فى كل اجتماع اسبوعى عن ٦٥ عضوا . وقد حدد بعد ظهر كل سبت للاجتماعات الاسبوعية ، وهو الوقت الذى حددته ادارة السجن

لمشاهدة أفلام السينما التى تعرض فى احدى قاعاته . ولكن الكثيرين يؤثرون حضور اجتماع النادى على مشاهدة الافلام

وفى كل اجتماع يعين رئيس جديد للنادى حسب الحروف الهجائية التى تبدأ بها الاسماء ، وبذا تفادى مؤسسو النادى كل خلاف على الرياسة منذ البداية .. فكانوا أحكم، وأبعد نظرا ، من مؤسسى الهيئات فى خارج السجون .. ويخطب فى كل اجتماع خطباء من الاعضاء وآخرون من « الضيوف » الذين لم يدخلوا فى عضوية النادى بعد

وهناك أيضا زائرون يأتون من خارج السجن لمشاهدة هذا النادى العجيب وحضور اجتماعاته ، أو القاء الخطب والمحاضرات فيه . وقد آمنت نيابة سان فرانسسكو بفائدته ، فصارت ترسل اليه نزلاء سجون أخرى وخصوصا الاحداث ، ليفيدوا من نظامه ، وروح الاصلاح والتهذيب المتغلغل فيه . وغنى عن البيان ان السجانين هم أكثر الزائرين ترددا على النادى ، وقد أدى ذلك الى حسن التفاهم بينهم وبين السجناء المعهود بهم اليهم

ومع الديموقراطية التى أسس النادى عليها ، توجد فيه صرامة كفيلة بحسن النظام : ومن ذلك ان كل عضو لا يحضر اجتماعات النادى مرتين متواليتين بدون عذر مقبول يعد مفصولا

وهناك محكمة تعقد بالنادى يطلقون عليها اسم « محكمة الكانجارو » وفيها يفصل فى كل خلاف يقوم بين النزلاء ، وتسير المحاكمة فيها على أسس موضوعة وتطبق قواعد العدل ، كما فى أية محكمة راقية .. ولكن هذه المحكمة تمتاز على جميع المحاكم ، بان المتهم والمدعى والمدعى عليه والشهود جميعا ، لا يمكنهم أن يكذبوا أو يراوغوا ، لان السجناء الذين تؤلف منهم المحكمة ، يعرفون زملاءهم حق المعرفة ، فلا تجوز عليهم خدعة

والى جانب هذه المحكمة يوجد أيضا ما يسمونه « بالاعتراف » وهو على نمط الاعتراف السائد فى المذهب الكاثوليكى ، وكثيرا ما يؤدى الى هداية ضال ، وتوبة مجرم

وكل « قاصد » من أعضاء النادى ، يتكفل برعاية سجين من السجناء الذين لفظهم الاهل والاصدقاء ، فصاروا لا يتلقون رسائل فى البريد ، ولا ينعمون بزيارة ، وعمدوا من اثر ذلك الى الحزن والعزلة . وما يزال « القاصد » بمثل هذا الزميل حتى يضمه الى النادى ، فيجد فيه مؤنسا فى وحشته ، ويلقى من زملائه أهلا وأصدقاء له

وقد اتخذ « دالبندر » طريقة طريفة لضم الاعضاء الى ناديه ، فكل سجين له الحق فى حضور اجتماعين متواليين من اجتماعات النادى ، فاذا راقته الفكرة طلب الانضمام اليه . ولعله النادى الوحيد فى العالم الذى لا يسأل عن سمعة طالب الانضمام الى عضويته ولا يطلب تزكية بعض الاعضاء اياه .. فكل سجين له الحق فى العضوية اذا أراد ، مهما يكن السبب الذى جاء به الى السجن .. وفى ذلك يقول دالبندر : « اننا لا نبالى كيف دخل السجين الى السجن ، وانما يهمنا كيف يخرج منه وقد صار انسانا آخر » !

وبديهى ان أعضاء النادى فى تغير مستمر ، « لانتهاء مدة » بعضهم فى السجن ، ومجىء

سجناء جدد فى كل حين ، على ان كثيرا من « القاصدين » يفرج عنهم بضمان « كلمة الشرف » منهم ، وقد دخل عدد منهم الجيش الامريكى فى خلال الحرب ، فأبلوا بلاء حسنا ومنهم « بات » السالف الذكر فقد أفرج عنه بعد ان أمضى فى السجن خمس سنوات وثلاثة أشهر من العشرين عاما التى حكم عليه بها ، وصار جنديا فى الجيش الامريكى ، وكان من أوائل الجنود الشجعان الذين هبطوا أرض نورماندى ، حين شرع الحلفاء يغزونها

ودخل عدد آخر من « القاصدين » فى المصانع الحربية ، بعد ان أفرج عنهم بكلمة الشرف أيضا ، وقبل انتهاء مدة السجن المحكوم بها عليهم . وشهدت ادارة المصانع بأنهم من أحسن العمال أخلاقا ومن أكثرهم نشاطا وانتاجا

وآخرون منهم وجدوا لهم عملا ومرتزقا فى الشركات والمتاجر ، وبعضهم سافروا الى أوربا وغيرها وكلاء عن بعض شركات البترول الامريكية ، ومنهم واحد سافر الى مصر حيث يشغل وظيفة مهندس باحدى تلك الشركات

وفى السجن هيئة رسمية لها حق الافراج عن السجناء الحسنى السلوك «بكلمة الشرف» منهم ، وهى فى كل حالة تطلب شهادة النادى وتنزلها منزلة التقدير ، واذا كان بعض السجناء قد أخلوا بكلمة الشرف التى أعطوها لتلك اللجنة ـ وتقدر نسبتهم بعشرين فى المائة من جملة الذين يفرج عنهم بهذه الطريقة ـ فليس من هؤلاء أى واحد من أعضاء نادى « القاصدين » فان كل من أعطى كلمة الشرف منهم حفظها ولم ينقضها

وفى كل يوم ترد عدة خطابات من نزلاء السجن السابقين الذين شقوا طريقهم فى الحياة الشريفة، وفيها يعبرون عن شكرهم للنادى ويعترفون بحسن أثره فى توجيهم الى الاستقامة. ولما كان قانون السجن يحرم على السجناء ان يتلقوا خطابات من زملاء سابقين أفرج عنهم لانتهاء مدتهم أو لاى سبب آخر ، فان تلك الخطابات توجه كلها الى أحد السجانين فيتلوها على أعضاء النادى

ومن لطيف ما يذكر ان زعماء العصابات ، الذين طالما سخروا من هذا النادى ، تبرعوا أخيرا بمبلغ ٤٠٠ دولار للانفاق على جنازة تقام لعضو من اعضائه حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم ، وقد كرهوا أن يدفن « قاصد » بدون جنازة ..

وهكذا نجحت فكرة الاصلاح الذاتى فى سجن سان كونتين نجاحا فاق ما كان يتوقعه مبتدعها نفسه ، اما فى داخل السجن فان المساجين المنضمين الى تلك الحركة هم أكثر السجناء نظاما وطاعة وأدبا . واما فى خارجه ، فان المجتمع قد كسب ولا يزال يكسب ، عددا من أخطر المجرمين ، كاد يخسرهم الى الابد لولا ذلك النادى

ولا يزال دالبندر نزيل ذلك السجن ، ولعله لو شاء لافرج عنه فى طليعة السجناء الذين خرجوا من السجن « بكلمة الشرف » . ولكنه سيظل سجينا ليتعهد حركة الاصلاح التى شرعها وأقامها على أسس صحيحة

(مترجمة بتصرف عن مجلة « المستقبل »)

« ينبغي رفع الاجور للعمال والفلاحين في مصر وسائر بلاد العربية رفعا يصل بمستوى معيشتهم الى مستوى « الانسان » وهم الآن انما لا يرقون الا قليلا عن مراتب الحيوان ، بل ان أكثر الحيوان يرفل بنعيم لا يعرفون هم شكله ولا لونه »

العدالة الاجتماعية عندنا

بقلم الدكتور محمود عزمى

« العدالة الاجتماعية » عبارة كثر جريانها هذه السنوات الاخيرة على أقلام الكتاب وألسنة الخطباء فى بلادنا منقولة عن الغرب ، يشيدون بذكرها ويدعون الى تحقيقها ، توفيرا للهناءة الفردية ومحوا لاسباب القلق عند الجماعة ، واذن فاستقرارا للحياة المستندة الى الكرامة البشرية ، والمساواة بين الناس قدر الاستطاعة . فما هى هذه «العدالة الاجتماعية» نتفهم كنهها قبل ان نسائل كيف تتحقق فينا ومتى يتم تحقيقها عندنا ؟

أذكر انى سمعت هذا التعبير لاول مرة فاشيا مدويا منذ سبع وثلاثين سنة يوم قصدت الى باريس اتابع التحصيل فيها ، كما أذكر ان تعبيرا آخر كان يلازمه هو تعبير « التضامن الاجتماعى » نظرية للسياسى الاجتماعى الفرنسى « ليون بورجوا » يقف بها موقفا وسطا بين مذاهب « الانفرادية » ومذاهب « الاشتراكية » ، وقد كانت الاولى تحس نمو الثانية وتخشى طغيان تيارها ، فكان المصلحون يحاولون معالجة الطاحن اللائح فى الافق بأساليب مؤقتة تبعد على الاقل أجل « المحتوم »

***

وكانت نظرية « التضامن الاجتماعى » التى يريد أصحابها تحقيق « العدالة الاجتماعية» عن طريقها ، تقول ان أفراد الجماعة الواحدة انما يرثون معا ظروف جماعتهم ، وانما يورثون معا كذلك هذه الظروف لمن يأتون بعدهم ، وهم انما يكونون « التركة » التى سيخلفونها مساهمين فيها كل بقدر طاقته وبقدر ما هيأته له ظروفه الخاصة . على ان المساهمة فى التكوين ، يجب أن يكون من شأنها ان يسهر القوى على الضعيف وان يمد الغنى الفقير ، وكلهم « متضامن » فى الانتاج ولكل مصلحة فى ان يعم الهناء حتى يكثر الانتاج ، فيجب ان يتحقق بينهم التضامن فى سبيل تعميم الهناء أيضا . وكان أصحاب تلك النظرية يخلصون منها الى ضرورة تحقيق هذا التضامن عن طريق اشاعة « التأمينات الاجتماعية » لمصلحة من هم فى حاجة الى أن يأمنوا غوائل المرض والشيخوخة والبطالة ، وان يؤمنوا الاطمئنان

على أولادهم ومن هم فى كنفهم حتى لا تحول الرغبة فى هذا الاطمئنان دون مضيهم فى عملهم وكسبهم عن طريقه ما يوفر لهم قوتهم

كانت تلك هى نظرية الدعاة ، وكانت تلك هى وسيلة تحقيقها ، وكان ذلك هو الاتجاه الذى اتجهته الحكومات فيما أصدرت من تشريعات اجتماعية ، فى انجلترا وفى فرنسا وفى المانيا وفى ايتاليا لحماية العمال بخاصة ، ففرضت على أصحاب الاعمال ان يساهموا ـ وبقسط وافر ـ فى التأمين على عمالهم ضد المرض والشيخوخة ، وان يعدوا فى مصانعهم من وسائل العمل الصحى ما لا يعرض العمال للمرض ، ومن وسائل العمل المأمون ما لا يعرضهم للمخاطر ، ومن وسائل الراحة المتصلة بساعات العمل والعطلة الاسبوعية والاجازات السنوية ما لا يعرضهم للارهاق

لكن تلك الوسائل جميعا كانت مما نستطيع ان نسميه وسائل « الاحتياط السلبى » الذى يقى الشر ويخفف البلية . فلما جاءت الحرب العالمية الاولى وأنزلت بالبشرية من الويلات ما انزلت ، وانتشر معها من آراء التحرر ما انتشر ، وأحس الانسان معها لنفسه من الحقوق ما أحس ، طالب الناس ـ ولا سيما المحرومين منهم ـ بالاصلاح « الايجابى » الذى يزيد من نعيمهم من ناحية ويقلل من « وقاحة » الثراء الفاحش من ناحية ثانية . وكان الاصلاح الايجابى الجدى يستدعى الانفاق فى سبيله من جانب الدولة ، فاندفعت حكومات الدول الكبيرة المستقرة والصغيرة الناشئة فى سبيل تهيئة موارد هذا الانفاق اللازم ، ورمت بحجر واحد عصفورين : اذ لجأت الى تعميم « الضريبة التصاعدية على الايراد الكلى » توفر عن طريقها المال المطلوب ، وتوزع التكاليف العامة عن طريق تصاعدها بما يراه الناس عدلا ، اذ تزيد نسبة الضريبة كلما ارتفعت شرائح الايراد ، وانها لتذهب فى بعض البلاد الى حد التسعين والخمسة والتسعين فى المئة

العناية بالتعليم

ثم اتجهت الانظار بعد ذلك أو مع ذلك الى التعلم ، وضرورة جعل وسائله فى متناول الفقراء والمحرومين والكادحين وكان التعليم « الاولى » وحده هو المفروض بالقانون وهو الذى يحصل بالمجان فى جميع انحاء البلاد المتقدمة ، فسايرتها سائر الامم فى سبيله ، وسابقتها تلك البلاد الاولى ، فوسعت دائرة الالزام الى التعليم الابتدائى ، ثم الى التعليم الثانوى ، وفتحت أبواب التعليم الجامعى ذاته بالمجان لاصحاب الكفايات . وحاولت سائر الدول ان تجرى هذا المجرى ، لو لم ينقصها المال المطلوب ، وانتهى العالم الى ان عمت فيه بالنسبة للتعلم نظرية « تكافؤ الفرص » ، وهى التى تمكن أبناء الناس وبناتهم من الافادة فيما تنظمه الدولة من وسائل التعلم ما دامت مواهبهم متقاربة من غير تمييز بين غنى وفقير عن طريق « النفقات »

وكل أولئك جهود فى سبيل تحقيق « العدالة الاجتماعية » بين أهل البلد الواحد . وهي جهود تبذلها السلطات العامة وتنفق عليها أموال الدولة العامة . على ان جهودا أخرى تبذلها جماعات وهيئات ويبذلها أفراد لتهيئة أسباب الهناءة الصحية ، وأسباب العلاج والرياضة والترفيه تكثر أو تقل فى البلاد بمقدار ما يبلغه الوعى « التضامنى » الاجتماعى فى كل من هذه البلاد . وان كان بلد واحد من بلاد العالم ـ وهو الاتحاد السوفيتى ـ قد حقق العدالة الاجتماعية عن طريق الدولة وحدها ، وهى هناك التى تشرف على كل شىء وتهيىء كل شىء وتنظم كل شىء ، وتسوى قدر الاستطاعة البشرية بين الناس ، اذ تأخذ من كل منهم قدر طاقته ولا تعطيه قدر حاجته كلها بل قدر عمله فقط

الحريات الأربع

وجاءت هذه الحرب العالمية الثانية ، وجاءت معها ويلات فاقت كل ما عرفه البشر قبلها من ويلات ، وقد عملت فيهم ـ أو فى بعضهم على الاقل ولكنه بعض كثير ـ سياط الاستعباد ومعاول الهدم الجسمانى والمعنوى ، وذاقوا مرارة الحرمان والذل ، فكان خليقا بمن كتب لهم الخلاص من هذه العوادى ان يفكروا فى أولئك الذين نزلت بهم تلك الكوارث وحلت تلك الضائقات . فقام الرئيس « روزفلت » يعلن فى الملأ حرياته الاربع التى يحارب هو وأمته وحلفاؤه من أجل تحقيقها لبنى الانسان كافة . وكانت هى حرية القول والرأى ، وحرية العبادة ، والتحرر من العوز والفقر ، والتحرر من الظلم والاستبداد

ثم كانت « هيئة الامم المتحدة » لتحل محل « عصبة الامم » ، وكان ميثاق هذه الامم المتحدة قد تقدمته « ديباجة » آلت فيها شعوب الامم المتحدة على انفسها فيما آلت « ان تؤكد من جديد ايمانها بالحقوق الاساسية للانسان ، وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية ، وان تدفع بالرقى الاجتماعى قدما ، وترفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح » . وخصص الفصل التاسع من الميثاق للتعاون الدولى الاقتصادى والاجتماعى ، فكانت المادة الاولى من هذا الفصل ، وهى المادة الخامسة والخمسون من الميثاق مقررة للمبادىء الاساسية التى يقوم عليها ذلك التعاون المنشود وقد جاء فيها :

أولا ـ تحقيق مستوى أعلى للمعيشة وتوفير اسباب الاستخدام المتصل لكل فرد والنهوض بعوامل التطور والتقدم الاقتصادى والاجتماعى

ثانيا ـ تيسير الحلول للمشاكل الدولية الاقتصادية والاجتماعية والصحية وما يتصل بها وتعزيز التعاون الدولى فى شؤون الثقافة والتعليم

ثالثا ـ ان ينتشر فى العالم احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلا

ولا شك عندى ان العالم فى تعطشه للتحرر والمساواة ، وفى كنف ما تمخض عنه التطورات السياسية والاجتماعية فى كثرة دوله وبلاده ، لن يكتفى بما يسجله ميثاق «الامم المتحدة» فى ديباجته ومواده من نصوص واحكام ، ولكنه سيتطلع مستزيدا كل يوم الى تحقيق هذه الاحكام وتنفيذ تلك النصوص ، غير مطمئن الى ما قد يبذل له من مجرد الوعود والتأكيدات . ومن أجل هذا فلن تقف « العدالة الاجتماعية » عند هذه الحدود التى رسمت لها فى هذه المرحلة الأخيرة من مراحل التطور التى مرت بها ، على مرأى منا وملمس منذ سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩٤٥ . وقد أخذ التعبير عن مستلزماتها ينتقل من الحقوق الى الحريات الى المبادىء وهى أعم وأشمل . وقد أخذت أنا بالذات فى سبيل الاعراب عن الاتجاه الذى ألمحه فى أفق التطورات الاجتماعية القريبة بتعبير « الحرمات »

الحرمات الثلاث

وقلت ان العدالة الاجتماعية ينبغى لتحقيقها تقرير ان للانسان فى عمومه حرمات ثلاثا: حرمة الحياة ، وحرمة المعرفة ، وحرمة العمل . ومعنى حرمة الحياة ان تضمن له وجودا كريما لا منذ ولادته فحسب ، ولا منذ تكونه جنينا فحسب ، ولا منذ زواج أبويه فحسب ، بل قبل هذا الزواج بالسهر على ان تتوافر فى الراغبين فيه قبل ان يعقد عليهما العقد ، شرائط الصحة الجسمانية والعقلية التى تنتج انتاجا بشريا سليما ، وان تتولاه بالعناية فى جميع مراحل تكوينه ، عن طريق مباشرة أو عن طريق والديه والبيئة التى تكتنفه ، توفيرا بالنسبة لوالدته للمواد التى تلزمها فى دور الحمل والوضع ، وبالنسبة له منذ الولادة وفى أدوار الرضاعة والحضانة ، وطوال حياته بعد ذلك طفلا وصبيا وشابا وكهلا وشيخا من ناحية الصحة الجسدية ، نظافة وغذاء وكساء ووقاية وعلاجا واستشفاء ونقاهة . ومعنى حرمة المعرفة ان تضمن له حدا أدنى من المعارف التى ترقى بها مداركه الى المستوى البشرى الكريم ، وقد أصبح هذا المستوى لا يقف الآن عند حد معرفة القراءة والكتابة والحساب ، بل تجاوزه الى مستوى آخر لا يقل عن نهاية التعليم الابتدائى بل التعليم الفنى الذى يتفرع بعده ، بل عن نهاية نوع من التعليم الشعبى العالى تهيأ له أسبابه فيما يسمونه « جامعات شعبية » يحضرها فى ساعات فراغه ، ويختار من بين المواد التى تدرس فيها ما يستذوقه هو وما يستميله ، وكل ذلك لمجرد تهذيب مداركه والارتقاء بمستوى معارفه حتى يصبح « بشرا » له كرامة البشر دون دخل فيما قد يفيد من هذه المعلومات فى عمله أو كسبه . وأما حرية العمل فمعناها ان تضمن لكل انسان عملا يتفق مع مواهبه ، ومعناها فى الوقت نفسه ان تفرض على كل انسان هذا العمل الذى يتفق مع مواهبه ، فيكون العمل أو تكون حرمته مقررة حق العمل وواجب العمل أيضا ، ولاتكون هنالك بطالة ولا يكون كسل ولا تكون حياة طفيلية على كواهل الكادحين من الغير

تلك عندى هى «الحرمات الثلاث» ، وهى فى نظرى آخر ما وصل اليه التطور الاجتماعى

فى هذه الايام لتحقيق العدالة الاجتماعية ، على ما يتصورها مدرك هذا العصر الذى نعيش فيه . وفى سرد هذا التطور على الوتيرة التى سلكنا ، اجابة عن السؤال الذى قدمنا به هذا المقال : « ما هى العدالة الاجتماعية ؟ »

أركان العدالة

ويأتى بعد هذه الاجابة ، أو بعد هذا التعريف ، وقبل ان نعالج طريقة تحقيق «العدالة الاجتماعية » عندنا ونحاول تحديد الوقت الذى نحسب هذا التحقيق واقعا فيه ، يأتى قبل هذا وبعد ذلك تساؤل عن مدى ما هو قائم « عندنا » من أركان تلك العدالة ، كى تتبين موقفنا من مراحل التطور التى مرت بها النظرية الاجتماعية ومدى ما ينبغى بذله من مجهود للوصول الى المرحلة الحالية المبنية عند غيرنا من البيئات . وانما أقصد بعندنا مصر وسائر بلاد العربية المتفاعلة معها تفاعل حكم « اسلامى » خلال قرون عديدة

الواقع ان شاغل العدالة الاجتماعية قد شغل بلادنا منذ نفذت اليها النظرية الاسلامية ، وأتت معها بركن « الزكاة » تفرضها على « القادرين » حقا معلوما فى أموالهم للفقراء والمساكين والسائلين والمحرومين وأبناء السبيل . لكن تنفيذ أحكام « الزكاة والصدقات » قد أخذ يضعف على توالى الايام ولم يبق فى بيئتنا لاغاثة الملهوف غير موارد الخيرات فى الاوقاف ، وصدقات المحسنين ، ومساعدات بعض الجمعيات الخيرية . ولم يدخل عندنا نظام التأمينات الاجتماعية ضمن التشريعات العمالية الا حديثا ، وهى تكاد تكون فى مستهل قيامها فى الكيان التشريعى وفى الكيان الاجتماعى أيضا ، بحيث أننا لم نبلغ فيه عند انتصاف القرن العشرين ، ما كان قائما بالفعل عند غيرنا فى أوائل هذا القرن ذاته . واذن فلا بد من تنمية الوسائل التى استندت اليها « العدالة الاجتماعية » فى تطوراتها التى ذكرنا عن طريق الاكثار من التشريعات الاجتماعية ، وعن طريق معاونة القادرين فى سبيل تنظيم الاحسان والخيرات . وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية قد اتجهت حينا الى اعادة ادخال نظام « الزكاة » ضمن حظيرة الضرائب ، فألفت لجنة استندت بحوثها الى « التمكن من تنفيذ ركن الزكاة بما يتفق والقوانين الوضعية الحديثة ، تمشية لنصوص الشريعة واحكامها مع النظم الاجتماعية والاقتصادية والمالية المعاصرة ، وأخذا من الشريعة بالاسهل الذى يوافق مقتضيات العصر ، والى تعميم تطبيق التشريع الخاص بالزكاة على المسلمين والذميين والاجانب فرضا على القادرين منهم جميعا وافادة للفقراء والمحرومين منهم جميعا كذلك ، ثم الى تسهيل التحصيل وتخفيف نفقات الجباية ، حتى لا يضيع على المستحقين فى سبيل الجباية شىء يكونون هم فى أشد الحاجة اليه » . وقد قطعت تلك اللجنة فى بحوثها شوطا بعيدا ، لكن لم يكتب لهذه البحوث ان تتوج بالتشريع الذى كان ينتظر استصداره ، سيرا فى سبيل تحقيق جانب من جوانب الايرادات اللازمة لقيام العدالة الاجتماعية فى مصر .

التشريعات الجديدة

على ان تشريعات عمالية واجتماعية قد صدرت أخيرا فى مصر وفى لبنان وسوريا تنظيما لعلاقات العمال وأرباب الاعمال ، واقامة لمبادىء التأمين الاجتماعى فى حالات المرض والبطالة والشيخوخة . واذا كان التعليم الالزامى مقررا فى مصر بمقتضى الدستور والقانون ، فان اتمام نشره لا يزال فى حاجة الى مجهود وكذلك الى المال بالنسبة لسوريا والعراق . والمجهود الصحى مهما بذل فى هذه البلاد كلها وفى لبنان أيضا ، فانه لا يزال بالنسبة للامة المتقدمة فى البداءة ، والعدالة الاجتماعية لا تزال تتطلب منه المزيد والمزيد

واذا كانت هذه هى الحالة فى بلادنا من ناحية الصحة والمعرفة ، فانها من ناحية الفقر والعوز أشد وأنكى . ومنذ عامين قامت فى مصر فجيعة «الملاريا» فى الصعيد وفى غير الصعيد ، فتكشفت لمناسبة الحملة التى قامت لمحاربتها أهوال الفقر والجوع المتفشية ، كما تكشفت أنواع الامراض التى تفتك بالفلاحين وتضعف من قدرتهم على الانتاج ، بعد ان كانت الامثال تضرب بمثابرتهم واحتمالهم . وما يقال عن صعيد مصر فى هذا الصدد يقال مثله وأكثر منه عن مناطق « الاهواز » فى العراق حيث تفتك الامراض وينتاب الجوع ولا يزال يقوم نظام « الاقطاع » الشديد

كيف تحقق العدالة؟

واذن فلا بد من حملة منظمة يقوم بها المفكرون والكتاب ، ويؤيدهم فيها بنشاطهم الطلبة والشبان ، يحثون فيها القادرين واصحاب الاعمال والحكومة ، على البذل بالمال والتنظيم والتشريع لانشاء المؤسسات التى توفر الهناءة للمرضى والمحتاجين ، والاستقرار لعلاقات العاملين والمدارس والملاهى للصغار المقبلين

وحبذا لو عادت الحكومة فى مصر الى الاخذ باسباب بعث « ركن الزكاة » وادخاله فى نطاق التشريع الضرائبى المصرى كما كانت النية متجهة اليه منذ سنتين ، وان كانت قد اتجهت على نحو ما جاء فى خطاب العرش الذى ألقى فى الثانى عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٤٥ الى تقرير الضريبة المتصاعدة على الايراد الكلى ، وتخصيص حصيلتها لرفع مستوى العمال والفلاحين . وهى بهذا انما تسير على هدى تلك الدول المتحضرة ، التى سبقتها فى ميدان التوفيق بين واجبات الثرى وحقوق الفقير ، وفى ميدان توزيع الاعباء والتكاليف العامة بالقسطاس بين القادرين من ناحية ، وتوفير المال اللازم لهناءة المحتاجين من ناحية ثانية . وكذلك جاء فى خطاب العرش بيان للتشريعات الاجتماعية التى ستتقدم بها الحكومة للبرلمان فى دورته الحالية وهى كلها مولية بوجهها شطر التضامن الاجتماعى والعدالة الاجتماعية

ولا ريب أن فى تحقيق تلك الاصلاحات ، وفى المثابرة على تلك الجهود الجبارة التى

تبذلها الحكومات المتعاقبة فى سبيل مجانية التعليم ، وتوفير الاماكن العديدة التى تقابل اقبال الاهلين على تعليم أولادهم وبناتهم ، والدفع بهم الى أعلى مدارج المراحل التعليمية حتى الجامعية منها ، ما يساعد على تمكين الاتجاه الاجتماعى المنشود . لكن هذه الجهود الحكومية كلها فى حاجة شديدة الى التدعيم ، بما يبذله الافراد وما تبذله الهيئات من المعاونات الفعالة، فى سبيل الخير للطبقات الفقيرة فى جميع الانحاء والاطراف ، وفى جميع الميادين التى تعمل فيها الحكومة أو لا تعمل

وقد شاهدنا خلال السنوات الاخيرة اجابات للنداءات الموجهة قصد اقامة منشئات المياه الصالحة للشرب ، وردم المستنقعات ، وانشاء المراكز الاجتماعية فى القرى والكفور . على ان الحال تستدعى الاكثار من النداءات والاكثار من الاجابات ، والاكثار من مواضع الاصلاح والانشاء ، الى جانب ما يرجى المضى فيه من تحقيق المشروعات الحكومية البحتة للقضاء بخاصة على الفاقة والعوز ، وهما أصل كل بلاء ، عن طريق رفع الاجور للعمال والفلاحين رفعا يصل بمستوى معيشتهم الى مستوى « الانسان » ، وهم الآن انما لا يرقون الا قليلا عن مراتب الحيوان ، بل ان اكثر الحيوان يرفل بنعيم لا يعرفون هم شكله ولا لونه

بهذا التكاتف بين الحكومة والهيئات والجماعات ، والقادرين من الافراد ، ومحبى الخير من الناس والشباب والطلبة والكتاب والصحفيين ، نستطيع ان نقطع شوطا مقدورا فى طريق « العدالة الاجتماعية » عندنا ، ونستطيع بخاصة ان نقصى عن جماعتنا شبح القلق ، وما يستتبعه القلق الاجتماعى من هزات وانقلابات

متى تتحقق ؟

اما متى تتحقق « العدالة الاجتماعية » ، أو متى يتم تحققها عندنا ، فأمره موكول الى الهمة التى تبذل من جانب كل من ذكرنا . وانى وان كنت غير سخى الثقة بهذه الهمة ، فانى أحسب الظروف المحلية والعالمية كفيلة بالحث على البذل ، حتى يتم التحقق فى أقصر وقت مستطاع . واذ كانت اعتبارات « العدالة الاجتماعية » فى تطور مستمر فان تمام تحققها لن يكون فى أى بلد من البلاد فى أى يوم من الايام . وكل الذى يصح أن نطمع فيه هو الا يكون المدى الذى يفصلنا فى مضمارها عن سائر الامم واسعا ، وان يطرد ضيقه على مر الايام

محمود عزمى



« لا تسلك يا صاحبي مسلك الطفل « المدلل » الذي يريد الحياة سهلة هينة، ولا تلق اللائمة في محاولتك وفشلك على الناس أو الظروف، بل تعلم كيف تستقبل المصاعب كل يوم ، أو حين تعرض لك ، مطمئنا باسما هادئا ، لتعرف في سكون وحكمة كيف تتخطاها الى النجاح »



بقلم الأستاذ عباس حافظ

لا تخلو حياة الانسان من زوابع تهب أحيانا عليه ، واعاصير قد تصطلح على زورقه الصغير ، وتهاجمه بتياراتها الجارفة من كل مكان

وكثيرا ما يخاف المرء منا حين تهب الزوبعة ، فيحذر ، ويتقى ، ويحتاط ، لان الخوف الهادىء ينفع ولا يضير ، والخشية الساكنة لا تفقد صاحبها التفكير ، ولا تمنعه من التعقل ، ولا تجرده من الاتزان

وكم فى هذه الدنيا من أناس عرفوا كيف يحتقرون الخوف ، فغالبوا المكاره ، ونازلوا الشدائد ، وصرعوا الخطوب والاهوال ، وعادوا من النضال منتصرين

ولكن كثيرا ما رأينا أناسا يفزعون اذا ما جاش فى نفوسهم اعصار ، أو هبت على عاطفتهم زوبعة ، ويعصمهم الهلع من فرط الوسواس ، فتترنح عقولهم ، وتضطرب حواسهم ، وتتزلزل أقدامهم ، فيستسلمون وينزوون واجفين

واذا دخل الهلع من الباب ، وثب العقل من النافذة !

خذ مثلا قصة شاب ، اشتغل بعمل يبشر بمستقبل ، ويعد بخير على الايام ، ففكر فى تنمية كفاءته ، بدراسة ليلية ، فى بعض المعاهد ، واقبل على الدرس ، وأكب على البحث والاستذكار ، وكاد يبلغ منتصف الطريق ، واذا به فى ذات ليلة ، يشعر باضطراب معوى، لم يعرف له سببا ، فتولاه الهلع ، واثار الهلع فى نفسه الاعتقاد بانه « مريض » وان حالته خطرة ، فلم يعد يطيق الجلوس وحده فى الحجرة ، أو تناول كتاب ، أو الاخلاد الى النوم ، وأصبح كما وصف حالته « خائفا من نفسه » ، رهن فزع مقيم

وهكذا تبدد الأمل الذى كان يداعبه ، واستسلم لاعصار طارىء ، ففشل فى الحياة

وروى عن العلامة « توماس هكسلى » Thomas Huxley انه كان ذاهبا فى ذات يوم الى محاضرة سيلقيها فى بعض المدائن فتأخر القطار فى الطريق عن الموعد المحدود لوصوله اليها ، فلم يكد يخرج من المحطة حتى قفز الى أول مركبة لقيها فى وجهه وقال فى عجلة

للحوذى : « اسرع بنا فى مثل سرعة الشيطان » . وانزوى فى المركبة ينتظر بين لحظة وأخرى ان تقف بالباب

ولكن مضى نصف ساعة ، ولا تزال المركبة تعدو به ، فأهاب بالسائق يسأله هل يعرف الى أين هو ذاهب ؟ فكان جواب الرجل . كلا . يا سيدى . ولكنى مسرع كالشيطان !

هذا هو بالذات ما يفعله الهلع حين يستبد بالانسان . . فهو يدفعه الى عمل لا عقل فيه ، واتيان فعل بلا أدنى تفكير ، وكثيرا ما يذهب به الى غير غايته ، ويورده شر مورد

* * *

وحدث يوما ان فقد أحد الناس توازنه ، فسقط على الارض ، وشعر بألم شديد ، ولما تحامل ، وحاول ان يعاود ما كان فيه من عمل ، أحس وجعا يحز فى ظهره ، فذهب الى الطبيب ، ولكن الوصفة التى وصفها لم تذهب بألمه . فخطر له أن يلجأ الى عدة اطباء فى جلسة « المشورة » ـ كونصولتو ـ وفيما كان الاطباء مكبين على فحصه ، سمعهم يتحدثون عن احتمال وجود كسر فى « الفقار العظمى » ، وتحقق ذلك لديه حين أشاروا عليه بان يظل ملازما الرقاد على ظهره عدة اسابيع ، فتولاه الهلع ، وذهبت نفسه شعاعا ، وجعل يتساءل من لاهله يجرى على رزقهم ، اذا قعد المرض به عن العمل ، وكيف يطيق العيش على الدهر مريضا لا يقيم صلبه ، أيدب على عصوين ، ويقطع الايام منغصا رهين أوجاع ؟

وعلى هذه الصورة اضطرب تفكيره ، وتناهى عذابه النفسى ، وتحطمت قواه تحت وطأة هذا الاعصار الشديد

* * *

وكثيرا ما يستفحل الاضطراب النفسى أمام زوابع الحياة فيبلغ مبلغ التشنج ، والهستيرياء والهاجس الملح الذى لا انقطاع له ، فقد اصطلحت على احدى النساء مشكلة اجهدت تفكيرها ، واقلقت بالها ، حتى أصيبت بقرحة فى المعدة ، فمنعت من تناول الاطعمة الصلبة، واكرهت على الاكتفاء بغذاء لا يتعدى القشدة واللبن ، فظلت مقتصرة فترة من الوقت عليه ، حتى أبلت ، وعاودت الطعام صلبا ولينا على سواء

ولكنها ما لبثت ان واجهت مشكلة اشد تعقدا ، ورأت نفسها العاجزة عن حلها ، فتجدد الاجهاد ، وعاودتها العلة ، ولكن مع مضاعفات ، واضطرب جهازها العصبى ، وانتقل اضطرابه الى الامعاء ، فطال المرض ، واستفحل الداء . .

ونقيض ذلك ما كان من فتاة مرضت وهى غريبة فى بلد لا اهل لها فيه ولا معارف ، فذهبت الى المستشفى ، واقبل طبيبان عليها يفحصانها لتشخيص علتها ، وتبين لهما بعد فحص أعضائها ان قلبها سريع الضربات ، وسمعت احدهما يهمس لصاحبه « حالة تضخم فى الغدة الدرقية » ، فلم تكد تسمع هذه الكلمة « المخيفة » حتى استجمعت خاطرها المشرد ونبهت عقلها المستطير ، والتفتت اليهما تقول « اتركانى بضع دقائق ثم عودا لفحصى » ،

فعملا ، وفى هذه الفترة التى احتجبا فيها عنها أقبلت تتحدث الى قلبها كأنما تخاطب فرسا راعجة ، وهى تقول له « لا تسرع هكذا ولا ترمح ، وسر الهوينا فى سكون ! »

وما كان أشد دهشة الطبيبين حين عادا اليها ، فوجدا قلبها منتظما ، فقد عدا الامر « معجزة » ! ولكنها لم تكن سوى معجزة النفس التى أبت الاستسلام للهلع وأرادت السيطرة على اداتها ، وهى « البدن »

***

فلا تحسب نفسك « جبانا » حين تبدو خائفا ، اذا كان خوفك فى موضعه ، ولكن الجبان حقا هو الذى يدع الخوف يتفاقم فيطغى على تفكيره ، ويستبد بارادته

ومن شاء أن يواجه أعاصير الحياة ، فليعرف كيف يتخير بين انفعالاته ، وليرض نفسه على التمييز بين الانفعالات التى لا بأس عليه من الاستسلام اليها ، وبين الاخرى التى ينبغى ان يتمرد عليها ، ويحشد تفكيره وارادته فى ضبطها وكبح جماحها

لقد كثر عدد الذين يشكون من « الاعصاب » ، وأمسينا نسمع الناس يتململون ، قائلين انهم أصبحوا « حطاما » من الاعصاب المهدمة ، ونراهم مقبلين على تناول العقاقير والحبوب والبرشام ، كوسائل لتهدئة اعصابهم ، ولكنها مسكنات وقتية لا تجدى نفعا ، فان العلاج الوحيد هو الرجوع الى طريقة التفكير ، ونوع النظرة الى الحياة ، وجملة الانفعالات التى نستسلم لسلطانها ، والاساليب التى نواجه بها تحدى الحياة لنا ، ومهاب أعاصيرها من حولنا ، لنغير الطريقة ، ونبدل الاسلوب ، ونعالج الاتجاه

وقلما تجد رجلا راضيا عن عمله ، مغتبطا بصناعته ، غير ساخط على مهنته ، ولكن النوع النادر من الناس ، هو فى الجملة المسيطر على أعصابه ، الرقيب على تيارات نفسه وانفعالاته ، فقد عرفت يوما « صراف تذاكر » فى شباك احدى المحطات ، يتحدث عن عمله ، بقوله انني أحب هذه « الشغلة » وآنس اليها ، لانها تدلنى الى الصلة بالناس ، فقد ظفرت منها بمعرفة اشخاص ظلوا أصدقاء لى وصحابا عدة سنين ، وأرى فيها وجوها مختلفة ، واخلاقا متباينة ، وقد انقضت على فيها أعوام طوال وأنا راض بها ، لاننى أحب الناس ولا اتبرم بمعرفتهم

هذا رجل بسيط ، ولكنه عرف كيف يتخير انفعالاته ، وان كان عمله رتيبا ، وحياته أدعى الى الملالة ، لانها تجرى على وتيرة واحدة

***

ولعل علة ذلك كله ان اكثر الناس بحاجة الى شىء من « الخيال » يمزجون به حياتهم ، حتى يروضوا عقولهم على السكينة ، ونفوسهم على الهدوء والطمأنينة ، وآمالهم ورغائبهم على احتمال الصدمات العارضة ، والاخفاق العابر

وهم بحاجة الى الرقابة على تصوراتهم وخواطرهم وأفكارهم ونزوات عاطفتهم ، حتى

يعرفوا أنفسهم اكثر مما عرفوها ، ويعاملوها بأرقى مما عاملوها

وأولى بهم ان يسائلوا انفسهم ما سر هذا الهلع الذى ينتابهم أحيانا ويستبد بهم ، هل تراه يملأ نفوسهم كلما حاق بهم خطر ، أو توهموا شيئا منه ، أم لا يستولى عليهم عادة الا اذا كانوا منهوكى النفوس مجهدى الابدان ، وليعودوا الى أيام طفولتهم ، ليبحثوا هل يرجع نزوعهم نحو الخوف ، والقلق ، والهلع ، الى ذلك العهد الساذج البعيد ، وهل عن وراثة أصابوه ، أم من نوع التربية المنزلية الاولى جاءهم ، أم من حادث مروع وقع لهم فان عدة نزعات من هذا القبيل كثيرا ما يعود منبتها فى النفوس الى تلك الايام

وليذكروا انهم ليسوا الآن اطفالا ، ولكنهم رجال ، وانهم اليوم أقدر على ضبط مشاعرهم ، وأوسع حيلة وذكاء ، فى السيطرة على ما يواجههم من المتاعب ، ويهب عليهم من الرياح والاعاصير

وليأخذوا فى ترميم نفوسهم ، واصلاح عاداتهم فى التفكير ، وطرائقهم فى الاحساس ، حتى يألفوا كلما عرضت لهم مشكلة ان يسألوا انفسهم ما هى وقائعها ومراميها ومختلف نواحيها ، وكيف يتسنى تدبير حل لها فى حكمة واتزان

فاذا رسموا الخطة ، ووضعوا التصميم ، فلا يتوانوا فى التنفيذ ، ولا يتهيبوا الاجراء ، وليقولوا لانفسهم اذا لم نفلح فى حلها كما نريد ، فلترد ما يكون ، لانه من الخير لهم اذا أرادوا التغلب على نزعات الخوف والارتباك والهلع ان لا يدعوا أنفسهم تنساق مع الغريزة العمياء ، وان لا يقدموا على عمل حتى يتبينوا انه متفق مع تفكيرهم ، مطابق لاحكامهم ، ففى هذا الاتجاه بناء لشخصيتهم ، واصلاح للاسلوب الذى جرت عليه حياتهم فى العهود الماضية

وليعلموا أنفسهم الايمان بثلاث :

العادات تكون وتشكل ، ولا تأتى هبة أو عطاء

الطبيعة البشرية قابلة للتغير

الانسان فى وسعه ان يألف كل شيء جديد عليه اذا أراد

فلا تسلك يا صاحبى مسلك الطفل « المدلل » الذى يريد الحياة سهلة هينة ، ولا تلق اللائمة فى مخاوفك وفشلك على الناس أو الظروف ، بل تعلم كيف تستقبل المصاعب فى كل يوم ، أو حين تعرض لك ، مطمئنا باسما هادئا ، لتعرف فى سكون وحكمة وتفكير كيف تتخطاها الى النجاح ..

عباس حافظ

مهداة الى حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء

يا فرعون .. إيش فرعنك؟

بقلم الأستاذ عباس علام

— ١ —

لا أثر للخيال فى قصتى هذه . فكل الذى أرويه ، حدث ووقع كما أرويه

وان قلت لكم ان حوادثها بدأت منذ عشرة آلاف عام ، فأخشى أن يقوم فى وجهى أحد الراسخين فى العلم ـ علم الجيولوجيا ، أو البيولوجيا ، أو الانثروبولوجيا ـ فيكذبنى ويقول ان الذى أرويه حدث منذ عشرين ألف عام . ولو أردت أن أجاريه لاتقى لسانه، وقلت منذ عشرين ألف عام ، فربما هب عالم آخر وقال : بل منذ ثلاثين ألف عام

فلذلك ، ولكى أكون « واقعيا » فيما أروى ، آخذها من قصيرها وأقول ، ان قصتى بدأت منذ « عشرات » الالوف من الاعوام

وكانت الدنيا للحيوان وحده . وكان الحيوان على غير ما نألف فى هذه الايام . حقيقة كان فيه ـ كما هو الآن ـ ما تستطيع أن تضع الالوف منه فى كفك ، كما كان فيه ما لا يرى الا بالميكروسكوب . ولكن كان منه أيضا ما لو وجد فى عصرنا هذا ودخل مدينة القاهرة وراق له أن يقلد شباب اليوم فيقف فى العتبة الخضراء قاصدا أن « يبصبص » أو يصطاد .. للزمه أن يمتد بطوله فى شارع محمد على ـ بعد أن يهدموا له البيوت الواقعة على جانبى الشارع ، كى يتسع لجسمه « الاسبور » المهفهف ـ وبذلك تكون رأسه فى العتبة الخضراء ، ويكون ذيله فى جبل الجيوشى !.. ولكى لا يظن القارىء انى خرجت عن « الواقعية » ودخلت فى « المعر » القصصى ، استشهد بالراسخين فى العلم وبما كشفوا من أحافير

— ٢ —

دعا ملك الحيوان ـ سيد الدنيا وقتئذ ـ الى اجتماع عـام ، فاحتشدت الحيوانات على اختلاف أنواعها واشكالها . وطرح الملك عليهم أمر مخلوق غريب الشكل والصنع ، رآه بعضهم لاول مرة وأخبر عنه فظنوا المخبر مخرفا ، ثم تواترت الاخبار واقتصوا أثره فثبت لهم وجوده . هو من ذوات الاربع ، ولكنه يمشى على اثنتين فقط ، وله تصرفات عجيبة وشاذة حارت عقولهم فى فهمها

وتكلم الملك . فشكا من أن حيوانات من رعايا مملكته تغافله وتخرج أنواعا أخرى ، مشتقة منها ولكنها مستقلة عنها ، كما فعلت فصيلة من الزحافات اذ أخرجت الطير على غفلة منه ومن أفراد المملكة جميعا

وكادوا يجمعون على أن هذا المخلوق الجديد انما هو « مقلب » من مقالب القرد وانه اشتق منه . لولا ان وقف القرد منفعلا ساخطا متبرئا من أن ينسب اليه هذا المخلوق . وأقسم ان لاصلة له به ولا نسب، ولا هو كان يعلم عنه شيئا قبل ظهوره على وجه الارض. وان كل ما بينهما من شبه هو : المشى على اثنتين من الاربع ، وانه يلجأ مثله الى الاشجار فيتخذ من أعاليها مأوى له ، وانه واسع الدهاء ، وانه حيوان اجتماعى يعنى بزوجه وأولاده فلا يفترق عنهم

قال القرد : على أن هذه الصفات لم أنفرد بها وحدى حتى تحكموا بأنه ورثها عنى . فالدهاء هو من شيمتنا جميعا. والاسد يؤلف عائلة. وسكنى الاشجار تشاركنى فيها الطيور، لا هذا المخلوق وحده ــ زد على ذلك انه جعل يستبدل الاشجار بالجحور والكهوف ، بل و « يصنع » مخابىء يأوى اليها ، ولو كنت منه أو كان منى واستطعت ما استطاعه لفعلت كما يفعل . ثم انه يأكل اللحم كما يأكل النبات ، ولو كان منى أو كنت منه لاكلت اللحم كما يأكل وما اقتصرت فى غذائى على النبات وحده . . لم يبق بينى وبينه من أوجه الشبه التى انفردت وانفرد بها غير انتصاب القامة والمشى على اثنتين . وهذا وحده ليس دليلا على اشتقاقه منى ، والا فأى شبه بين الطير والثعبان مثلا ــ وكلنا قد شهدنا بعيوننا أول زحافة اشتق منها الطير فطارت ؟! . . ان الاشتقاق تكون أعراضه فى التركيب الداخلى فان شئتم أن تنسبوا هذا المخلوق الجديد الى نوع من الحيوان ، فانسبوه الى الارنب ، أو الفأر، أو الخنزير . . لان الامراض التى تصيبه هى ذات الامراض التى تصيبها ! . .

وصدر الحكم بالاجماع على براءة القرد من هذا المخلوق ، وان لا صلة بين الاثنين ولا نسب ، وانه نوع مستقل بذاته لم يشتق من نوع آخر

قال الملك : انه الآن فى أول نشأته . فاذا رأيتم انه يخشى منه على مملكتنا أو سيادتنا على الدنيا ، ففى الوسع أن نحصره فى مواطنه ونضيق عليه الخناق ونفترسه أفرادا وجماعات ونستريح منه الى الابد

وانعقد الاجماع على أن الارض واسعة الفضاء فهى تسع هذا المخلوق وتسعهم ، لا سيما وان من طبعه التنقل وعدم الاستقرار فى مكان واحد وانه ضعيف فى حد ذاته ، ولعل الخالق لم يخلقه على هذا التركيب وبهذه الطباع الا ليكثر الصيد ويكون منه رزق جيد لسائر الحيوان

ــ ٣ ــ

وظل هذا المخلوق الجديد ــ الذى سمى نفسه « الانسان » والذى عرف كل شىء باسمه ــ ظل يتناسل ويتكاثر وتظهر الفروق التى تفصل فصلا تاما بينه وبين أنواع الحيوان .

فالعائلة الواحدة تنضم الى أخرى وأخرى الى أن تكون قبيلة . وجعل يتفاهم مع بعضه البعض : بالاشارة أولا ، ثم بالتمتمة ، ثم بالكلام . واصطنع لنفسه أثوابا من ورق الشجر ومن جلد الحيوان . وصنع بعض الاسلحة الحجرية يدافع بها عن نفسه ، ويحارب بعضه البعض ـ ومنها تقدم الى الاسلحة البرونزية . ثم اكتشف النار وأدرك لها من الفوائد ما لم يدركه غيره ، فاتخذها دفئا فى بادىء الامر ، ثم نورا عند ما يدلهم الظلام ، وأخيرا جعل ينضج عليها طعامه بعد أن كان يتناوله نيئا . وهو فى هذا كله لا يستقر فى مكان واحد الا ريثما يستنفد ما فيه من نبت بري ويصطاد ما وسعه الصيد من الحيوان الذى يستسيغ لحمه، أو ينفعه جلده ، أو يلزمه دهنه أو عظمه أو ريشه . ثم يهجر المكان الى غيره جريا وراء الرزق ـ فهو دائم النزوح والسعي فى مناكب الارض يطلب صيد البر والبحر ويبتغى ما تنبت الارض ، وهو فى هذا دائم التعرض الى غزوات من يصادفه فى طريقه من جنسه ومن الحيوان المفترس ، دائم التعرض الى تقلبات الجو والامراض التى تفتك به من جراء هذه التقلبات . وكثيرا ما هام على وجهه من مكان فرغ ما فيه من زرع وضرع فلم يكد يصل الى المكان الصالح الا وقد هلك جل أفراده؟

— ٤ —

وتصادف أن مر قبيل منه بوادى النيل فأدهشه ان هذا النهر المبارك دائم الجري من منبعه الى مصبه ، وكان من يقيم فى بطن الوادي يستطيع ان يتغذى مما ينبت فيه طوال العام ـ وقل طوال العمر ـ فلا حاجة به أن يضرب فى الارض طولا وعرضا ، يطلب التافه من الصيد والنزر من نبات الارض ، ويتعرض أثناء ذلك الى الهلاك

وهدته التجارب الى أن خير ما فى وادى النيل هو الجزء من شمالى اسوان الى حافة البحر الابيض المتوسط ، فاستقر فى هذا المكان الخصيب ودعاه « مصر »

ولم تبق به حاجة الى حياة الوبر فعاد الى الكهوف . ثم جعل يرتقى فاصطنع البيوت

وكان أول انسان تحضر وأنشأ المدائن على وجه الارض وعمرها

وأخذ يعالج النبات البرى فدجن ، من ضمن ما دجن ، القمح . فكان هو أول من جعل من القمح غذاء وصنع منه الرغيف

وبدلا من ان يخرج لصيد الحيوان كى يتخذ منه طعاما شهيا ، جعل يستأنسه ويرعاه ويستولده ليتغذى منه بما شاء عند ما يشاء

ووجد فى فصائل من الحيوان صفات وخائل تفيده بحياتها خيرا مما تفيده طعاما . منها العجل وأنثاه ينتفع بهما فى الرى والزرع واللبن والدهن . ومنها القط يحارب به الفيران التى تسطو قطعانا على زراعته وعلى بيوته . ومنها الحصان والحمار يمتطيهما ويستعملهما فى النقل . ومنها الكلب يحرسه ويحرس بيته وزراعته وأغنامه .. الى آخر ما هنالك من حيوانات تعودنا ان نراها داجنة أنيسة ، وكانت من قبل وحوشا كاسرة . أما ما عدا ذلك

من الحيوان الذى لا نفع منه حيا أو ميتا ، فقد حاربه وطارده حتى أقصاه عن واديه الى الجبال والغابات

وأخذ انسان مصر يرتقى فى المراتب الاجتماعية فاختار من بين أفراده ملكا وحكومة

ثم رأى ان الملك والحكومة لا يستقيم عملهما الا بوجود ممثلين للشعب الى جانبهما ، فضم اليهما « برلمانا » كان يعقد اجتماعاته فى « لابيرانت » بالفيوم

وارتقى فى التفكير وجعل يتفلسف الى ان اتخذ له دينا ، له طقوسه وصلواته وصيامه وحجه . وقرر وحدانية الخالق وانه موجود فى كل مكان وزمان ، يرى ولا يرى ، يسمع ولا يسمع . وان الحياة فى الدنيا لا تنعدم بالموت ، بل يعقبها بعث ومعاد وحساب وجنة ونار — ما احتاج فى هذا كله الى نبى ولا كتاب ينزل عليه من السماء ، وانما اهتدى اليه من نفسه . بل وأخرج من احدى مدارس الحكمة التى أنشأها فى عين شمس ، نبى اسرائيل موسى الكليم الذى تربى فى أحضانه ونشأ نشأته ، فاختاره الله ليخاطب اسرائيل قومه ويهديهم — فعصوا ولم يهتدوا

وعرف هذا الانسان العجيب — انسان مصر — الكتابة والقراءة ، وأنشأ علوم الادب ، والزراعة ، والرى ، والحساب ، والهندسة ، والفلك ، والطب ، على مثل ما نعرف فى أيامنا هذه — ولعله كان يعرف من أسرار العلوم والطبيعيات ما لم يصل اليه أهل هذا العصر ، عصر القنبلة الذرية ! . وبرع فى فنون العمارة والرسم والتصوير والتلوين والموسيقى والشعر والقصة ، ما ظلت شواهده قائمة فى الاهرام وفى وادى الملوك وفيما يكشف عنه الحفر والتنقيب ، وما ظل سر الكثير منه مستغلقا علينا حتى اليوم

عرف ذلك كله — كما سبق ان عرف الدين والخالق — عن طريق العقل والفلسفة دون أن يعلمه أحد

ومن ذا الذى كان يعلمه وقتئذ ، وكل انسان غيره كان قبائل تعيش فى ظلام الجهل ، وكانوا أقرب الى الحيوان منهم الى الانسان . . انسان مصر !

وأحكم هذا الانسان فنون الحرب ومعداتها ففتح دنيا ذلك الوقت ، وكون منها امبراطورية ضخمة مترامية الاطراف نشر فيها « انسانيته » ، وعلومه وحضارته

وأنشأ السفن : أجراها فى النيل أولا ثم تجرأ فخرج بها أساطيل الى البحار الكبيرة — حتى لقد طاف حول سواحل أفريقيا كلها ، ودون مشاهداته وملاحظاته عليها

وفتح معاهد التعليم العليا فى وجوه الغرباء ، فاغترف اليونان من مناهله وتتلمذوا له وتعلموا على يديه الحكمة والعلم والطب — ونبغ منهم من نعرف ومن لا نعرف

وأوصل حضارته حتى ربوع أمريكا ، وترك شاهدا على وصوله اليها هذه الاهرامات التى تراها هناك الآن

وبلغت مصر من العز والسؤدد ان اشتقوا من اسم « فرعون » ملكها ، فعلا يدل على العظمة والتبوء والسيادة والجبروت

فقالوا على كل من تعاظم وطغى ، انه « تفرعن » !..
وجرى المثل السائر : « يا فرعون .. ايش فرعنك » ؟!..
والجواب فى المثل : « لم أجد أحدا يصدنى » !..

— ٥ —

ودعا ملك الحيوان الى اجتماع عام

واذا كنت — عن الاجتماع الاول — لم أستطع ان أعين المكان والزمان ، وذلك لاختلاف علماء عصرنا فى تاريخ بدء حياة الانسان . فانى — عن هذا الاجتماع الثانى — أستطيع أن أقرر ، متثبتا مما أقرر ، ان مكانه كان فى غابة ببلاد الاحباش ، وان زمانه كان حوالى عام ٧٠٠ قبل الميلاد

فلما تكامل الجمع ذكرهم الملك بالاجتماع السابق الذى دعاهم اليه أحد أسلافه ، وكيف ان سلفه أبدى يومئذ خشيته من هذا المخلوق الذى يدب على قدمين ، وكيف أجابوه بأن الارض واسعة الفضاء فهى تسعه وتسعهم ، وانه يصلح ان يكون لهم صيدا

ثم قال الملك : ونحن الذين كانت لنا الارض بما تحوى ، نسرح فيها ونمرح ، ها قد رأيتم هذا المخلوق — منذ استقر فى مصر ، وانتشر منها الى الاراضى الاخرى ، ونشر فيها معارفه وحضارته — حاربنا ، وطاردنا ، وأذلنا فاتخذ منا خدما له وعبيدا

قال أحد الموجودين : الواقع يا مولاى الملك ان هذا المخلوق لم يقهرنا . بل على العكس ، فهو « يعبد » البعض منا !.. ولو أنه كان يعبد جلالتكم ، أو يعبد الفيل أو حتى « السيد قشطه » مثلا .. لقلنا انه يعبد القوة أو البدانة وخشينا بأسه لحسن تفكيره . ولكنه اختار أذلنا وأحقرنا . اختار « العجل » الخوار ، و « القط » النونو . فعبد كلا منهما وقدم له القرابين وأحاطه بسياج من التقديس .. أمثل هذا السخيف ، نخشى جانبه ونخاف منه على مملكتنا ؟!

خار العجل وقهقه ، ونونو القط وضحك . وقال أحدهما للمتكلم : ان ما جاء على لسان صاحب الجلالة هو الصدق والحق . فهذا الذى لا تعرفون له اسما ، مع طول ما عاشركم وكثرة ما شن عليكم وشننتم عليه من الحروب ، انما اسمه « الانسان » . وهذا الانسان الذى استوطن مصر قد تحكم فى الحيوان ، وطارد ما لا يلزمه منه فنفاه فى الجبال والغابات وجعل يقتله كلما صادفه ، واستبقى ما يلزمه من خيل وماشية وطيور وكلاب وقطط .. الى غير ذلك . ولو أنكم رأيتم من عنايته بنا ما نرى لما سميتمونا خدما له وعبيدا .
وهو لا « يعبد » العجل والقط كما يقول عليه جيرانه جهلا وظلما وحسدا . انما هو يحافظ عليهما ويشدد فى المحافظة الى حد التقديس ، لان العجل هو قوام الزراعة لديه ، ولان القط يمنع آفة الفيران عن أرضه وبيته . ثم هو لا يستعبد ما لديه من حيوانات أخرى ، وانما يتعاون معها بعد ان استأنسها ودجنها — فاستفاد هو معونتها واستفادت هى انه أمنها على حياتها منكم معشر الوحوش المفترسة ، واعتنى بها وبنسلها وقدم لها من الطعام فوق كفايتها

زأر الملك وصرخ : الويل لنا منه اذن !

وانبعث صوت ينادي : لو اذن لى صاحب الجلالة بكلمة ؟..

تساءل الملك : من ذا الذى يتكلم ؟.. أفسحوا له طريقا كى يأتى عندى وأراه

وانبعث الصوت مرة أخرى : ها أنا ذا واقف بين يدى صاحب الجلالة ولعلكم لا تبصروننى نظرا لضآلة جسمى وتناهيه فى الصغر ، والا فأنا واحد منكم . هل أتاكم خبر « النمروذ » وكيف بغى وطغى وتكبر وتجبر وأذل قومه واستعبد جيرانه وظن انه قادر على كل شيء ، فقال : « أنا ربكم الاعلى » ؟!.. يقولون ان الله ساق عليه ذبابة صغيرة حقيرة تسللت الى أذنه واستقرت حيث جعلت تدور فى رأسه وتطن وتزن ، الى أن بلغ الحال بمن كان يقول « أنا ربكم الاعلى » أن تصاغر فكانت أحسن تحية وأمجد احترام يقدمهما اليه رعاياه وعبيده ، أن يخلع الواحد منهم حذاءه ويهوى به على أم ناصيته لعل الذبابة تسكن ولو قليلا عن اللف فى رأسه والدوران !..

وأنتم معشر الكواسر قد عجزتم عن انسان مصر ، فلو تركت عليه .. لجعلت منه « نمروذا » آخر وصيرته مثلا للناس !

— ٦ —

ويتحدث التاريخ فيقول انه وقعت فى ذلك الوقت هزة أرضية أحدثت تعديلا يسيرا فى مجرى النيل

وتسنى للحيوان الصغير أن ينفذ فى المجرى فيستوطن أرض مصر ، هو وحيوان آخر أصغر منه وأحقر

وهذان الحيوانان هما دويبتان ، اصطلحنا أن ندعو احداهما « الانكلستوما » ونسمى الاخرى « البلهارسيا »

وأخذت كل منهما تتغلغل وتسكن فى أجسام المصريين عن طريق الماء الذى يشربونه ويغتسلون منه ويروون به الارض

وما مضت بضع عشرات من الاعوام حتى جاء ذلك العام الانكد — عام ٥٢٥ قبل الميلاد — فكان حدا فاصلا بين مصر فى ماضيها الازهر ، ومصر فى حاضرها الاغبر ، وبه تميز الخط الابيض من الخط الاسود فى تاريخها.

حقيقة انه ، لا البلهارسيا ، ولا الانكلستوما ، استطاعت واحدة منهما منفردة ، أو هما الاثنتان مجتمعتين ، أن تقضيا على الامة المصرية قضاء مبرما وتمسحاها عن وجه الارض — كما حدث لامم أخرى : مثل « الحيثيين » و« البابليين » و« الاشوريين » و« القرطاجنيين » و « الفينيقيين » — الذين تساموا الى العظمة ثم نزلوا الى أحط المراتب وأخيرا اندثروا فلم يبق لهم وجود

لم تستطع الدويبتان الحقيرتان أن تجعلا مصر فى عداد هذه الامم لانه كان لمصر من شدة الحيوية وقوة الجسم ومتانة البنية ومن انها أول أمة فى التاريخ سمت وعظمت وطال

عليها السمو والعظمة ـ ما وقاها من الاندثار التام . على انهما مع ذلك جعلتا أهل مصر فى حكم من شرب الخمر وأكثر من الشرب . فهو جالس لا يتحرك ، وهو حى ولكنه غير يقظان

تغير مجرى التاريخ بتغير أهل مصر . فقد نخر سوس الدويبتين الحقيرتين فى عظامهم وأفقدهم الصحة وما كانوا يتصفون به من رجولة ونخوة دونهما كل رجولة ونخوة . وانبنى على فقدهم الصحة أن تغيرت ملكاتهم العقلية ، فلم يعودوا البناة الفاتحين ، ولا علماء الزمان وفلاسفته

فقدوا كل خصائصهم ومقوماتهم .. وقيل فيهم : « مصر لمن غلب » !

تغلب عليهم الفرس فى ذلك العام الانكد ـ عام ٥٢٥ قبل الميلاد ـ وحكموهم . وجاء الاسكندر الاكبر وبطالسته فحلوا محل الفرس . وجاء الرومان فحلوا محل البطالسة . وتلاهم العرب . ثم الاتراك . ثم الفرنسيون .. وأخيرا الانكليز

نسى المصريون حتى التاريخ ، تاريخ بلادهم . وأغلق عليهم حل رموزه والكشف عن معانيه

وابتلاهم الله بمن كانوا يلقنونهم فى المدارس سطرين اثنين عن بناة الهرم وعن «سخافة» من بناه !.. ثم صفحات كثيرة عن أن هؤلاء الذين فتحوا العالم وسادوه ووضعوا أسس الحساب والهندسة والعمارة والرى والزرع والطب والفلسفة ، وقرروا وحدانية الخالق وقيام بعث وحساب وجنة ونار

.. هؤلاء .. كانوا « يعبدون العجل » ! ويخشون بأس القط !..

ومن يدرى ؟.. فها نحن الآن نحرم صيد الطائر « أبى قردان » وحوت «الدرفيل» وذلك لما فيهما من نفع كبير للزارع والصائد .. فلو ظلت عجلة التاريخ تدور على ماندور الآن ، لعل هؤلاء السادة « المعلمين » سيرمونا فيما بعد ـ وسيلقنون أولادنا ـ أننا كنا نعبد « الدرفيل » و « أبا قردان » !

— ٧ —

وها قد نفخ فى الصور أن هبوا من نومكم يا بناة صرح الحضارة فى الدنيا ويا من كنتم خير أمة أخرجت للناس

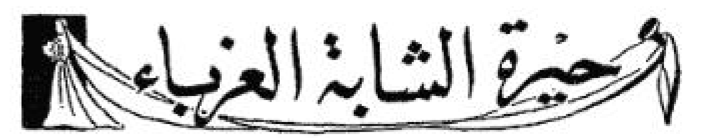
وها نحن نحاول ان نقوم ، ونقع لنقوم ، ثم نقوم لنقع .. كى نحقق كامل استقلالنا ونسترجع مجدنا ونعيد العهد الذى بنينا فيه الهرم ..

فهل تظن يا صاحب الدولة اننا ننجح فى حركتنا .. وفينا تسعون فى المائة مصابون بالبلهارسيا والانكلستوما ، وهما أصل البلاء ؟!..

عليك بقطع دابر هاتين الدويبتين الحقيرتين من مصر فتعيدها سيرتها الاولى

عباس علام

« لو كان لى بنت لعلمتها منذ الصغر كيف تحكم على أخلاق الرجال وكيف تزنها بميزان العقل . فالفتاة التى تعطى قلبها لرجل ليس جديرا بها تكتب على نفسها وثيقة الشقاء بيدها »



حيرة الشابة العزباء

للدكتور أمير بقطر

قد نسبق فى هذا المقال الحوادث ، فنطرق بابا مصريا لم يفتح على مصراعيه للآن ولكنه على وشك ذلك . وعصر هكذا تجرى فيه الامور بسرعة الضوء ، وتتهدم فيه العادات وتندثر التقاليد كما تهدمت هيروشيما بفعل القنبلة الذرية واندثرت ـ عصر كهذا لا بد ان نتخذ له العدة ، قبل ان تفاجئنا الحوادث ونحن نيام ، آمنون ، مطمئنون ، كما فاجأ هتلر الامم الديمقراطية ، ومستر تشمبرلن يلوح بمظلته الكلاسيكية مناديا « العالم لا يزال بخير »

كانت كل فتاة تقريبا الى عهد قريب تتزوج صغيرة ، أو على الاقل تؤمل فى الزواج وان كبرت . وكانت اذا لم تتزوج بقيت فى رعاية ذويها ، وقلما لابست عن قرب أو بعد سوى أقرب المقربين اليها تحت عيون أهلها . وكانت اذا رنت بعينها الى غريب أو قريب دوت الاشاعة فى القرية وراج اللغط بها واسترسل الناس فى حبك الاشاعات ، وتزويق ذيولها وحواشيها . وكانت اذا تقدم أحد لابيها ، زفت وقلما يؤخذ رأيها ، وقلما ترى وجه زوجها قبل ان تبزغ شمس اليوم التالى لزواجها

***

أما الآن وقد ولى ذلك العهد ـ أو كاد ـ وانقضى عصر القرية ، وانطلقنا الى المدينة والمدنية مع الافواج ، فقد استنارت الفتاة كما استنار الفتى ، وأخذت تقتحم ميادين العمل ، فاحتكت كتفها بكتف الرجل ، واستقلت فى الرأى واستقلت فى التفكير ، وأخذت تستقل اقتصاديا بالتدريج . وقد بهر عينيها ضوء العلم ، وخلب لبها الاستقلال ، وملأ صدرها الرجاء والامل ولذة العمل ، وشعرت بسلطان الحرية وذاتيتها الجديدة الكاملة بمساواتها بالرجل ، وأشرقت لها شموس الفتنة والاغراء ، فنسيت انها امرأة

ولا بد لنا ، اذا أمعنا الفكر وتوخينا الصراحة ، ان نعترف ان المرأة بالتحرر من قيود العصور الخالية أصبحت أسعد مما كانت . غير ان السعادة فى الحياة طريق محفوف بالاشواك والمخاطر والمخاوف . ففى الاستقلال مسئوليات جسام ، وفى الحرية مسالك ملتوية متعرجة

قد تؤدى فى النهاية الى جب سحيق ، وفى ميادين العمل ذئاب تنقض على الحملان ، وبجانب الرجاء والأمل توجد الخيبة والفشل

***

ومنذ ان تطورت المرأة بتطور الزمن وسرعة الحوادث ، أصبحت طعاما دسما للكتاب ، فألفوا فى قصصها الواقعية روايات الى الحقيقة أقرب منها الى الخيال ، كما وجد علماء النفس فى حريتها ، وتبحرها فى العلوم ، ومزاولتها المهن الراقية ، ورفضها يد من يتقدم اليها ، ومصادقتها للرجل بحكم وظيفتها أو لانها تريد ذلك ، واصرارها على عدم الزواج احيانا حرصا على هذه الحرية وذاك الاستقلال ، وما تعانيه من الآلام أحيانا توفيقا بين الغريزة ومطالب المجتمع ـ وجد العلماء فى كل هـذا مادة غزيرة للدرس والبحث والاستقصاء ودراسة الطبيعة الانسانية ومشاكلها من جميع نواحيها . والآن هلم بنا نستمع الى فتاة تتحدث عن نفسها ، درسا لاحدى هذه المشاكل :

حدث هذا منذ سنوات عديدة مضت ، ولكنى لا أزال أرى امرأة غريبة تتسلل الى غرفة النوم وعيونها تتجه الى سريرى متهمة اياى ، وقد أدركت على الفور من هى ، ولم جاءت . لقد اتضح لها ان علاقتى بزوجها لم تكن مجرد صداقة . كان حديثها مضطربا ، مفككا ، لا انسجام فيه ، وكانت عيناها مغرورقتين بالدموع ، ولكنها لم تفه بكلمة نابية ، فقد كانت عريقة الاصل ، عالية النفس . وكل ما أرادت ان تقول انها لاتعارض فى طلاقها اذا كان هذا ما يريد هو ، وأريد أنا

أما أنا وقد كنت على الدوام أحسب نفسى أختا لكل امرأة ، فقد تألمت لما سببته من الألم لامرأة سواى ، من بنى جنسى « اللطيف » ، ولكن لعمرى هل أنا التى سببت لها الألم حقيقة ، أم هى التى سببت الألم لنفسها ؟ كان زوجها طبيبا فى معمل بكترولوجى فى أحد المستشفيات ، وكنت أنا أقوم ببحث علمى يتصل بعمله ، وقد أصبحنا بحكم العمل صديقين حميمين ، تدريجيا . وقد كان رجلا دقيقا فى عمله ، محبا للنظام ، شديد الحساسية ، ولكن كانت تجول فى عينيه نظرات حزينة . وقد أدركت على مر الايام سبب ذلك : كانت زوجته عصبية المزاج ، توشك ان تكون مريضة باحدى العلل التى لا تحتاج الى طبيب عادى ، ولكن الى طبيب نفسانى . فأصبح المسكين متعبا كاسف البال لاجلها ، وأصبح العيش معها تحت سقف واحد متعذرا ، ان لم يكن محالا .

***

ولكنه كان عادلا ، طيب القلب ، فلم يوجه اليها لوما ، ولم يشأ أن يشكو لها أمره ، لعلمه أنه لا ذنب لها ، وانها لم ترتكب ما تؤاخذ عليه . غير انه بالرغم من ذلك كان بشرا ، فأخذ يفهمنى ويسعى الى صداقتى . بيد أن الهوة بينى وبينه كانت سحيقة ، وكان كل منا مفكك الوجدان ، قلق الشعور . واننى موقنة الآن ، كما كنت موقنة فى ذلك الحين ،

ان السعادة كانت لا تعرف الى قلبينا سبيلا ، فيما لو كنا تزوجنا ، فقد كانت آراؤنا ومثلنا العليا تتصادم فى كل خطوة نخطوها تقريبا . غير انه كانت له خلال محببة ، وشخصية يتعذر تجاهلها ، وقد كنت احمل له بين جنبى كل اجلال واحترام ، وكان ينظر الى نظرة ملؤها الخيال « الرومانتيك » ، ولعل السبب فى ذلك انه كان يرى فى ما لم يره فى الزوجة: أنوثة ، وسلامة الجسم والعقل ، واعتمادا على النفس

ازاء شدة حاجته الى هذه الصفات ، عجزت عن الدفاع عن نفسى ، فمن طبيعتى ان عنصر الامومة فى يستجيب للرجال أكثر منه للاطفال ، ولذا لم اتردد كثيرا فى تلبية عواطفه . سمحت له أن يحبنى ، واستجبت أنا هذا الحب بقدر استطاعتى ، ولم يكن فيه كل ما أرغب فى الرجل ، ولكن وجدانى وعواطفى اختلط عليها الامر فاستسلمت . لقد كنت فى علاقتى بالغير أرجع الى القول اللاتينى المأثور « كل ما كان صادقا كان حسنا » وقد كانت علاقتى معه صادقة وحسنة معا . أما عن زوجته ، فقد أقنعت نفسى اننى لم أسلبها شيئا لم تفقده قبل معرفتى اياه بزمن طويل . وقد أتهم ان هذا القول ما هو الا تبرير للموقف ، ولكن ليقل الناس فى ما شاءوا

***

ولنعد الآن الى غرفة النوم .. انها لا تزال واقفة أمامى مبللة بقطرات الدموع . ولم أحاول أن أبرر موقفى معها ، لان كل محاولة من هذا القبيل تزيد جرحها ايلاما . ولهذا كان حديثنا موجزا مقتضبا . ومن الغريب انها تألمت لرفضى ان اتزوج من زوجها بأكثر مما تألمت من اتخاذه صديقا لى ، والحقيقة انها كانت فى باطنها لا ترغب فى التفريط فى زوجها ، ولكن كبرياءها كانت تدفعها الى التغلب على عواطفها

ومنذ ذلك الحين لم يصف الجو بينى وبينه ، فقد أبنت له فى عبارات لا يشوبها شك ، اننى لن اتزوج منه ، وأن طلاقه من زوجه قد يكسبه حريته الشخصية ، ولكنه لن يغير موقفى فيحملنى على الاقتران به . على أنه كسائر الرجال ، كان شديد الاعتداد برأيه ، فأخذ يبرهن لى اننا خلقنا ان نعيش معا ، وانه اذا ما طلق امرأته ، استطاع ان يجعلنى فى قبضة يده ، ولن أفلت منه بعد ذلك . فلما اشتدت الازمة واستحكمت حلقاتها ، كبر عليه الامر ، « واخذ على خاطره » منى ، فانقطعت صلاتى به ، وانتقل الى مدينة أخرى ، ويعيش اليوم بعيدا عن زوجته وعنى

يخيل الى البعض اننى تصنعت الشجاعة والفروسية الكاذبة الهوجاء ، بقطع علاقتى مع رجل كنت أحبه وأرغب فيه ، ويخيل الى أرقاء التقاليد أن هذه الصداقة ألقت بى فى اعماق الهاوية . ولكن دعونى أقول لهؤلاء اننى كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى يوم عرفته ، وكان لا يخطر ببالى حينذاك اننى أريد من حياة الشباب شيئا سوى ما يسمونه « الحب الشريف » . وقد ربيت فى أسرة كريمة الاصل ، شديدة التمسك بأسمى التقاليد ،

ودرجت على الصدق والصراحة ، حتى انهم لقبونى بحق لقبا طغى على اسمى ، فضلا عن ان فى عروقى يجرى الدم « البيوريتان » . وقد كنت ككل فتاة أخرى انتظر ذلك اليوم السعيد الذى يمر فيه الفارس ممتطيا جواده فيرانى ويحملنى الى الكنيسة لعقد الرباط المقدس

***

لقد قرأت مئات الكتب ، وقضيت اربع سنوات فى احدى الجامعات فوق دراستى الثانوية ولكنى لا اذكر اننى تعلمت شيئا يذكر عن الرجل والمرأة ، وعلاقة بعضهما ببعض . كل ما قرأته فى الروايات والكتب عنهما ، كنت أعده من الحب الرخيص المبتذل ، وكل علاقة بين الرجل والمرأة خارج حدود الزوجية كنت احسبها استهتارا لا يحتمل . وكنت فى طهارة نفسى وسلامة نيتى ، اظن ان هناك نوعين من المرأة لا ثالث لهما : المرأة الطيبة والمرأة المستهترة

ومرت الايام ولم يأت الفارس راكبا جواده . وكنت فى خلال المرحلة الجامعية أرى زميلاتى يحذقن الرقص فينلن حظوة الفتيان . أما أنا فقد كنت لشدة ولعى بالدراسة احتقر الانغماس فى الرقص وحفلات السمر ، وكنت أبدو لزملائى من الشبان غريبة بعض الشىء ، وكنت اصغر منهم سنا ، اذا قيس السن بالزمن ، ولكنى كنت أكبر منهم ، اذا قيس السن بالعقل والبحث العلمى . لذلك كنت لا ارتاح اذا راقصت أحدا من هؤلاء « الصغار » ، وكان لا يرتاح هو اذا راقصنى ، لانه يحس اننى « اكبر » منه . لذلك كنت أوثر أن أحادث اساتذتى ، وكلما ذكرت ذلك الآن ، أدرك ما كنت اسببه لهم من السآمة وما كانوا يتحملونه من سذاجتى بلباقة . ولا بد اننى لم أكن ناضجة وجدانيا فى ذلك الحين ، رغم اننى كنت ناضجة ذهنيا ، وكنت أجهل حيل النساء وما يتصنعنه من دلال وتيه ورشاقة ، على اننى فى السنة الاخيرة من حياتى الجامعية أحببت شابا ، كان لا يقل عنى ولعا بالدرس ، ولكن قيام الحرب حال دون زواجنا ، وبذلك أنقذت من حادث كان يرجح أن ينقلب مأساة ، فقد كان حبنا كحب الجراء ، وكانت ميوله ريفية ساذجة لا تتفق واياى

***

ومن الآراء الشائعة ان الحرب غيرت المقاييس الخلقية ، ولكنى اعتقد ان انتشار كتب فرويد وهفلوك الس هى التى يعزى اليها هذا التغيير ، لقد ادركت بعد قراءة ما كتبه الثانى عن الميول الجنسية ، ان الحياة الجنسية يمكن أن تكون مستقلة عن الحياة الزوجية ، ويمكن ان تعادلها جلالا وجمالا . اما فرويد فلم اقرأ شيئا من مؤلفاته ، لانه كان مغضوبا عليه من اساتذة كلية الطب التى تخرجت فيها ، جهلا منهم بالحقائق وتعصبا اعمى للتقاليد الطبية التى ورثوها .. ومع ذلك ما كان فى مقدورى ان أصم آذانى عما كنت اسمعه ممن قتلوا هذه المؤلفات درسا ، وما كان فى مقدور شابة مثلى ان تكابر فتنكر الدور الهام الذى يمثل

الميل الجنسى فى الحياة اليومية . ولكن ليس معنى هذا اننى كنت استسلم لهذا الميل لمجرد اشباع غريزتى الحيوانية . حاشا لى ! ان المرأة التى تسعى الى الرجل لهذا الغرض وحسب حيوان فى صورة انسان . ان حبى للرجل مزيج بديع ، متناسب المقادير ، من الجسم والعقل والروح ، ولو اننى لا اعلم الآن أين ينتهى الجسم ومطالبه وأين يبدأ الروح ومثله الاعلى

وقد أكملت كلية الطب ما كان ينقصنى من أسرار الغريزة الجنسية ، التى حرم على ان أدرسها فى مؤلفات فرويد . وهنا وفى هذه المدة عرفت صديقى المتزوج ، وكان لا بد وقد تم نضوجى وكمل استعدادى ، ان اقوم برحلة عاطفية . ولست أخفى انها كانت رحلة موفقة ، فقد حمل كل منا فى خلالها اسمى الشعائر وأنبل الوجدانات وأعمقها وأمثلها . ومن المعلوم ان الحب الاول هو الذى يكون حياة المرء الوجدانية بعد ذلك

***

وهنا تكثر علامات الاستفهام ، فالموقف يدعو لكثير من التأمل والحذر . فمن الناحية الواحدة ، من العبث ان تقوم المرأة بعمل جدى فى ميدان الحياة بجانب الرجل ويقال لها اياك ، كما انه من العبث ان تلقى فى اليم ويقال لها اياك اياك ان تبتل بالماء . ومن الناحية الاخرى ان الشابة العزباء ، اذا آثرت ان تتعرف على الرجال وتتورط معهم ، أصبحت أحيانا لغزا ومشكلة ، وأصبحت وكأنها والمأساة « التراجيدى » على موعد . وفى ضحية وعشاها تمسى الهموم خبزها اليومى . وذلك لاننا اذا استثنينا الفتاة التى لا « تقهر » ، فانها اذا تجاوزت الثلاثين كانت اكثر احتمالا ان تحب رجلا متزوجا من ان تولع بشاب اعزب يصلح ان يكون لها زوجا . فالرجل الذى يجتذبها عادة ويكسب حبها ، هو ذلك الذى يلا السنوات فحنكته الايام والمسئوليات ، وكبرت نفسه واتزنت شخصيته وقويت . وهذا يكون عادة متزوجا . اما من يعادلها سنا من العزاب أو يكبرها فتنقصهم الحيوية فى الغالب ، وتشوبهم صفات الانانية والاستهتار — ولولا هذه لكانوا تزوجوا

وقد يقال ان الرجل المتزوج الذى يحب غير امرأته ، يكون عادة غير موفق فى حياته الزوجية ، ويحتمل ان تؤول صداقته لشابة عزباء الى طلاق فزواج . غير ان الشابة الحكيمة قلما تعنى بمثل هذا الرجل الذى لا يكاد يحط على شجرة الا وينتقل منها الى أخرى وقلما يبنى له عشا . ومع وجوب الاعتراف بالحرية الفردية فى الزواج والطلاق ، فان الرجل الذى قطع على نفسه عهد الزوجية يجب ان يتحمل مسئوليتها . فقد تطفأ جذوة الحب ويختفى الخيال « رومانس » بعد استقرار الزوجية ، وهو ما يحدث غالبا بعد ان يصبح الحب سجينا بين اربع حوائط فى بيت الزوجية — قد يحدث هذا ، غير انه لا يبرر حل عقدة الزواج ، ولا يمنع احلال الصداقة بين الزوجين محل الحب والخيال ، اللهم الا اذا انعدمت عناصر الانسجام كلها أو اكثرها

وأعود الى ما سبقت الاشارة اليه ان هناك وجها آخر لهذه المسألة الشائكة .. حقيقة انه لا يهون على شابة نبيلة أن تعبر الى قصر السعادة على جسر زوجة كتب عليها الشقاء ، بيد انه لا سبيل الى الانكار أن الحب من أشد العواطف الأساسية التى فرضتها الطبيعة على الانسان ، كما انه من اكثر النعم التى أسبغتها الطبيعة على الانسان تخفيفا لآلام الحياة وهمومها ، ان العلاقة التى تنبت بين قلبين لها ذاتية خاصة ، فاذا ما خنقت فى المهد ، كالجنين الذى تخجل أم ان يكون ثمرة أحشائها ، كان ذلك جناية من أشنع جنايات القتل

ومعنى هذا ان للمسألة وجهين متناقضين ، فبينما أنا اعترف بحقوق الزوجية وأحرص على بقاء رباطها متينا مقدسا ، فاننى اعترف كذلك ان للحب ، الذى أودعته الطبيعة فى جنبى رغم أنفى ، حقوقا غير قابلة للتحويل . أما كيف يمكن التوفيق بين هذين المتناقضين ، فمن الحق والعدل – اذا شئنا ان نتوخى الصراحة – ان نقول ان هذه مشكلة لم يوفق المجتمع بعد الى حلها ، على طول عهده بالزواج والحب . اما مجرد القول اياك ان تفعل هذا أو ذاك واصدار الحكم بجرة قلم على قرطاس أو اطلاق صيحة من منبر ، فهذا خيال يسهل التحليق فى سمائه ويتعذر تحقيقه

***

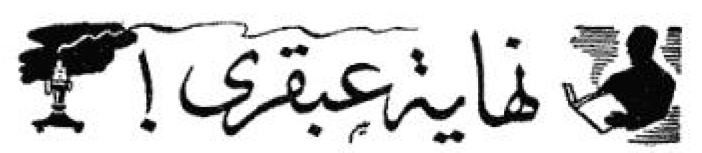
ولكن الاختبار قد علمنى أشياء كثيرة . منها انه لو كان لى بنت لعلمتها منذ الصغر كيف تحكم على اخلاق الرجال وكيف تزنها بميزان العقل . فالفتاة التى تعطى قلبها لرجل ليس جديرا بها ، تكتب على نفسها وثيقة الشقاء بيدها . فاذا ما تزوجت منه ، رافقها الشقاء طول حياتها . كما اننى لا أتردد فى القول لها ان هناك حبا غير الحب الذى يباركه الكاهن، ولكن الشقاء الذى تقاسيه فيه مع رجل لا أخلاق له لا يعادله فى الحياة شقاء . ان المرأة النبيلة لا تسمح لأقوى العواطف ان تتغلب عليها فتستسلم لرجل لمجرد اشباع غريزة حيوانية جامحة . وفى رأيى ان اسعد امرأة فى الوجود وأشرفها هى التى تستطيع ان تقول عند موتها ، وان كانت راهبة فى الدير : « لقد كانت الحياة طيلة السنوات التى عشتها على الارض تجربة قاسية لينة ، مرة حلوة ، ولكنى قابلتها برباطة جأش ، فلم أخش آلامها ومخاطرها ، كما اننى لم أحاول ان أتجنب لذاتها ومسراتها وأفراحها فى حدود المعقول » (١)

امير بقطر

---

(1) « Harper's Magazine », Oct. 1933.

جنون العظمة يودى بموباسان



نهاية عبقري !

بقلم الأستاذ حلمى مراد

العبقرية والجنون ..

هل هما مترادفان ، دائما يتلازمان ؟

أم هما شيئان منفصلان ، وظاهرتان لا تجمع احداهما بالاخرى الا الصدفة المحضة .. التى قد تجمع أى شيئين ؟

واذا كانا يتلازمان فى النهاية المحتومة ، فأيهما يكون من الآخر بمثابة السبب ، وأيهما يكون المسبب .. أو بتعبير آخر أيهما يسبق الآخر ويمهد له ؟

يقول « هافلوك اليس » ان مرجع ما يلحظه الناس فى أكثر العباقرة من مظاهر الشذوذ، الذى قد يزداد نصيب العبقرى منه فيبدو جنونا ، أو على الاصح « نوعا » من أنواع الجنون المتباينة .. مرجع هذا الشذوذ أو الجنون هو أن العبقرى يسبق دائما العصر الذى يعيش فيه ، والافكار التى تسوده ، فى نبذ ما اصطلح عليه الناس من آراء وعرف وتقاليد ، وفى اعتناق افكار ومذاهب جديدة – هى فى الاغلب جريئة – يسبق بها عقله المتفوق عقلية الجيل الذى أنجبه ، ويسلف عقلية الجيل الذى يليه . ومن ثم يعجز معاصروه عن فهمه ومجاراته فى مذاهبه وشطحاته الجامحة ، التى غالبا ما تضفى ظلها حتى على حركاته وسكناته، وأحيانا على نظراته ، فيقولون انه مجنون . ويتخذون من مظاهر شذوذه التى لا جدال فيها دليلا على هذا الجنون . وبهذا يعلل الباحثون تلك الحقيقة التى تكثر الشواهد عليها وهى أن أكثر العباقرة لا يعترف بعبقريتهم الا بعد انقضاء الجيل الذى عاصروه ..

هذه نظرية من عشرات النظريات المتباينة والمتعارضة ، التى تساق لاثباتها – كما تساق لدحضها – مئات ومئات من الامثلة ، مما ليس هذا مجال الافاضة فيه . فاننا لسنا اليوم بسبيل الكلام عن « فنون » الجنون التى مردها الى مظاهر الشذوذ والمغالاة ، وانما نحن فى معرض التمثيل لنوع من أنواع الجنون العضوى أو الخبل الذى يخرج بصاحبه خروجا حادا صارخا عن كل ما عهده الناس فى العقلاء من اطوار ، ويسلكه فى عداد المجاذيب – ونعنى بذلك النوع من الجنون جنون العظمة Folie de grandeur الذى نسوق اليوم مثالا عليه من فجيعة قصاص فرنسا – بل العالم – الاول والاعظم ، جى دى موباسان .. ففجيعته

فى ذخره الوحيد ، فى عقله الذى طالما صال وجال وابدع !.. ولكأن الحياة — وهى الينبوع الحى الدائم للقصة ، أو لعلها قصة الانسان الكبرى — قد أدركتها الغيرة والخوف من ان يتفوق على خيالها خيال انسان ، فيبدع فى القصة ما يغض من بدعها هى ، وينتج من أفانينه ما يزرى بأفانينها ، فأبت الا ان تصرعه فى مقتله : موهبته ، فتسلبه العقل الذى وهبته ، كيما تلقى على البشر درسا مؤداه ان العقل اذا ما جمح بصاحبه وأوغل فى الخيال الى حد مجاراة الحياة فى خيالها ، أو سما به صاحبه الى حد منافستها فى مضمارها — هو كالوحش الذى يفلت من عقاله : مصير هذا الى طلقة ترديه ، فتنطلق منه حياته — حياة الجسد — ومصير ذاك الى صفعة تختم على بصيرته ، فتنطلق منه حياته — حياة العقل — الى فضائها الرحب أو متاهتها الكبرى : الجنون !

ولئن كان قد كتب عن موباسان عشرات من الكتاب ، فان أحدا لم يتح له أن يكون له — فى آن واحد — معاصرا ، وصديقا ، وطبيبا للاعصاب ، وعالما نفسانيا .. مثلما أتيح للطبيب السويدى دكتور أكسيل مونتى ، مؤلف الكتاب الذى نلخص منه الصفحات التالية

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه « ان المؤلفين الذى يلذ لهم ان يكثروا من الخوض فى محيط الانفعالات الجنسية ، هم فى العادة أقل الناس خبرة فى هذا الميدان . ولا أعرف لهذه القاعدة الا استثناء واحدا ، هو « جى دى موباسان » ، ولقد رأيته يموت صريعا فى هذا الميدان ! » ثم يقول فى موضع آخر ان موباسان قد راح ضحية الخمر ، والمخدرات ، والنساء !

***

فلندع المؤلف يفصل ما اجمله فى هاتين العبارتين :

كان أول عهد المؤلف (دكتور مونتى) بالقصاص الكبير فى قاعة المحاضرات الكبرى بمستشفى « لاسالبترير » بباريس ، حيث كان الطبيب الفرنسى المعروف البروفيسور شاركو يلقى سلسلة محاضراته الاسبوعية المشهورة باسم « دروس الثلاثاء » ، وكان قد خصصها لبحث ظواهر التنويم المغناطيسى والهستيريا — فكان المدرج الكبير يزدحم حتى آخره بجمهور مختلط من شتى أطراف باريس ومن مختلف أوساط الباريسيين : من المؤلفين والصحفيين وكبار الممثلين والممثلات ، ومن سيدات ورجال الطبقة الراقية .. تجذبهم جميعا شهرة المحاضر وطرافة الموضوع ، والفضول البالغ لمشاهدة عجائب التنويم، تلك الظاهرة الغريبة التى كانت قد أهملت ونسى أمرها منذ أيام الباحثين « ميسمر » و « برايد »

وكان ان التقى الطبيب السويدى فى تلك القاعة بموباسان ، فتعارفا . وكان اسم موباسان قد بدأ يلمع فى الاوساط الادبية ، بل والشعبية ، على أثر نشر قصتيه الرائعتين « بول دى سويف » و « بيت مدام تيليه » . وكان أول ما لفت الطبيب من صديقه الجديد اهتمامه

البالغ بالدخول فى مناقشات تفصيلية مطولة حول التنويم المغناطيسى وسائر ضروب الاضطرابات العقلية ، فلم يكن يتعب أو يمل من محاولة الاحاطة بكل ما يعرفه الدكتور مونتى عن هذه الموضوعات . وكثيرا ما كان موباسان يعرج من ذلك الى حديث الجنون ، وأعراضه وأطواره ، فقد كان منهمكا وقتئذ فى جمع عناصر قصته الرهيبة « الهورلا » ، التى كأنما كانت نبوءة أكثر منها خيالا ، من فرط مطابقتها للمصير المفجع الذى حاق بكاتبها بعد ذلك بأعوام ! ولم يقف اهتمام موباسان بتلك الموضوعات عند هذا ، بل تعداه الى الحد الذى أغراه بأن يصحب الطبيب فى رحلة الى ضاحية «نانسى» لزيارة البروفيسور«برنهايم» والوقوف منه على أحدث نظرياته فى هذا العلم الحديث

ثم توثقت الصلات بين الصديقين ، فدعا موباسان مونتى الى قضاء أيام فى ضيافته على ظهر يخته الفاخر « بيل أمى » الذى كان يتأهب للاقلاع به من ميناء « أنتيب » فى رحلة الى البحر الابيض .. فكانا يقضيان شطرا كبيرا من الليل فى صالون اليخت يتحدثان عن الموت !.. فلقد كان موباسان يرهبه الى درجة الفزع ، ويقول انه دائم التفكير فيه ، وان شبحه لا يكاد يبرح خياله ، حتى لقد صار تواقا الى أن يعرف كل شىء عن السموم ، وعن الفروق بين أنواعها المختلفة من حيث سرعة وشدة احداث الاثر ، وحدة أو خفة ما تسببه من ألم .. الخ ـ وكان يلح بصفة خاصة فى الوقوف من صديقه الطبيب على تفصيل ما ينتاب المشرف على الغرق من احساسات !.. فحدثه مونتى بما يعتقد من ان الموت غرقا يكاد يكون أخف صور الموت ايلاما للشخص اذا لم يتعلق بطوق النجاة ، على عكس الحال فيما لو تشبث الغريق بالطوق ، فان الغرق يصير عندئذ أفظع ميتة على الاطلاق !.. ولم يكد موباسان يسمع من صديقه هذا الكلام حتى كان رد الفعل المباشر لذلك على وجهه أن ثبت عينيه القاتمتين على اطواق النجاة المعلقة على حاجز اليخت وراح يتمتم « اذن فسوف أقذف بهذه كلها الى البحر فى الصباح » فسأله الدكتور مونتى « أتقصد انك تعتزم ارسالنا الى قاع البحر خلال رحلتنا المزمعة الى كورسيكا ؟ »

« كلا » ، قالها أخيرا بعد فترة صمت .. وانما هو يتمنى ـ فيما يخال ـ أن يدهمه الموت وهو بين ذراعى امرأة !..

ولم تكن بالامنية العسيرة ، فان اسلوب الحياة التى يحياها كان يهيىء له فرصة ملائمة لان يرى رغبته تلك وقد تحققت .. اذ فيما هما يتحدثان استيقظت « ايفون » ، فتمطت وتثاءبت ، ثم طلبت كأسا آخر من الشمبانيا أفرغته فى جوفها .. ثم عادت فاستسلمت للنعاس من جديد ، ورأسها على فخذه !

كانت ايفون من راقصات « الباليه » بأوبرا باريس ، فتاة لعوبا لا تكاد تجاوز الثامنة عشرة ، طالما تقلبت بين أحضان عشاقها والمعجبين بها بين كواليس الاوبرا ، حتى ساقها قدرها الى التلف والذبول المحتوم فى صحبة عاشقها الرهيب ، قصاص فرنسا الاكبر ! وما من طوق للنجاة كان بقادر ان ينجيها ، وحتى لو وجد فان الفتاة كانت كفيلة بأن تركله

بقدميها الصغيرتين .. فبالرغم من أن عاشقها ـ هذا الشيطان المريد ـ لم يكن يريد منها غير بدنها الرخص ، فانها كانت تعشقه عشقا خالصا ، دفعها الى ان تهبه قلبها ، كما وهبته من قبل جسدها ، ومن ثم لم يكن من العسير على الدكتور مونتي ، وهو يتأمل هذه المدلهة الولهى ، أن يجزم بالمصير التعس الذى ينتظرها .. وخاصة انها لم تكن أول غريرة رآها تنام ورأسها على فخذ موباسان ..

***

هل كان موباسان مسئولا عن فعاله هذه ؟.. أم كان الجنون قد بدأ يدب الى رأسه ؟ هذا موضوع آخر ، ولكن الذى لا شك فيه ان الخوف ، بل الفزع ، من لا شىء .. من المجهول .. أخذ مع الايام يسفر فى عينيه ، ويرسم على حدقتيه تلك النظرات الجامدة ، ويطارد عقله الكادح ، ليل نهار ، حتى لم يتردد الطبيب فى أن يقطع ـ لنفسه ـ بأن صديقه العبقرى لا محالة هالك .. وان ذلك السم الخفى الذى كان القصاص قد سقاه لبطل قصته « بول دى سويف » ، قد بدأ يفعل فعله المدمر فى عقله الرائع . فهل كان المسكين يقدر ذلك ، ويدركه ؟ لطالما خيل الى الطبيب انه كان ..

وفيما هما جالسان فى صالون اليخت ، كانت مسودة قصة موباسان الجديدة « فوق الماء » موضوعة على المائدة بينهما . وكان الكاتب قد قرأ لصديقه جزءا منها ، اعتبره أحسن ما كتب .. وكان موباسان فى تلك الايام ما يزال يتنبع ـ فى تتابع محموم ـ درة من قصصه بعد درة ، مستحثا عقله المهتاج .. بالخمر ، والاثير ، وشتى صنوف المخدرات !.. كما عجل بنهايته تقلبه الدائم فى احضان النساء .. طوفان من النساء لا ينتهى .. نساء من مختلف الطبقات والاحياء : من أنيقات حى سان جرمان ، الى فاتنات الشانزليزيه وغيره من الشوارع الكبرى .. الى الممثلات ، والراقصات ، وفتيات الطبقة الوسطى الطائشات .. الى العاهرات الوضيعات .. الخ .. فقد كان القصاص الكبير « زير نساء » ، أو كما اعتاد اصدقاؤه أن يطلقوا عليه « الفحل الحزين » !..

وكان فخورا بنجاحه ، الى أقصى حد . لا يكف فى أحاديثه عن الاشارة ـ من طرف خفى ـ الى سيدات المجتمع الراقى الغامضات ، المجهولات ، اللواتى يفتح لهن خادمه الأمين فرنسوا باب مسكنه الفاخر فى شارع شوزيل .. فكان اسلوبه هذا فى المباهاة أول أعراض جنون العظمة الذى كان يسعى سعيه الحثيث اليه . وكثيرا ما صار يرتقى السلم لاهثا الى عيادة صديقه مونتى فى شارع « دى فيلييه » ، كى يقبع صامتا فى ركن من الغرفة ، وهو يحدج الطبيب بتلك النظرات الجامدة الرهيبة ، التى كان يعرفها فيه جيدا .. أو يقف طويلا أمام المرآة التى فى الردهة ناظرا الى خياله فى صقالها ، كما لو كان ينظر الى شخص غريب !.. ومرة قال لصديقه انه بينما كان جالسا الى مائدة الكتابة ذات ليلة ، منهمكا فى انجاز قصة جديدة ، فوجىء بشخص لا يعرفه يقتحم عليه الغرفة ، بالرغم من رقابة خادمه الصارمة ، ثم يجلس الى المائدة فى مقابله ، ويشرع فى ان يملى عليه ذات العبارات

التي كان بسبيل أن يكتبها .. واذ أوشك أن يدق الجرس لخادمه كي يطرد الغريب ، اجفل مذعورا وهو يتبين ان ذلك الغريب المتطفل لم يكن الا .. نفسه !

***

وبعد اسابيع وقف الدكتور موتي الى جوار موباسان بين كواليس الاوبرا ، يتأمل مدموازيل ايفون فى احدى رقصاتها الايقاعية الرائعة ، فلم يملك نفسه من الاحساس بالرثاء لعاشقها المفتون الذى لم تكن عيناه المتلظيتان تبرحانها .. وبعد انتهاء الرقصة تناول الثلاثة العشاء فى المسكن الصغير الانيق الذى كان موباسان قد اتخذه لها . ولم تكد الفتاة تزيل من وجهها آثار المساحيق حتى صدم الطبيب أن رأى كم صارت شاحبة منهكة بالقياس الى ما كانت عليه يوم رآها لاول مرة على ظهر اليخت . وقالت له انها قد اعتادت تعاطى الاثير دائما أثناء تأدية رقصاتها ، فلا شيء كالاثير فى مفعوله المنعش للاجسام المرهقة، ثم اضافت ان كل زميلاتها يتعاطينه ، حتى مدير الفرقة نفسه ـ وقد عاش الطبيب بعد ذلك حتى رأى المدير المذكور بعد بضعة أعوام يموت فى مثواه الهادىء بجزيرة كابرى متأثرا بذلك المخدر السام ـ وشكا موباسان لصديقه من نحافة ايفون ، التى تزداد يوما بعد يوم ، ومن سعالها الذى صار يؤرق لياليه ، ولا يكاد ينقطع . ففحصها موتى فى الصباح التالى ، وصدق حدسه ، فقد وجد اصابة بالغة فى اعلى احدى رئتيها ، فلم يتردد فى مصارحة عاشقها بوجوب اخلادها للراحة التامة ، ونصح له ان يرسلها كى تقضى اشهر الشتاء فى « منتون » فأبدى موباسان استعداده لبذل اقصى ما يمكن بذله لانقاذها ، وخاصة انه لم يكن ممن يميلون للنساء النحيفات ! .. ولكن الفتاة لم تكد تسمع الاقتراح حتى أبت السفر قائلة انها تفضل الموت على ان تترك عشيقها يوما ! ..

وخلال الشتاء سببت الفتاة للدكتور موتي متاعب جمة ، ثم اصيبت بالنزيف الاول .. وبدأ الخطر يصير جديا . وكان موباسان ـ ككل المؤلفين الذين يكتبون عن المرض والموت ـ لا يطيق ان يرقبها عن كثب ، فصار يتجنبها شيئا فشيئا ، بينما كانت المسكينة تجرع عشرات القوارير من زيت كبد الحوت ، بغية ان يعود جسمها الى الامتلاء فترضى رغبات عشيقها .. ولكن بلا جدوى .. فسرعان ما لم يبق من شبابها الغض غير عينيها الرائعتين تلتمعان من اثر الحمى والاثير . وظل « جيب » موباسان مفتوحا لها بسخاء ، ولكن ذراعيه لم تلبثا أن أقفلتا حول جسد احدى زميلاتها الراقصات . ولم تطق التعسة اخفاء غيرتها فقذفت غريمتها بزجاجة من ماء النار على وجهها . وكان من حسن الحظ انها اخطأتها تقريبا ، فلم يحكم عليها باكثر من الحبس شهرين ، وان يكن أكبر الفضل فى تخفيف العقوبة قد رجع الى نفوذ موباسان القوى والى شهادة طبية من الدكتور موتي قرر فيها ان أيام المتهمة قد صارت معدودة ، وانها لن تعيش سوى بضعة شهور ..

ومضى الشهران ، فخرجت ايفون من السجن ، لكنها أبت العودة الى مسكنها الانيق

الذى كان ينفق عليه عاشقها « الخائن » ! ولم تفلح توسلات موباسان فى ارجاعها عن عزمها فلم تلبث ان اختفت عن محيطه ضاربة فى مجاهل باريس ، كالحيوان المشرف على الموت حين يختبىء فى ركن قصى كى يلفظ آخر أنفاسه . .

وفى فراش متواضع بمستشفى سان لازار - المأوى الاخير لنساء باريس الساقطات - عثر بها الدكتور مونتى بعد اسابيع ، بفضل الصدفة وحدها ، فطمأنها الى انه سينبىء موباسان بمكانها فيخف من فوره اليها . واسرع فعلا الى مسكنه ، فى نفس الامسية ، اذ لم يكن أمامه وقت ليضيعه . وهناك وجد « فرنسوا » الامين فى مركز المراقبة المعتاد ، حريصا على حماية سيده من أدنى مقاطعة أو ازعاج . وعبثا حاول الطبيب اقناعه بادخاله ، فقد كانت أوامر سيده صارمة وصريحة فى وجوب منع أى زائر من الدخول ، مهما كانت الظروف . ذلك ان القصة بذاتها كانت تتكرر . . قصة الفاتنة المجهولة !

وأخيرا لم يجد الصديق بدا من ترك ورقة لصديقه ينبئه فيها بحالة ايفون ومكانها ، ووعد الخادم بتسليم الورقة لسيده على الفور . . لكن اغلب الظن انه لم يفعل ، من فرط حرصه على ان يدع سيده المحبوب بمنجاة من شتى المضايقات - أو المضاعفات - التى تنجم عن علاقاته مع النساء !

وحين مر الطبيب بمستشفى سان لازار فى اليوم التالى كانت ايفون قد ماتت . وأخبرته الراهبة الموكلة بتمريضها انها قضت صبيحة اليوم السابق تتزين ، وتلون وجهها بالمساحيق وتصفف شعرها . وبعد ان أتمت زينتها اقترضت من احدى العاهرات اللواتى يزاملنها فى العنبر ملفحة « شالا » من الحرير الاحمر كى تخفى بها عظام كتفيها ، وتذكر نفسها بسنائها فى الايام الخوالى . ثم قالت للراهبة انها تنتظر « صاحبها » . . وقد ظلت تترقب مجيئه طوال اليوم ، بصبر نافد ، لكنه لم يأت ! . وفى الصباح وجدوها ميتة فى فراشها ، بعد أن ابتلعت كل محتويات قارورة « الكلورال » .

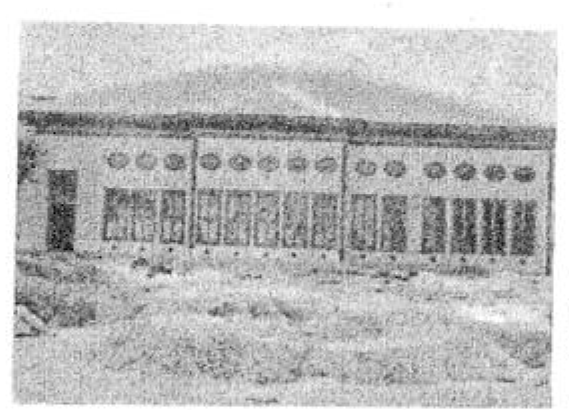
***

وبعد شهرين زار الدكتور مونتى موباسان فى « البيت الابيض » - مستشفى الامراض العقلية - وكان القصاص الكبير يسير فى ممشى الحديقة ، متكئا على ذراع خادمه الوفى فرنسوا ، وكلما مر بحوض من احواض الازهار نثر عليه حبات من البذور الصغيرة ، صائحا « انظر ، انظر . . انها ستنمو كلها حتى تصير كل حبة منها فى الربيع موباسان آخر . . فقط لو أمطرت السماء ! »

حلمى مراد

قصر الجوهرة

يسترد عظمته



منظر عمومى لقصر الجوهرة من الخارج ويلاحظ آثار الهدم والاهمال فى حديقته التى لم يتم إصلاحها وتهذيبها بعد . ويقع هذا القصر قبلى مسجد محمد على الكبير بالقلعة ويشرف على ميدان صلاح الدين والقاهرة بأسرها

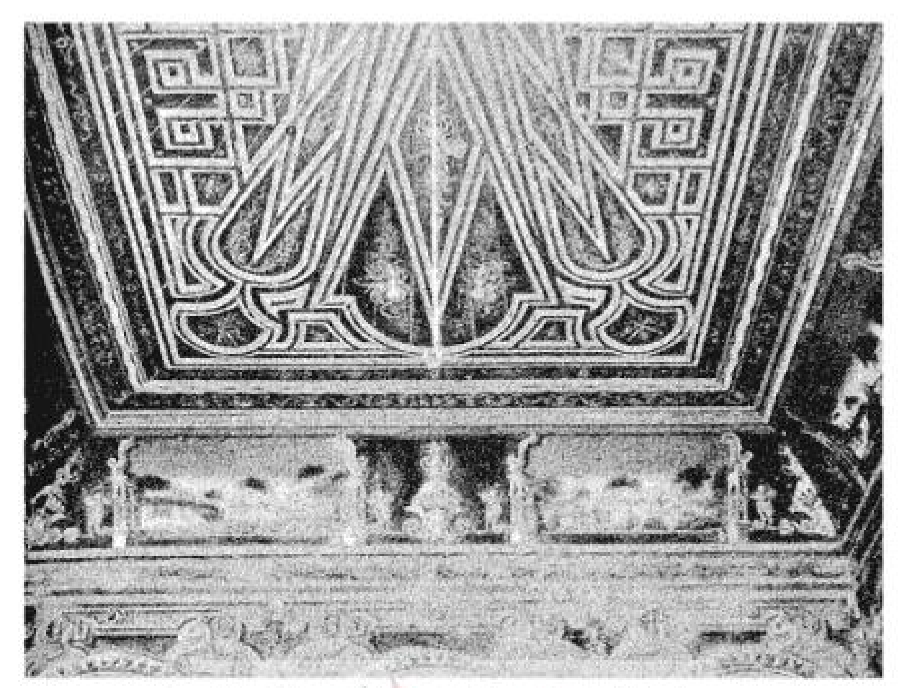
يعنى حضرة صاحب الجلالة الملك بتجديد تراث آبائه وأجداده والمحافظة على آثارهم العظيمة الخالدة ، لما فى ذلك من إذكاء لروح النهضة والطموح والمجد بين شعبه المخلص الأمين . فمن ذلك إصلاح وتجديد مسجد محمد على الكبير فى القلعة ، الذي يعد من أروع منشآت البناء فى عصر جده الأكبر الزاهر . وقد تم أخيراً – إستجابة للرغبة الملكية السامية – إصلاح وتجديد قصر الجوهرة ، الذى يقع على مقربة من مسجد محمد على بالقلعة . وهو قصر كبير تتجلى عظمته فى فخامة النقوش والصور على جدران حجراته وأسقفها ، مما لا يوجد له مثيل فى القصور الأثرية الأخرى ، حتى لقد بلغت نفقات تجديد هذه النقوش وإعادتها الى ما كانت عليه نحو مائتى الف جنيه

* * *

وقد أنشأ المغفور له محمد على باشا الكبير هذا القصر فى عام ١٢٢٨ هـ فى الجهة القبلية من جامعه المعروف باسمه فى القلعة ، وهو يشرف على ميدان صلاح الدين ، ويرى الناظر خلال نوافذه مبانى القاهرة ومآذن مساجدها واهرامات الجيزة والنيل فى منظر سحرى خلاب . ويبلغ عدد حجراته نحو اثنتى عشرة حجرة ، فسيحة الأرجاء قد نقشت جدرانها وأسقفها بنقوش وصور غاية فى الجمال الفنى والأبهة والعظمة . والكثير منها مكسو بصفائح الذهب . وكان الذين قاموا بهذه النقوش عند بناء القصر جماعة من الفنانين الايطاليين المشهورين . أما الذين قاموا بتجديدها حالياً وإعادتها الى ما كانت عليه فجماعة من الفنانين المصريين النابغين تحت إشراف الفنان الكبير الاستاذ سحاب الماظ مدير الاكاديمية المصرية للفنون الجميلة العليا فى روما ، وهو أمر يدعو الى الغبطة والسرور

* * *

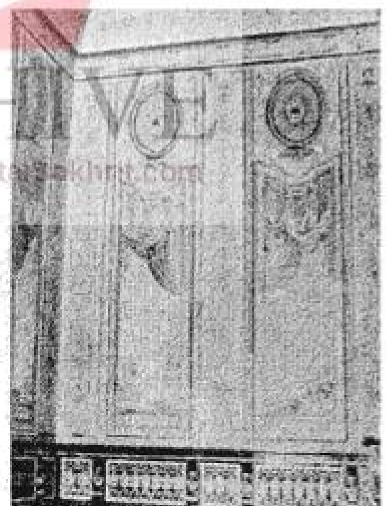
ولعل فى الصور المنشورة مع هذا الكلام ما يغنى عن كل وصف لعظمة هذا القصر وفخامة نقوشه وروعتها



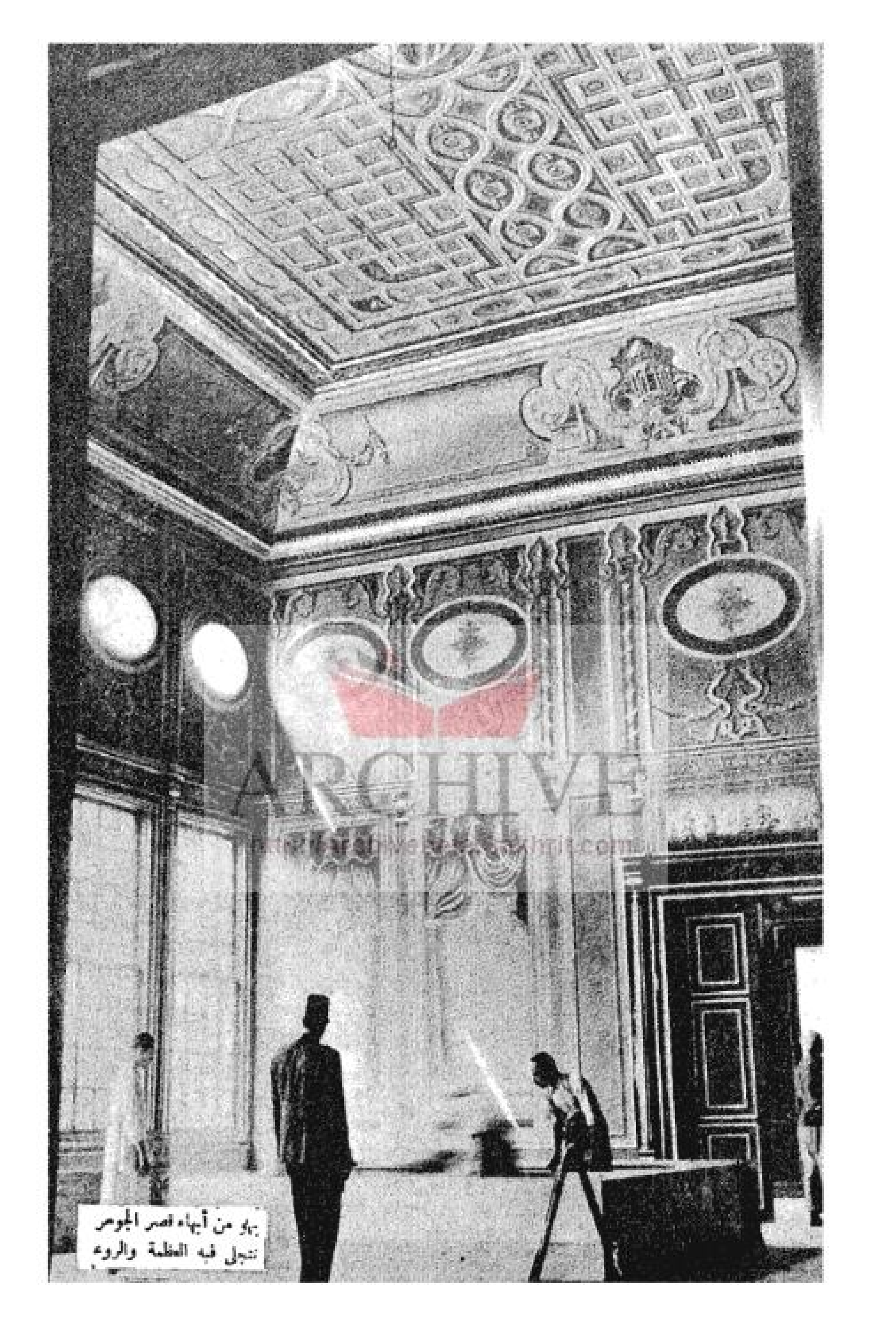
مشهد رائع لجمال النقوش والصور الفنية فى سقف إحدى حجرات قصر الجوهرة



تطالع هذه اللوحة الفاخرة زائر القصر حيث وضعت فى صدر الردهة الموصلة الى حجراته وأبهائه وهى تحمل شعار مؤسس مصر الحديثة المغفور له محمد على



صورتان لبعض النقوش الجميلة الرائعة التى تحلى جدران حجرات قصر الجوهرة وقد كسى بعض هذه النقوش بصفائح من الذهب تعد آية فى الروعة



بهو من أبهاء قصر الجوهرة
تتجلى فيه العظمة والروعة

« المغالاة في جمع الثروة نوع من الجنون ، لأنه نتيجة شذوذ نفساني أو عقلي ، ولأن نتيجته شذوذ اجتماعي ، والشذوذ عن الحالة العادية جدير بأن يسمى جنونا »

جنونُ الغِنى

بقلم الاستاذ محمد فريد أبو حديد

من الظاهر أن أكثرية الناس فقراء ، وان كان السبب الحقيقي في هذا عسير التفسير . ومهما يكن من أمر هذه الحقيقة فهي توضح السبب في أن أكثرية هذه الانسانية ، تنظر شزرا الى الاغنياء . فمنذ أقدم الازمنة كان الفقراء في جانب والاغنياء في جانب آخر ، وكل من الجانبين يحاول أن يلقى ظلا من الشك على الآخر . ومن بين هذه المحاولات التي يريد بها الفقراء القاء بعض الشك على الاغنياء ، أنهم يسمون الحرص على اجتناء الثروة بالجنون . فعنوان هذه الكلمة ليس الا أثرا من آثار الانقسام الانساني القديم بين أغنياء وفقراء ، ولا نريد نحن هنا أن نتحدث عن جنون الغنى بصفته حقيقة واقعة ثابتة . فلسنا نزعم أن الاغنياء الذين يحرصون على جمع الثروة كلهم من المجانين بالمعنى المفهوم من هذا اللفظ . فالجنون هنا معناه أن بعض الاغنياء يخالفون سائر الناس في بعض آرائهم وبعض ميولهم وبعض عقائدهم ويخالفونهم كذلك في نظرتهم الى الحياة والى مثلها العليا ويخالفونهم في معنى الفضائل ومعنى الرذائل . وهذه المخالفة تحمل الناس عادة على أن يرموهم بالجنون . وقد قيل أحيانا ان العباقرة النوابغ من بني الانسان ليسوا سوى مجانين لانهم يخالفون الاكثرية في أحوالهم وفي تصرفاتهم ، وهذه المخالفة تحمل في كثير من الاحوال على انها نوع من الجنون . فلا ينبغي ان يغضب أحد من الاغنياء من هذه التسمية الحريفة .

واذا نحن نظرنا الى الموضوع نظرة هادئة بغير تحيز اتضح لنا ان هناك من الناس طائفة من الاغنياء ليس فيهم أثر للجنون . فالغني الذي يرث عن آبائه ملايين الجنيهات أو آلاف الافدنة مثلا ، ثم يعيش على ثروته عيشة هانئة وادعة ، ويجعل الناس يعيشون في كنفه راضين يصيبون من خيرات الانتاج ما يقتاتون به — مثل هذا الغني لا يمكن أن يتهم بالجنون . وليس من العدل أن نلوم أحدا لانه بالمصادفة ورث مالا طائلا عن آبائه ، ما دامت القوانين الوضعية تسمح بهذا التوريث . وقد يمكن بعض المتشددين أن يصفوا بعض هؤلاء الاغنياء الوارثين بأوصاف مختلفة ، فقد يسمونهم عاطلين لانهم لم يحصلوا على

الغنى بكدهم ، وقد يسمونهم طفيليين اذا كانوا لا يبذلون أى جهد فى الانتاج ويعيشون عاله على المجتمع ، يتمتعون بثروتهم بغير أن يكون لهم أى فضل فى الخيرات التى يتمتعون بها ، وقد يسمونهم بخلاء وقد يسمونهم بغير ذلك من الاسماء بحسب أحوالهم ، ولكنهم على كل حال لا يمكن أن يوصفوا بالجنون اللهم الا فى حالة واحدة قد يصح للناس ان يسموهم فيها بالمجانين . فقد يحدث أحيانا أن يكون الاب الغنى بخيلا على ولده بخلا شديدا الى درجة تجعله يشعر شعورا شديدا بأنه محروم ، وهذا الشعور يولد فى الابن نوعا من الشذوذ النفسانى يجعله يترقب اليوم الذى يموت فيه أبوه ، وتؤول اليه الاموال الطائلة التى جمعها . فاذا ما بلغ الكتاب أجله ومات الوالد الغنى ، وورث الابن تلك الاموال أقبل عليها مدفوعا بالشعور القوى الشاذ الذى طالما أحسه ، وطالما هز نفسه واستقر فى اعماقها فيأخذ فى انفاقها فى اسراف يشبه الحمق . فهو يقذف الاموال طاعة لكل نزعة وارضاء لكل خاطرة عارضة ، ويمتاز تصرف مثل هذا الوارث بالنزق والتقلب مع الاهواء ، وقد يبلغ به الامر ان يستحق لقب الجنون عن جدارة

***

ولكن هناك من الاغنياء من يمكن ان نصفهم بالجنون من مبدأ أمرهم بل قد يمكن ان نصفهم بالجهل مع الجنون . ووصمة الجهل هنا تكون أشد قسوة من وصمة الجنون لان الجنون عارض طبيعى قد يصيب الناس بغير ان يكون لهم ذنب فى اصابتهم به ، وقد يكون المجنون موضع الرثاء والعطف لانه مصاب بأعظم كارثة تقع على الانسان وهى فقد قوة العقل الجوهرية . فاذا وصف بعض الاغنياء بالجهل وقلة ادراك معنى الحياة كان هذا وصفا أشد من وصف الجنون بغير شك . وهؤلاء يستحقون أن يسموا بالجهلاء لانهم لم يستطيعوا فهم الحياة على حقيقتها

يقول فريق من المفكرين ان الحياة ليس فيها حقائق سوى الامر الواقع ، فهم يقولون ان كل ما هو كائن بالفعل يصبح أمرا طبيعيا يمكن تبريره ، وهؤلاء لا يرضون أن يسلموا بأن الانسان مطالب بأن يقيد مسلكه فى الحياة بأى اعتبار من الاعتبارات ، فالمثل العليا والفضائل والاخلاق ، وكل القيود التى اعتاد الانسان ان يحترمها ويجعلها حدودا لسلوكه، ليست فى نظر هؤلاء جديرة بالاحترام . وهم يذهبون فى زعمهم الى حد المبالغة فيقولون ان الحياة ليس فيها أية حقيقة ثابتة ، وان كل الآراء الانسانية ليست الا اصطلاحا من عمل الانسان فيجب الا تكون مقدسة

ومهما يكن من الامر فلسنا فى حاجة الى مناقشة طويلة لآراء هؤلاء ، ويكفينا ان نخرج عن دائرة المناقشة الفلسفية الى الاحاديث العادية التى لا يجادل فيها أحد . فهناك حقيقة لا ينكرها أحد مهما بلغ من المهارة فى الجدل ، وهى ان الحياة زائلة ، وان الانسان لا يأخذ معه شيئا منها الى القبر ، وان الاجسام تبلى وتفنى ، وان الاجيال تتعاقب ويرث بعضها بعضا . هذه حقيقة بسيطة لا يمكن ان يجادل أحد فيها . وهناك حقيقة أخرى وهى ان

الانسان لا يحتاج فى الحياة الا الى أشياء محدودة وقد تتعدد حاجاته ، ولكنها بلا شك تقف عند حد مهما بلغت من التعدد . فالاصل فى الانسان انه مثل سائر أصناف الحيوان يحتاج الى ان يملأ معدته بالطعام والماء ، ويحتاج الى مكان يأوي اليه ويحتاج الى ان يكون له نسل . فاذا كان الانسان قد ارتقى اليوم حتى صارت له حاجات اضافية ، فان هذه الحاجات مهما بلغت من الكثرة ، لا بد لها أن تنتهى الى حدود

ولكن الانسان من طبعه حب الذات والحرص على التملك ، وقد يتمادى فى اندفاعه مع حب نفسه ومع رغبته فى التملك الى مدى بعيد ، فينسى السبب الذى يجمع الثروة من أجله ، ويجعل الاستكثار من الاملاك والخيرات غاية فى ذاته ، وهذا التصرف جدير بان يوصف بالجهل بغير شك

ولكن الذين يستهترون بجمع الثروة والتملك ، ويهبون لها كل حياتهم ولا ينظرون الى شىء سواها ، يكونون فى الغالب ضحايا لعوامل نفسانية كمينة ، تجعلهم جديرين بوصف الجنون فى نظر العلم . وقبل أن نتجه بالحديث الى هذا الموضوع يجمل بنا أن نحدد معنى الجنون المقصود . فليس من الضرورى أن يكون المجنون مخبولا أو فاقدا وعيه، فقد يكون سليم العقل فى ناحية ، ولكنه مصاب بخبل أو شذوذ موضعى يجعله مجنونا فى هذه الناحية وحدها

فقد يكون الشخص عاديا فى كل تصرفاته ، ولكنه مصاب بضعف معين يجعل فكرة واحدة تتسلط عليه ، وتلون كل آرائه وكل نظراته للحياة ، حتى لا يكاد يعمل عملا الا اذا كان صادرا فى أعماله عن تلك الفكرة المسيطرة

***

وقد تكون تلك الفكرة الواحدة بسيطة كأن يحسب نفسه عظيما ، وعند ذلك ينظر الى الناس والى الحياة والى كل ما فيها على انه عظيم ، وقد يبلغ به الامر أن يدخل الى المستشفى ، وهو يزعم أنه ملك أو طاغية أو زعيم . وقد يحسب نفسه مريضا أو مضطهدا، فاذا رأى قوما يتهامسون أو ينظرون تجاهه ظن انهم يتآمرون لايصال الاذى به . وهذه الفكرة تسيطر على الشخص المصاب بها الى حد ان تجعل كل تصرفاته صادرة عنها . وكثيرا ما يصل هؤلاء كذلك الى المستشفى فى آخر الامر اذا تأزمت معهم تلك الحالة

وقد بحث علماء النفس فى هذه الحالات وردوها الى أصولها ، واطالوا فى الحديث عنها وعن أصنافها واقسامها ، ولا حاجة بنا الى تشعيب القول فيها ، وحسبنا ان نقول ان الرغبة الشديدة فى تحصيل الثروة اذا استولت على الشخص حتى جعلته لا يفكر فى شىء سواها فى الحياة واستبدت به ، ولونت حياته كلها ، كانت من نوع الشذوذ الذى يعترى الناس فى نفوسهم ، وهي ذات صلة وثيقة بالشذوذ الذى يطلق عليه أحيانا ـ رغبة السيطرة ـ أو مركب السيطرة

فاذا أردنا ان نتغلغل الى قرارة النفوس ، ونفسر الرغبة فى السيطرة على ضوء نظريات علم النفس ، أمكننا ان ندرك شيئا من طبيعة العوامل التى تؤدى الى هذه الانواع من الجنون فهى لا تزيد فى أصلها على أن تكون أصنافا من الانحراف أو الشذوذ الذى يصيب العقل الدفين ، اذا تعرض الشخص فى صغره لظروف تهز مشاعره هزة عنيفة وتجعله يتخذ لنفسه اتجاها معينا فى الحياة

وزيادة فى التبسيط يمكن ان تصور مجتمعا بدائيا فيه مجموعة من الناس يعيشون فى غابة أو نحوها من البيئات الساذجة . فهذه المجموعة تعيش عيشة أقرب الى حياة الحيوان فى الغابة ، ويكون قانون الغابة هو قانونها ، فمن غلب فيها استلب ، ومن كان قويا خضع غيره له ، ومن كان ضعيفا احتال على مقاومة القوى بكل ما يمكنه من الوسائل . فالفرد القوى يميل الى السيطرة ، ويحاول فى كل موقف أن يكون السيد المطاع ، واما الضعيف فيحاول فى كل موقف ان يحتال للتخلص من مواقف النضال بالهرب أو بالاختفاء أو المخادعة

فاذا عدنا الى مجتمعنا الانسانى المتمدين بعد هذه الصورة المبسطة وجدنا أن هناك قوانين لحماية الضعيف والحد من بطش القوى . ولكن الطفولة الاولى تتعامل فيما بينها على أساس قانون الغابة فى الغالب ، والطفولة الاولى هى المهد الذى تتكون فيه الطباع ، وتتكون فيه الحالات النفسية المستقرة فى الاعماق ، وكثيرا ما يتعرض الاطفال لمواقف تهز عواطفهم هزات عنيفة ، تؤثر فى أعماق نفوسهم وتبقى هناك لكى تلون كل حياتهم المستقبلة بلونها

فاذا كان الطفل قوى البنية مثلا أو شاعرا بأهميته لسبب من الاسباب ، وتعرض لظروف مؤثرة جعلته يبسط سيطرته ، ويظهر بقوته فى مجتمعه ، استمرأ هذا الشعور ، فنمت فيه الرغبة فى السيطرة ، حتى قد تبلغ أحيانا مرتبة الاعتداء واستذلال الغير

فاذا كبر مثل هذا الطفل ، وصار عضوا فى المجتمع العامل ، بقيت فيه هذه الرغبة القوية بعد أن تكون قد تغلغلت فى أعماق نفسه ، وتملكت ناصية مشاعره فيصدر عنها فى تصرفاته جميعا

واما اذا كان الطفل مصابا بضعف طبيعى ، أو كان مشوه الخلقة ، فانه يكون معرضا فى كل وقت لمواقف تهز عاطفته هزا عنيفا ، فاقرانه يسخرون منه ، وقد ينتهزون فرصة ضعفه ليوقعوا به الاذى مدفوعين بالانانية الطبيعية فى الاطفال . فينمو ذلك الطفل المسكين وهو يحس ضعفه ماثلا أمامه فى كل لحظة ، ويكون احساسه قويا عميقا يلون كل أفكاره وكل تصرفاته . وقد يعمل على الانسجام مع بيئته بوسيلة من الوسائل ، كأن يتودد الى اقرانه أو يداهنهم ، وقد يعمل على الانطواء على نفسه ، ويحاول التعويض على ضعفه بالامتياز فى ناحية أخرى غير قوة البدن أو جمال الخلقة . وكثيرا ما يكون الجد والتبريز فى الفنون راجعا الى رغبة الشخص فى التعويض . فالشعور العميق بالضعف كثيرا مايؤدى بالشخص الى محاولة التعويض عن ضعفه بعملية غير شعورية ، يتجه بها الى السيادة فى

ناحية من النواحي . ومن هنا قال العلماء ان الرغبة فى السيادة قد تكون نتيجة غير مباشرة للشعور بالضعف ، فقد يتجه الشخص الى تنمية ناحية من حياته لكى يكفل لنفسه تفوقا يعوض بها النقص الذى يحسه بغير وعيه فى قرارة نفسه

فاذا نحن عدنا الى تحصيل الثروة والاستهتار بها على ضوء هذه المباحث النفسية ، أمكن أن ندرك مغزاه النفسانى ، فالمال قوة بغير شك وهو يؤدى الى السيطرة ، ويكفل الامان من الاعداء ، فاذا كان الشخص فى طفولته قد تعرض الى ظروف شديدة هزت نفسه ، فجعلت رغبة السيادة تقوى فى أعماقها أو جعلت الشعور بالضعف يتمكن منها ، ويحمل الشخص عن التعويض عن ضعفه كان جمع الثروة بالنسبة اليه وسيلة لتحقيق الرغبة فى السيطرة أو للتعويض عن النقص

وهذه القوة الدافعة تبلغ من القوة فى بعض الاحيان ما يدفع الشخص الى التوسل بكل الوسائل لتحقيق غايته . فقد يتوسل الشخص الى جمع الثروة اذا كان مندفعا مع عقدته النفسية بوسائل دنيئة ، مثل الاختلاس أو النصب أو المقامرة والغش فيها ، أو التضحية بالشرف فى صور أخرى متعددة . وهناك تفسير نفسانى آخر لتلك الرغبة الجامحة فى التملك واحراز الثروة لا نريد الاطالة فيه ، وهو يعزو تلك الرغبة الى شعور جنسى مكبوت منذ أيام الطفولة . ولكن تفصيل هذا التفسير يستلزم مقدمات طويلة لا يتسع لها المقام هنا

***

ولا يهمنا من هذا الحديث كله الا حقيقة واحدة ، وهى أن الرغبة الشديدة فى التملك قد تكون احيانا عارضا لشذوذ نفسانى ، يسميه بعض العلماء مركبا أو عقدة . وعلى ذلك تكون عارضا لنوع من المرض الذى يعترى النفوس — أو العقول — وعلى ذلك فمن الممكن أن تسمى نوعا من الجنون لانها تصبح انحرافا عن الحالة الطبيعية العادية . فاذا نحن نظرنا الى ما حولنا فى الحياة على ضوء هذه المقدمات أمكننا أن نتبين الى أى حد يكون الحرص على الغنى أحيانا فى مرتبة الجنون

فأكثر الذين يصرفون كل وقتهم فى تحصيل الثروة وتكديسها ، لا يفعلون ذلك لانهم فى حاجة الى كل ما يجمعونه من المال ، بل ان منهم من لا يمكن ان يصرف شطرا من ماله مهما حاول الانفاق . فحاجات الانسان مهما بلغت من الاتساع لا يمكن مثلا أن تأتى على دخل أصحاب الملايين كل عام أو أصحاب مئات الالوف من الجنيهات . فاذا كان هؤلاء يعملون على الاستزادة من الثروة ، فلا يمكن ان نفسر سلوكهم الا بأنه خضوع لرغبة القوة والسيطرة . وقد يكون من هؤلاء جماعة ممتازون بالمقدرة على العمل والادارة، ويجدون فى تدبير أموالهم مجالا عظيما لمواهبهم ، ولكن المشاهد أن أكثر الذين يجمعون الاموال لا يقومون على تدبير شؤونها بأنفسهم، بل يعتمدون على غيرهم من مديرى الاعمال وموظفى الشركات التى يؤلفونها

وأمثال هؤلاء لا يمكن أن يفهموا من الحياة الا ناحية واحدة . فكل قصدهم فى الحياة لا يتعدى الجمع والاستزادة من الثروة . ومن حق المجتمع ان يسألهم ما هى وظيفتهم فيه . ومن حق الانسانية ان تسألهم عن غايتهم فى الحياة . ان للبشرية غاية تهدف اليها وتتطور نحوها ، والبشر الجديرون باسم الانسانية هم الذين يعملون أثناء حياتهم على تقدم البشرية نحو غايتها . ومن جهة أخرى ليست غاية الحياة بالنسبة للفرد الواحد مجرد سعى نحو جمع الثروة ، فان فيها نواحى متعددة لا تستحق الحياة أن يحياها الناس الا اذا ساهموا بنصيبهم منها . فهناك ناحية الفن أو ناحية الجمال فى الحياة وهناك ناحية الخير وهناك ناحية السعى الى الكمال العقلى ، وناحية السعى الى الكمال النفسى . هناك كل هذه النواحى وسواها مما لا تكون الحياة جديرة بان يحياها الفرد اذا لم ينل نصيبه منها . فهل حقق الذين يقضون حياتهم فى تحصيل الثروة شيئا من السعادة بسعيهم المتصل؟ ان منطق الحوادث انما يدل على عكس هذا

على ان الذين يجعلون تحصيل الغنى غايتهم من الحياة ، قد يرتكبون فى سبيل بلوغ غايتهم كثيرا من المظالم الاجتماعية ، ويكونون بذلك جديرين بوصف الجنون أو الشذوذ عن الحالة الطبيعية للانسان الاجتماعى

ونحن لو حللنا تلك الرغبة الملحة التى تدفعهم الى جعل الثروة غاية الحياة ، ورددناها الى أبسط مظاهرها ، لوجدناها لا تزيد على كونها نوعا من الدفع والعنف والقسر فى سبيل المبادرة نحو الثروة والاستئثار بها دون سائر الناس . وقد أدى هذا العنف الى نشوء الطبقات المحرومة ومن بعد ذلك أدى الى اتصال العنف مع تلك الطبقات المحرومة . فكل المشاكل والثورات التى قامت فى العالم بين الطبقات منذ القدم لم تكن سوى آثار للاستئثار من جهة والحرمان من جهة أخرى . ولو خلا العالم من طائفة مجانين الثروة لخلا كذلك من طائفة الثوار المحرومين

وليس جنون الغنى مقصورا على مجرد الاندفاع مع الرغبة الجامحة فى تحصيل الثروة بل هو فى الحقيقة فنون شتى . فالذين يقضون الحياة فى جمع الثروة فى نهم ، ويضحون بكل شىء آخر فى سبيلها ، يندفعون فى التصرف فيها مع رغبتهم الجامحة ، لاظهار السيطرة التى تحملهم قسرا فى سبيلها . فقد يظهر بعضهم بمظهر الكرم الحاتمى فى أعمال الخير رغبة فى اظهار قوته ، وقد يظهر بعضهم بمظهر الطاغية الاجتماعى أو المستهتر باللهو والمجون أو منازلة الغير بأمواله فى المقامرة ، وقلما يكون فيهم من يعيش عيشة ساذجة طبيعية مع أفراد المجتمع . فلو نظرنا الى مجموع هذه الاعتبارات ، لصح لنا ان نقول ان المغالاة فى جمع الثروة هو حقا نوع من الجنون ، لانه نتيجة شذوذ نفسانى أو عقلى ، ولان نتيجته شذوذ اجتماعى ، والشذوذ عن الحالة العادية جدير بأن يسمى جنونا

محمد فريد أبو حديد



فى أمريكا وأوربا هيئات ومعاهد تدرس الرأى العام ، وتبينه عن طريق الاستفتاء والاحصاء . فاذا أرادت معرفة اتجاه الرأى العام فى أمر من الامور اتجهت الى جماعات من الناس ، تمثل طبقاتهم الاجتماعية والثقافية والمادية المختلفة ، بطائفة من الاسئلة ، ثم جمعت اجاباتها ووزعتها توزيعا احصائيا يوضح فى كثير من الدقة والجلاء ما يضطرب به الرأى العام من الآراء والمشاعر

وأشهر هذه الهيئات « معهد جالوب » بأمريكا ، وهيئة « ملاحظة الجماعات Mass-Observation » فى انجلترا

وقد قامت بعض الهيئات التى تعنى بدراسة الرأى العام بتبين ما تختلج به اذهان الناس من الآراء ، وما يجيش فى صدورهم من المشاعر ، قبل ما ينتظر الانسانية فى السنين القادمة من الاحداث والمشاكل ، فاسفرت هذه الدراسة عن حالة نفسية غريبة : هى ان موجة من التشاؤم تغمر الجماعة الانسانية كل ربع قرن

فأغلبية الرأى العام فى امريكا وفى انجلترا وفى كندا وفى استراليا توقع أن تتجدد الحرب التى انتهت فى هذا العام بعد خمس وعشرين سنة . توقع هذا اكثر من ثلث الجماعات التى استفتيت فى هذه البلاد . أما باقى هذه الجماعات فقد توقعت أمورا أخرى: بعضها توقع تجدد الحرب قبل هذا ، وبعضها توقعه بعد هذا ، وقليل منها توقع ان تكون الحرب الاخيرة خاتمة الحروب

وهذا استفتاء آخر قام به « مركز البحث فى الرأى القومى بجامعة دنفر » فى امريكا ، كان موضوعه : هل تتوقع أن تحارب الولايات المتحدة الامريكية فى خلال السنوات الخمسين القادمة . فكانت نتيجة الاستفتاء ما يلى :

٣٦ ./. يتوقعون نشوب الحرب القادمة فى خلال خمس وعشرين سنة

و٢٣ ./. لا يتوقعون نشوبها قريبا ، بل فى خلال الخمسين سنة القادمة

أى أن ٥٩ ./. من الرأى العام متشائم من المستقبل ، متوقع نشوب حرب أخرى ، وفى خلال القرن العشرين أيضا

وأجرى هذا المركز استفتاء آخر وجه فيه أربعة أسئلة ، فكانت الاجابة عنها هكذا :

أكثر من نصف الاجابات اما قالت ان الحروب لا خلاص منها ولا سبيل الى اتقائها ، واما قالت ان الناس لن يعملوا ولن يبذلوا ما يجب عمله وبذله لمنع الحرب واقرار السلام

وخمسا الاجابات كانت متفائلة الى حد ما فقالت ان الحرب ستلغى يوما من الايام . ولكن جانبا منها يمثل ١٧ ./. من الرأى العام رأى ان هذا اليوم لم يحن بعد وان الحرب التى انتهت فى هذا العام لن تكون آخر حرب يشهدها التاريخ

أما ٢٦ ./. ممن استفتوا فكانوا أكثر تفاؤلا فوافقوا على الرأى الذى يقول : « انه بعد هذه الحرب سيتخذ العالم نظاما لمنع الحروب »

وخلاصة هذا الاستفتاء أن المتفائلين لا يعدون أن يكونوا ثلث المتشائمين

والرأى العام فى انجلترا اكثر تشاؤما منه فى أمريكا ، كما ظهر من الاستفتاء الذى قام به « المعهد البريطانى للرأى العام » اذ قال أكثر من نصف الناس ان الحرب العالمية الثالثة فى طريقها الينا لا محالة ، وانها واقعة عما قريب فى فترة لا تتعدى خمسة وعشرين عاما

وهكذا نجد أن موجة من التشاؤم بدأت تغمر أفكار الناس ومشاعرهم ، متوقعين ان تبلغ هذه الموجة أقصى مدها بعد ربع قرن من هذا العام . وفى وسعك أن تتبين هذه الموجة دون استفتاء واحصاء ، وحسبك أن تسأل فى هذا نفرا قليلا من الناس فترى كيف ينظرون الى المستقبل نظرة قاتمة ، يائسة

***

سلهم عما يظنونه سيصنع بألمانيا التى اثارت عليهم حربين رهيبتين ، يجيبوك ساخرين : وماذا تحسبهم صانعين ؟ سيمدونها بالمال ، وسيهيئون لها كل شىء ، حتى تغدو قادرة على أن تثير حربا عالمية ثالثة — وسترى عما قريب أنا صدقنا الرأى ولم نسرف فى التشاؤم !

وسلهم عن أى مشروع اجتماعى : متى يوضع ومتى يتحقق ؟ يجيبوك يائسين : عند ما تقوم الحرب القادمة وتغدو مقاعد الحكام فى حاجة الى أيدى الشعوب تقيمها وتسندها !

واسأل هذه السيدة متى تقوم الحرب القادمة ، فلا تستنكر هذا السؤال المخيف ، بل تقول فى بساطة : عند ما يفيقون من غمرة الحرب الماضية ، ويتأهبون ويعدون العدة للحرب الجديدة

وتلك سيدة أخرى سمعت « يوم النصر » فى ميدان ترافلجار بلندن وهى تشكو ألما فى قدمها ، فيقول لها صاحبها : لا بأس ، احتملى الألم قليلا ، لتشهدى حفلات النصر ، فانا لا نشهدها الا مرة كل خمس وعشرين سنة !

ولكن ما مدى ما لموجة التشاؤم هذه من الاثر فى مجرى الحياة اليومية ، وفى وجهة النظر الى المستقبل ؟

لعل ما يجلو هذه المسألة هو موقف الرجال والنساء من « النسل » : هل يطلقونه ويستكثرون منه ، أم هل يحددونه ويكفون أنفسهم منه بالقليل ؟

ان المفروض أن تحملهم موجة التشاؤم على أن يقللوا من « النسل » الذى يتوقعون له أن يكون « علفا للمدافع » التى ستدوى فى الحرب الآتية عما قريب . ولكن النوازع

النفسية معقدة مبهمة ، بحيث لا يتسنى أن تحللها وتفسرها على أساس من المنطق الواضح الدقيق . فمن المحقق انك لو سألت من يحددون نسلهم عما يدعوهم لذلك، لانكر اكثرهم انه انما يفعل ذلك ضيقا بالحياة واشفاقا من المستقبل . ولكنك لو طرحت هذا السؤال ذاته على صورة أخرى ، فقلت لهم : هل يرغبون فى الاكثار من النسل لو استقامت لهم شؤون الحياة وكانوا على ثقة من المستقبل الرخى ؟ لاجابك أكثرهم أن « نعم » . فالسؤالان فى جوهرهما ومرماهما واحد ، ولكن الاجابتين مختلفتان ، لان خلجات النفس ونوازعها لا تسير سيرا منطقيا محكما ، بحيث تترتب على كل مقدمة نتيجتها المحتومة

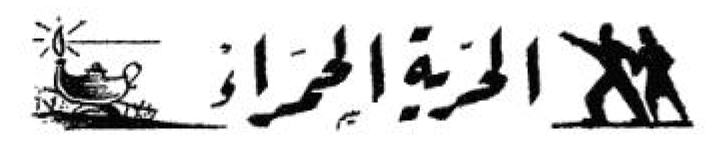
ومع هذا فقد وجدت هيئة « ملاحظة الجماعات » أن المتشائمين بمستقبل الانسانية يؤثرون أن تكون أسرهم أقل عددا من أسر المتفائلين ، وان كانوا يخادعون أنفسهم ، ولا يعللون هذا بخوفهم من المستقبل واشفاقهم منه على أبنائهم ، بل يرجعونه الى عوامل أخرى ، منها حسن القيام على شؤون الاسرة الصغيرة ، ومنها المحافظة على صحة الوالدات . وان اتجاه كثير من الآباء والأمهات على تحديد نسلهما ، فى وقت كان يجب فيه الاكثار من النسل تعويضا للعالم عما فقده من ملايين البشر فى هذه الحرب ، لدليل على انهم يحسون فى قرارة أنفسهم أنهم قادمون على أيام عسيرة عصيبة يفرقون من شدتها وبأسائها

***

وثمة دليل آخر على موجة التشاؤم هذه التى تغمر الناس غمرا ، فى وقت كان ينبغى أن تنبسط فيه الآمال وتنشرح الصدور ، وقد وقفت رحى الحرب،وخبت نارها ، وبدأ العالم يتطلع الى آفاق رحيبة من السلام والرخاء . هذا الدليل هو موجة الالحاد التى تغمر من جانبها أذهان شطر كبير من الناس . والالحاد والتشاؤم قرينان قلما يفترقان . فقلما تجد المتفائل ملحدا ، وقلما تلقى المؤمن متشائما . فانظر الى أهل ضاحية من ضواحى لندن وقد ألقى اليهم هذا السؤال : « هل تؤمن بوجود اله ، أم هل تكفر بوجوده ، أم هل لم تفكر فى الامر ؟ » — تجد انه ليس أكثر من نصف الرجال ولا من ثلاثة أرباع النساء من يؤمنون ايمانا جازما بوجود الله !.. وثلاثة أخماس هؤلاء المؤمنين والمؤمنات لا يؤمنون ايمانا عميقا بالحياة الاخرى بعد الممات ! والجيل الجديد أكثر تشككا والحادا من الجيل القديم ، فعدد الملحدين من الابناء ضعف عدد الملحدين من الآباء . وهذا دليل واضح على أن نزعة التشاؤم سارية فى العقول والقلوب ، فتدفعها الى الشك والقلق ، كما تدفعها الى التمرد والثورة

وما من شك فى أن التوسع فى المؤسسات والخدمات الاجتماعية ، وفى اتاحة فرص التعليم والكسب والارتقاء ، وفى تخفيف اعباء الحياة المادية عن كاهل الناس ، من شأنها أن تخفف من وطأة هذا التشاؤم، على شريطة أن تعمر القلوب بالايمان ، فانها ان خلت منه لم تجد عنه عوضا أو بدلا

(عن مجلة نيو ستيتسمان اند نيشون)



بقلم الأستاذ حبيب جاماتى

(احتفل السوريون بمرور عشرين سنة على ثورتهم الوطنية فى سنة ١٩٢٥ ، والتى استمرت نحو سنتين . وهى المرة الاولى التى يحتفل فيها بهذه الذكرى فى عهد الاستقلال والسيادة) الصحف

عادت « سلمى » من رحلتها فى الاقاليم للنزهة والراحة ، الى مدينة سان باولو ، فتلقاها أخوها « نزيه » بين ذراعيه ، واسرع الاثنان الى بيتهما الصغير ، فى طرف المدينة الغربى ، وقد طفح قلب كل منهما ببهجة اللقاء بعد الشوق الممض وطول الفراق

وجعلت الاخت تقص على أخيها حوادث رحلتها ، وتروى له ما شاهدته من غرائب وروائع فى الشهور الاربعة التى قضتها متنقلة فى المدن والسهول والجبال ، وختمت حديثها قائلة بلهجة ملؤها الاعجاب : « البرازيل بلاد جميلة ! »

فأضاف نزيه قائلا : « وهى وطننا الثانى يا سلمى . ففيها نشأنا وترعرعنا ، وفيها مات أبوانا ، ولكن . . »

سكت الشاب وتنهد . ونظر الى اخته فاذا بعينيه تغشاهما دموع عبثا حاول أن يمسك انهمارها . فدهشت الفتاة ، وساورها القلق :

ـ ما بك ؟ أتشعر بألم ؟ هل عاودك المرض فى غيابى ؟ لقد قصرت فى العناية بصحتك !

ـ كلا يا سلمى ! ليس المرض سبب شجونى وألمى ، بل ليس المرض سبب فرحى ، لان هذه الدموع التى تسكبها عيناى دموع غبطة واعتزاز لا دموع حزن وهوان !

ـ وما الداعى اليها اذن ؟

ـ حوادث سوريا يا سلمى ! حوادث وطننا الاول ! ففى الشهور التى قضيتيها بعيدة عن هذه المدينة ، وقع هناك ما كنت أنشده وأرجوه وأتمناه . . اقرئى . .

دفع نزيه الى اخته جريدة « المقطم » الصادرة بالقاهرة فى ٢٣ اغسطس ١٩٢٥ ، واشار الى اطار أحمر وكرر قائلا : « اقرئى بصوت جهورى ! »

فقرأت سلمى : « يا احفاد العرب الامجاد ! هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم ، والعاملين فى سبيل الحرية والاستقلال عملهم ! هذا يوم انتباه الامم والشعوب ، فلننهض من رقادنا ، ولنبدد ظلام التحكم الاجنبى عن سماء بلادنا ! لقد مضت علينا عشرات السنين ونحن نجاهد فى سبيل الحرية والاستقلال . . فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف ، بعد ان

اسكت القلم ، ولا يضيع حق وراءه مطالب ! أيها السوريون . لقد أثبتت التجارب ان الحق يؤخذ ولا يعطى . فلنأخذ حقنا بحد السيوف ، ولنطلب الموت توهب لنا الحياة !..»

توقفت الفتاة عن القراءة ، لان غصة فرح واعجاب أبكتها كما أبكت أخاها من قبل . ولكنها تجالدت واستأنفت قراءتها بصوت كان يرن كالنفير فى أجواء القاعة ، وخيل اليها انها تخاطب كتائب الفرسان فى الميادين ، فأتت على آخر ذلك النداء الحماسى المؤثر ، وقد وقف الشاب بجانبها وطوقها بذراعيه : « .. الى السلاح ! ولنكتب مطالبنا بدمائنا !.. الى السلاح ! والله معنا ، والانسانية معنا ! ولتحى سوريا حرة مستقلة ! »

صاحت الفتاة : « مرحى ! مرحى ! » ثم تمتمت بخشوع اسم الرجل الذى وقع ذلك النداء واذاعه : « قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام : سلطان الاطرش ! »

وقال الاخ للاخت :

ــ ألست على حق يا سلمى فى اطلاق الدموع من محاجرها ؟ ان الذل والعبودية عبء تعب وطننا الاول من حمله ، فهب يلقيه جانبا ويثار من المستعمر الذى أذله واستعبده ! وانها لثورة عجيبة رائعة لو تعلمين . خذى ، خذى . طالعى أخبارها وتفاصيلها واعمال ابطالها فى هذه الصحف العربية والافرنجية ، التى حفظتها لك منذ بدء القتال بين المجاهدين والفرنسيين

جعلت سلمى تقلب الصحف بلهفة وتلتهم انهرها التهاما . فعلمت كل شىء !

علمت ان الدروز كانوا يشكون من حاكم جبلهم الفرنسى فطلبوا ابداله بسواه . ولكن غرور الفرنسيين ، وصلف مندوبهم السامى الجنرال سراى ، حالا دون تصفية الخلاف بالحسنى . فقد أراد المستعمرون ان ينكلوا بشعب شجاع يأبى الخنوع والارهاق ، فكان ما كان من فتنة محلية فى جبل الدروز ، فى شهر يوليو ١٩٢٥ ، ما لبثت ان تحولت الى ثورة حقيقية بعد بضعة اسابيع ، ثم امتد لهيبها الى ربوع الشام وغوطتها الفيحاء ، الى ان عم الديار السورية من شمالها الى جنوبها ، ومن جبالها الى بيدائها

فاجأ الدروز فصيلة فرنسية مؤلفة من ١٩٠ جنديا فأبادوا معظم رجالها وشتتوا الباقين، فى معركة « الكفر » فى ١٦ يوليو ١٩٢٥ . ونازل الثوار بقيادة حمد البربور ، فى معركة « المزرعة » فى الثانى من اغسطس ، جيشا فرنسيا قوامه أربعة آلاف مقاتل فهزموه شر هزيمة ، واستولوا على عتاده وذخيرته ، وفر قائده الجنرال ميشو على ظهر دبابة يطلب النجاة ! وفى ١٧ سبتمبر ، داهم الدروز جيشا آخر فى «المسيفرة» فمزقوه تمزيقا . وانزلوا بالفرنسيين ضربات متوالية قصمت ظهورهم فى « السويداء » عاصمة الجبل ، وفى « عرى » وغيرهما من الاماكن والقرى

واذاع سلطان باشا الاطرش ، الزعيم الحربى لجبل الدروز ، نداءه المشهور على السوريين ، فلعلع الرصاص ، ولمعت النصال ، وراح المجاهدون فى كل ناحية وصوب « يطلبون الموت لتوهب لهم الحياة ! »

انتهت سلمى من مطالعة الصحف ، وقد أخذ منها التأثر مأخذه ، فالتفتت الى أخيها وقالت :

ــ ألا ترى يا نزيه ان واجب الوفاء لذلك الوطن الاول المحبوب ، يقضى علينا بأن نساهم فى هذه الوثبة المباركة بما نستطيع القيام به من أعمال ؟

ــ هذا ما أفكر فيه منذ أسابيع يا سلمى . وكنت انتظر عودتك لاتخاذ القرار الذى تراه مناسبا . ان اخواننا المهاجرين هنا ، فى العالم الجديد ، قد ألفوا اللجان وفتحوا الاكتتابات وارسلوا الاموال الى الهيئات الوطنية التى تعمل للثورة ، فى القاهرة والقدس وغيرهما من عواصم العالم العربى . وقد دفعت ما تيسر لى دفعه من اعانات . ولكن المال ليس كل شىء فى الحركات الوطنية يا سلمى . وهناك ناحية لا اشك فى انها تفتقر الى تعضيد وادعام ، فى صفوف المجاهدين الكرام ، وهى الناحية الصحية والطبية

ــ اظن اننى فطنت الى ما تريد . .

ــ اصغى لاخيك الى النهاية : لقد تركنا دمشق ، انت وانا ، فى سن الطفولة ، مع ابوينا . ونحن الآن وحيدان فى هذا العالم ، لا أهل لنا ولا أسرة . أنا طبيب لا امارس مهنتى لاننى مريض ومنصرف الى العناية بنفسى ، وانت ممرضة تسهرين على أخيك ، وبالرغم من انك جميلة ، وان كثيرين من الشبان قد طلبوك للزواج ، فقد اعرضت عنهم ، وآثرت تضحية نفسك وسعادتك ، للبقاء مع هذا الاخ الذى لا يستفيد من الدنيا ولا يفيد أحدا فيها بشىء !

ــ لا تقل هذا يا نزيه . ألسنا سعيدين ؟

ــ نحن سعيدان بما يكنه الواحد للآخر من محبة واخلاص . ولكن السعادة الحقيقية يا اختى الحبيبة فى العمل المشكور الذى يؤديه الانسان فى حياته لقومه ووطنه ، وفى الأثر الطيب الذكر الذى يتركه وراءه بعد موته ! والفرصة الآن سانحة : فهل توافقين ياسلمى على أن نغتنمها ؟

ــ فهمت ، وادركت ، ووافقت !

ــ لنذهب اذن ! لنسافر فى أول باخرة ترفع مراسيها من هذا الميناء . ولنسرع الى هناك سنذهب الى دمشق ، وقد نجد فيها بقية أصدقاء وأحباب ، يعرفون والدنا « الحاج طاهر الميدانى » نسبة الى حى الميدان بالعاصمة السورية ، وسألتحق أنا بجماعات الثوار فى معاقلهم ، فابذل فى سبيل المصابين منهم ما استطيع كطبيب ، وتظلين انت فى دمشق ، أو ترافقيننى اذا شئت ، وتكونين أحد رسل الرحمة لدى الجرحى واليتامى والمحرومين !

***

وصل نزيه الميدانى واخته سلمى الى مصر ، بعد ذلك الحديث باربعة أسابيع ، واتصلا بالجمعيات السورية فى القاهرة ، فسهلت لهما سبل السفر الى فلسطين ، وذهبا منها خلسة

الى شرق الاردن فجبل الدروز فدمشق

كانت الرحلة محفوفة بالمخاطر والصعوبات . ولكن الروح العالية التى دفعت بالشابين الى الالتحاق بالثورة الوطنية ، كانت تذلل كل صعوبة وتتغلب على كل خطر

وأخيرا ، أطل نزيه وسلمى على دمشق ، ويا لهول ذلك اليوم الذى أطلا فيه على المدينة الثائرة !

كان ذلك فى التاسع عشر من شهر اكتوبر ١٩٢٥ ، وكان فريق من المجاهدين ، بقيادة البطل حسن الخراط ، قد دخلوا العاصمة وحاولوا اختطاف الجنرال سراى من مقره . ولكن الرجل فر قبل وصولهم بدقائق معدودات ، ثم أصدر أمره باطلاق قنابل المدافع على المدينة ، ظنا منه ان تدميرها على رؤوس أهلها ، سيمحو العار الذى لطخ به ذلك القائد اسمه ، والهزيمة التى حلت بجيوشه ، وان البطش بالسكان الآمنين ، سيبعث الرعب فى قلوب المجاهدين ، ويضع حدا لانتصاراتهم فى الميادين !

ذلك هو اليوم المدون فى سجل التاريخ بأحرف من نور ونار ، والذى وصل فيه الشاب واخته الى دمشق ، مهد أسرتهما ، ومسقط رأسيهما . يوم دكت فيه قنابل الفرنسيين ، مدة خمسين ساعة ، شوارع المدينة وأسواقها وازقتها ، وشبت الحرائق فالتهمت القصور والبيوت والمخازن ، فتكدست جثث الضحايا بين الخرائب والانقاض !

وجد الشابان نفسيهما فى وسط ذلك الجحيم المتأجج ، وهما لا يدريان كيف تمكنا من الوصول اليه ، بعد اجتياز تلك المسافات الشاسعة ، بحرا وبرا ، بدون ان يصابا بأذى

وقال نزيه لاخته ، وازيز الرصاص وانفجار القنابل يعلوان صوته : « سنبدأ العمل منذ اليوم يا سلمى ! »

وفى الواقع ، بدأت منذ ذلك اليوم حياة جديدة ، كلها مفاجآت للشاب والفتاة الباسلين ، وكلها عمل متواصل ، وتعب وعناء ، وتفكير مستمر فى ابتكار أساليب التخفى والتنقل من مكان الى مكان

بقيت سلمى فى دمشق ، تطوف على المنازل والاكواخ ، فى داخل المدينة وضواحيها ، باحثة عن طفل فقد أباه ، أو امرأة قتل زوجها ، أو أم أودت رصاصة فرنسية بفلذة كبدها ، فتبذل المرضة للام والزوجة والطفل ، ما تقتضيه حالة كل منهم ، من مال أو دواء أو مؤاساة . وكانت المدينة الجريحة تقطر دما من كل أطرافها ، وأنات الألم وتأوهات الحسرة تتصاعد من كل جوانبها . فان الفرنسيين لم يكتفوا بضربها بالقنابل واحراقها بالنار ، بل ظلوا شهورا طوالا يفتكون بأهلها فتكا ذريعا ، ويتصيدون المزارعين والقرويين من بساتينها وحقولها ، فيقتلونهم رميا بالرصاص ، وينقلون جثثهم على ظهور الجمال ، فيعرضونها فى ساحات العاصمة المنكوبة وشوارعها ، ارهابا للمسالمين ، وانتقاما من سطوة المحاربين من أبنائها

فكان ميدان الجمل اذن فسيحا أمام سلمى « الميدانية » فخاضته بشجاعة واقدام، وتفانت فى خدمة الثورة بالوسائل التى تملكها يداها

أما نزيه ، الاخ الطبيب المريض ، فقد خيل اليه منذ يوم وصوله الى ميادين الشرف والجهاد ، ان هواء الوطن ، وجو البطولة الذى يعيش فيه السكان ، قد بثا فيه نشاطا لم يعرفه من قبل، بل بلسما لاوجاعه وآلامه، وان الداء يتقهقر أمام ارادته تقهقر المستعمرين فى ذلك الصراع العنيد ، وانه سوف ينهزم انهزامهم ، ويرحل عن جسمه الراغب فى الحياة ، عند ما يرحلون عن وطنه الراغب فى الحرية والاستقلال !

قصد الشاب الى الغوطة ، وراح يتنقل فى غاباتها وادغالها ، ويزور قراها ومزارعها ، ويتردد على مرابض الثائرين ، الذين كانت كتائبهم تتجول فى تلك البقعة المحررة من أرض الوطن ، وتجشم المشقات للوصول الى اشبال الدروز فى عرينهم المنيع، ولحق بفصائل الفدائيين الذين هاجموا الفرنسيين فى حصونهم بجبال لبنان ، فكانت جماعاتهم ترحب به وتعد قدومه نفحة من العناية الربانية ، لان الاطباء فى صفوف الوطنيين المقاتلين كانوا قليلين ، وأقل منهم الادوية والعقاقير وأدوات الاسعاف والعلاج

والتقى نزيه فى رحلاته تلك بطائفة من ذوى النخوة والشهامة ، وفدوا مثله من الخارج: من مصر وفلسطين ولبنان والعراق وتركيا وأوربا وأمريكا ، ملبين نداء القائد العام ، قادمين خفافا سراعا لاخذ نصيبهم من القتال المجيد ، واضافة نقطة من دمائهم الى جداول الدماء الزكية ، التى سالت غزيرة فى تلك الثورة ، فروت أرض الوطن وعجنت تربته !

شهد الشاب معظم المعارك التى دارت رحاها بين الفرنسيين ــ وقد جردوا للقتال عشرات الآلاف من خيرة جنودهم وقوادهم ــ والمجاهدين الذين وطدوا العزم على قهر الغاشمين المغتصبين أو الموت فى حومات الوغى !

ومرت الشهور تلو الشهور والثورة لم تنكسر شوكتها وتخمد نارها ، والثوار الدروز والشاميون وغيرهم يفتكون بكل حملة تخرج لقتالهم ، بل ينقلبون فى النهاية من الدفاع الى الهجوم ، فيثبون على معسكرات الفرنسيين وقلاعهم وثكناتهم واستحكاماتهم فى كل مكان ، ويردون لهم الكيل كيلين ، والضربة ضربتين !

ويعمد الفرنسيون الى الانتقام فى كل مرة من السكان المسالمين ، فيصبون جام غضبهم على المدن والقرى ، يهدمون ويخربون ويحرقون

وأرادوا ، فى أوائل شهر مايو سنة ١٩٢٦ ، ان يكرروا ارهاب دمشق لكى تلين وتذعن ، فاطلقوا زبانيتهم من الجنود المرتزقة، لكى يضرموا النار فى المدينة ويسلبوا وينهبوا ويقتلوا ما شاءت لهم سليقتهم ان يفعلوا . فاندلعت ألسنة النيران فى حى الميدان وغيره من أحياء دمشق ، وظلت تلتهمها ثلاثة أيام بكاملها ، من يوم ٧ الى يوم ٩ من ذلك الشهر المشئوم

وشاءت الاقدار ان يكون الطبيب نزيه المبدانى قد انسل قبل ذلك بقليل الى داخل العاصمة ، للقاء أخته بعد غياب بضعة اسابيع ، فشهد حريق المدينة فى الايام الثلاثة ، كما شهد من قبل تدميرها فى الساعات الخمسين

ولم يكن الآمر بالحريق فى هذه المرة الجنرال سراى ، مدمر دمشق ومخربها ، بل المندوب السامى الجديد الذى حل محله ، وهو من المدنيين لا من العسكريين : هنرى دى جوفنيل

أسرع نزيه ، ومعه اخته سلمى ، الى مواضع الخطر ومواطن الموت ، فى تلك الايام الملعونة ، وجعل الاثنان يبحثان بين الجثث عن ضحية لم تفارقها الحياة بعد لاسعافها واغاثتها، وكانا يتجنبان الاماكن التى يرابط فيها الجند ويصول فيها المرتزقة ، لانهم كانوا يعتدون على المارة أيا كانوا . وقال الطبيب لاخته :

ــ ان مواطنينا فى حاجة الى حياتنا لكى تنقذ حياتهم ، فلنحذر ما استطعنا الى الحذر سبيلا !

وبينما كانت سلمى تضمد جراح شيخ غارق فى دمه ، وقد سقطت قطعة من الحديد عليه فشجت رأسه ، رأى أخوها عن بعد امرأة ترتدى ثوبا أوربيا ، تركض مذعورة فى الزقاق ، متجهة نحوه ، وتصيح صيحات منكرة وقد أفقدها الخوف رشدها

ترك الشاب اخته منهمكة فى اسعاف الشيخ الجريح ، واسرع صوب المرأة مشيرا اليها بان تهدىء روعها ، واذا بها تصرخ ، بلغة قومها ، الفرنسية :

ــ انقذنى ! انقذنى !

فأجابها نزيه بتلك اللغة التى كان أبناؤها فى اللحظة ذاتها يحرقون عاصمة بلاده وحى آبائه واجداده :

ــ لا تخافى ! انتظرى !

وقفت المرأة وهى ترتجف وترتعد . فاقترب الطبيب السورى منها ، وهدأ روعها ، وعلم من الكلمات القلائل التى خرجت من فمها ، انها فرنسية كانت فى زيارة صديقة سورية ، فهاجم الجنود الدار التى كانت فيها ، واحرقوها مع ساكنيها ، فتمكنت وحدها من النجاة ، وفرت من زقاق الى زقاق لا تلوى على شىء :

ــ انقذنى ! انقذنى !

ــ لا تخافى ! فلا خوف منا على النساء !

أخذها بيدها ، وسار بها نحو المكان الذى ترك فيه سلمى ، بين انقاض البيوت المتهدمة، وتحت وابل من الاخشاب المحترقة ، والقذائف المتساقطة

وقبل ان يصل الى الممرضة وشيخها الجريح ، ظهرت فى منفذ الزقاق شرذمة من السنغاليين السود ، الذين يستعين بهم الفرنسيون لتعذيب العرب البيض ، والذين اطلقوا جوعهم فى المدينة تعيث فيها فسادا وتروع النساء والشيوخ والاطفال !

رفع أحد الجنود بندقيته الى كتفه ، واطلق منها رصاصة اصابت الطبيب فى صدره فصاحت بهم سلمى صيحة مدوية :

ـ ويحكم ! أهذا جزاء من ينقذ امرأة من نساء أسيادكم !

ولكن رصاصة ثانية انطلقت من بندقية ذلك العلج الكالح الوجه والقلب ، فسقطت الفتاة جثة هامدة فوق جثة أخيها الهامدة !

ووثب السنغاليون رافعين بنادقهم من أفواهها ، وجعلوا يضربون باكعابها رؤوس الطبيب والممرضة والشيخ الجريح ، فهشموها تهشيما ، وجردوا الجثث مما استطاعوا أخذه من مال وحلى وثياب ، وانطلقوا فى طريقهم باحثين عن ضحايا جديدة

لكن الضابط الذى كان يقودهم فى تلك الحملة الجنونية ، وقف مبهوتا مأخوذا أمام المرأة الفرنسية التى ظلت تصيح فاقدة العقل : ذلك لانه عرف فيها زوجته ، وكان يبحث عنها منذ الصباح !

أخذها بيدها ، وتابع السير وراء جنوده ، بدون ان يلقى نظرة على الجثث التى تركوها وراءهم ، وبدون ان يترحم على الشاب الذى لقى مصرعه بسبب تلك الزوجة التى أراد انقاذها وحمايتها !

ولحقت روح الطبيب نزيه واخته سلمى بأرواح الشهداء الابرار المجهولين ، الى عالم الخلد حيث لا استعمار ولا استعباد ولا ارهاق، ولا تمييز عند الخالق بين الالوان والاجناس!

***

لم تخضع دمشق بعد حرقها كما انها لم تخضع من قبل بعد تدميرها بالقنابل . وظلت الثورة قائمة فى بلاد الشام ، وظل الثوار ينازلون الفرنسيين ويقهرونهم . غير ان الموارد التى كانوا يعتمدون عليها جعلت تنضب شيئا فشيئا ، فى حين ان الدولة التى يحاربونها كانت تجرد لقتالهم الجيوش الجرارة وترصد الأموال الطائلة . وفى شهر يوليو ١٩٢٧ ، أى بعد عراك دموى دام سنتين كاملتين ، اضطرت البقية الباقية من المجاهدين الى الكف عن القتال ، والرحيل الى ما وراء الحدود ، مؤثرين المنفى فى ظلال الحرية على الخنوع للحكم الاجنبى

ذهبوا الى الصحراء الطليقة ، تاركين لرجال السياسة استثمار نتائج ثورتهم ـ أو افسادها ، لان السياسيين المحترفين كثيرا ما يفسدون على رجال السيف أعمالهم !

وظلوا هناك يرقبون الحالة عن كثب ، وقد أرهفوا السمع والبصر والسيوف ، مدركين ان الحرب بين الحق والباطل لا بد ان تستأنف عاجلا أو آجلا ، وان الاستقلال لا يمنح فى دواوين الوزراء بل يؤخذ فى الميادين ، مرددين مع شوقى قوله فيهم :

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق !

حبيب جاماتى



بقلم الأستاذ سامى الجريدينى

لقد أجمع رجال الاجتماع والقادة المفكرون أمرهم على ان روح القومية الذى اجتاح العالم ـ وأوربا منه على التخصيص ـ مئات من السنين ، قد كان العامل الاكبر فى تفريق الامم بعضها عن البعض الآخر ، وكان نكبة على الرجل العادى العالمى ، اذ قيده واستعبده بما حسن له من آيات الكلام المذوق يطعمه منه ما يشاء ، ويحرمه من متاع الحياة الدنيا . . الخبز والمسكن

فكان ان اضطرب العالم كله ، وأصبحت الدول بعضها لبعض عدوا ، تبنى سياستها على هذا النظام وتذهل عن الجوهر ، وهو ان النظام المعقول هو النظام الذى يحسن التقارب بين الامم على قاعدة التبادل الاقتصادى السليم ، ويبعد المسيطرين الذين يمتصون الثروات العالمية خدمة لنفر قليل منهم ، ويوجهون الاكثرية مرة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال حتى تلهو عن الغرض ، وتنسى انها هى التى يحق لها ان تكون صاحبة القول الفصل فى تسيير سياسة حكومتها

حتى نبتت فكرة المذهب العالمى ، الذى يعتبر العالم وحدة ، يجب ان تتقارب أجزاؤها وتتعاون ، لا أن تتقاتل وتهيء ظهورها لركوب الفئة الجشعة المحبة لذاتها فقط . وقد كانت هذه الروح العالمية تظهر وتختفى ، طبقا لظروف حرب طارئة تبهت الافكار ، أو انقيادا لتفكير انسانى واسع الأفق يرمى الى المثل الاعلى . الى ان بذرت بذور الاشتراكية، وظهر نبتها وامتدت جذوره فى أوربا كلها ، فكانت مرتعا خصبا للمبادىء التى تأخذ بالعالمية نظاما يحل محل القومية

* * *

اذا أردنا أن ندرك حقائق الاشياء ، وجب علينا ان نتجرد من حكم ما تركه فينا الماضى من آثار تردنا دائما الى النظم الفردية المستبدة ، وان نصرف تفكيرنا الى الشىء المعقول البسيط ، ونصرف الامور المتعلقة بالغير تصريفنا لامورنا . عند ذاك نفهم ان من أسباب الويل الذى لحق بابن آدم مدة طالت ولم تنته بعد ، هو انه ترك أمره وأمر منفعته لجاره ، عوضا عن أن يتولاها هو بنفسه

وأعنى بالجار هذه الهيئات الحاكمة ، التى تسير دفة السياسة على هواها ، وعلى هوى البيئة التى تحيط بها أو تمت اليها بسبب . ولو أدرك الرجل العادى انه هو صاحب

الشأن ، أو أن شأنه لا يقل عن شأن غيره من المستأثرين ، لأن كثيرا مما وقع فيه من ثورات اجتماعية ومن حروب

ولا أظننا مغالين اذا قلنا ان هذا العهد قد مضى وانقضى ، وان الرجل العادى قد عرف كرامته واعترف له بها

كما اننا لا نخالنا مخطئين ، اذا زعمنا ان المبادىء الاشتراكية هى التى أيقظت الوعى الشعبى ، وان هذه المبادىء أعادت الامور الاقتصادية الى حقيقتها ، فاعادت معها التفكير بما كان يبدو ساعة ويختفى ساعات — التفكير بنظام عالمى وهو ما يعبرون عنه بقولهم (Internationalism)

***

ولا شك ان مبدأ العالمية قديم ، وانه نودى به بصوت عال عند ما وضع القوم نظام جامعة الامم ، ولكنه لم يتيسر له سبب واحد من أسباب الحياة . وما قولك بنظام يحبذ مبدأ التعاون العالمى ، ثم يسلمه الى عصبة أفرادها أنانيون رأسماليون امبراطوريون ، ولا تستثنى دولة فى أوربا ، ولا تستثنى أكبرهن خارج أوربا وأعنى أميركا

الى أن كانت هذه الحرب وظهرت نتائجها

وان ما نشاهده الآن من هذا التقلقل ، ومن هذا النزاع المستتر مرة والظاهر أخرى ، ليس الا أثرا من آثار الصراع الهائل بين المبادىء القديمة ، مبادىء القومية مع بعض التوسع فيها ، وبين المبادىء العالمية التى ترمى الى قومية واحدة لجميع أبناء آدم . هذا نزاع سيطول وستنشب فى أثناء تطوره ثورات وقلاقل . ذلك ان العالم — وخصوصا الاوربى والاميركى — قد أقام بنيانه على نظام قومى ، على نظام تسود فيه المنفعة الخاصة ، على نظام ينادى فيه بحرية القول ، وتغل اعناق المتكلمين بقيود التحكم الصناعى والمالى التى تذهب بالحرية مع الريح

وليس بدليل أبلغ فى النفس على صحة ما نقول من هذه السياسات الدولية التى نراها تسيطر على العالم الآن

***

فانجلترا التى أعطت قيادها للاشتراكية فى الانتخاب الاخير ، لا تستطيع ان تذهب فى اشتراكيتها الى آخر مداها ، لانها تصطدم بتقاليد قديمة رأت فيها الخير ، وتشاهد امبراطورية عظيمة فيعز عليها ان تغير أسسها ، وقد قامت على اكتاف قوم لا يزالون يتولون أمور الصناعة والمال والتحكم فيها

حتى قالوا انه اذا أراد وزير شيئا وأراد « الموظفون الدائمون » شيئا آخر فالقول مايقوله هؤلاء الاخيرون الذين يدعونهم « Civil Service » وهذه الامبراطورية لها حق فى الحياة ولها مواصلات . فاذا جاءت دولة كبرى أو أخرى صغرى ، وجاورت هذه المواصلات

أو خرجت عن اطاعة صاحبتها ، قامت القيامة ونسى الوزير الاشتراكي مذهبه ، ويأخذ بما يمليه عليه الموظف الدائم

وروسيا التى بلغت أوج المجد على اكتاف النظام الاشتراكى المتطرف ، والتى نادت بالعالمية منذ ١٩١٧ تراها غير مطمئنة الى أوروبا الغربية ، فتسعى الى مد نفوذها فى كل بقعة من العالم ، حتى اتهمها أعداؤها باتباع سياسة القياصرة ونسيان سياسة ماركس ولينين

وهذه أميركا التى طغت ثروتها المادية على القارات الخمس والتى ملأت الدنيا مبادىء انسانية ، تراها تحاول ان تفرض نظامها الاقتصادى على العالم ، فهى تنادى بالحرية الفردية ذريعة الى تعميم تفكيرها الاقتصادى ، فتكون النتيجة انها وهى القوية الغنية تسيطر على الجميع

حتى أصبحنا نخشى ان ينقسم العالم قسمين ، واحد تتزعمه أميركا والآخر ترأسه روسيا . وكل منهما يرمى الى تأمين طريقه أو ضمان نوع تفكيره ذريعة الى التوسع الاقتصادى

فهل يكون هذا سببا الى الاخذ بمبادىء القومية ، والبعد عما وصفوه فى ميثاق الامم المتحدة من المبادىء العالمية

اننا لا يخالجنا شك بأنه مهما تبعد دول العالم الآن عن النظرية العالمية ، فلا مندوحة لها عن الرجوع اليها

ذلك لان الرجل العادى وهو الاكثرية الساحقة فى تعداد الشعوب لم يعد يقبل الرجوع الى أساليب تكون نتيجتها ان تزج فيه بحروب أخرى

وانه وان بعدت شقة الخلاف بين المذهب الاميركى وبين المذهب الروسى ، فلن يعدم الاميركيون من يقوم فيهم ، يظهر لهم محاسن مبادئهم الانسانية ومساوىء الانانية الاقتصادية ، وهم أهل لذلك وعلى استعداد لتلقى مثل هذه النظريات ، فلا يجرون وراء سياسة ارباب المال والمصانع

كذلك الروس وقد اكتووا فى ماضيهم بنار الظلم والعبودية ، لا يستطيعون أن يعرضوا ما كسبت أيديهم للضياع

***

فما هو المخرج من هذه المآزق التى نراها تظهر الواحدة بعد الاخرى . .

انه ملموس قد دلنا عليه الاقطاب كلهم فى شتى أقوالهم . فهو العدالة فى توزيع المواد الاولية ، توصلا الى اقتصاد يضمن العيش الهنىء للجميع

ولندرك ان الامر فى حيز الممكن ، دعنا نتصور بعض أفراد ذوى كفاءة وذوى مال ، يبغون تجارة تدر عليهم وعلى ذويهم الخير . وقد احتكروا أو كادوا ان يحتكروا امتياز هذه التجارة ، فهل يزاحم أحدهم الآخر ، ليخسر جاره ، وتعود الخسارة عليه أيضا ، أم يتفقون فيما بينهم على ما يضمن الكفاية للجميع

انهم لا شك يؤثرون الاتفاق والاشتراك على الانزواء والاكتفاء الذاتى . فيؤلفون فيما بينهم شركة يعمل فيها الجميع لفائدة الجميع

وهكذا الدول الكبيرة .. فاننا اذا أبعدنا عنها المبادىء الاخلاقية ووضعناها أمام الامر الواقع ، لآثرت العمل بسلام على ركوب مركب الانتحار

فالقوة التى تتمثل فى كل ما أعده العلم من أدوات الهلاك ، لىست حكرا على قوم دون آخرين

والفائدة المادية نفسها تظهر فى التعاون أو فى الاشتراك ، أكثر مما تكون فى الاستئثار والانفراد

فاذا لم يكن الا عامل خوف الحرب حافزا على انتهاج سبيل العمل فى نطاق السلام ، فانه كاف ان يرشد الناس الى الهدى

فاذا كنا من المؤمنين بالاخذ بالنظم العالمية التى تجمع بين الأمم ، فلاننا نرى الفائدة المادية والفائدة الادبية فى هذه الانظمة . ولاننا نرى ان العالم قد جرب ما سواها دهره فكان من الخاسرين ، فأولى به ان يجرب سبيلا آخر

وسيقود العلم العالم فى هذا أيضا

فان الطيران والمواصلات السلكية وغير السلكية ، هدمت مبادىء القومية المنعزلة الى غير رجعة ، وانه لم يعد على الانسانية الا القليل من التجربة واختيار القادة ، حتى تتخلص من عصر الخراب وتدخل فردوس التعمير والاستمتاع بالحياة

وليست هذه الفكرة بنت يومها .. انها قديمة ولكنها لم تظهر دواء ناجعا لا سبيل الى سواه ، الا فى هذه الفترة من عمر الانسان

***

واننا نذكر اننا كتبنا فى مثل هذا المكان فى هذه المجلة مقالات ترمى فى جوهرها الى تبين النظم العالمية وان العالم متوجه اليها ، وكان ذلك حوالى سنة ١٩٢٣ و١٩٢٤ وهانحن أولاء نرى ان شيئا كثيرا من هذه النظم قد أخذ بالاستقرار ، واصبحنا أشد ايمانا وأقوى عقيدة بان لا نجاة الا اذا أقلع الناس عن عبادة قومياتهم ، وأخذوا بالانسانية آلها عبادته أتقى وانفع

وهم فاعلون اما قسرا بحكم الخوف من الهلاك ، الذى يخبئه العلم للجهل أو عن طيبة خاطر بفعل المبادىء السليمة التى أخذت تمشى فى النظم الاقتصادية والاجتماعية

سامى الجريديني

هل يصير الانسان .. مارداً وسيماً ؟

« يا له من رجل ! » .. كلمة تتردد على ألسنة الآباء والامهات عند ما ينظرون الى أبنائهم فيجدونهم قد فاقوهم ارتفاعا فى القامة ، وبسطة فى الجسم ، ووسامة فى السمات
وهم بهذه الكلمة يلاحظون ظاهرة من أهم الظواهر البيولوجية فى التاريخ البشرى . ففى خلال بضعة العقود الاخيرة ، بل من عام الى عام فى عصرنا هذا ، نرى بأعيننا نموا باديا فى القوام البشرى ، وما يشتمل عليه من أطراف وأكتاف وأعطاف ، نموا ما كان يتم فيما مضى الا على مدى أجيال وقرون من التطور البطىء
فماذا أدى الى هذا ؟
ان الاجابة المألوفة عن هذا أن الفضل عائد الى أمرين ، العناية بتنشئة الاطفال، والتغذية
ولكن الواقع اننا نخطىء اذ ظننا ان هذين العاملين وحدهما ، هما السبب فيما طرأ على القوام البشرى من التغير ، بدليل ان هذا التغير تناول أهل المناطق البدائية الذين لا يختلفون عن أسلافهم القدامى من حيث التغذية ومن حيث العناية بالاطفال
اذن ما هى العلة فى هذه الظاهرة ؟ هذا ما لم يستقر فى شأنه رأى العلماء ، ولكنهم يوجهون اهتمامهم الجدى الى بحث التأثيرات الناجمة عن تغيرات المناخ ، وعن اشعاعات البقع الشمسية ، وعن الظواهر الجوية والشمسية المختلفة ، حاسبين أن لها تأثيرا كبيرا فى الاسراع بنمو الجسم نموا أكثر مما كان مألوفا فيما مضى ، وكذلك فى تغير النسب المألوفة بين اجزاء الجسم وأطرافه
والامريكيون هم اليوم أطول قواما — فى المتوسط — من أية مجموعة من الناس عرفها التاريخ . فأين ومتى كان ثمة جمع غفير من اللاعبين الرياضيين ترتفع قاماتهم سبع أقدام كهذا الجمع الذى تحشده أمريكا من أبنائها فى المباريات الرياضية ؟ وما من شك فى اننا اذا قسنا المستقبل على الماضى ، فان القوام الامريكى سيظل فى نموه المتزايد ، حتى يصير متوسط طوله بعد بضعة أجيال ست أقدام ، وحتى يصير القوام الذى يبلغ سبع أقدام قواما مألوفا
وكذلك طالت قامات النساء فى العقود الاخيرة عن قامات أمهاتهن ، وذلك بمعدل بوصة ونصف بوصة فى الريف ، وأكثر من ذلك بين فتيات الجامعات
وليست أمريكا بدعا فى بلاد العالم فى هذا ، بل ان هذه الظاهرة تشمل كثيرا من أقطار العالم كما تدل الاحصاءات التى وضعت عن انجلترا وفرنسا والمانيا وغيرها من أقطار أوربا ، وكذلك اليابان التى طالت فيها القامة البشرية خلال الاجيال الاخيرة بمعدل بوصتين . ومما يدل على أن هذه الظاهرة لا ترجع الى العناية بالتغذية والصحة أن أطفال أوربا الذين ولدوا فى أثناء الحرب الكبرى الاولى وفى اعقابها ، أى فى أسوأ الاوقات من

حيث نقص المواد الغذائية وقلة العناية الصحية ، قد شملتهم ظاهرة طول القامة كما شملت سواهم من الاطفال الذين ولدوا فى المناطق الرخية والمتحضرة حيث تتوافر وسائل العناية ومواد الغذاء . وفضلا عن هذا فان هذه الظاهرة بدأت فى أوربا منذ قرن تقريبا ، أى قبل ان يحدث أى ارتقاء فى شؤون الصحه والتغذية ، مما يدل على ان ثمة اسبابا أخرى تعين على الاطالة من قامة الانسان . ومع هذا لا يصح ان نقلل من تأثير التقدم العلمى الحديث فى تكوين الاجسام القوية السليمة ، فان آثار هذا التقدم مشهودة ملموسة فى انواع الحيوان والطيور ، وانواع الخضر والفاكهة ، التى يعنى بتربيتها وتجويدها

ولكن الذى يدعو الى التساؤل هو كيف تطول القامة ، وكيف تجود الصحة بين الاقوام الذين لم يرتقوا عن أسلافهم شيئا ما من حيث العناية بالصحة أو من حيث توافر الغذاء . فهل نقارن الانسان بالنبات لعلنا نجد فى « المناخ » تعليلا لهذه الظاهرة

ان كل فلاح يعلم ان للمناخ تأثيرا قويا فى نمو النبات وجودة المحصول ، وان كل تغير فيه من حيث الرطوبة أو الجفاف والاعتدال يؤثر فيه تأثيرا مباشرا . وهناك فريق من العلماء يعتقد ان هذا المناخ يؤثر فى الانسان مثلما يؤثر فى النبات . وتدل الارصدة الجوية خلال القرن الاخير ، وعلى الاخص خلال العقود الثلاثة أو الاربعة الماضية ، على أن المناخ يتجه نحو الاعتدال ، كأن الصيف القائظ والشتاء القارس يريدان ان يخففا من وطأتهما ويصيران ربيعا أو خريفا معتدلا . ومن الملحوظ فى أمريكا أن جميع فصول الشتاء منذ سنة ١٩١٢ ادفأ مما كانت من قبل ، وان الفارق الكبير بين حرارة الصيف وبرودة الشتاء آخذ فى التناقص . وقد لوحظ مثل هذا فى كثير من بقاع الارض منها كندا ، وشيلى ، وفرنسا ، وافريقيا الجنوبية ، والهند ، وذلك منذ بداية هذا القرن

وعلى الجملة فان مناخ المناطق المعتدلة يتجه نحو الدفء ، وهذه المناطق على الاخص هى التى اتجهت فيها قامة الانسان نحو الطول . فهل ثمة علاقة بين الاتجاهين ؟ يجوز ، فان العلم أثبت تأثير الدفء فى نمو الاحياء وقوتها . ومن ذلك ما أجراه من التجارب على ذبابة الفاكهة فأثبت انه اذا كان الجو الذى تربى فيه دافئا نشأ جناحها أطول وأقوى مما ينشأ اذا كان الجو رطبا باردا . ولا يقتصر تأثير الدفء والرطوبة على الجناح ، بل يتناول كذلك بطن الذبابة من حيث حجمه وقوته . ومن ناحية أخرى فقد ثبت أن الاشعاعات المختلفة ، ومنها اشعة اكس ، لها تأثير على كثير من الاحياء ، اذا سلطت عليها فى دور نشوئها ، بل واذا سلطت على الخلايا التناسلية فى ابائها . فلماذا لا يصح أن يقال على أساس هذه التجارب العلمية ان نمو الجسم البشرى قد ازداد فى الاجيال الاخيرة نتيجة هذا الطقس الدفىء الذى بدأنا نستمتع به ، أو نتيجة اشعاعات معينة لم يتبينها العلم بعد ؟ ان الامر على اية حال لا يعدو ان يكون نظرية تتطلب بحوثا طويلة قبل أن يقرها العلماء أو يرفضوها

ولم يقتصر التغير الذى تناول الجسم الانسانى فى أمريكا على طول قامته ، بل تناول كثيرا من اجزائه وأطرافه . فقد صار وزنه اثقل مما كان ، وكذلك صارت الاكتاف

أعرض ، والاذرع والسيقان أطول ، وصارت الاعقاب أخف وأصغر ، وصار الخصر بالنسبة الى الصدر أنحف وأنحل

وكان للنساء نصيبهن من هذا التغير . فزاد وزن فتيات الجامعات عشرة أرطال عن وزن زميلاتهن فى سنة ١٩١٨ ، واتسعت ونهدت صدورهن ، ولم تطل سيقانهن كثيرا ، ولكن الطول تناول الجزء الاعلى من أجسامهن ، وهذا دليل الصحة والعافية . وكذلك كبرت أقدامهن وطالت . ولا شك فى ان فى خروج المرأة من بيتها الى ميدان العمل والرياضة له تأثيره فيما اصابت من نمو وصحة ، وهذا بالاضافة الى العوامل الاخرى التى ذكرنا ، وهى عوامل الغذاء والصحة من ناحية ، وعوامل الطقس والمناخ من ناحية أخرى

على ان أطرف ما يلاحظ فى هذا الموضوع هى التغييرات التى أصابت شكل الرأس وسمات الوجه . فقد لاحظ بعض العلماء أن الاطفال الذين يولدون فى امريكا من اباء مهاجرين اليها من الخارج يختلفون عن آبائهم بما يتخذونه من ملامح وتقاطيع وسمات تتفق مع الطابع الامريكى . فبينما يكون الاب ممتلىء الوجه مستديره ، اذ بابنه الذى ولد فى أمريكا نحيف الوجه مستطيله . بل ان شكل الرأس يتغير ، فتصير رأس الايطالى أطول وأوسع ، ورأس اليهودى اطول وأضيق ، ورأس المجرى أقصر وأضيق . وتظل هذه الرؤوس فى تغيرها وتحورها جيلا تلو جيل حتى تصير رؤوسا امريكية متشابهة ، لا تكاد تعرف أصولها الاولى . وفى هذا دليل قاطع على ان الامر ليس أمر الغذاء والصحة، بل يرجع الى البيئة وما تشتمل عليه من عوامل الطقس والمناخ

وقد صار الامريكيون فى السنين الاخيرة أكثر وسامة واتساقا ، وصارت ملامح وجوههم أكثر دقة واعتدالا . وهذه الظاهرة ملحوظة على الاخص بين المتحدرين من أصول أجنبية ، أو من آباء أقل منهم حظا من الثروة والحياة الرخية . فيلاحظ فى كثير من الاسر أن الابناء أحسن من آبائهم فى هيئة الفم والاسنان ، وان أنوفهم أصغر من انوف آبائهم واكثر اعتدالا . وكذلك يلاحظ ان الشعب الامريكى المؤلف من أخلاط من شتى شعوب الارض يتجه نحو انجاب وجه أمريكى نموذجى متشابه التقاطيع والسمات . ولا شك أن هناك عملية بيولوجية ، وأخرى سيكلوجية تؤدى الى توحيد هذه الوجوه التى وان كانت منحدرة من أصول مختلفة ، الا انها تعيش الآن فى بيئة واحدة

ان الكتب المقدسة تتحدث أحيانا عن أقوام عمالقة سكنوا الارض فيما مضى من الزمان . وما من شك فى أن بعض الجماعات التى ظهرت فيما قبل التاريخ كانت فارعة بادنة الاجساد، لان البيئة التى كانت تحيا فيها مكنتها من النماء والضخامة ، ولكن أغلب البشر كانوا أقصر منا قامة واضعف بنيانا ، وهذه موميات الفراعنة تدل على انهم لم يكونوا مردة شدادا . على أن البشرية تتجه الآن نحو جيل منها فارع القامة ، قوى البنية ، متسق السمات ، لعله — ان امتلك من القوى العقلية والخلقية والروحية ما يتفق وقوته البدنية — ان يكون الانسان الاعلى المنشود

(عن مجلة « ليبرتى »)

أخطار النظارات

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

كان اختراع النظارات نعمة للبصر ولا سيما اذا كانت عدسية النظارة تكمل نقص البصر الذى فى العين ، أو بعبارة أخرى تصلح العيب الذى فى الحدقة . ولكن استعمال النظارات فى هذا الزمان أصبح عند بعض الناس زيا يستتمون به جمالهم أو لياقتهم أو هندامهم أو تبرجهم . يستعملون النظارة من غير تطبيق على حاجة العين ومن غير ارشاد الطبيب المختص ، فينشأ فى العينين عيب لم يكن موجودا ، لان النظارة غير الملائمة تضطر العين الى مطاوعة حركاتها لها . لذلك لا يجوز استعمال النظارات الا حسب ارشاد الطبيب

وهناك نظارات بسيطة لا تعظم ولا تصغر المرئى . فاذا كانت بلا لون فلا لزوم لها بتاتا . وانما تستعمل النظارات الملونة للوقاية من تأثير الموجات النورانية على حدقة العين ، ولكن الناس يستعملونها من أى لون بلا حذر ، وهم يجهلون ما للون النظارة من تأثير فى العين . واعتاد القوم فى الشرق - ولا سيما فى مصر - ان يستعملوا النظارات السود لكى يتقوا انبهار العيون فى حدة النور الساطع . وقد تكون النظارة حالكة السواد ، فيجرأون ان ينظروا بها الى قرص الشمس نفسه فى رائعة النهار ، كما اعتدنا ان ننظر الى الشمس فى ساعة الكسوف من خلال زجاجة مموهة بالدخان

***

وعامة الناس يجهلون الخطر الشديد من استعمال هذه النظارات السود ولاسيما الحالكة ، لانهم يجهلون حقيقة طبائع الالوان . ان اللون الابيض يعكس عادة الحرارة ، كما يعكس النور أيضا . واللون الاسود يمتص الحرارة من الوجه الذى وقعت أشعة النور عليه ، ويفرزها من الوجه الآخر . لهذا نلبس الملابس البيض صيفا لكى تصد الحرارة عن اجسامنا ، ونلبس السود شتاء لكى تأتينا بحرارة الشمس

اذن فالنظارة السوداء تمتص الحرارة من جهة النور وتشعها من جهة العين . فالعين اذن واقعة تحت فيض من الحرارة دائم الانسكاب . فماذا تكون العاقبة على العين ؟

اليك هذه القصة الواقعية :

كانت سيدة لاترفع النظارة السوداء عن عينيها ، كلما كانت تتقلب على رمل «البلاج» ابان الصيف لانها تبتغى ان تتشبع من فيتامينات النور الساطع كما قيل لها . فكانت تقضى معظم

النهار وهي تتقلب يمينا وشمالا تقرأ تارة وترنو الى الشمس تارة أخرى والشمس تبدو لها قرصا أسود تحيط به هالة حمراء

وبعد بضعة أيام صارت أثناء عودتها الى البيت ، ترى نصب عينيها كرة سوداء لا تفارقها، وصارت هذه الكرة تكبر يوما فيوما حتى صارت تحجب عن عينيها بعض المرئيات ، ولم تكن هذه الكرة الا طيف الشمس نفسه ، الذى اعتادت ان تراه بواسطة النظارة السوداء، كما نرى نحن طيوف الاشياء التى نحدق بها كثيرا حتى بعد اغماض عيوننا

فلما شعرت السيدة بتفاقم هذه الظاهرة الغريبة ، جزعت وذهبت الى الطبيب الاختصاصى، فلما فحصها فحصا دقيقا بمجهره ، رأى ان الشبكية التى فى أقصى العين والتى ترتسم عليها الطيوف مكمدة جدا ، كأنها قطعة من قماش بيضاء شرعت تحترق . فسأل السيدة أسئلة الطبيب المدقق وعلم منها انها كانت تستعمل النظارة السوداء طول النهار على البلاج ، ففهم ان الشبكية احترقت بالحرارة التى كانت تستمدها النظارة من نور الشمس الساطع وتقذفها الى داخل العين . والنظارة محدبة قليلا فكانت الاشعة الحرارية تتجمع فى بؤرة واقعة فى وسط الشبكية . والعين نفسها تفعل فعل العدسية المحدبة تجمع الاشعة فى بؤرة الشبكية

لم تعرف السيدة شيئا من هذا قبل فحص الطبيب لها ، ولا عرفت ان النظارة السوداء لا تصون العين الا من الاشعة المنظورة بعض الصيانة ، ولكنها لا تحميها من الحرارة ، ولا من الاشعة غير المنظورة وهى الاشعة تحت الحمراء والاشعة فوق البنفسجية

وعالج الطبيب السيدة ما استطاع ، فتحسن بصرها ، ولكنها بقيت ترى طيف الكرة السوداء خفيفا ، فكان تذكارا لذلك التقلب الموموق على « البلاج » استمدادا للفيتامين الطبيعى ــ كما قالوا لها ــ بفعل الامواج النورانية

***

لاجل وقاية العين من الاشعة الحرارية يستعمل حامو المعادن نظارات مصنوعة خصيصا لوقاية العينين ولا محل لوصفها هنا ، وانما يدخل فى تركيب زجاجها أملاح بعض المعادن كالحديد ، لانها تمتص الحرارة ولا تنفذها وانما تبددها فيما حولها . على ان هذه النظارات لا تصلح للاستعمال الاعتيادى لانها ثقيلة وغالية الثمن ، وليست شائعة فى السوق

وأفضل نظارات الوقاية النظارات الخفيفة اللون ، وينبغى تجنب النظر من خلالها الى الشمس

ان الاشعة فوق البنفسجية التى لا ترى أشد خطرا على العين من الاشعة المنظورة لان أمواجها قصيرة ، والاشعة تحت الحمراء على عكسها لانها أطول موجات . ونور الشمس يشتمل على قدر كبير من هذه الاشعة ، ومنها ما يحتويه تألق البخار الزئبقى . وهى وان كانت لا تمر فى الزجاج بسهولة ، ولا تتغلغل الى أعماق العين ، بيد ان طبقة العين المسماة

بالقرنية فتمتصها فتؤذى بها ، اذ تحدث التهابا مؤلما فى طبقتى المقلة السطحيتين أى الملتحمة والقرنية ، وتحدث أيضا استفاضة الدموع وعجز العينين عن الحملقة . هذه الحالة تعرف باسم « الرمد الكهربائى » وتكثر عند الممثلين فى الافلام السينمائية لانهم لا يستطيعون ان يستعملوا نظارات الوقاية فى أثناء التمثيل ، حين يعرضون لفيض من الانوار الكهربائية

لذلك يستعمل ممثلو السينما الآن العدسيات الملاصقة الملونة تلوينا خفيفا ، لكى يتقوا ضرر الاشعة فوق البنفسجية . وهى زجاجات رقيقة توضع تحت الجفنين على المقلة مباشرة كأنها قشرة منها ولا تظهر للرائى

وفى حالة استعمال الاشعة فوق البنفسجية أو الحمام الشمسى للاستشفاء ، تستعمل نظارات وقائية أما بلون الكهرمان ، أو اللون الرمادى ، فهى تصد جانبا كبيرا من هذه الاشعة

***

أكثر الذين يصعدون الجبال العالية المكسوة بالثلوج ، ولا يستعملون النظارات الوقائية التى تصفى الاشعة المنعكسة عن الثلج، تلتهب عيونهم وتتورم بفعل الاشعة فوق البنفسجية . وتعرف هذه الحالة « بالعمى الثلجى » وهو يكثر عند الاسكيمو وكلابهم . ونقص الفيتامين ب أو الثيامين كلوريد يؤدى الى هذا النوع من العمى ويعرف على التحقيق باسم « التهاب العصب البصرى »

وكما ان أمواج الحرارة الواردة من مصدر بعيد كالشمس تحرق بؤرة فى شبكية العين ، كذلك الحرارة الآتية من مصدر قريب كوطيس الزجاج المصهور يمتصه مقدم العين ويحمى عدسياتها ، ويفضى الى مرض « ماء العين الابيض » Cataract ويسمى مرض « نافخى الزجاج » وهو خطر ولا بد لاتقائه من استعمال النظارة الخاصة والا فقدت العين نورها وبصرها

وقد استعملت النظارات الملونة منذ القرن السادس عشر ، وكانت فى بادىء الامر خضراء ، وفى القرن السابع عشر صارت تستعمل النظارات الطبية لتقويم البصر ، ولكنها لم يشع استعمالها قبل منتصف القرن الثامن عشر ، لان اكتشاف الاشعة الزرقاء فى ضياء الشمس اظهر انها من أسباب مقومات الحياة

وقد استعملت النظارات الرمادية أو المدخنة فى لندن لاول مرة فى منتصف القرن الثامن عشر ، ولا تزال معروفة الى الآن باسم « دخان لندن » . والعدسيات الكهربائية صنعت فى انكلترا منذ سنة ١٨٣٢ . ثم تدفقت العدسيات المختلفة الالوان بقصد ان كل لون يمتص طيفا من طيوف نور الشمس

***

وفى سنة ١٩١٣ استنبط السير وليم كروكس - مخترع الانبوب المفرغ من الهواء -

عدسية خضراء تمتص كلا الاشعتين فوق البنفسجية وتحت الحمراء ، اللتين فى طرفى الطيف الشمسى . وهى معروفة الآن باسم عدسيات كروكس . وهى رمادية ضاربة الى الاسمرار وتمتص الاشعة فوق البنفسجية

وينتج تلوين العدسية من مزيج مصهور الزجاج ببعض المعادن ، فمعدن أوكسيد الكوبلت يجعل الزجاج أزرق واكسيد الكروم واوكسيد الحديد يجعلانه اخضر واوكسيد الذهب ورديا واوكسيد الفضة والاورانيوم اصفر والمنغنيز بنفسجيا

وكل زجاج ممتص للحرارة يحتوى على مقدار كبير من اوكسيد الحديد . والعدسيات التى لا لون لها ينفذها ٨٠ ./. من الاشعة النورانية ، فتقى العين وقاية جزئية من احراق الشمس لانها تصد جميع الاشعة فوق البنفسجية التى هى أشد الاشعة خطرا . والعدسيات الرمادية الضاربة الى الاسمرار تمتص الاشعة فوق البنفسجية القصيرة والطويلة ، ولهذا تصلح للوقاية فى الجبال الثلجية

***

والعدسيات الرمادية والتى بلون البشرة تخفض كمية الضوء بنسبة واحدة تقريبا فى موجات الطيف الشمسى . ولذلك يجب ان يستعملها جميع الاشخاص الشديدى الاحساس بالنور الباهر

اما العدسيات الخضراء الضاربة الى الزرقة فتمتص الاشعة فوق البنفسجية القصيرة وبعض الاشعة تحت الحمراء

وقد صنعت حديثا عدسيات استقطابية أى صالحة لاستقبال النور المستقطب الذى تتجه أشعته الى أحد القطبين دون الآخر . والضوء المستقطب يصدر منعكسا عن سطح الماء أو البلاط المبتل بالماء على زاوية ٢٠ـ٣٠ درجة بين الشعاع المنعكس والسطح الذى انعكس عنه

وخلاصة القول ان استعمال النظارات يجب ان يكون بكل حذر حين يكون لازما ، وهذه معلومات كافية لمن يتدبرها

نقولا الحداد



كيف تكتسب ثقة الناس ؟

لا ريب ان كسب ثقة الناس هو أهم كسب يحوزه الانسان ، وسواء كنت موظفا أو تاجرا أو طبيبا أو محاميا أو فنانا ، وسواء كنت رجلا أو امرأة ، غنيا أو فقيرا ، فانك محتاج الى ثقة الناس بك ، ولا غنى لك عنها بحال

وأهم قاعدة لكسب ثقة الغير ، هي أن لا تأتي عملا ولا تقول شيئا، تفقد به ثقتهم، فلرب عمل واحد ، أو تصرف منك غير ذي أهمية ، أو كلمة تلفظها دون كثير تفكير ، تنبىء الناس بما تريد ان تخفيه من دواخل نفسك ، أو تصورك في نظرهم صورة خاطئة ، لاتمت الى حقيقتك بسبب . ومتى فقدت ثقة انسان ، فمن العسير - ان لم يكن من المحال - ان تستردها ثانية . والامثلة على ذلك كثيرة :

تاجر يغش الزبون مرة فلا يثق به بعد ذلك . طبيب يهمل مرة في تشخيص المرض فلا يثق به المرضى بعدئذ . صحيفة تنشر نبأ كاذبا فتهبط منزلتها عند قرائها . زوجة تكذب زوجها القول مرة فيرتاب في كل ما تقوله بعد ذلك ولو كان صدقا . زوج يتضح لزوجته خداعه فلا تثق به بعدئذ ولو تاب وصدقت توبته . ضيف في مأدبة يذكر نكتة غير لائقة في حضرة سيدات فتتكون لدى الجميع فكرة سيئة عن مبلغه من التهذيب ، ولو كانت تلك الغلطة منه كبيضة الديك نادرة

ومتى عملت بهذه القاعدة السلبية ، وامتنعت عن اتيان كل أمر وقول كل لفظ ، من شأنه ان يسيء ظنهم بك وحكمهم عليك ، فقد مهدت الطريق لتقتهم بك ثقة يتوقف قدرها على الطرق الايجابية التي تتخذها معهم ، والتي نذكر طرفا منها فيما يلي :

لكي تكسب ثقة الناس ، يجب ان تظهر لهم انك تهتم بمصالحهم ، ولا تقصر اهتمامك على مصلحتك وحدها . ولكي تتقن اظهار ذلك لهم ، يجب ان تهتم بمصالحهم فعلا ، حتى يصبح ذلك طبيعة لك

واذا أردت اقناع انسان بان يفعل ما تريده منه ، فما عليك الا ان تثبت له انك انما ترعى صالحه وحده . ويجب ان يكون ذلك صدقا وحقا ، لانه اذا اتضح له فيما بعد انك خدعته، وانك لم تنشد سوى صالحك ، فقد خسرت ثقته بك الى الابد

واعلم انك اذ ترعى مصالح الناس ، في نصحك وتفكيرك وعملك ، فانما تحقق صالحك في النهاية ، اذ تعود ثقتهم بك خيرا عليك ، وتدر من الربح المادي والادبي ، أضعاف أضعاف ما كنت تربحه منهم بخدعهم واستغلالهم

وتذكر ان الناس يودون لو يثقون بك ، لانهم لا يمكنهم ان يفرغوا كل حين للتحقق من صدق ما تقوله ، واخلاص ما تفعله .. ولولا تبادل الثقة بين الناس ، وسموها عن الريبة

والشك ، لما تم بينهم تعاون ، ولا عقدت صفقات ، ولا أديت خدمات ، ولا خلقت أموال وثروات

القاعدة الايجابية الثانية لكسب ثقة الناس بك ، هى ان تختار الوقت المناسب لعرض ما تريد ان تعرضه ، وقول ما تحب ان تقوله ، واعلم ان كل انسان من هذه الوجهة ، بمثابة « بائع » يريد ان يبيع الناس شيئا ، فلا بد ان يغريهم أولا بقبول الشراء ، فطالب الوظيفة الذى يعرض على صاحب العمل جهده وكفاءته ، والسياسى الذى يطلب الى الناخبين أصواتهم ، والصحفى الذى يكتب آراءه وأخباره للقراء ، بل الزوجة التى تطلب الى زوجها مبلغا من المال تشترى به معطفا ثمينا الخ ، كل أولاء يشبهون بائع البضاعة من حيث الاحتياج الى الاقناع والاغراء بالقبول

واذا علمت ذلك ، فلا تذهب مثلا الى رجل جائع ، أو غاضب ، أو متعب ، لكى تحاول اقناعه بشىء ما ، تريده منه ، بل اصبر حتى يسد جوعه ، أو تهدأ سورة غضبه ، أو يرتاح من تعبه

ولا تنس ان هناك وقتا مناسبا ، ووقتا غير مناسب ، وان كل انسان له أوقات رضا ، وأوقات غضب . فعليك ان تختار الوقت المناسب لمن تتصل به ، وتريد ان تحدثه أو تقنعه بشىء ما . والناس لهم امارات غضب ودلائل رضا ، ومظاهر تعب أو راحة ، تجعل من اليسير عليك ان تختار الوقت المناسب

شكا الى صديق حميم شدة عبث ولده البالغ من العمر عشر سنوات ، وما يلقاه من نصب فى تربيته لشدة مراسه وعناده ، ولما هممت بأن أكلم الغلام فى ذلك ــ ولى عليه نفوذ كبير ــ لم يستمع الى كلمة منى ، ولكنه بادرنى بان طلب الى ان أقص عليه حكايات لطيفة ! وعندئذ ادركت ان الوقت غير مناسب للنصح قبل ان أحكى له تلك الحكايات . .

وذهبت يوما الى مدير شركة كبيرة ، وفى نيتى ان أدله على طريقة لترويج منتجات مصنعه . وبدأت حديثى بان سألته عن حالة الشركة ، فأجاب مسرورا ان منتجاتها رائجة لدرجة جعلت المصنع عاجزا عن سد حاجة الطلبات . . وعندئذ أدركت ان الوقت غير مناسب لعرض طريقتى الخاصة بترويج تلك البضاعة . .

وليس يكفى ان تقول القول المناسب ، بل يجب ان تقوله أيضا فى الوقت المناسب

من الدواعى التى تحدوك الى اختيار الوقت المناسب ، ان تتاح لك الفرصة لكى تشرح مسألتك شرحا وافيا . ولست أعنى الشرح المطول الممل ، بل ما يكفى لان يكون الطرف الآخر فكرة صحيحة عن الموضوع الذى تعرضه . واعلم ان الشرح الناقص يكون فى ذهن الطرف الآخر ، فكرة ناقصة عن الموضوع ، ان لم تكن فكرة خاطئة أصلا ، تضيع ثقته بك ، فتجنى بها عكس ما تريد

ان البعض كثيرا ما يعجز عن كسب ثقة الناس به ، لا لشىء سوى انه لا يشرح مسألته الشرح الواجب ، لانه لم يعد هذا الشرح فى ذهنه من قبل ، ولم يرتبه عند عرضه ترتيبا

منطقيا واضحا . مثله فى ذلك كمثل المحامى الذى يخسر الدعوى لانه لم يكلف نفسه عناء اعداد المرافعة أو الدفاع الاعداد الواجب

وكثيرا ما يكون الحكم الخاطىء على شخص أو موضوع ناشئا من عدم الوقوف على الحقائق . ومن الامثلة التى أذكرها على ذلك ، ان مدير أحد الاعمال ضاق ذرعا بموظف عنده لانه أخذ يخطىء أخطاء عجيبة فى كل تقرير يضعه عن العمل ، حتى لم ير بدا من فصله . واتضح ان الرجل كان قد أصابه مرض فى عينيه اخفاه جهده عن ذلك المدير ، فصار يملي تقاريره على كاتب خارجي يستأجره ، ثم لا يستطيع ان يراجعها بنفسه فتجيء مملوءة بالاخطاء . ولما علم المدير بذلك أخذته الشفقة به وساعده على العلاج

وأعرف زوجين انفصمت رابطتهما رغم حبهما المتبادل وأفقدا أولادهما هناءة الاسرة ، الملتئمة الشمل ، لا لشيء سوى ان كلا منهما ضن على الآخر بشرح حقائق يجهلها ، ولم يصارح كل منهما صاحبه باخطائه ورغباته

ولقد سألت يوما أحد المحامين النابهين : « كيف تكسب كل دعواك حتى لا تكاد تخسر واحدة منها ؟ » فأجاب : « ذلك لان خصومى فى تلك الدعاوى أكسل من ان يعدوا مرافعاتهم اعدادا كافيا »

من أهم الاسباب لكسب ثقة الناس كذلك : القصد فى الوعود التى تبذلها لهم ، ويلاحظ ان الانسان حين يريد اقناع غيره بشيء ما ، يميل الى الوعد باكثر مما يستطيع الوفاء به ، ومن شأن ذلك ، حين لا تتحقق الوعود ، أن يفقده ثقة الناس ، وتكون العاقبة وبالا عليه فعلى الانسان ان لا يفرط فى الوعد ، بل خير له ان يعد بأقل مما يمكنه القيام به ، لا أكثر منه . فاذا تحقق الوعد كان ذلك أدعى الى زيادة الثقة به

وتصلح هذه النصيحة للتاجر والصانع والطبيب والمحامى ، كما تصلح للسياسى ولجميع الناس ، بل ان الابوين كذلك جديران باتباعها حين يبذلان الوعود لاولادهما

وقد يغالى موظف كفء فى تقدير كفاءته فيعد رئيسه باتمام عمله الجسيم فى يوم كذا . ويأتى هذا اليوم دون أن ينجز ذلك العمل ، وعندئذ يسيء الرئيس الظن بكفاءته

كذلك قد يعد محام بكسب الدعوى « مائة فى المائة » ثم تأتى ظروف معادية فيؤخذ وعده هذا عليه ، وتهبط مكانته بين أرباب الدعاوى

وهكذا ايفقد احدهم ثقة الناس بالافراط فى الوعود ، ذلك الافراط الذى رام ان يؤكد به تلك الثقة !

والخلاصة ان خير السبل لكسب ثقة الناس بك ، هى ان ترعى مصالحهم لا مصلحتك وحدك ، وان تختار الوقت المناسب لعرض مسألتك ، وان تشرحها الشرح الوافى الذى يكون عنها فكرة كاملة صحيحة ، وان تحجم عن الافراط فى الوعود ، والادلاء بأقوال أو الاتيان بأعمال ، تقلل من ثقة الناس بك

(عن مجلة « ساينس دايجست »)

العلم والعالم

التلفيزيون فى متناول الجميع

حينما تمكن الانسان من ارسال رسائله بالسلك الكهربائى لم يخطر له انه سيأتى يوم يرسل فيه صوته بالسلك ، فاذا به يرسله . ثم لم يخطر له ان يرسل رسائله أو صوته بلا سلك ، فاذا به يرسلهما . ولم يخطر له قط ان يرسل صورته فاذا به يرسلها . ولم يخطر له ان يرى مخاطبه على بعد الوف الاميال فاذا التلفيزيون يدهشه

كنا نستبعد ان يكون هذا التلفيزيون فى متناول كل انسان كالتلفون مثلا ، فاذا شركة راديو كوربوراشن الاميركية ـ واميركا بلاد العجائب ـ تعلن للعالم ان تحت يدها اجهزة تلفيزيون بقيمة ١٥٠ ريالا للجهاز الواحد تستعمل فى المنازل كما تستعمل التلفونات والمصابيح الكهربائية

ويقول الدكتور هوليف نائب رئيس الشركة المذكورة ان الاجهزة الجديدة تظهر الصور واضحة لانها مصنوعة من البلاستيك وحجمها يعادل خمسة اضعاف حجم الاجهزة التى كانت قبل الحرب . وقد أعدت الشركة جهازا للاذاعة والاستقبال يرى به المتخاطبان كل منهما الآخر بقيمة ٣٩٥ ريالا

فمهما بعدنا عن دورنا نبقى كأننا فيها نزور ونزار ونثرثر

ثم ماذا بعد من عجائب الانسان ؟
اطالة العمر لكى يتمتع بهذه العجائب
والحروب الهاصرة الاعمار !

ن . ح

آلة لقراءة الأفكار

فى انجلترا آلة واحدة لقراءة الافكار وهى تستخدم فى مستشفى ميدافيل للأمراض العصبية ، ويطلق عليها اسم «ايج» Egg وتشبه فى ظاهرها جهاز الراديو ولها مثل ازراره . والمريض الذى يراد قراءة افكاره يجلس فى كرسى كبير مريح ، ويوضع فوق رأسه ذلك الجهاز ، فاذا ضغط زر من أزراره نقلت امواج الفكر الى الجهاز . ويسجل تأثر المريض بالاسئلة التى تلقى عليه ، فى أربعة جوانب من رأسه ، ويتم ذلك التسجيل بواسطة ابرة ، وكلما تسلمت «ايج» امواج الفكر بضغط تلك الازرار على الجمجمة ، تحركت الابرة على ورقة معدة خصيصا لذلك ، فتدل الخطوط التى تسجل بهذه الطريقة على استقامة تفكير المريض أو اضطرابه ، ويتصل بالجهاز مكبر يضاعف قوة أمواج المخ عشرين مليون مرة

ويطلب الطبيب الى المريض الجالس بالكرسى ان يسترخى ويغمض عينيه . وعندئذ تقدر الآلة «ايج» مقدار النشاط الذهنى الذى يبذله لاغماض عينيه وتسجل الابرة نتيجة ذلك على الورقة

وهكذا يقيس الطبيب الحالة العقلية لمرضاه كل يوم بواسطة ذلك الجهاز العجيب

إذاعة جلسات البرلمان

الامة الانجليزية أكثر أمم العالم محافظة على التقاليد . ومع ذلك فقد قرر مجلس العموم أخيرا تركيب مكبرات الصوت واجهزة تكييف الهواء فى قاعة الجلسات . اما اذاعة الخطب والمناقشات التى تدور فى البرلمان فذلك أمر انفرد به برلمان زيلندا الجديدة دون برلمانات العالم كله ، فقد أمر جوزيف سافيدج رئيس وزارة العمال التى تولت الحكم فى سنة ١٩٣٦ بتركيب كل معدات الاذاعة فى قاعة جلسات البرلمان فى مدينة ولنجتون . ومنذ ذلك الحين يستمع أهالى المدن والريف الى كل ما يدور فى البرلمان من مناقشات

أو شيء من خطب ، وهم جالسون في منازلهم منصتون الى الراديو . وكان البعض قد اعترض على ذلك بان من شأنه ن يشجع محبي الكلام من أعضاء البرلمان ، ويرفعهم على غيرهم في نظر الشعب ، ولكن حصل بالفعل عكس ذلك في تلك البلاد ، فبعد دورة برلمانية اذيعت جميع مناقشاتها بالراديو ، أعيد انتخاب عدد من الاعضاء القليل الكلام دون غيرهم ، فدل ذلك على نضج الناخبين ودقة تقديرهم

طفل عجيب

لا شك ان « ميرل وولف » هو احدى عجائب أمريكا ، فقد بدأ ينطق الكلمات وعمره لا يزيد على اربعة أشهر ثم أخذ ينطق الجمل بعد شهرين من ذلك . ولما أتم السنة الاولى من عمره كان قد حفظ كتاب المطالعة الابتدائية . وفي الشهر الثاني والعشرين من عمره صار يعزف على البيانو قطعة من موسيقى «ليست» الالماني كان قد حفظها بالسماع

وأبواه محاميان من أصل روسي يعيشان في كليفلند وقد أبيا ان يدخلاه مدرسة إبتدائية فثانوية لشدة اختلافه عن أقرانه ولداته ، وجاءا اليه بالمعلمين في البيت ، وهكذا تعلم الموسيقى والكيمياء والرياضة وغيرها . وقد نبغ على الخصوص في الموسيقى حتى انه أتقن عزف « سيمفوني » وهو في السنة الثامنة من عمره

ولما بلغ السنة الثانية عشرة من عمره كان قد أتم دراسته الثانوية فدخل جامعة ييل . وقد تخرج فيها أخيرا ولا تزيد عمره على أربع عشرة سنة و٥٧ يوما ، فكان أصغر خريجي الجامعات في العالم كله

والعجيب ان نموه الذهني لم يكن على حساب نموه الجسماني كما هو المنتظر ، بل سار الاثنان جنبا الى جنب ، فصار وهو في الرابعة عشرة يبدو كشاب في الحادية والعشرين ولا يقل طوله عن ٥ أقدام و١١ بوصة ووزنه ٩٦ رطلا

رحلات جوية حول العالم

بدأت الشركات الجوية الكبرى في أمريكا تستعد لتنظيم خطوط جوية بين أمريكا وأوربا وقد قدرت شركة بانأميركان الجوية Panamerican Airways انه في خلال السنة الاولى التالية لانتهاء الحرب سيسافر من أمريكا الى أوربا ٥٠٠ر٤٣٣ شخص ومثل هذا العدد من أوربا الى أمريكا . ومن ثم بدأت تعد طائرات كبيرة لعبور المحيط الاطلنطي وتسع كل طائرة منها ٥٦ راكبا وتحوي كل وسائل الراحة ومنها قاعة للرقص على موسيقى الراديو وقاعة لحضانة الاطفال ومشرب وغير ذلك . وستنظم ٣٦ رحلة جوية بين امريكا وأوربا كل اسبوع ، لدرجة ان الموظف الامريكي الذي ينال اجازة لا تزيد مدتها على اسبوعين ، يمكنه ان يقضيها في باريس

وليس هذا كل ما في الامر بل ان بعض الشركات الجوية الامريكية بدأت تعد العدات للقيام برحلات جوية حول العالم . تستغرق الرحلة منها ثلاثين يوما ، لا تزيد مدة الطيران الفعلي فيها على ثلاثة أيام ، ويقضي المسافر السبعة والعشرين يوما الباقية في زيارة المدن والاماكن المختلفة التي تهبط فيها الطائرة في المشرق والمغرب . وستحرص على رخص أجور السفر لدرجة ان معدل الاجرة سيكون نحو ٥ مليمات عن الكيلومتر الواحد . وقد بدأ بعض الشركات يتلقى بالفعل طلبات المسافرين ، وستيسر لهم سبيل القيام بتلك الرحلات بان تقبل منهم دفع ربع الاجرة سلفا وتقسيط الثلاثة الارباع الباقية على اثني عشر شهرا بعد العودة من الرحلة وبذلك يتسنى للجميع الاستمتاع بهذه الرحلات ، وتسع الطائرة التي ستستخدم ١٥٣ - راكبا وستسير بسرعة ٤٨٠ كيلومترا في الساعة

جهاز يرد على المتكلم بالتليفون

اخترع فى انجلترا جهاز يرد على المكالمات التليفونية ويسجل تلك المكالمات حين يكون رب البيت أو المكتب الذى به التليفون غائبا ، وماعليك الا أن تصل بين التليفون وبين ذلك الجهاز حين تخرج ، وفيه اسطوانة تتحرك بطريقة آلية وتخبر المتكلم بانك غائب ومتى تعود ، وفضلا عن ذلك يسجل الجهاز أية رسالة يتركها لك المتكلم . ويمكن استخدام هذا الجهاز أيضا لينبيء الزائرين بانك لست موجودا ويسجل أية رسالة يريد أحدهم ابلاغها لك

باذل دمه

جاء فى الامثال العربية : « الكريم يجود بما عنده » . وقد عمل البرت أنسن من أهالى لندن بهذا المثل ، فانه لما لم يجد شيئا يبذله لمواطنيه الانجليز ، بذل دمه لكل من يحتاج اليه من المرضى والجرحى ، وقد تبرع بمقادير منه خمسا وسبعين مرة منذ سنة ١٩٢٩ الى الآن ، ويبلغ فى الوقت الحاضر الثالثة والخمسين من العمر

الاتحاد المصرى لصناعة التعدين

أنشيء بمصر أخيرا اتحاد يضم غالبية المشتغلين بصناعة التعدين والبترول وما يلاحقها من أعمال صناعية أو تجارية ، والغرض الذى يهدف اليه القائمون بأمر هذا الاتحاد هو تيسير عمليات التعدين وتنمية الثروة المعدنية والعمل على جعلها خليقة بالنهضة الصناعية الحديثة

ان مواطن المعادن والبترول فى مصر موزعة بالمناطق الصحراوية الشاسعة حيث تعوزها طرق المواصلات والايدى العاملة ووسائل العيش من ماء وطعام مما يجعل أعمال البحث عن المعادن واستغلالها محوطة بظروف قاسية تتطلب من القائمين بها تضحيات كبيرة ، كما تقتضيهم جهودا جبارة . لذلك فان من أهم أغراض الاتحاد بذل المساعى لدى مختلف السلطات للحصول لهذه المساعدة على الرعاية الواجبة للتخفيف من حدة هذه الظروف وتبسيط اجراءاتها وتدبير لوازمها

ولقد لمست البلاد أهمية ما أدته حتى الآن ثروتها المعدنية من خدمات فى الظروف التى مرت بها وخاصة فى السنين الاخيرة ، كما انها تقدر الاحتمالات التى يمكن أن تكون لهذه الثروة فى تدعيم الصناعة مستقبلا ، ولهذا فقد أصبح أمر تنميتها عقيدة يدين بها جميع العاملين لخير مصر

وقد أنشيء أخيرا بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول قسم للتخصص فى هندسة التعدين مجهز بمعامل للتحليل والتجارب التحق به عدد غير قليل من الطلبة نرجو أن يكون لهم شأن كبير بعد تخرجهم وتدريبهم فى النهوض بهذه الصناعة

اكتشاف جديد

اكتشف أحد العلماء البريطانيين وهو الدكتور ج. سورابريك رئيس مركز الابحاث بجامعة بريستول طريقة جديدة تحفظ نمو الفاكهة من تأثير الصقيع كما تحفظها من التساقط قبل نموها . وقد قضى الدكتور سورابريك مدة ست سنوات ليحصل على المركب الكيميائى الذى يصلح لهذا الغرض ، وأخيرا نجح فى ابحاثه وتحقق الهدف الذى كان يسعى اليه

طهى الطعام بالراديو

قد لا يمضى طويل وقت حتى ينتهى استخدام المواقد والافران فى طهى الطعام ، اذ يطهى بالراديو فى بضع دقائق ، وكذلك الحال فى غسل الثياب فانها سوف توضع على طرف حزام فتخرج عند طرفه الآخر نظيفة مكوية

وجرب بالفعل طهى الطعام بالراديو فى انجلترا وان يكن الامر لم يخرج عن دور التجارب ، ومع ذلك فقد عرض أخيرا فى لندن جهاز لتسخين الشطائر « الساندويتش » وهو عبارة عن صندوق يشبه جهاز الراديو ويسخن الشطائر فى ثوان معدودة

بطل النهم فى أمريكا

هو بلا ريب الجندى الامريكى مستر سلفاتورى وقد اشتهر بين رفاقه الجنود باسم « المعدة » لشدة نهمه . وهو يتناول فى طعام الفطور ٦٠ بيضة ورطلا من الجبن و٧٦ قطعة من الفطائر . والعجيب ان وزنه لا يزيد قط على ١٤٠ رطلا رغم كل ما يلتهمه من الاطعمة . وقد حار أطباء الجيش فى تعليل نهمه ، واخيرا أدخل أحد المستشفيات لعلاجه ، بحسبان نهمه هذا « مرضا » يتطلب العلاج ..

الطاقة الذرية والوقود

تحدث مستر رالف ديفز نائب مدير ادارة البترول فى اجتماع لجنة مجلس الشيوخ الامريكية المكلفة ببحث مسألة موارد البترول فقال : « انه لا ينتظر استخدام الطاقة الذرية فى الوقود بدلا من البترول أو البنزين الا بعد مرور سنوات عدة » .

المواليد فى انجلترا

أخذت نسبة المواليد فى انجلترا فى الازدياد منذ ابتداء الحرب العظمى الاخيرة ، وقد بلغت فى سنة ١٩٤٤ : ١٨ فى الالف وهى نسبة لم تبلغها منذ سنة ١٩٢٥ ، وكانت نسبة المواليد قبل الحرب هناك حوالى ١٥ر٠ فى الالف . وقد وصل عدد المواليد الاحياء الى ٧٤٥ر٠١٨ طفلا ، وبلغت زيادة المواليد على الوفيات فى تلك السنة ٢٥٣ر٠٤٠ مقابل ١٨١ر٨٠١ فى سنة ١٩٤٣ و١٧٦ر٤٤٢ فى سنة ١٩٣٨ .

العين الكهربائية

جهاز صغير يتأثر بالاضواء المنظورة وغير المنظورة ويحولها الى تيارات كهربائية تختلف فى الشدة بالنسبة لاختلاف قوة الضوء — ورغم ان هذا الكشف هو الذى أدى الى اختراع التلفزيون الا انه يستخدم اليوم فى كثير من شؤون الحياة . فقد تمكن العلماء من استخدامه لضبط اللصوص الذين يدخلون المنازل أو المصارف ، وذلك بان يوضع هذا الجهاز قبل باب المصرف أو المنزل ويسلط عليه شعاع من الاشعة غير المنظورة ، فبمجرد مرور اللص ينقطع الشعاع الواصل الى الخلية فيحدث تيار يتصل بناقوس فيتنبه الحراس

وكذلك يستخدم الآن هذا الجهاز فى بعض الفنادق الكبيرة لفتح ابوابها للزائرين فعند ما ينقطع الشعاع الواصل الى الجهاز يمر تيار كهربائى يعمل على فتح الباب . وكذلك يستعمل فى احصاء الطرود ومنتجات المصانع

صناعة النسيج فى جنوب أفريقيا

يبحث مجلس التقدم الصناعى باتحاد جنوب افريقيا — فى الوقت الحاضر — مشروع انشاء صناعة نسج القطن . ويقضى المشروع بانشاء مصنع يحتوى على ستين الف مغزل وألفى نول تنتج سنويا خمسين مليون ياردة من المنسوجات وقد زار الاتحاد أخيرا خبير بريطانى فى القطن لابداء رأيه فى المشروع . واذا ثبتت فائدة المشروع وامكن تنفيذه فان اتحاد جنوب افريقيا سيستورد القطن من البلاد الافريقية الاخرى التى تزرع فيها الانواع الممتازة

العواطف وتأثيرها فى الصحة

فحصت الدكتورة فلاندرز دونابر الفا وستمائة من المرضى تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والخمسين وفدوا على مستشفاها بنيويورك مرضى بواحد من أمراض ثلاثة يبدو أن لا علاقة لها بالعواطف والمشاعر وهى : مرض القلب ، مرض السكر ، كسر فى العظام .. فوجدت ان العنصر العاطفى كان له تأثير كبير فى اصابة ٧٩ ٪ من هؤلاء المرضى ، وان فريقا كبيرا منهم مصاب بهذه الامراض اصابة مزمنة لا لشىء الا لان عواطفه ومشاعره تحول بينه وبين الشفاء

الحركة الفكرية

الشرق الأوسط عام ١٩٦٢

أعد الدكتور « بون » وهو من كبار رجال الاقتصاد بحثا قيما عن مستقبل ممالك الشرق الاوسط من الناحية الاقتصادية ، ذكر فيه انه اذا خلت خطط التعمير بين هذه البلدان من العراقيل السياسية وتم وضع نظام عام للتعاون الاقتصادى بينها ، فانه يمكن حل جميع مشاكلها الاقتصادية فى العقدين التاليين ، أى منذ الآن حتى سنة ١٩٦٢ ومن هذه المشاكل مشكلتان لهما خطورتهما :

اولا — الانخفاض الكبير فى المستوى الاجتماعى والاقتصادى للسكان المحليين

ثانيا — الازدياد السريع فى عدد السكان ، الامر الذى يهدد باطراد خفض مستوى المعيشة

وقد دلل على صحة رأيه باحصاءات دقيقة عن الموارد التى لم تستثمر بعد ، وهو فى ذلك يقول « فبالرغم من وجود خامات معدنية لا يستهان بها ومنابع غنية للبترول — أصبح لها تأثير كبير فى عالم السياسة الدولية — فانه توجد كذلك مساحات شاسعة من الاراضى الصالحة للزراعة ، كما توجد كميات كبيرة من المياه التى تصلح لريها والتى تمكن عددا كبيرا من العائلات من استيطان هذه المناطق التى هى فى الوقت الحالى أشبه بالصحارى أو لا يقطنها الا عدد قليل من القبائل الرحل والفلاحين »

وهو يرى أن صافى الدخل الزراعى لبلدان الشرق الاوسط — اذا تحققت المشروعات العمرانية التى ينبغى سرعة تنفيذها — سوف يصبح ثلاثة أضعاف ما كان عليه فى الماضى . أما دخل المشتغلين بالصناعة والتجارة والخدمات الاخرى فقد يزيد على أربعة أمثال ما كان عليه . واذن فقد ترتفع قدرة بلدان الشرق الاوسط على الاستهلاك الى ١٢٠٠ مليون جنيه (بقيمة العملة قبل الحرب) مقابل ٣٣٠ مليون جنيه قبل الحرب

« ولكن مثل هذا التقدم — كما يقول الدكتور بون — يستدعى استثمار رؤوس أموال كبيرة قد تبلغ زهاء ٢٥٠٠ مليون جنيه تقسم بالتساوى بين الزراعة وغيرها من الحرف والصناعات »

العلم والتعاون العالمى

كيف ينبغى أن يوجه العلم والعلماء لتحقيق تعاون عالمى ؟ هذا ما أجاب عنه الدكتور مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم فى محاضرة ألقاها فى قاعة يورت جاء فيها :

« ان التعاون العالمى بين العلماء قائم منذ سنين .. فالعلماء فى مشارق الارض ومغاربها يكونون أسرة واحدة تربطهم روابط لا تنفصم ..

« ولكن على العلم أن ينظم العلاقة بينه وبين المجتمع الذى بدأ يزعم بأن العلماء هم المسئولون عن الحرب .. بينما نحن نعلم أن العلم والحكمة مقترنان من قديم الزمان حتى ليكادان يترادفان والفلسفة مرادف ثالث لهما . وقد نشأ العلم الحديث كفرع من فروع الحكمة أو الفلسفة فسمى الفلسفة الطبيعية .. بل ان درجات الدكتوراه فى العلوم تمنح باسم الدكتوراه فى الفلسفة

« واذن فقد كان العلماء ولا يزالون يتحلون بصفات نفسية وخلقية تعتبر ملازمة لصفتهم كعلماء فالعلم والفضل والخلق القويم ، كل هذه توائم لا انفصال لها . واذن فلا يكفى ان يعطى العلماء علمهم الى المجتمع مجردا .. بل عليهم ان يعطوا الى جانبه تلك الصفات الخلقية السامية التى تعد متممة له

«ولا ينبغي أن ينظر العلماء الى انفسهم كطلاب للمعرفة فحسب بل عليهم ان يتركوا بروجهم العاجية وصوامعهم ، ويذكروا أن عليهم واجبا آخر هو الدفاع عن المبادىء الخلقية القويمة وابرازها وتدوينها صيانة لها من العبث ولتكون أساسا واضحا يعمل به كل عامل ويدعو اليه

« ولا شك في ان العلماء اذا هم تساندوا وتعاونوا فانهم قادرون على ان يحولوا بين ذوى المطامع والشهوات من رجال السياسة والمال وبين الفتك بالمجتمع .. فالعلم يملك السلاح الذى يستطيع به أن يدافع عن قضية الحق والعدل والفضيلة . ولا شك عندى أنه فى آخر الامر منتصر على قوى الظلم والجهالة والاستعباد .. فى سبيل تحقيق تعاون عالمى حقيقى »

الدين فى روسيا

أصدر أخيرا المستر ستانلى ايفانس ــ وهو من رجال الدين فى بريطانيا ــ كتابا عن حرية الاديان فى روسيا جاء فيه :

« كان كثيرون يعتقدون ان الذهاب الى دور العبادة فى الاتحاد السوفيتى يعد جريمة وان الكنائس والمعابد قد اقفلت جميعها بحكم القانون . والواقع ان هذه الاشاعات لا أساس لها من الصحة وانها كانت من نتائج حملة من الافتراءات قد دبرت عن الاتحاد السوفيتى والسوفيتيين

والحق أن المرء يستطيع أن يذهب فى الاتحاد السوفيتى الى دور العبادة اذا أراد ، والذين يرومون تعميد أطفالهم أو عقد زواجهم فى الكنيسة يستطيعون ان يفعلوا ذلك دون اعتراض

وقد وضح الرفيق «مايسكى» السفير السوفيتى السابق فى بريطانيا هذه الحقائق فى خطاب له قال فيه :

« يعتبر الاتحاد السوفيتى الدين مسألة خاصة بكل مواطن ، ولكل الحق فى الايمان وعدم الايمان طبقا لما يرتئيه . وتنص المادة ١٢٤ من دستور ستالين على انه « كى تكفل للمواطنين حرية الاعتقاد ، تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتى عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة . ويعترف لجميع المواطنين بحرية ممارسة الشعائر الدينية وبحرية الدعوة اللادينية »

كان يوجد بالاتحاد السوفيتى ثلاثون ألف جماعة دينية مستقلة وأكثر من ثمانية آلاف كنيسة يمارس المتدينون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية . حقيقة أن الحكومة السوفيتية لم تساعد ولا تساعد أى دين من الاديان فى الاتحاد السوفيتى ، ولكنها تضع تحت تصرف رجال الدين ــ بلا استثناء ــ الاماكن اللازمة لمزاولة الشعائر الدينية . ولا تتقاضى الحكومة أجرا عن هذه المعابد كما انها معفاة من الضرائب

ويعاقب القانون السوفيتى الاشخاص الذين يتعرضون للمتعبدين بأذى . ويتمتع أئمة الدين بجميع الحقوق على قدم المساواة مع سائر المواطنين فلهم حق الاشتراك فى انتخابات مجلس السوفيت الاعلى وجميع الهيئات السياسية الموجودة فى الاتحاد السوفيتى

وتحظى الكنيسة الارثوذكسية حاليا بأكبر عدد من السوفيت المتدينين . وهى تنقسم الى قسمين : الكنيسة الجديدة ويرأسها المتروبوليت فيتالى والكنيسة القديمة ويرأسها المتروبوليت سرجيوس .. وقد قال الاخير فى حديث له :

« لم يوجد على الاطلاق ــ ولا يوجد الآن ــ أى اضطهاد للدين فى جميع انحاء الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية . وعلى الرغم من ان هناك قانونا يفصل الكنيسة عن الحكومة فلجميع المواطنين مطلق الحرية فى اختيار الدين الذى يرونه ، والقانون الذى وضعته اللجنة المركزية لمجلس قوميسارى الشعب وتمت الموافقة عليه فى ١٨ ابريل سنة ١٩٢٩ ، والخاص بالهيئات الدينية ، يقضى قضاء مبرما على كل مظهر من مظاهر اضطهاد الاديان »

الانسانية فى مفترق الطرق

قد تكون الطاقة الذرية بشير خير وقد تكون نذير شر مستطير، وعلى الانسانية أن تتخير الطريق الذى يروق لها .. وقد أدلى المستر هنرى والاس وزير التجارة الامريكية بحديث تناول فيه هذه الناحية تقتبس منه ما يلى :

« يمكن استخدام الطاقة الذرية فى الوجوه التى يستخدم فيها الفحم والبترول والقوى المائية، وهى مصادر القوى المحركة التى أصبح الحصول عليها اليوم عسيرا .. ولا شك فى ان استعمالها سيقفز بالحضارة قفزة هائلة — من عصر البخار والكهرباء الى حقبة جديدة ذهبية. كما انه يرجى انتاج كميات عظيمة من المواد ذات التأثير الاشعاعى ستحدث تطورا كبيرا فى ميادين الطب والزراعة.

وهذه المزايا الاقتصادية التى تتيحها الطاقة الذرية يجب أن لا تنسينا احتمالات الدمار التى يمكن أن تنزلها الطاقة الذرية بالبشرية، اذا استمر العالم يعالج الامر بلا اهتمام علاجا اتانيا لا تعادل فيه. فاذا أصررنا على أن نتنافس فى مجال انتاج الاسلحة الذرية، فسيأتى اليوم الذى تنشب فيه حرب، تدمر فيها مدننا، وتبيد بأيديها شعوب الارض كافة

« ان امام العالم خمس سنوات يجب أن يصل فيها الى تكوين هيئة عالمية للاشراف على استخدام الطاقة الذرية. فاذا لم يقدر لنا أن نحقق اشرافا فعالا فيجب عندئذ ألا يكون هناك اشراف بتاتا، لنعلم بصراحة ان الدمار نازل بنا لا محالة

« ويجب أن تتاح للمنشآت والمصانع فرص الافادة من التقدم العلمى الذى يصل اليه العلماء فيما يتعلق باستخدام الطاقة الذرية فى الصناعة على شريطة ان تكون هذه الفرص متساوية متعادلة

«كما يجب تشجيع المخترعين على بحث خير الوسائل لاستغلال الطاقة الذرية فى الانتـاج الصناعى »

بعثة امريكية للتربية فى مصر

أوفد مجلس التعليم الامريكى بعثة الى بلدان الشرق العربى لدراسة نظم التربية فى مختلف المدارس، وقد وصلت هذه البعثة الى القاهرة بعد ان طافت انحاء العراق وباشرت مهمتها بزيارة المدارس ورجال التربية وبحث نظم التعليم وبرامج الدراسة وجمع الاحصاءات الشاملة ومقارنة ذلك بالاوضاع العامة فى كل البلاد العربية

وهـذه البعثـة مكونة من الدكتور ودريك مايتوز استاذ علم التربية بجامعة بنسلفنيا وعضوية كل من الدكتور متى عقراوى عميد دار المعلمين العالية ببغداد والاستاذ امام عبد المجيد الاستاذ السـابق بالمدارس الثانوية بالقاهرة ومعاونة الدكتور امير بقطر الاستاذ بالجامعة الامريكية

ومجلس التعليم الامريكى الذى أوفد هـذه البعثـة يضم جماعات التعليم المختلفة، وجميع الهيئات التى تستلهمه الجماعات بصلة، والكليات والجامعات المعترف بها، والمعاهد الصناعية والفنية والمدارس الثانوية الخصوصية الممتازة، ومجالس التعليم لحكومات الولايات، ومجالس التعليم للمدن، وهو فوق هذا مركز للتعاون والتنسيق كان له فى خلال ربع القرن الاخير كبير الاثر فى تكوين السياسات التعليمية فى امريكا، ورسم خططها من الناحية العملية، وتضم لجانه وهيئاته الكثيرين من زعماء التربية وقادة الحياة العامة

وستمكث هذه البعثة ما يزيد على سنة فى جميع البلاد العربية، ومهمتها لا تتعدى الاستقصـاء العلمى وتوفير وسائل التشاور فى شؤون التربية وتعزيز التجارب فى هذا المضمار واطلاع جمهور رجال التربية فى امريكا على حالة التعليم فى البلاد العربية واطلاع البلاد العربية عـلى نظم التعليم بعضها ببعض

وستصدر البعثة نشرات تتضمن نتائج ابحاثها مما يكون له أثر بالغ فى النهوض بمستوى التربية

الكتب الجديدة

فن القصص

للاستاذ محمود تيمور بك

مجلة الشرق الجديد — فى ١٢٦ صفحة

صاحب هذا الكتاب الاديب الكبير الاستاذ محمود تيمور بك رائد القصة العربية ، وقد عرف بدقة التفكير وخصب الخيال وقوة التعبير ونصوع البيان ووقوفه على الاحاسيس الخفية الكامنة فى واعية الجمهور .. لذلك كانت مؤلفاته وقصصه من أحب آثار الادب العربى للقارىء الشرقى

ويشتمل هذا الكتاب على ثلاثة موضوعات رئيسية : موضوع فى ترقية اللغة العربية ، وفيه دعوة صريحة الى تجديد اللغة العربية لتكون مطاوعة للتطور الحديث ومسايرة لتقدم المدنية فى العصر الحاضر ، حتى يتيسر للعربية ان تحتل مكانها بين اللغات العالمية الحية . والمؤلف فى ذلك مجدد لا يهدم ، محافظ تدفعه الحيوية القوية الى الابتكار والانشاء

وموضوع عن فن القصص عالج المؤلف فيه لاول مرة فى تاريخ الادب العربى الحديث دراسة التأليف القصصى . فتكلم فى وضوح وافاضة عن ماهية الفن ، ونشوء القصص ، وقصص العرب ، والقصص المصرى الحديث ، والقصص الفنى ، وأثر القصص فى تربية الشعب ، ونصيب القصص من مشكلات المجتمع ، والقصص المسرحى والسينمائى ، ولغة المسرح ، وحيرة الاديب ، وشخصية الفنان ، ومستقبل القصص

والموضوع الثالث ، هو تذييل للبحث العام قدم المؤلف فيه نخبة من روائع الاقاصيص التى تصور للقارىء منحى الكاتب فى التأليف القصصى ومذهبه الفنى فى الصياغة والاسلوب

المذاهب الاجتماعية الحديثة

للاستاذ محمد عبد الله عنان

مطبعة الاعتماد — فى ٢١٥ صفحة

استفاض الحديث أخيرا عن هذه المذاهب وأساليبها فى التطبيق ومبلغ نجاحها أو قصورها فى تنظيم الدولة والمجتمع . ولكن هذا الحديث لم يكن دائما منزها عن الغرض ، وكانت تمازجه فى معظم الاحيان ألوان من الدعاية تحجب كثيرا من الحقائق ، ولم يكن من السهل دائما أن تكون عن هذه النظم فكرة صحيحة مستنيرة

والكتاب الذى نقدمه للقراء يحوى بين دفتيه شروحا دقيقة شاملة تكشف الستار عن حقيقة هذه المذاهب فى اسلوب شائق مبسط يحبب الى الناشئة كما يحبب الى المشتغلين بالشؤون السياسية والاجتماعية قراءته ودراسته . وقد جمع من البحوث فى صفحاته القليلة ما لا يظفر المرء به الا اذا رجع الى مئات الاسفار والمجلات

والمؤلف معروف بغزارة العلم وسعة الاطلاع ودقة البحث . وقد سافر كثيرا وشاهد بنفسه أساليب تطبيق هذه المذاهب ولاحظ آثارها العملية ولمس بنفسه فوائدها وأضرارها . لذلك كان خير من يكتب فى هذا الموضوع وقد وفق فى عرضه وتدعيم وجهات نظره

وقد تضمنت الطبعة الجديدة من الكتاب زيادات كثيرة فى معظم الفصول ، وأضيفت اليها فصول جديدة عن اتجاهات السياسة الدولية الجديدة ومصاير النظم الاجتماعية والسياسية المعاصرة وتنظيم السلم العالمى . كما حرص المؤلف على أن يكون الكتاب فى ثوبه الجديد متضمنا لاحدث التطورات العالمية التى ترتبط بموضوعه من

عسكرية وسياسية واجتماعية، فكان سجلا صادقا لما شهدناه في الفترة الاخيرة من الحوادث والانقلابات العظيمة

الجبل الملهم

للاستاذ شارل القرم

تعريب الاب اسطفان فرحات

بيروت — في ٢١٠ صفحات

صاحب هذا الديوان شاعر لبناني كبير ، عرف بين أدباء الغرب وشعرائهم بنبوغه وعبقريته . وقد فاز بأكثر من جائزة في عدة مسابقات للشعر بالفرنسية ، كما ظفر الديوان الذي نقدمه بجائزة جمعية الشعراء بباريس ..

والحق انه شعر حبيب الى النفس ، يحلو للمرء ترديده وتلاوته ، لانه صادر من قلب صاف وذهن متوقد ونفس مرهفة تفيض بالمشاعر الوطنية والاحاسيس الدينية . ولا عجب في ذلك فالاستاذ القرم فنان موهوب واسع الثقافة غزير المادة ، تشرب بحب الدين والوطن منذ نعومة أظفاره

و « الجبل الملهم » ثلاثة أناشيد: نشيد الحماسة ونشيد الاحتضار ونشيد الذكريات، تثير جميعها في النفس محبة الله والوطن

وشاء الشاعر الغيور الاب اسطفان فرحات الا يحرم قراء العربية — الذين يجهلون الفرنسية — لذة الاستمتاع بهذا الديوان ، فنقله الى العربية في شعر منثور . وقد آثر التزام هذا الاسلوب حرصا على المعنى ومحافظة على الجو الشعري والرنة الموسيقية

وصدر الكتاب بتوطئة ضمنها السبب الذي وضع الشاعر من أجله « الجبل الملهم » والدافع الى نظمه والحافز على ترجمته . وختمه بمعجم احتوى ترجمات مسهبة للاعلام المذكورة في المتن

وقد دلل المعرب على تمكنه من اللغتين الفرنسية والعربية ، فلم تحل أمانته في النقل دون رصانة الاسلوب وسلاسته .. وانك تقرأ كتابه فلا تحس انك تقرأ شيئا مترجما

العمل لمصر

للاستاذ محمود كامل المحامي

مطبعة الاعتماد — في ٢١٦ صفحة

« العمل لمصر » فكرة جديدة ، اقتنع بها نفر من الشبان المصريين المؤمنين بحق مصر في حياة دولية عظيمة مجيدة وبقدرة المصريين على توفير هذه الحياة لوطنهم اذا نفذوا برنامجا معينا واضح الاهداف محدد الاغراض

« وهي فكرة ترمي الى تحقيق خلق مصر العظمى بطريق الاقناع وحده دون غيره . ولا تقر شكلا من أشكال الاجرام أو الشغب أو العسف لنشرها أو كسب انصار لها، لانها تكره الطغيان مهما كان مخففا ومعتدلا »

والكتاب الذي بين أيدينا شرح واف لبرنامج « العمل لمصر » مدعم بالآراء العلمية الثابتة وقائم على الاحصاءات الرسمية ، ويتلخص هذا البرنامج فيما يلي :

١ — احداث انقلاب في نظم التعليم في مصر

٢ — تكوين اتحاد يعيد مصر العظمى الى حدودها التاريخية

٣ — افريقيا للافريقيين

٤ — استعمار مصر استعمارا داخليا بواسطة المصريين، في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة

٥ — زيادة الايراد الاهلي

٦ — توفير ضروريات الحياة الصحية الاولى للقرى التي يتكون منها الريف المصري

٧ — تنظيم الاداة الحكومية

٨ — الدولة هي التي تقوم بالاشراف على الشركات التي تتولى الخدمات العامة

٩ — نشر التربية العسكرية

١٠ — تعديل الدستور

هذه خطوات جريئة ينبغي لكل مصري أن يطلع على آراء الاستاذ محمود كامل بصددها في هذا الاثر الخالد الذي تحس في كل فقرة من فقراته بروح الوطنية والحماسة والتفاؤل ..

بين الفلسفة والأدب

للاستاذ على أدهم

دار احياء الكتب العربية ـ فى ١٤٢ صفحة

المؤلف غنى عن التعريف ، فقد طالع قراء الهلال بطائفة من بحوثه ومقالاته تعد ـ دون ريب ـ من خير آثار الادب العربى الحديث ، وقد طرق فى هذا السفر الذى تقدمه لقراء موضوعات فلسفية طلية يحلو للاديب أن يطالعها كما يطيب لطالب الفلسفة أن يستوعبها

والتفكير الفلسفى ـ كما يقول المؤلف : « يجدى على الادب ويزيد فى ثروة الخيال ويعين على اطلاق العقول من قيود الاهواء والنعرات ، وتصفيتها من شوائب التعصب والضيق ، وتأمل عظمة الكون وجلاله يكسب الفكر عظمة وجلالا . وقد تخفق الفلسفة فى معالجة مشكلات الحياة ومسائل الوجود ولكنها توفق على الدوام فى شىء واحد ، وهو انها ترينا أن الكون أرحب مما تقدر وأعظم مما نرى »

ولا شك فى أن المكتبة العربية ترحب بصدور هذا الكتاب فى وقت تحس فيه بافتقارها الشديد الى البحوث الفلسفية المبسطة . تحدث المؤلف عن الفن والفلسفة والسياسة والاخلاق ، وأفرد فصلا خاصا للمتنبى الشعر والفلسفة ووازن بين أبى العلاء وشوبنهاور وعالج باسهاب موضـوع كل من تولستوى وشوبنهور وفلسفتيهما

وقد أضفى المؤلف برشاقة اسلوبه وجمال عرضه وتعمقه فى الفلسفة على هذه الدراسات كثيرا من الطلاوة تشوق القارىء فى مطالعته وتحببه فى استيعابه

نفرتيتى

للسيدة سنية قراعة

مكتب الصحافة الدولى ـ فى ٢٥٠ صفحة

سفر نفيس يصور فترة من أحفل فترات التاريخ المصرى القديم، فيها تجلت عبقرية الابطال الفاتحين وظهر فيها دهاء الساسة وتجلت براعة حتشبسوت وفتنة نفرتيتى وفلسفة اخناتون

لقد كان اخناتون اول فرعون اعتنق عقيدة الوحدانية ـ عبادة القوة المستترة وراء الشمس ـ وجاهر بها فى طول البلاد وعرضها منذ آلاف السنين . وحاول اخناتون بنظرياته السلمية ان يبسط السلام وان يجعل من مصر استاذة للشعوب الاخرى تلقنها أصول المحبة والاخاء رغم ما صادفه من عقبات وما استتبع دعوته من قلاقل وثورات

كانت دعوة جريئة لشعب تغلغلت فى نفسه عبادة الآلهة المادية الملموسة المرئية ، فأحس الداعى بحاجة الى قوة تسنده وروح تشجعه ، فوجدها فى الفاتنة نفرتيتى .. وهنا تبرز الكاتبة دور المرأة الوفية المحبة فى حياة الرجل

كانت نفرتيتى دائما الى جانب زوجها .. وكانت صاحبة الفضل فى نوزه ونصرته اذ اسبغت على بيته الجو الهادىء الذى تلمسه والذى طالما حلم به ، فاحبها واستكان اليها ..

وقد أهدت المؤلفة كتابها الى وادى النيل « الى الوادى المقدس » الذى ارتفعت فيه أول منارة للمدنية والعرفان والفلسفة والدين

وتمتاز السيدة الجليلة صاحبة هـذا الكتاب باسلوبها الواضح وديباجتها المشرقة وتمكنها من التاريخ المصرى القديم ، لذلك كان كتابهـا جديرا بكل تقدير

قصص أسلامية المسرح المدرسى

للاستاذ محمد محمد رضوان

فى ١٨٠ صفحة

ان تاريخ الاسلام حافل بالعبر البالغة والحوادث الممتعة والاخبار الطريفة والادب الرفيع . وقد فطن المؤلف الى ضرورة استغلال هذه الكنوز فى صقل نفوس التلاميذ وتقديم أخلاقهم وتهذيب طباعهم . ولا شك فى أن خير وسيلة لاستيعاب هذه العظات صياغتها فى مسرحيات تمثل أمام صغار الطلبة .. فالمسرح ـ دون شك ـ مدرسة

شائقة لا تضيق بها نفس الطالب

وهذا الكتاب طائفة من المسرحيات المقتبسة من القصص الاسلامية وضعت خصيصا لطلبة المدارس .. قال الاستاذ زكى طليمات فى تقدمتها : « ان لهذه الفصول قيمتها التعليمية فى ناحية من النواحى التى يجب ان يحيط بها الطالب وهو يجتاز مرحلة التعليم الابتدائى ، وهى ناحية قد عالجها مؤلف هذه القصص بلباقة ويسر بطريق الحوار الممتع ، مما يجعل الطالب يقبل عليها ويستسيغها »

ولم يفت المؤلف ان يضمن مسرحياته مقطوعات من الاغانى والاناشيد التهذيبية ، ولا شك فى ان مجهود المؤلف جدير بالتهنئة والتقدير

الخطيب البغدادى

للاستاذ يوسف العش

المكتبة العربية بدمشق — فى ٢٧٠ صفحة

يقول الاستاذ احمد أمين بك فى تقدمة هذا الكتاب : « أعجبنى فيما قرأت دقة البحث وصبر المؤلف على الدرس ورجوعه الى مظان كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة ، والاستفادة منها ، والتأليف بين أشتاتها ، ليخرج لنا صورة واضحة للخطيب البغدادى « أبى بكر الخطيب » فى حياته وأخلاقه وثقافته ونزعاته ومقدار الثقة به ، وما أسداه الى العلم من خدمات »

والكتاب قيم من نواح شتى فهو يطلعنا على مؤرخ عظيم كان صورة صادقة للمؤرخين والمحدثين فى عصور الاسلام الاولى . والمؤلف يعرضه عرضا عصريا جذابا ، ويستخدم المادة الاولى القديمة فيزينها برواء جديد أخاذ

ونحن نرجو أن يكثر كتاب العرب من هذه المؤلفات ، وأن يعملوا على احياء تراثهم الادبى القديم ، وان يبرزوا ما فيه من نواحى العظمة والجمال كى يجد الجيل الجديد فيها حافزا للسير على منهاج السلف فى حب العلم والولوع بالادب والسعى وراء المثل العليا . فما أحوجنا فى هذا العصر الى أن نرجع الى الماضى كى ننهل من ينابيع إيمانه ونتلقى منه دروس الفضيلة والبطولة

خذوا عنى أسرار النساء

للاستاذ محمد حجازى

لجنة التأليف والترجمة والنشر — فى ٤٧ صفحة

يقول الاستاذ المازنى فى تقدمته هذا الكتاب: « ظلت المرأة ردحا من الزمن عالما غامضا أشبه بالفيافى المترامية الاطراف ، تضرب فى مجاهلها العقول ، وتضل فى نواحيها الافكار ، وتضطرب فى دراستها النهى .. وكانت لا تزال المرأة هى المرأة والرجل هو الرجل الى أن جاد الزمن — وقل أن يجود — بالمؤلف ، فنظر الى المرأة من النافذة التى ينظر منها الباحث الناقد الفيلسوف، فكشف النقاب عن خباياها ، وأزاح الستار عن مكنون طواياها »

والحق اننا فى حاجة ماسة الى كثير من أمثال هذه المؤلفات . فبينما نرى المكتبات الغربية تعج بمئات البحوث التى تنير الطريق للشبان والشابات فى حياتهم الزوجية ، اذا بالكتب العربية التى تعالج هذه الناحية شحيحة نادرة . ولعل كثرة المآسى التى نشهدها على مسرح الحياة العائلية يرجع الى جهل الكثيرين بأسرار المرأة وغوامض الحياة الجنسية

لذلك نرجو أن يصادف هذا الكتاب ما هو أهل له من الاقبال والرواج

كتب أخرى

الماركسية والحرب : هذا الكتيب من تأليف الكاتبة الفاضلة « دونا تور » التى تحتل مكانا كبيرا فى نفوس الشعب البريطانى والتى عرفت بكتاباتها الماركسية العديدة، نذكر منها « الماركسية والوطنية » و « توم مان » وغيرهما الى جانب ترجمتها الى الانجليزية عن الالمانية كتاب « رأس

المال » لمؤلفه كارل ماركس . وقد أحسن الاستاذ مصطفى كامل منيب فى ترجمته الى العربية .. فاننا فى حاجة الى الوقوف على حقيقة التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية خارج أوطاننا العربية وفهمها فهما علميا كاملا

(دار الفجر — فى ٦١ صفحة)

* * *

ذكريات مكسيم جوركى : أثر فنى يقدمه المترجم الاستاذ عبد المعين الملوحى الى المكتبة العربية لكاتب كان أثرا فنيا لثورة .. فمكسيم جوركى هو صانع الثورة الاشتراكية الادبى . والكتاب يصور فى دقة وروعة تطور الكاتب فى حياته العاطفية والفكرية والادبية

(دار القرن العشرين — فى ١٨٤ صفحة)

* * *

الحرية : مجموعة من الاشعار للاستاذ يوسف الخال تقدمها دار الكتب ببيروت لقراء العربية . وتقع هذه المجموعة فى ثلاثة فصول : الفصل الاول عنوانه « ضلال » وموضوعه الحب، فيه يستعرض الشاعر ما أثاره الحب فى قلبه من آمال وأمان وذكرى ، والفصل الثانى « شراع » وفيه يتغنى الشاعر بماضى بلاده المجيد وبمستقبلها الذى يرجو أن يكون زاهرا ويتحسر على حاضرها العقيم . وفى الفصل الثالث يحلق الشاعر فى آفاق الفكر ، منشدا حريته ، مستعرضا الصراع فى سبيلها خلال التاريخ

(المطبعة الكاثوليكية — فى ٩٨ صفحة)

* * *

نظرات فى الصيام : أهدت الينا دار اليقظة نسخة من هذا الكتيب القيم للدكتور شوكت موفق الشيطى . وقد جاء فى مقدمته : « اننا نقدم رسالتنا هذه عن الصيام وما له من أثر فى صحة الانسان وقاية وعلاجا ، مستندين فى ذلك الى اختبارات العلماء وسنن الطبيعة ومقررات علم الصحة ودخائل الطب . واننا من المؤمنين ايمانا يستند الى تطورات العلم ، ان الاسلام بمبادئه معد للسمو المتتابع ، يؤيده العلم ويقوى دعائمه المنطق وحسن الفهم . كما أقر بذلك كتاب الغرب ومنهم برنارد شو » . ونحن نرجو أن يكثر المؤلف من أمثال هذه البحوث فى حقبة تملكت فيها المادة على النفوس وكادت ان تنسينا واجباتنا الدينية وشؤوننا الروحية

* * *

من طرائف العلماء : مجموعة من القصص الواقعية للاستاذ على رشيد شعث ، تذكى فى النفس ألوانا نبيلة من الفضائل كالصبر والصدق والصراحة والانصاف والتضحية .. فقصة العلماء — كما يقول الدكتور احمد زكى بك — « هى قصة الشجاعة والاقدام .. قصة البروز للموت لمقاتلة الموت فى الظلام .. قصة الالم الاليم يحتمله المرء فى سبيل المبدأ الكريم .. قصة الصبر على المكاره ابتغاء نفع الانسانية ومرضاة لوجه الله »

(المكتبة العصرية بيافا — فى ٩٨ صفحة)

* * *

السلوان الكاذب : قصة للاستاذ خير الدين الايوبى ، تصور شابا يحب فتاة تبادل غيره الحب، وقد عشقته فتاة أخرى ولكنه لا يحبها .. وقد وفق المؤلف فى تصوير النوازع النفسية والمشاعر والاحاسيس التى تعتمل فى نفوس ابطالها ، فكانت قصة طلية شائقة صيغت فى اسلوب سلس

(مطبعة دار اليقظة — فى ٣٩٧ صفحة)

* * *

الجنيه المصرى والجنيه الاسترلينى : رغم ما عرفت به الابحاث الاقتصادية من الخشونة والجفاف تمكن الاستاذ ابرهيم سعد الدين من بسط هذا الموضوع الذى له خطره وأهميته بالنسبة للاقتصاد المصرى بطريقة واضحة مشوقة

وقد أفرد المؤلف فصلا خاصا بمشكلة الارصدة الاسترلينية

(مطبعة الرسالة — فى ٣٢ صفحة)

بين الهلال وقرائه

مشكلة الشهية عند الأطفال

(فلسطين) س. فتحى

لى طفلان لا يأكلان الا قليلا وقد أصبحت أخشى كثيرا على صحتهما . فما هى اسباب اعراضهما عن الطعام وما هى خير وسيلة لتلافيها؟

(الهلال) يرجع امتناع الاطفال عن الطعام الى أحد الاسباب التالية :

أولا : قد يكون ذلك ناشئا عن عدم تغير ألوان الطعام التى تقدم للطفل مما يبعث الى نفسه الملل

ثانيا : قد يأكل الطفل بعض الاشياء المحببة اليه كالحلوى أو البسكوت أو الفاكهة قبل موعد الوجبة الاساسية

ثالثا : قد يكون المانع عن الاكل مرضيا

ويشير الدكتور مصطفى الديوانى — فى حالة خلو الطفل من الامراض — باتباع الطرق التالية لفتح الشهية :

أولا: يجب تنظيم مواعيد الاكل وتعويد الطفل على احترامها ، كما يجب تقديم اصناف الطعام بترتيبها الطبيعى بحيث تأتى الحلوى والفاكهة فى آخر الوجبة ، ومهما صرخ الطفل مطالبا بها قبل أوانها فلا يصح أن نعيره اذنا صاغية

ثانيا : ينبغى تقديم الطعام بشكل جذاب مشوق وبكميات غير كبيرة

ثالثا : يجب أن يلزم الطفل المائدة طول مدة تناول الطعام ، وبذلك يدرك أن لا فائدة من الاسراع فى الأكل بقصد الرجوع الى اللعب مع رفقائه

رابعا : ينبغى أن يكون الجو العائلى أثناء الاكل سارا مبهجا، لان السرور والبهجة ينبهان الشهية . وعلى الحاضرين ان يتحاشوا ذكر كرههم لاى لون من ألوان الطعام حتى لايقلدهم الطفل فى ذلك

خامسا : يجب ألا يعنف الطفل أو يهدد بالقصاص اذا لم يأكل . وما علينا الا أن نضع الطعام أمامه صامتين . فاذا لم يأكله بعد المدة المقررة رفع الطبق بغير عتاب أو تقريع

سادسا : اذا قدم للطفل طعام جديد لاول مرة فليكن قليلا وليكن تقديمه فى أول الاكل حينما يكون جائعا فيقبل عليه بشهية

مقاييس الذكاء

(القاهرة — كلية الهندسة) منير يوسف

كيف يقدر علماء النفس الذكاء ؟ وهل يتوقف نجاح المرء فى الحياة على ذكائه ؟

(الهلال) توجد مجموعات معينة من الاختبارات خاصة بكل عمر من الاعمار . فلو أجاب مثلا طالب عمره ١٤ سنة عن الاسئلة المقررة لسن ١٤ كان عاديا واعطيت له الدرجة كالآتى : ١٤ على ١٤ فى ١٠٠ واذا أجاب شخص عمره ١٠ سنوات على الاسئلة المقررة لسن ١٤ كانت درجته ١٤ على ١٠ فى ١٠٠ أى ١٤٠ وهكذا

وقد لاحظ علماء النفس ضرورة الحصول على درجات معينة لمزاولة بعض المهن والاعمال تتبين من الجدول التالى :

	درجة
للزعامة والاعمال الادارية والسياسية	أعلى من ١٥٠
الهندسة والطب والمحاماة	١٣٠—١٥٠
الاعمال الكتابية التى تتطلب مهارة	١١٥—١٣٠
الاعمال التجارية	١٠٠—١١٥
أعمال جسمانية صرفة	٧٠ — ٨٠
فاعل أو عتال	٥٠ — ٧٠

ولكن هذا لايعنى أن الذكاء وحده هو الباعث

على النجاح فى الحياة ، فقد يحدث أن يكون الشخص عبقريا ولكن يعوزه حسن التصرف واللباقة والكياسة فى معاملته مع الآخرين فيخفق لعجزه عن مسايرة المجتمع

المسلمون فى الصين

(المنيا) سيد مرعى

هل يوجد بالصين مسلمون وما مركزهم الاجتماعى ؟

(الهلال) ليس للمسلمين فى الصين احصاء دقيق ، ولكن عددهم يبلغ زهاء الخمسين مليونا ، وهم لا يقيمون فى مقاطعة واحدة ولكنهم موزعون بنسب مختلفة ، فهم فى التركستان يمثلون أكثرية تبلغ ٨٠ ٪ وبشمال غربى الصين يبلغون نحو ٥٠ ٪ وهم فيما عدا ذلك أقلية فى مختلف المقاطعات

ويقلد المسلمون الصينيون فى عباداتهم المذهب الحنفى ، والمسجد عندهم لا يأتونه للصلاة فحسب، بل للبحث فى شؤونهم الثقافية والاجتماعية وفض الخلاف والمنازعات بينهم . ويبلغ عدد المساجد بالصين نحوا من أربعين ألفا

وهم يمثلون طبقة صغار التجار بالصين ولهم نشاط ملموس بين جميع الطبقات الصينية الاخرى ، وان كانت حالتهم الثقافية لم ترتفع بعد الى الحد اللائق

ايليا ابو ماضى

(بور سودان) عبد الغنى زهران

بينما كنت اتصفح مجموعات الهلال القديمة، استرعت انتباهى قصيدة لشاعر اسمه ايليا ابو ماضى . أرجو نشر نبذة عن تاريخ حياته ودواوينه وطريقة الحصول عليها

(الهلال) ايليا أبو ماضى شاعر لبنانى عصامى هاجر الى مصر وهو فى الحادية عشرة من عمره .. وكان يستغل اوقات فراغه للمطالعة والدراسة ونظم الشعر ، وقد اظهر فيه نبوغا حدا بالاستاذ انطون الجميل بك أن ينشر له بعض قصائده فى مجلة « الزهور » التى كان يصدرها ، وطبع أبو ماضى ما تجمع عنده من الشعر فى مصر فى ديوان سماه « تذكار الماضى » .. وفى عام ١٩١١ سافر الى أمريكا واتصل بغيره من الادباء أمثال جبران ونعيمة وكونوا رابطة لقبوها بالرابطة القلمية .. وهناك اصدر الجزء الثانى

ويقول الاستاذ نجده فتحى صفوه مدرس اللغة العربية فى كلية بغداد فى رسالة له عن هذا الشاعر : « الواقع ان أبا ماضى من الشعراء الذين تدرجوا فى الشعر بخطا متتابعة تستطيع أن تقتفى أثرها فى صفحات دواوينه . ولم يكن فى امكانه ان يتخلص مرة واحدة من التيارات الادبية لعصره مهما كان ساخطا عليها . ولعل فى هذا التدرج خاصة أخرى من خصائص الشاعر التى تعين على فهم شعره ونقده ، فقد امتاز بذلك عن زملائه فى المهجر »

وفى سنة ١٩٢٧ صدر الجزء الثالث من ديوانه بعنوان « الجداول» ظهرت فيه عبقرية ايليا ابى ماضى بكل ما فيها من قوة واشراق

وللحصول على دواوينه يفضل الاتصال بمطبعة « مرآة الغرب » بنيويورك

الخمور

(مصر) طالب

اتناول قليلا من المشروبات الروحية من حين الى آخر ، فهل فى هذا ضرر على الصحة ؟

(الهلال) يقول الدكتور عبدالواحد الوكيل بك فى كتابه « علم الصحة » ما ملخصه :

« تعاطى الكحول بكميات قليلة يسبب ادرارا كبيرا للعصير المعدى بواسطة تأثيره المهيج على غشائها الداخلى وعلى خلاياها . ولهذا فان البعض يتناولونه كفاتح للشهية . ويسبب كذلك هدوء حركة المعدة ، وهذا تفسير ما يحدث فى بعض الاحيان من تخفيفه للمغص وتسكينه للآلام المعوية

« أما اذا زاد الانسان فى شربه فانه يهيج المعدة تهيجا كبيرا ، فيسبب القيء وفى النهاية يسبب التهابات مزمنة فيها . ولا يؤثر الادمان على المعدة فقط بل كذلك على الكبد فيسبب تلفه بالتدريج وينتج من ذلك التلف الكبدى استسقاء فى البطن قد يؤدى الى الموت

« والاكثار منه يؤدى أيضا الى تصلب الشرايين والى كثير من أمراض القلب والكلى والنزيف المخى . وقد لوحظ ان المدمنين أقل مقاومة لعدوى الامراض من غيرهم . وأن أولاد السكيرين يكثر بينهم الادمان على الخمر والصرع والشلل وضعف الادراك والجنون »

والواقع أن كلمة « قليلا » ــ التى ذكرتها فى سؤالك ــ لا يمكن تحديدها وكثيرا ما تدفع المرء الى الادمان . ولذلك ينبغى الامتناع عن تعاطى الخمور امتناعا باتا الا بأمر الطبيب

السلام الدائم

(الاسكندرية) قارىء

هل يرجى أن يتحقق للعالم سلام دائم ؟

(الهلال) من أطرف البحوث التى تناولت هذا الموضوع كتاب ظهر حديثا للسير وليم بيفردج عنوانه «ثمن السلام» فيه يدلل على ان الفوضى الدولية ــ أو بعبارة أخرى فقدان سلطة القوانين والمعاهدات الدولية ــ التى تنظم علاقة الدول بعضها ببعض ، هى العامل الرئيسى لجعل نشوب الحرب أمرا ممكنا ، وتمهيد الطريق له

والمؤلف يرى أنه ليس ثمة ما يعد فى ذاته عقبة جدية فى سبيل توطيد سلطان القانون مكان هذه الفوضى السائدة فى ميدان السياسة الدولية

فاذا أريد حفظ السلام الدائم بين الدول ، فالواجب الاول أمام الانسانية هو ايجاد وسيلة لفض المنازعات الدولية غير الحرب . والواجب الثانى هو ازالة الضغائن والاحقاد التى تعكر صفو العلاقات بين الشعوب ، والناجمة من المظالم التى تفرضها الدول المنتصرة على غريماتها المنهزمة فى نشوة النصر وبدافع من قصر النظر

اذا تيسر بلوغ هذين الهدفين أمكن تحقيق سلام دائم

الطيران بدون قائد

(العراق) محمد علوان

قرأنا ابان الحرب عن طائرات كانت تسير بدون قائد ، فعلى أى أساس بنيت فكرة هذا الاختراع ؟

(الهلال) الفكرة الاساسية فى الطيران بدون قائد مبنية على أن موجات اللاسلكى هى الواسطة بين الارض والطائرة . وهذه الموجات ترسل من مقر المحطة التى على الارض وتسمى محطة المراقبة ، وتوجه الى الطائرة التى يوضع فيها عدة اجهزة لاسلكية دقيقة ، كل جهاز منها له عمل خاص ، فاذا تأثر الجهاز بموجات اللاسلكى ذات الطول المناسب يتكون فيه تيار كهربائى ينتج حركة ، اذ تتصل اجهزة اللاسلكى بعدة محركات . فهذا محرك يوجه دفة الطائرة نحو اليمين أو اليسار ، وهنا آخر يرفع الطائرة أو يخفضها ، وهكذا تطير الطائرة بواسطة عدة من الاشارات اللاسلكية المرسلة من محطة المراقبة ، ويمكنها ان ترتفع أو تنخفض ، وتتجه نحو اليمين أو اليسار كما لو كان قائدها بداخلها

وقد كانت الصعوبة التى تعترض تقدم هذا الاختراع ان مدى نظر المراقب فى غرفة المراقبة محدود فيعجز عند ما تختفى عنه الطائرة عن توجيه اشاراته فى الاتجاه الصحيح

وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة باعداد الطائرة بجهاز لاسلكى للارسال حتى ترسل هى الاخرى موجاتها اللاسلكية فيعرف المراقب بواسطة البوصلة اللاسلكية اتجاه الطائرة ولو كانت بعيدة عن مدى بصره ويوجهها التوجيه الذى يريده

روسيا : هل نخشاها ؟

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« ان روسيا التى هى قوة سياسية ، وروسيا التى هى جنس من أجناس العناصر البشرية ، وروسيا التى هى عقيدة اجتماعية ، تواجه العالم كله بسياسة لا يقبلها العالم كله ولا يختارها على رضاه .. فلنخش روسيا وهى مختارة تفعل ما تشاء .. ولنثوب الى بعض الاطمئنان وهى محكومة بسلطان الحوادث تشاء ولا تفعل الا ما تستطيع »

يقول « الماركسيون » ان الحروب وليدة الاستعمار ، وان الاستعمار وليد « رأس المال » أو وليد النظام الذى يقوم على رؤوس الاموال

وهو قول لا يخلو من الصواب ولكنه لا يشتمل على الصواب كله ، لان أتباع كارل ماركس فى روسيا قد أبطلوا « رأس المال » ولم يبطلوا الاستعمار، فضمت روسيا اليها بلاد الشاطىء البلطى وجزءا من بولونيا الشرقية، وبسطت نفوذها على رومانيا وبلغاريا، وطمحت بانظارها الى تركيا وايران والصين وما جاور هذه الاقطار ، وسعت سعيها الحثيث للنفاذ الى البحر الابيض المتوسط والتحكم فى سواحله من الشمال والجنوب ، وألقى الرفيق ستالين خطابا انتخابيا فى أوائل شهر فبراير الماضى فأشار فيه الى تقسيم الاسواق بين الدول الكبرى التى يخشى من وقوع الحرب بينها

فهناك أسباب للاستعمار غير رأس المال يتساوى فيها الماليون وغلاة الاشتراكيين والماركسيين ، ومنها تلك الاسباب التى جعلت روسيا من أكبر دول الاستعمار فى العصر الحديث

وقد نفهم لماذا تكون روسيا فى طليعة دول الاستعمار، اذا فهمنا ما هى روسيا على التحديد الصحيح ، لانها فى الواقع ليست بشىء واحد بل جملة أشياء تنطوى فى مدلول ذلك الاسم المشهور

فروسيا هى القوة السياسية المعروفة ، وروسيا هى جنس من أجناس العناصر البشرية، وروسيا هى مذهب اجتماعى يدين به أصحابه كما يدين المؤمنون بالعقائد والعبادات

وكل جانب من هذه الجوانب يدفع بروسيا الى خطط فى السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية قد تتفق فى النهاية وقد تتعذر أحيانا على التوفيق

فروسيا « القوة السياسية المعروفة » تجرى على سياسة واحدة فى عصر الاقطاع وعصر رأس المال وعصر الاشتراكية الماركسية . لان « الوضع الجغرافى » هو الذى يملى عليها

سياستها مصداقا لمذهب القائلين « بالجيوبوليتيك » أو خضوع السياسة القومية للاوضاع الجغرافية

ففي القرن الثامن عشر كان النظام الاقطاعي هو النظام الشائع في أنحاء البلاد الروسية، ولم يكن لرؤوس الاموال الصناعية شأن في جميع تلك الانحاء . ووضع بطرس الاكبر وصيته المشهورة يومئذ فقال : « لا بد في كل فرصة سانحة من التدخل في جميع الشؤون الاوربية وفيما يقع بين دول أوربة من المنازعات ولا سيما البلاد الالمانية . وينبغي الاستيلاء على بعض الاقاليم من السويد والسعي في اتخاذ الوسائل للاستيلاء على سائرها .. ومن تلك الوسائل القاء الوقيعة والنفرة بينها وبين الدنمرك ليشتد بينها التنافس والشقاق على الدوام .. وعلى الروسيين أن ينتشروا يوما فيوما على شواطىء البحر البلطى في الشمال وشواطىء البحر الاحمر في الجنوب ، وينبغي الاقتراب جهد المستطاع من القسطنطينية والهند ، واذ كان حكم القسطنطينية مفتاحا لحكم الدنيا بأسرها فمن الواجب أبدا أن تثار الحروب تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الايرانية ، وان نستولى على شواطىء البحر الاسود شيئا فشيئا لنقيم هنالك دورا للصناعة البحرية .. وان نعجل باضعاف ــ بل بازالة ــ دولة ايران والوصول الى الخليج الفارسي لعلنا نتمكن من اعادة التجارة القديمة الى طريق الشام والانتهاء الى الهند التي هي بيدر العالم بأسره »

ولما أشار الى انجلترا قال انها تحتاج الينا في أمورها البحرية ونحتاج اليها في أمورنا التجارية . ومن الواجب ترجيح الاتفاق معها في المسائل التجارية على سائر الدول ، وبيع محصولاتنا لها وجلب الذهب منها .. الى ان نستغنى عن ذهبها بالسيطرة على الاقطار الهندية

وأشار بالايقاع بين النمسا وفرنسا لتمكين روسيا ــ بمساعدة فرنسا ــ من بسط نفوذها على أقطار أوربة الشرقية . قال : « واذا حدث ان الدولتين لم تقبلا عروض روسيا عليهما، فعلى روسيا اذن ان توجه عنايتها الى خلق الازمات المتوالية بينهما حتى تصاب كلتاهما بالتعب والاعياء .. فتندفع من البر على المانيا ومن البحر عن طريق اركانجل في الشمال وبحر الخزر في الجنوب وتقتحم البحر الابيض لتغزو السواحل الفرنسية .. » الى آخر ما جاء في تلك الوصية العجيبة ، ومنه الاستعانة بالوحدة المذهبية لكسب الاصدقاء في كل قطر من الاقطار الخارجية !

هذه هي وصية بطرس الاكبر في عهد الاقطاع وابان عصر الفتوح والاستعمار ، ولا حاجة بنا الى عناء طويل لنعلم ان سياسة روسيا القديمة هي سياسة روسيا الحديثة في أوربة الشمالية وأوربا الشرقية وفي مسألة ايران ومسألة المضائق التركية ومسائل البحر الاحمر والبحر الابيض على الاجمال ولا سيما المطالبة بطرابلس الغرب على هذا والمطالبة بارترية على ذاك

وكل ما طرأ عليها من التغيير ، فهو راجع الى ظهور الولايات المتحدة في ميدان السياسة العالمية ، بعد أن كانت مزوية عن انظار بطرس الاكبر فلم تدخل له في حساب . وحكمها

اليوم هو حكم انجلترا فى رصيد الذهب والاعتماد على مبادلات التجارة واسواق المحصولات والمصنوعات ، فهى طارئة لا تمس جوهر السياسة القديمة فى الصميم

* * *

أما روسيا التى هى جنس من أجناس العناصر البشرية فقد تدفعها هـذه الصفة الى منازعات لا توجبها الاوضاع الجغرافية ، وقد تقيم لها صعوبات كثيرة بينها وبين الاجناس الأخرى كالجرمان واللاتين فى أوربة والترك والمغول فى آسيا لا تستلزمها المصالح أو الدواعى العصرية ، ولا محل لها لولا الموروثات الباقية من الترات والمنافسات وحواجز الدم واللغة والدين

فليست هذه الصفة من عوامل التهدئة والتسكين ، اذا اضيفت الى الصفة المتقدمة ، وهى صفة القوة السياسية التى تبنى خططها على مواقع البر والبحر والهواء دون غيرها

وقد رأينا ان بطرس الاكبر كان يعتمد على وحدة المذهب لكسب الانصار فى الاقطار الاخرى ، وكذلك تعتمد روسيا الحديثة على المذهب الاجتماعى لكسب الانصار بين بعض الشعوب أو بعض الطبقات . ولكن روسيا الحديثة احوج الى ذلك واكثر اعتمادا عليه ، لانها تقوم بقيام مذهبها الاجتماعى بين ارجاء الارض ولا تحتفظ بأساس الحكومة فيها اذا ارتاب فيه من يعتقدونه الآن . ولم تكن حكومة بطرس الاكبر مرهونة بمثل هذه العلاقة الوثيقة بين نظامها وعقائد الكنيسة الروسية

فروسيا التى هى « مذهب اجتماعى » تعلم بالتجربة القاسية ان هذا المذهب لا يقبل التطبيق على علاته ولا يستغنى عن التعديل الكثير قبل التوفيق بينه وبين حقائق الحياة

ولكنها تخاف من ظهور هذه الحقيقة لشعبها كما تخاف من ظهور هذه الحقيقة للشعوب الاخرى ، لان هذا المذهب الاجتماعى لايضمن القرار سنوات معدودات اذا تبين للروسيين ان الديمقراطية تغنى عنه ولا تصاب بعيوب مثل عيوبه ، أو تبين للطبقات العاملة فى البلاد الاخرى ان أحوال الطبقات العاملة بين الروسيين ليست على المثال الذى يتخيلونه أو يتمنونه لانفسهم ، وانها قائمة على أصول ينكرها الواقع وينكرها العلم ولا تضمن الرخاء ولا الحرية لمن يتشبثون بها ويصرون عليها

فروسيا التى هى « مذهب اجتماعى » لا تستريح الى زوال الفواصل بينها وبين شعوب العالم بأسره ، لان اطلاع الروسيين على أحوال العالم واطلاع العالم على أحوال الروسيين ليس من شأنهما توطيد « المذهب الاجتماعى » الذى يقوم عليه نظام الحكم فى روسيا الحديثة

وفحوى ذلك جميعه ان روسيا التى هى قوة سياسية ، وروسيا التى هى جنس من أجناس العناصر البشرية ، وروسيا التى هى عقيدة اجتماعية ، تواجه العالم كله بسياسة لا يقبلها العالم كله ولا يختارها على رضاه

ويجب أن يتخذ العالم الحيطة لمواجهة هذه السياسة من جميع نواحيها ، وانما يدعونا

الى الطمأنينة بعض الاطمئنان ان روسيا لن تملك الخيار فى تنفيذ ما تريد . فاذا هى انقادت لما تمليه عليها الاوضاع الجغرافية والعصبية العنصرية والدعاية الاجتماعية ، فليست حوادث العالم بالتى تنقاد لها أو تجرى على مشيئتها ، وليست الفواصل التى تقيمها بينها وبين الامم الاخرى بمغنية شيئا عن ظهور الحقائق لشعبها وظهور الحقائق لغيره من الشعوب

وسياسة روسيا الحديثة فى جملتها هى سياسة بطرس الاكبر فى القرن الثامن عشر ، وسياسة الموروثات العنصرية وسياسة الدعاية الاجتماعية التى ترمى الى انقلاب النظم فى كل أمة لا تدين بمثل مذهبها

هذه سياسة يحق لنا ان نتخذ الحيطة لها ولا نركن الى الاطمئنان لها الا لسبب واحد هو انها مقيدة فى نتائجها غير مطلقة فى مساعيها.

فنخشى روسيا وهى مختارة تفعل ما تشاء

وتثوب الى بعض الاطمئنان وهى محكومة بسلطان الحوادث تشاء ولا تفعل الا ما تستطيع

وهذا هو جواب السؤال الذى يعرضه علينا العنوان.

عباس محمود العقاد

الوقاية من الكوليرا

الكوليرا من أشد الاوبئة التى تفتك بالشعوب وخصوصا الشعوب الشرقية . والطريقة للوقاية منها هى التطعيم ، ولكن ثبت انه ليس بالوقاء الكافى . وقد دلت الاحصاءات على ان الوفيات بين المصابين بالكوليرا تتراوح بين ٣٠ ٪ و ٨٠ ٪ من مجموعهم

وقد انتشرت الكوليرا فى السنة الماضية فى نواح من الهند ، ومات بها فى مدينة كلكتا وحدها ٣٢٢٥ شخصا فيما بين أول يناير ومنتصف يونيه من تلك السنة . وكان هناك عدد من الجنود الامريكيين فلم يتسرب اليهم المرض لكثرة النصائح التى صارت تذاع عليهم ، وفيها يحذرون من تناول أى طعام أو شراب الا اذا كان من أطعمة الجيش وعلى موائد الجنود . ولكن أصيب بالمرض بعض الامريكيين المدنيين

ومن حسن حظ الانسانية ان طبيبا امريكيا هو الدكتور يوليوس امبرسون كان فى الهند فى ذلك الحين ضمن الهيئة الطبية للاسطول الامريكى . وقد راقب ذلك الوباء وأعراضه وأخذ يبحث عن وسيلة ناجعة للوقاية منه حتى اهتدى الى وسيلة اطلق عليها اسم ـ الوحدة الوبائية رقم ٥٠ ـ وقد جربها على كثيرين فاتضح انها تقى من الاصابة بالكوليرا بنسبة ١٠٠ ٪ أى انها لا تخيب قط . وهى تتلخص فى استعمال دواء مركب من مصل دموى « بلازما » مع « سلفاديازين » ومحلول ملحى

وهكذا وجد العلاج الواقى من الكوليرا والذى من شأنه ان ينقذ مئات الالوف كانوا يموتون بها فى الهند والصين والفيلبين وغيرها من البلدان الشرقية.

مؤسسة السلام العالمى

هل يبنيها رجال النصر ؟

بقلم الدكتور محمد عوض محمد بك

للسلم مشكلة يواجهها العالم اليوم ، كما كان بالامس يواجه مشكلة الحرب . وليس من السهل على المرء أن يقول أى المشكلتين أكثر تعقيدا ، وأدعى الى بذل الجهود والتضحيات . ولكن الذى لا ريب فيه هو ان الدول قد أنفقت جهودا جبارة وبذلت تضحيات غالية من أجل احراز النصر . ولكنها تتردد فى بذل عهد آخر أو تضحية أخرى ، من أجل احراز السلم الدائم . كأنما وقر فى النفوس ان انتهاء الحرب معناه عودة السلم والرخاء ، وزوال كل ما ترتب على الحرب من الكوارث والارزاء

فى أثناء الحرب كانت الامم المتحدة « متحدة » حقا . كان بينها تعاون وتآلف واشتراك فى التضحية ، وتركيز للجهود من أجل بلوغ الهدف . كان كل منها حريصا على أن يثبت اخلاصه الشديد لما سموه « القضية المشتركة » وانه بعيد عن دواعى الأثرة والانانية . فلا يكاد خلاف أن يشجر بين « الحلفاء » ، مهما كان يسيرا تافها ، حتى يبادر القادة والرؤساء الى الاجتماع والتشاور ، فى الدار البيضاء أو القاهرة أو طهران أو يالطا ، فلا يلبث كل أثر للنزاع أن يزول ، ويسود الصفاء والوفاء . كانت كل دولة تبذل العون لاختها عن كرم وسخاء ، اما بطريق الاعارة والتأجير ، أو لوجه الله تعالى . .

كان ذلك كله يبذل ، وقت الحرب . أما اليوم وقد انهزم العدو ، فلم تعد هنالك اعارة ولا تأجير ولا بذل لوجه الله . بل هناك محاسبات عسيرة على الدرهم والمليم ، ومؤاخذات دقيقة على الصغيرة والكبيرة ، وخلافات تشجر ، وجبهات تتصدع ، دون أن تبذل المساعى لرأب الصدع أو حسم النزاع

بالامس كانت الجهود تتضافر من أجل « القضية المشتركة » ، فهل كسبت تلك القضية كسبا كاملا ؟ وهل كانت تلك القضية منحصرة فى كسب الحرب وهزيمة دول المحور ؟ . .

ذلك ما لم يقله أحد فى أى وقت من الاوقات . . بل كانت هنالك تصريحات متكررة وعهود مقطوعة بأن تلك القضية هى قضية الانسانية ، وان الفوز فى الحرب ليس غاية يسعى اليها . بل وسيلة لادراك غاية أسمى وأنبل ، ألا وهى بناء عالم جديد قوامه الحرية لجميع الشعوب ، من غير تمييز فى العقيدة أو الجنس أو المذهب . عالم يسوده العدل والامن والحريات الاربع الشهيرة ! بمثل هذه الآمال العذاب تعللت الشعوب ، ومن أجلها احتملت

ضروبا من الآلم وألوانا من الشقاء ما كان يخطر بالبال انها مما يمكن احتماله والصبر عليه

***

لا شك ان العالم قد اغتبط بهزيمة المحور ، وزوال الحرب اغتباطا عظيما .. ولكن لا شك أيضا فى ان هذا الاغتباط تشوبه اليوم شوائب قد طغت عليه وطمسته حتى لا تجد فى الناس من يتحدث عنه . لان الناس لم ينسوا ـ وهم يحتفلون بنهاية الحرب ـ ان تطلعوا الى محاولات جدية يقوم بها الرؤساء والزعماء لاعادة بناء العالم المتهدم ، وتشييده من جديد على أسس جديدة . ولذلك حز فى نفوسهم أن رأوا فى كثير من أقطار العالم رجوعا الى الوسائل القديمة ، والاساليب الرثة البالية ، التى كانت دائما سببا فى اثارة الحروب ، والتى جعلت عهد السلم فى الماضى عبارة عن هدنة بين حربين

أجل . ان العالم يرقب أعمال الساسة والزعماء وأقوالهم . فلا يكاد يصدق انهم ما برحوا غارقين فى تلك الأثرة والانانية التى طالما جرت على الشعوب الويلات .. اننا نصغى الى ما يدلون به من خطب أو بيانات ، فلا نكاد نجد فيها بقية من تلك « الحريات الاربع » أو من « الميثاق الاطلسى » . أو ما شاكله من العهود والمواثيق .. ثم نحاول ان نرى بين الدول أثرا لذلك « الاتحاد » والاخاء الذى لازمها أيام الحرب ، فلا نرى الا امعانا فى اساءة الظن ، وتنافسا لتحقيق المطامع والمآرب . بل نكاد نرى أيضا ـ ويا للاسف ـ جحودا للجميل ، ومقابلة للاحسان بما هو بعيد عن الاحسان ، وحنثا بالعهد المقطوع ، وانكارا للحقائق الناصعة ..

نرى هذا كله فتألم له نفوسنا ، لانه ليس صادرا عن بعض العامة الجهلاء ، بل عن الرؤساء والزعماء

***

ان هؤلاء القادة هم الذين رسموا خطط الحرب ، ومضوا فيها الى النصر النهائى . ولكنهم لم يمارسوها عن كثب . ولم يذوقوا ويلاتها بأنفسهم . ولم يكن تعطشهم للسلم عن تجربة لآلام الحرب وشرورها ، لانهم هم أيضا قد ارتكبوا هذه الشرور . ولم يكونوا ينظرون الى الحرب والسلم كشيئين : محبوب وكريه ، بل كقطعتين فى شطرنج السياسة الدولية يحرك أحدهما أو الآخر طبقا للمصالح والمآرب !

فاذا عهد الى هؤلاء الساسة ان يبنوا مؤسسات للسلم الدائم تضمن الامن والعدل للشعوب ـ صغيرها وكبيرها ـ عز عليهم ان يتقيدوا وان يحد من حريتهم ، وهم الذين كانوا بالامس يحركون الاساطيل ويدمرون المدن ، ويتحكمون فى الشعوب.. ولئن كانت فى قلوب هؤلاء القوم يوما ذرة من حب الحرية والانصاف فان تركيز السلطة فى أيديهم هذه الاعوام الطويلة العصيبة قد محا من نفوسهم كثيرا من اعتبارات الحرية والانصاف

لهذا لم يكن من مجرد الصدفة ان كان المستر تشرشل أكبر زعيم للحرب ، مع انه لم

يستطع ان يحرز مكانا ممتازا لقيادة أمته وقت السلم . ولم يرض الشعب البريطاني ان يوليه زعامته يوما من الايام مع علمه بتفوقه ونبوغه . لان الشعب كان مدركا ان نبوغه نبوغ من يقود الشعوب حين تثور الحروب وتشتد الازمات ، ويتقلص ظل الحرية ، ويسيل العرق ، وينهمر الدمع ، وتسفك الدماء . . وعلى الرغم من تقدير الامة لقائدها في الحرب لم تتردد في خلعه واحلال غيره محله ممن يستطيعون مواجهة السلم بروح جديدة.

غير ان هذا التحول في رئاسة الدولة لم يكن تحولا كليا ، فان كثيرا من أبطال النصر لا يزالون ممسكين دفة السياسة في بريطانيا وفي روسيا وأمريكا . وليس من الممكن للشعوب ان تخلعهم جميعا كما خلع الشعب البريطاني قائده الاكبر وزعيمه النابغ . ولذلك نرى مؤسسات السلم اليوم في أيدي قادة الحروب يسيطرون عليها، ويديرون دفتها بأساليب لا تبعث على الاطمئنان للمستقبل

من أجل ذلك نرى تلك المؤسسات ـ وفي مقدمتها جامعة الامم المتحدة ـ قد أنشئت في صورة لا تتفق تماما ، مع تلك الاماني البراقة ، التي كان العالم يتطلع اليها ، ولا تزال في دستورها عيوب غير قليلة ، لا بد ان يتناولها الاصلاح والتعديل

والذي نرجوه ان مضي السنين سيكفل بعض التغيير ـ ان لم يكن في أشخاص الساسة والزعماء ـ فعلى الاقل في عقولهم ونزعاتهم، حتى يزول منها الطابع الذي طبعتها به الحرب، وتكتسب الصفات الجديدة التي تتطلبها عهود السلام

محمد عوض محمد

أول قاموس تترى

يعيش في بيبنج بالصين الآن رجل من التتر يدعى « أبولونوس مومى » ويشتغل بالتعليم وبيع الفراء وغيرها . وقد قام وحده بعمل ينوء به كاهل المجامع اللغوية ، اذ وضع قاموسا للغة التترية جمع ٥٠٫٠٠٠ كلمة منها مع ما يقابلها من اللغة الصينية، وقاموسا آخر صينيا ـ تتريا يحوى ١٠٫٠٠٠ كلمة و٤٠٫٠٠٠ جملة . وكتابا ثالثا يحوى ١٠٫٠٠٠ جملة باللغات التترية والصينية والانجليزية . وقد أتم ذلك كله في حوالى إثنتى عشرة سنة، ثم شرع أخيرا في وضع قواعد للغة التترية بالانجليزية وقاموس انجليزي ـ تترى . وجمع مجموعة كبيرة من الاغاني والاشعار التترية

وهكذا خدم هذا الرجل لغة بلاده أجل خدمة، اذ يسر السبيل اليها لملايين من الصينيين وملايين أخرى من الامم التي تتكلم باللغة الانجليزية . هـذا واللغة التترية من أقدم اللغات ويتحدث بها نحو ثلاثين مليون نسمة

على ذكر المطالبة بوحدة وادي النيل

مأدبة مصر في إفريقية

بقلم الأستاذ محمد رفعت بك

لما وقعت حوادث الثورة العرابية في مصر سنة ١٨٨٢ اغفلت الحكومة المصرية أمر الثورة المهدية في السودان ، واضطرت الى الاحتفاظ بمعظم قواتها الحربية لمواجهة الخطر الذي كان يهدد البلاد حينذاك . ولما انتهى أمر الثورة في مصر بالفشل ، أصدر الخديو توفيق مرسوماً بتسريح الجيش المصري كله . وبدأ أولو الامر ينشئون جيشاً مصرياً على نمط جديد . وفي تلك الأثناء استفحل أمر الثوار في السودان ، وتوالت انتصاراتهم على قوات الحكومة ، فأخذوا يفكرون جدياً في اخلاء السودان

ومع أن الحكومة المصرية والرأي العام سواء في مصر أو في الخارج ، كان يميل الى ضرورة انقاذ السودان من آثار الفوضى والهمجية ، بعد الجهود التي بذلها الخديو اسماعيل وأعوانه في بذر بذور المدنية ونشر لواء الأمن والسلام في ربوعه ، فان بريطانيا صممت على ضرورة الأخذ بنظرية الاخلاء . وارسل لورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا خطابه الشهير في يناير سنة ١٨٨٤ الى معتمد الحكومة الانجليزية في مصر وفيه يقول « يجب عند البحث في المسائل المهمة الخاصة بسلامة مصر أو ادارتها ، ان تتبع نصائح حكومة جلالة الملكة ما دام الاحتلال المؤقت (كذا) مستمراً ، وعلى الوزراء والمديرين تنفيذ هذه النصائح والا أقيلوا من وظائفهم » فلم يسع شريف باشا رئيس الوزراء وقتئذ الا أن استقال محتجاً وتألفت وزارة نوبار باشا ، وقبلت تنفيذ سياسة الاخلاء وعينوا غردون باشا لتحقيق هذا الغرض . ولكن المهديين ما لبثوا أن ضيقوا الخناق على غردون ومن معه من المصريين ، وحاصروهم حصاراً انتهى في يناير سنة ١٨٨٥ بسقوط الخرطوم وقتل غردون . وعلى ذلك ترك السودان « يسوى في مرقه على مهل » وقد ظل نفوذ الثوار قائماً في السودان ثلاثة عشر عاماً ، وشمل سلطانهم جميع أرجاء السودان عدا اقليم واحد هو مديرية خط الاستواء ومديرها الدكتور الالماني « شنتزلر » الذي اعتنق الاسلام وأصبح اسمه « أمين باشا »

***

ولما انقطعت الصلة بين مصر وممتلكاتها في السودان ، نشأت نظرية خاطئة قالت بها بعض الدول ، وهي ان السودان بعد ان تخلت عنه مصر صار نهباً لمن سبق ، وفات انصار هذه

النظرية ان مصر بتركها السودان مؤقتا لم تتخل عن أى حق فيه ، وان هذه الحقوق قد كسبتها اما بحق الكشف والتمدين ، واما عن طريق الوراثة من تركيا . وقد نص فرمان سنه ١٨٧٣ الذى منحه السلطان للخديو اسماعيل على ان يحكم الخديو جميع ملحقات مصر فى افريقية بحق الوراثة فى ذريته للاكبر فالاكبر من أبنائه . غير ان بعض الدول رأت ان الفرصة سانحة لاشباع بطونها من تلك اللقمة الدسمة التى تخلت عنها مصر مؤقتا ، واقاموا لذلك وليمة كانوا يختلفون اليها فرادى أو جماعات دون أن يدعى اليها صاحب الدار أو يستأذن فيها

***

وكان ضيوف المائدة يأخذون لانفسهم من الاطايب والشرائح ، ما يتاخم حدودهم ويوافق مطامعهم . فاذا ظهر من احدى المدعوات نهم أو تململ أو اعتراض على ما أكله الغير ، تدخلت بريطانيا رئيسة المائدة ونبهت المدعوات الى ان صاحب الدار الشرعى لايزال على قيد الحياة ، وان حقوقه يجب ان تصان ويحتفظ له بها

وكانت ايطاليا فى ذلك الوقت اشد الدول جوعا واكثرها املاقا ، ولا غرابة فى ذلك اذ كانت حديثة عهد بتكوين وحدتها السياسية ، تريد ان تتشبه بالدول الكبرى فتكون لها مستعمرات ومنشئات فى عرض البحار ، تستعيد بها ذكريات الامبراطورية الرومانية القديمة . كما انها أرادت ان تتقاضى من انجلترا ثمن سكوتها وانحيازها الى جانبها ومناصرتها عند ما كانت بعض الدول تشدد على انجلترا الحساب بشأن احتلالها مصر . وعلى ذلك ما كاد خبر المأدبة يصل الى خياشيمها ، حتى سارعت بالحضور والقمتها انجلترا «مصوع» على البحر الاحمر سنة ١٨٨٥ وحاولت ان تثبت أقدامها فى اقليم كسلا فى سنة ١٨٩٤ فلم تستطع واضطرت الى تركه

وحضر المأدبة الملك ليوبولد الثانى ملك البلجيك سنة ١٨٩٤ واقتطع اقليم لادو وبحر الغزال بالاتفاق مع انجلترا وضمهما الى مستعمرة الكنغو لمدة انتهت فى سنة ١٩٠٦

اما اثيوبيا فلم تجد صعوبة فى حضور المأدبة لقرب سكنها من دار الضيافة ، فأخذت اقليم بوغوص سنة ١٨٨٤ على الحدود بين اثيوبيا والسودان ، ثمنا لتسهيل مرور الحاميات المصرية داخل أرضها ، وكانت تهددها قوات الثوار فى شرقى السودان ، كما اخذت اقليم هرر سنة ١٨٨٧

***

اما نصيب الاسد من الوليمة ، فقد ذهب بطبيعة الحال الى بريطانيا ، واتجه همها من أول الامر الى سد المنافذ والمسالك التى قد تؤدى الى الدار التى بها الوليمة، حتى لايتسرب اليها متطفل أو منافس قد تسول له نفسه مد يده الى الفاكهة المحرمة وهى السودان الاصلى . وكان أمامها بابان يمكن ان ينفذ منهما المتطفلون : الباب الجنوبى وقد وقف على حراسته « أمين باشا » حاكم مديرية خط الاستواء الذى نجا من خطر الدعاية المهدية ولم

تصل اليه قوات المهدى . ولما كان أمين باشا لا يزال قائما بمهمته ، يمثل حقوق الخديو فى منطقة خط الاستواء ، رأت انجلترا ضرورة اخلاء هذه المنطقة كما اخليت غيرها ، فقام المستكشف « استانلى » الى افريقية للوصول الى أمين باشا واقناعه بالانسحاب ، فتم ذلك سنة ١٨٨٩ ، وبذلك أخليت مديرية خط الاستواء ومهد الطريق لدخول بريطانيا أوغنده وصار بيدها مفتاح الباب الجنوبى

أما الباب الغربى من جهة الصحراء الكبرى ونيجريا فلم يقف على حراسته أحد لطول الطريق الموصل اليه وخطورة اقتحامه

***

يبقى البابان الآخران ، الشرقى من ناحية سواكن والحبشة والبحر الاحمر ومفتاحه بيد انجلترا ، وقد عززت حراسته باحتلالها زيلع وبربره على خليج عدن سنة ١٨٨٤ . اما الباب الشمالى وهو الباب الرئيسى فمفتاحه الاصلى بيد صاحبة الدار مصر ، ولكن انجلترا بعد شرائها اسهم قناة السويس واحتلالها مصر ، وضعت يدها على المفتاح طوعا أو كرها ولم تعد تخشى من هذه الناحية أحدا

وكان أخوف ما تخافه انجلترا ، ان تتسلل فرنسا فتنفذ الى الدار بطريق ما ، وتلتهم ما تشاء من مطايب المأدبة دون علم الرئيسة . وقد ساء فرنسا ان يهمل شأنها فلا تدعى الى المأدبة ، مع انها كانت فى الماضى من اعز أصدقاء صاحبة الدار ، وتعد نفسها مستحقة كغيرها لنصيب من الفاكهة المحرمة

لذلك صممت فرنسا على ان تدخل الى الوليمة بالقوة المسلحة ، آخذة طريقها نحو الباب الخلفى المهجور ، وهو الباب الغربى الذى تكتنفه الصحراء والغابات الاستوائية . وكان يصعب على بريطانيا حراسته ويسهل على فرنسا طرقه ، لوجود املاك لها تؤدى اليه من ناحية الكنغو الفرنسية . واستطاعت فرنسا ان تدبر أمر حملة ، سارت بقيادة « الكابتن مارشان » ومعه ثمانية ضباط ، ومترجم ، وطبيب ، ومائتا جندى سنغالى ، وباخرتان مسلحتان صغيرتان ، وقد قاموا من فرنسا فى يونيه ١٨٩٦ ، وقصدوا اولا الى الكنغو الفرنسى ، ومنه ساروا جهة الشمال الشرقى قاصدين مديرية بحر الغزال وفاشوده عند مصب نهر سوباط ، وهناك نصبوا العلم الفرنسى . وكانت فرنسا تريد بذلك ان تحتل حوض النيل الاعلى ، وترغم انجلترا على الاعتراف لها بنصيبها من السودان أولا ، ثم اذا ساعدتها الظروف بعد ذلك فاوضت انجلترا بشأن الجلاء عن مصر ، وكان هذا من الامانى التى شغلت أذهان الساسة الفرنسيين فى ذلك الوقت

ولما وصل علم هذه الحملات همسا الى مسامع الساسة البريطانيين ، وتحققوا من اقتراب فرنسا نحو دار الضيافة فى السودان ، غيرت بريطانيا سياستها فورا ، وضاعفت نشاطها الحربى . وبعد ان كانت الحكومة الانجليزية تنصح بارجاء ارسال الحملة لاعادة فتح

السودان ، عادت فقررت السير فى اعداد حملة الفتح بأقصى سرعة خوفا من ان تصل فرنسا وتجد الباب مفتوحا أمامها

* * *

وفى سنة ١٨٩٦ كان الجيش المصرى الجديد قد تهيأ للعمل ووصل عدده الى ٢٠٫٠٠٠ جندى تقريبا ، فجاءت الاوامر بقيام الحملة فى الحال لاعادة فتح السودان ، بقيادة كتشنر سردار الجيش المصرى ومعه نحو ٨٠٠٠ جندى بريطانى ، ولم تجد الحملة صعوبة فى الانتصار على الثوار الذين اضعفهم حصرهم فى السودان، وعدم اتصالهم بالخارج، وضعفت فيهم الروح المعنوية لتفشى الأمراض والمنازعات بينهم. وفى أول سبتمبر سنة ١٨٩٨ ضربت أم درمان ، وانقض الجيش المصرى الانجليزى ، فدخل الخرطوم ظافرا بعد انقضاء ثلاثة عشر عاما على قتل غردون

* * *

غير انه قبل ذلك بشهرين كانت البعثة الفرنسية بقيادة «مارشان» قد وصلت الى فاشوده ونصبت عليها العلم الفرنسى فى ١٠ يوليه سنة ١٨٩٨ فظل « مارشان » يترجى وصول المدد من ناحية الحبشة بدون جدوى ، وكل ما استطاع مارشان ان يعمله انه عقد اتفاقا مع قبائل الشلوك عند مصب السوباط تعهد فيه بحمايتهم

وما كاد كتشنر يستقر فى الخرطوم ، حتى بلغه من بعض اصحاب السفن من العرب ، وجود جماعة من الاوربيين عند فاشوده يرفعون علما أجنبيا ، وفى الوقت نفسه وصلت التعليمات بضرورة قيام السردار ومعه بعض السفن الحربية وقوة من الجنود الى فاشوده

وفى ١٩ سبتمبر وصل كتشنر الى فاشوده ومعه « ونجت » أكبر ضباطه و١٨٠٠ جندى سودانى و١٠٠ جندى انجليزى وخمس بواخر ، وأصبح الانجليز وجها لوجه أمام الفرنسيين فى السودان ولما كانت القوتان مسلحتين ، ظن الناس ان ساعة الفصل بين الدولتين المتنافستين قد دقت أخيرا ، وان الحرب بينهما قائمة لا ريب فيها . ولكن كتشنر وهو القائد المزهو بانتصاره ، لم يفقد فى هذا الظرف الدقيق اتزانه ، وغلب عقله على عاطفته ، وانقذ الموقف بالاناة والحزم . كما ان نده الفرنسى لم يجبن ، ولم ترتعد فرائصه فرقا وخوفا ، رغم تفاهة القوة التى كانت معه ، بل انه وقف يجابه غريمه القوى ثابت الجنان ، معتزا بوطنيته وبشجاعته التى أوصلته الى هذه المنزلة ، التى قد تقصر عن بلوغها الجيوش الجرارة المجهزة بأحدث العدد والمهمات . ولو شاءت الاقدار ان تنضم اليه قوات الحبشة ، كما كانت فرنسا تنتظر لاصبح لحملة مارشان شأن آخر ، ولتغير وجه التاريخ فى السودان وفى مصر تبعا لذلك

* * *

وفى اليوم السابق لوصول كتشنر الى فاشوده ، وصل اثنان من الجنود السودانيين الى الباخرة التى كان بها مارشان ، ومعهما خطاب من « السير هربرت كتشنر سردار الجيش

المصرى الى القائد الاوربى الموجود فى فاشوده ، وفى هذا الخطاب يبلغه خبر انتصار الجيش المصرى الانجليزى فى أم درمان ، ويخطره بقرب وصوله الى فاشوده

وفى صبيحة اليوم التالى وصل رد الخطاب من الكابتن مارشان مرحبا بحضور كتشنر باسم فرنسا . ولما رسا كتشنر بسفينته أمام فشوده ، دهش لما رآه من ضآلة شأن القوات الفرنسية . وكان يظن ان فرنسا قد أعدت قوة ذات خطر توطد بها سلطانها فى تلك الارجاء

وجاء مارشان الى الباخرة التى بها كتشنر ومعه أحد رفاقه الفرنسيين ، وتقابل القائدان فى جو رهيب تسوده آداب الضيافة والمجاملة من جهه ، وتكاد تخنقه انفاس الجميع تردد سراعا ، تلهفا لما عساه ان يحصل . فلو ان كلمة بسيطة من أحد الجانبين نبت عن الصواب ، أو لو أن ايماءة جاءت فى غير موضعها لسببت كارثة حربية ، لا تلبث ان تندلع منها شرارة حرب أوربية جديدة . ولكن الرجلين احتفظا بحدود الواجب وتمسكا بفضيلة الكرم وضبط النفس ودار الحديث بينهما كما يأتى :

كتشنر : لكن فى علمك يا كبتن ان وجود اية قوة أجنبية فى وادى النيل ، يعتبر تعديا صريحا على حقوق مصر . وبمقتضى التعليمات التى وصلت الى احتج بكل قوة على احتلالكم فاشوده ونصب العلم الفرنسى على املاك حضرة صاحب السمو خديو مصر

مارشان : أنا رجل عسكرى وواجب العسكرى ان يطيع الاوامر . وأوامرى أن أسير الى مديرية بحر الغزال وفاشوده وأنصب العلم الفرنسى عليها ، وما على الا التنفيذ . وانى باق هنا الى أن تصلنى أوامر أخرى من حكومتى

كتشنر : أما أنا فتعليماتى من لدن الحكومة المصرية تقضى على بأن أعيد مديرية فاشوده الى الحكم المصرى ، وأود أن أعرف مبلغ استعدادك لمعاونتى أو لمعارضتى فى تنفيذ هذه الاوامر . ولا شك عندى أنك تعلم مبلغ تفوق القوات المصرية الانجليزية التى تحت امرتى

مارشان : اذا كنت تريد يا جنرال بذلك تهديدنا باستعمال القوة ضدنا ، واذا كنت ترى من واجبك ان تلجأ الى قتال كهذا فلا يسعنى الا الاستسلام للقدر فنموت أنا وزملائى عند مراكزنا . اما اننا ننسحب أو ننزل العلم الذى رفعناه فهذا أمر متعذر

كتشنر : هل أفهم من هذا انك مكلف من قبل حكومتك ان تعارض فى اعادة السلطة المصرية الى جزء من أملاكها مثل فاشوده ورفع العلم المصرى عليها

مارشان (بعد تردد) : لا . انى لا اعارض فى رفع العلم المصرى

وعلى ذلك رفع العلم المصرى الى جانب العلم الفرنسى فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وعاد كتشنر الى الخرطوم بعد ان ترك قوة كافية لحراسة العلم ومنع البعثة الفرنسية من نقل أو تسلم مهمات حربية بواسطة النيل . وبقيت البعثة الفرنسية شبه أسيرة بين يدى القوة المصرية الانجليزية . ولم يسع الحكومة الفرنسية سوى الانسحاب والتعجيل بانهاء هـذا الحادث بسلام ، بعد ان تبين لها انها بمفردها امام بريطانيا لا تستطيع ان تكسب شيئا ، وان

الدول لا تتحرك لمساعدتها حتى روسيا حليفتها نصحتها بتسوية الحادث بسلام

***

ومع ان فرنسا خرجت من الوليمة دون ان تزدرد شيئا يذكر فانها لم تحرم كل شيء ، وكانت قد أخذت « تاجوره » على خليج عدن سنة ١٨٨٤ ، ثم اصلحت حدود ممتلكاتها المجاورة لدارفور وبحر الغزال. وبذلك أمكنها ان تصل بين مناطق نفوذها فى غرب وشمال ووسط افريقية ، وهو كسب عظيم ما لبث ان توج بالاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا فى سنه ١٩٠٤ فعوضها عن السودان ببلاد المغرب

***

أما مصر صاحبة الدار فقنعت من الغنيمة بالاياب ، وظلت تسير الى جانب الاسد كالحمل بمقتضى اتفاق يناير سنة ١٨٩٩ الى ان غضب الاسد فى سنة ١٩٢٤ غضبة عصبية ، فاقصاها عن المائدة وهى فى دارها ، وكاد يستأثر بكل شيء لولا صرخة الحمل فى سنة ١٩٣٦ ، وكان قد كبر واكتنز لحمه ونما قرنه وعز جانبه ، فلم يسع الأسد سوى الاتفاق حين رأى الوحوش الكاسرة تريد ان تنقض عليه ومعها الحمل . وكانت معاهدة الصداقة والتحالف سنة ١٩٣٦ التى سوت رسميا بين البريطانيين والمصريين فى شؤون التجارة والمهاجرة والوظائف العامة فى السودان ، واحتفظت بحرية عقد اتفاقات جديدة لتعديل معاهدة سنة ١٨٩٩ بعد ان مضى عليها نحو نصف قرن ، اصبحت فيه نصوصها لا تتفق والتطورات السياسية والفكرية الحديثة . وها هى ذى مصر تتأهب لمفاوضة بريطانيا من جديد على أساس أقرته البلاد جميعا وهو الجلاء ووحدة وادى النيل . والامل معقود ان يؤدى الاتفاق الجديد الى استرداد ما التهمه المتطفلون ـ كله أو جله ـ واعادة تنسيق المائدة لصالح القطرين الشقيقين أولا ... واصحاب الدار أولى بما فيها

محمد رفعت



« فكر واعمل وابتكر وجاهد وغامر وانتهز الفرصة تنجح .. والا فالموت أو شبهه »

معركة الحياة
كيف نفوز فيها ..؟

بقلم الأستاذ احمد امين بك

أهم نقطة يرتكز عليها النجاح الارادة القوية ، التى يصحبها التنفيذ السريع وانتهاز الفرص

ألم يقولوا « ان الحرب جهاد » وبعبارة أخرى « الحياة حرب »

وخير محارب من هاجم ولم يقتصر على الدفاع ، وعمل ولم يقتصر على الحذر . ومتى سنحت له فرصة أقدم فانتهزها ، ولم يتوان لحظة حتى يضيعها . ثم هو يسدد المرمى ، ويحكم اصابة المرمى ، ولا بأس من الفشل فانما يفشل لينجح

اذا أنت أكثرت من التردد وبالغت فى الحذر ، ولم تقدم على عمل حتى تثق من نجاحه مائة فى المائة ، فقد تصلح أن تكون أديبا حالما ، أو فيلسوفا فى الخيال سابحا ، ولكن لاتصلح أن تكون رب عمل ناجحا

فليس يكسب المعركة القائد الجبان ، ولا القائد الحذر ، ولا القائد الذى لا يريد أن يضحى بشىء من جنوده . وانما يكسبها من يفكر حسب طاقته ، ولا يطيل التفكير أكثر مما يلزم ، ثم يضرب الضربة فى حينها ، وهو يغلب النجاح وان كان لا يتأكده ، فان فشل بعد ذلك فقد أدى واجبه

***

ان الاخلاق الحديثة تفضل « فعل الامر » على « فعل النهى » « فاصدق » خير من « لا تكذب » و « اعدل » خير من « لا تظلم » ، والامر بعمل الفضيلة خير من النهى عن الرذيلة ، لان فى الاولى عملا ووجودا وحياة ، وفى الثانية تركا وعدما وموتا

كل شىء فى الحياة يجاهد ، الجسم يجاهد الميكروبات حوله وفيه . والصحة لا تعتمد على الوقاية وحدها ، وانما خير من الوقاية « الحيوية » بالرياضة والعمل والحركة والنشاط وما الى ذلك . وانما يعتمد على الوقاية ــ والسكون وقلة الحركة والسير الدقيق على طرق العلاج ــ المرضى فى أسرتهم ، والمرضى فى المستشفيات . أما الاصحاء فيعتمدون قليلا على الوقاية ، وكثيرا على الحيوية والعمل . والعقل يجاهد الافكار السقيمة ، والخيالات السامة ،

وخير وسيلة للتغلب عليها حيويته ونشاطه وتفكيره المنتج ، لا خنوعه واستسلامه

وهكذا كل شيء في الحياة جهاد . والجهاد الصحيح يعتمد على الارادة الصحيحة ، والتجارب الدائمة ، والعمل المستمر

ان العالم مملوء بالحيوية ، وهو فى حركة دائمة ، ونشاط مستمر ، وقوى متفاعلة أبدا من كهرباء وقوى ذرية ، وحرارة وبرودة ، ورياح وعواصف ونحو ذلك . فالذى ينجح فى هذا العالم المتحرك النشيط ، انما هو من انسجم معه بالعمل والقوة والحيوية ، ولذلك كان السكون التام موتا

***

وبجانب هذه القوى المادية فى الحياة ، قوى معنويه هى الاخرى فى حركة مستمرة وجهاد دائم ، كالنظام وعدمه ، والجهل والعلم ، والرأى العام وقوته وضعفه ، والعدل والظلم ، واختلاف رغبات الناس فى التزاحم على كسب الخير لانفسهم . ولا بد للنجاح فى الحياة من تحديد موقف الانسان أمام هذه القوى المادية والقوى المعنوية ، فأمام القوى المادية لا بد أن يعرف كيف يستخدمها فى مصلحته ، ويسايرها ولا يعاكسها . فالكهرباء قد تصعقه اذا هو لم يعرف استخدامها ، ولكنه يستطيع أن يستنير بها ويستدفئ بها ويسير القطارات بها اذا هو أحسن استخدامها ، وكذلك كل قوة من القوى الطبيعية . وفى القوى المعنوية يجب أن يحدد موقفه امام التيارات المختلفة للنظم الاجتماعية ، فينغمس فيها ، ويكون هو نفسه قوة معها ، يصلحها ما استطاع ، ويستخدمها فى خيره وخير الناس ما استطاع

وكلما كان الانسان أقوى جسما وعقلا وخلقا ، كان أقدر على الانتفاع بالقوى المادية والروحية . فالانسان استطاع أن يلجم الفرس ويركبه ويوجهه فى خدمته ، لانه أكبر منه نفسا وعقلا . وكذلك هو يستطيع وسط الظروف الاجتماعية المتضاربة ، ان يصرفها ويستغلها للخير الخاص والخير العام . فاذا خل أو كسل أو أفلت زمام الامور من يده ، لم يستطع نجاحا وساقته الظروف أكثر مما يسوقها هو

فالانسان انما ينجح بتقوية ملكاته الداخلية ، وعلمه بالقوى الطبيعية والاجتماعية التى حوله ، ثم بانسجامه معها ومعرفته كيف يستخدمها . وان شئت فاستعرض كل من نجح فى الحياة نجاحا حقيقيا ، تجد نجاحه بمقدار تطبيقه هذه القاعدة ، ولو لم يحسن التعبير عنها

***

ثم شأن الامم والحكومات شأن الافراد . فلكل أمة قواها الطبيعية التى حولها ، وقواها المعنوية التى تحيط بها . فالامة الفاشلة هى التى تكون فى أرضها معادن لا تعرف كيف تستغلها ، وقوى مائية لا تعرف أن تنتفع بها ، وأراض زراعية لا تعرف كيف تستخرج منها أغزر ما تنتج وهكذا . ثم حولها ظروف اجتماعية ترتبك فى توجيهها ، وتحار فى

التصرف فيها ، ليس لها ارادة قوية في التنفيذ ، ولا رغبة صادقة في الاصلاح ، تسيرها القوى الطبيعية كالريشة في الهواء ، وتسيرها القوى الاجتماعية حيثما اتفق . ليست هي انسانا يمسك بزمام فرسه ، ولكنها فرس ملجمة تقاد . أما الامة الناجحة فكالرجل الناجح يدرس قوى الطبيعة ويعرف انها لا تتغير ولا تتبدل ، ولكنه كالملاح الماهر يعرف متى ينشر شراعه ومتى يطويه ، وكيف يسير سفينته والى أي اتجاه . يعرف أنه لا قدرة له على تغيير الرياح ، ولكن له قدرة على استخدامها في مصلحة سفينته . كذلك هذا شأن الامة الناجحة مع القوى الاجتماعية ، ترى الفوضى فتنظمها ، وترى الرأي العام ضعيفا فتقويه ، وترى الاضرار من بطء الآلة الحكومية فتجددها ، وترى ظلما هنا وظلما هناك فتمحوه بالعدل ، ولا تكتفي بالوقاية وعلاج الامراض بل تبعث في الامة الحيوية والنشاط . وهكذا قانون الفرد وقانون الأمة في النجاح والفشل واحد

فكر واعمل وابتكر وجاهد وغامر وانتهز الفرصة تنجح والا فالموت أو شبهه

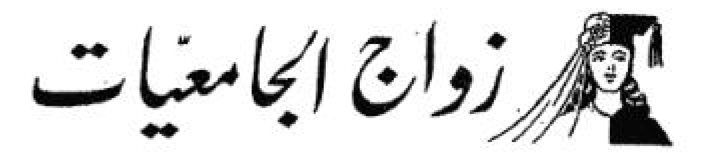
احمد امين

قوة الذكاء عند زعماء النازى

أراد الدكتور جلبرت أحد الاطباء الامريكيين المختصين بالامراض العقلية والنفسية ان يعرف نصيب زعماء النازى الذين يحاكمون الآن في نورمبرج من الذكاء ، وهم الذين وضعت ألمانيا مقاليدها في أيديهم فأشعلوا أخطر حرب عرفها التاريخ . وقد جربت معهم مقاييس الذكاء ، فاتضح ان « شاخت » المالي الالماني المعروف حاز أعلى الدرجات ، اذ حصل على ١٤٣ درجة . اما شترشير الذى اشتهر باضطهاده لليهود فظهر انه متوسط الذكاء اذ حاز ١٠٦ درجة فقط . وحاز انكوارت الذى كان دكتاتور النمسا ١٤١ درجة ، فهو يلي شاخت مباشرة . ونال هيس ١٠٢ درجة فقط ، غير ان مقياس الذكاء جرب عليه في الوقت الذى كان يتظاهر فيه بفقدان الذاكرة . ونال كل من جورنج ودونيتز ١٣٨ درجة . وكل من فون ريبنتروب وكيتل ١٢٩ درجة . وكل من الفريد جودل والفريد روزنبرج ١٢٧ درجة . وكل من فون نويرات وفرنك ١٢٥ درجة ، وفونك ١٢٤ وفريتز ساوكل ١١٨

ويقول الدكتور جلبرت انه لما أنبأ جورنج بان ترتيبه الثاني في الذكاء أبدى من الفرح مثل ما يبديه الاطفال حين ينجحون بتفوق في أحد الامتحانات .. وان أكبر صعوبة لقيها كانت مع شترشير مضطهد اليهود المعروف ، فانه — وقد كان في ماضي حياته مدرس حساب باحدى المدارس — رفض أولا ان يجيب على عمليات الجمع والطرح التي سئل فيها ، ولما أغراه الدكتور جلبرت بالاجابة اذا به يخطىء في حل أبسط العمليات !

« .. ثم انتبهنا الى نفوسنا نسألها ان كان لا يزال يلم بهـا شيء من حنين موروث الى البيت ، وأشواق فطرية الى الأمومة ؟ فاذا نحن اناث اناث ، واذا هذا الذى زعمه الزاعمون عن تجردنا للدرس وزهدنا فى الزواج وهم خاطىء وادعاء باطل »



زواج الجامعيات

بقلم السيدة بنت الشاطىء

هذا موضوع دقيق محرج ، تحتاج معالجته الى كثير من الصراحة والشجاعة ، ولقد كدت أحجم عن تناوله الآن، تهيبا من دقته ، ومجاملة لزميلات لهن منى كل عطف وتقدير ورحمة ، وانتظارا لما عساه يجد من نتائج هذه التجربة الاجتماعية التى لابستها ظروف جديدة علينا ، واشتركت فى توجيهها تيارات غريبة طارئة

لكنى عدت فرأيت أن الواجب الاجتماعى ، يدعونى الى ابلاغ « الامانة » وها أنذى أفعل، غير جاهلة ما فى الامر من دقة ، ولا غافلة عن مواضع الحرج فيه ..

وأنا بعد ، لا أملك أن أرفض الحديث فى موضوع اليوم مهما تبلغ دقته ، بعد الذى شكوت من اغفال تاريخ حركة المرأة الجديدة ، ودعوت زميلاتى الى حل هذا العبء الذى يستحيل على غيرنا أن يفهمه ، أو يقدره ، أو يسجله ..

***

كنا ستين فتاة ، تنائت ديارنا ، وتنوعت أمزجتنا ، وتعددت ألواننا ، وتغايرت أزياؤنا ، وباعدت بيننا فروق واضحة فى الدين والبيئة والتربية . منـا الريفيات اللواتى يشهدن العاصمة للمرة الاولى ، ويغشاهن الدوار من أضوائها وضجيجها . ومنا حضريات لم يرين الريف الا من نافذة القطار فى تنقلهن بين العاصمة والمصايف ، ولم يعرفن عن أهله الا صورة شوهاء ، تغشاها ظلال كابية من الفقر والذلة والمرض ..

وكان منا الوافدات من بلاد السواحل فى أقصى الشمال ، حيث الامواج والانسام ، وحيث البيئة اليقظة المتوثبة ، والافق المنبسط الممتد ، والمزاج الشاعر الرقيق ، ومنـا نازحات من الصعيد الاعلى ، حيث الشمس المتقدة تصهر العصب وتلهب المزاج ، وحيث الصخور الصلاب تحتضن الوادى الضيق ، والصحراء من ورائها على مرمى البصر ، برمالها ، وسرابها ، وتيهها ..

وكان فينا من نشأت فى بيئة رجعية محافظة ، تحسب التزين عارا ، وترى الحرية كفرا ، وتعد المسارح ودور السينما مباءة للاثم . وأخريات قد بلون الحياة العصرية ، وصحبن الأخوة والآباء الى الحفلات الساهرة الراقصة ، وعادت « المحافظة » فى نظرهن جمودا وتخلفا وشيخوخة قد أبلاها الزمان ..

أما جنسيتنا فكانت رسميتها « المصرية » ، على أن وجوهنا وألواننا ، كانت تنطق صارخة بما سيط فى دمائنا من دماء أخر ..

والتقينا فى بهو الجامعة ، فى كلية الآداب على التحديد ، بهذه الشخصيات المتباعدة ، والالوان المتعددة ، والازياء المتنافرة ، والامزجة المتناكرة . وخيل للرائين أن لنا وحدة فى الثقافة ، يلتقى عندها ما تنافر من شخصياتنا وأزيائنا ، وما تناكر من أخلاقنا وأمزجتنا. على أننا فى الواقع قد تشعبت بنا طرق التعليم قبل أن نلتقى فى قاعات الدرس الجامعى ، فمنا كثرة تعلمت فى المدارس الثانوية الاميرية ، وقلة قد تقاسمتها ثقافات متباينة شتى . فبعضنا قد وفد من مدارس الارساليات الفرنسية ، بتقاليدها الصارمة ولغتها العصرية الانيقة ، وفريق قد تعلم فى مدارس الامريكان بثقافتها الحرة ونظمها المرنة ، وثالث من طالبات المنازل ، ذوات الثقافة المركزة ، والافق المحدود ، والتجارب الفقيرة الساذجة ..

على أننا بعد هذا كنا متقاربات فى السن، اذكنا ندور حول الربيع العشرين وان تجاوزته بعضنا بقليل ، وتلك هى السن التى نصطلح قومنا على تسميتها « عز الشباب » وسن الزواج »

***

وكنا فى ظاهر الامر مشغولات بهذا البدع الجديد الطارىء على حياتنا ، منصرفات بالعلم عما يشغل لداتنا من أمور الخطبة والزواج ، لا نلقى بالا الى ما يؤرقهن من انتظار « ابن الحلال » ولا يخامرنا الرعب الخفى الذى يعانينه اذا طال عليهن الامد ، ولاح لهن على الافق البعيد شبح (العنوسة) بكآبته وفظاعته ..

لقد أعفينا من هذا كله فى بدء حياتنا الجامعية ، وشهدتنا أروقة الجامعة نتأبط الكتب والمذكرات فى جد ظاهر . وبدا لنا السباق العلمى بيننا وبين الطلاب شائقا لذيذا ، ورحنا نردد على مسمع منهم أخبار تفوقنا فى هذا الدرس أو ذاك ، ونتشدق أمامهم ـ فى فخر ومباهاة ـ بما ننال من درجات عالية أو تقدير طيب من الاساتذة والمدرسين ..

على أن هذه اللذة لم تسلم لنا طويلا ، اذ ما لبثنا أن شعرنا بأحداث تبدو للنظرة العجلى بسيطة تافهة ، وان أثارت فينا قلقا مبهما ، وأفسدت علينا لذة هذا السباق الشائق . وأول ما رابنا من الامر ، ذلك الحديث الكثير عن اختلاط الجنسين ، وافرادنا بقاعة خاصة يحظر علينا أن نبرحها فى غير ساعات الدرس ، وتحريم الوقوف فى أبهاء الكلية وممراتها الا أن يكون ذلك مرورا سريعا عابرا ، وتخصيص مقاعد لنا فى مدرجات المحاضرات ، والحاح الادارة فى استنكار أى حديث بيننا وبين الطلاب ، ولو كان الحديث بحثا علميا ، أو تعليقا

على بعض الدروس ، أو مناقشة بريئة على مرأى ومسمع من جموع الزملاء . .

وبدا لنا الموقف شاذا غير منطقى ، فقد كان جديرا بهم أن يغلقوا دوننا أبواب الجامعة ، أو ينشئوا لنا جامعة نسوية ، بدلا من هذا الالحاح المهين ، والتذكير الدائب ، والاضطهاد المريب . وثارت منا ثائرات على هذه « الاهانة » لكنى ما أشك فى أن كثيرات منا بدأن يتنبهن بهذا ـ وبغير هذا ـ الى أنوثتهن التى تجاهلنها أو شغلن عنها بالبدع الجديد

ورحنا نحدق طويلا فى الازياء الغالية التى ترتديها طائفة منا ، وتطيل النظر الى « تسريحة » شعورهن ، وزينة وجوههن ، وتتبعهن وهن يختلسن لحظات ، يخلون فيها الى المرايا . فاكتشفنا فجأة ان فى هذا الخليط المتنافر من سعت الى الجامعة لتلفت الانظار ، ومن فرت اليها خوفا من الوحشة ، ومن لاذت بها ابتغاء التجمل ، ومن التمست فيها مخرجا من الحبس فى البيت !

* * *

ثم أنتج ذلك التقابل بين أفراد الخليط أثره الواضح فى سلوكنا وتصرفنا ، وتعداه الى أهلينا وبيوتنا ، فاذا فينا من ترهق ميزانية أبويها فى سبيل اللحاق بزميلاتها الانيقات ، واذا فينا من تنفق الوقت ـ وهو أثمن ما غلك فى ذلك العهد ـ لكى تقلد هذا الطراز من الثياب ، أو تلك التسريحة الجديدة للشعر ، وكل هذا على حساب الدرس والتحصيل

ثم أخذنا بعد ذاك نصغى فى فضول غريزى مقنع بالانتقاد والانكار ، الى قصص فتيات الطليعة اللواتى وفدن على الجامعة من قبلنا : فهذه واحدة تلقت خطاب اعجاب من زميل لها ، فحملته ـ فى اعلان صارخ بفضيلتها ـ الى الاستاذ العميد ، ففصل المعجب المسكين بعد أن ضيع ما ضيع من عمر ، وأنفق أهلوه ما أنفقوا من جهد ومال . وتلك ثانية ، شوهدت تتبادل بعض مذكرات الدروس مع أحد الزملاء ، فحوسبت حسابا عسيرا ، وأنذرا بالويل ان عادا لمثل ذلك . وثالثة حمل اليها البريد خطابا غراميا من مجهول ـ وكانت خطاباتنا تفتح فى ادارة الكلية قبل أن تسلم لنا ـ فحول الخطاب الى أبيها ـ وكان رجعيا شديدا ـ فثار على المنكر ، وأمسك ابنته فى البيت لا تبرحه . ورابعة روى الراوون انها آثرت زميلا لها بتحية الصباح ، فنوقشت فى ذلك طويلا ، وطلب اليها رسميا أن تقاطع هذا الزميل و « تخاصمه » على ما بينهما من صلات « عائلية » وثيقة !

والى جانب هذه الحوادث الرسمية ، ثرثرة لا تنتهى ، وحكايات لا تنفد عن هذه الطالبة أو تلك . وقد أصغينا الى بعضها وأعرضنا عن بعض ، لكنا ـ دون شك ـ قد شغلنا بها طويلا ، وفكرنا فيها كثيرا ، وتأثرنا بها تأثرا ليس بالهين اليسير . وما بى اليوم أن أروى بعض هذه الحكايات ، لا لان الصراحة تعوزنى فيه ، ولكن لان وقتها لم يحن بعد . .

* * *

ثم بلغ الامر مداه ، وبدأت « التجربة » الكبرى تظهر للمسجلين والراصدين ، فكثر

من حولنا اللغط والضجيج ، وأخذت المسألة شكلا اجتماعيا حين شاركت الصحف في هذا اللغط ، وانقسم الرأى العام فينا فريقين متخاصمين ، ثم تطورت تطورا خطرا حين دخل رجال الازهر طرفا في الخصومة ، واذ نحن ماضيات في الدرس وسط هذه الضجة اللاعبة لا ندرى ماذا يراد بنا ، ولا ماذا يكون من أمرنا ، وقف كبير من أساتذتنا في كلية الآداب يجيب عن أسئلة الطلاب في التعليم الجامعي المشترك ، ولعلهم أرادوا احراجه معشر الطالبات فقد كان لاستاذنا رأى في تعليم البنات ، ينأى بالانوثة الكريمة العزيزة عن صخب المزاحمة وغبار الطرقات ، ويلتمس لها منهجا راشدا يقدر حاجتها الفطرية واستعدادها الموروث ومكانها في الحياة ، بدلا من هذا المنهج الضال الذى يسوى بيننا وبين البنين في الثقافة ، حين تأبى الطبيعة والحياة هذه المساواة

وقف أستاذنا ـ سامحه الله ـ يجيب عن أسئلة الطلاب في جرأة قاسية ، وصراحة اعتبرناها جارحة لنا ، فأشرت الى زميلاتي بالانسحاب . فاستوقفني الاستاذ متسائلا : فيم غضبنا ؟ قلت : مما سمعنا وبعضه يجرح أنوثتنا . فتبسم ضاحكا من قولى وسأل : وأين الانوثة هنا ؟ أولستم تقولون أن الفتاة تخلعها حين تدخل الجامعة وتغدو كالطالب سواء بسواء ؟! احدى اثنتين : اما أن تحتفظ الطالبة بأنوثتها وفى ذلك ما يخاف الخائفون ، واما أن تلغيها ـ وهو ما لا يمكن ـ فتخسر ويخسر الرجل وتخسر الامة جميعا

***

هنالك بدأنا نفكر جديا في هذا الذى أغفلناه زمنا : أاناث نحن أم مسخنا خلقا جديدا ؟ أحق اننا نزعنا عند باب الجامعة ، سمات شخصيتنا وبرئنا من فطرتنا ؟ أترانا قد نسينا كل الذى أعطتنا حواء ، ووهبنا أنفسنا خالصة للعلم ؟ أكان تشاغلنا بالدرس الجامعى مغيرا لفطرتنا قاهرا لوراثتنا ؟ أم أن « حواء » كانت ولا تزال لباب كياننا وان شغلنا عنها في ظاهر الأمر بالدرس ؟

وذكرنا خمس فتيات منا تخلفن في أول الطريق ، فتركن الجامعة في العام الدراسى الاول وتزوجن . ولم تكن « زيجاتهن » فرصة نادرة ، بل مضت احداهن مع زوجها المهندس الى السودان ، ولحقت الثانية بزوجها الذى يطلب الطب في لندن حيث ماتت بعيد وصولها اثر عملية جراحية ، وغابت الثلاث الاخريات في غمار الحياة فلم نعد نسمع عنهن خبرا

وفى العام الثانى تخلفت ـ بسبب الزواج أيضا ـ سبع فتيات ، منهن واحدة متفوقة كان يرجى لها الظفر بدرجة الامتياز

وسمعنا بعد عام أن بعض زميلات لنا مرشحات للزواج ، فاستبعد الكثيرون أن يضحين « بالليسانس » ولم يبق على ظفرهن به سوى عام وبعض عام ، لكن الغريب أنهن جميعا تخلفن عنا ، ومضين الى بيوتهن الجديدة لا يلوين على شىء ، كما مضت أخوات لهن من قبل

وأعترف هنا ، أننا كنا نتتبع أخبار هؤلاء الزوجات فى لهفة وحرص ، ونغبط من توفق منهن الى زوج كريم ، أكثر مما نغبط الظافرات السابقات فى معركة الدراسة

ذكرنا هذا كله ، فأخذنا نرتاب فيما قالوا وقلنا عن انصرافنا الى الدرس واشتغالنا به عما عداه ، ثم انثنينا الى نفوسنا نسألها ان كان لا يزال يلم بها شىء من حنين موروث الى البيت وأشواق فطرية الى الامومة ، فاذا نحن اناث اناث ، واذا هذا الذى زعمه الزاعمون عن تجردنا للعلم وزهدنا فى الزواج ، وهم خاطىء وادعاء باطل

من ذلك الحين ، بدأ القلق يساورنا على مصيرنا المغيب ، وكنا قد شارفنا الشوط الاخير من الدراسة ، فتهيبنا الوحشة المنتظرة ، وحسبنا ألف حساب للفراغ النفسى الذى قد نعانيه بعد اتمام الدرس ، وذقنا ذلك الشك الموجع الأليم الذى ذاقته لداتنا فى انتظار نصيبهن ، المضمر فى الغد المجهول . .

كانت يقظة متأخرة دون شك ، انتبهنا فيها الى ما أغفلنا طويلا من أمر الزواج على أهميته وخطره . وقد استطاع عدد منا أن يعتصم بالاحتمال ويتجمل بالمداراة ، لكن الباقيات نال منهن الجهد والقلق والشك والخوف ، فتعثرت خطاهن فى ذلك الشوط الاخير وكثر رسوب الراسبات مرة ومرتين وثلاثا ، ولم يبق الا سبع عشرة طالبة ، جزن الامتحان النهائى بنجاح ، وقد كنا فى أول الامر ستين طالبة

***

أما كيف واجهنا مسألة الزواج ونظرنا الى الزوج ، وماذا لقينا واحتملنا فى ذلك السبيل ، فلهذا كله حديث طويل أرجئه اليوم الى غد قريب ان شاء الله

بنت الشاطىء
« من الأمناء »

ابحث عن قلب أى امرأة تجد أما	(ميشليه)
أعظم مخلوق هو المرأة ، اذا عرفت قدر نفسها	(غلادستون)
البيوت بدون النساء الصالحات قبور . .	(بلزاك)
الرجل نثر الخالق ، والمرأة شعره	(نابليون)

انجليزى يدافع عن الاستعمار !

هذه خلاصة مقال كتبه سير نورمان انجل فى جريدة « الديلى ميل » يدافع فيها عن الاستعمار الانجليزى ، ننشره هنا — لا على اننا نوافق على ما جاء فيه — بل ليقف القارىء على وجهة النظر الانجليزية كما يبسطها كاتب انجليزى كبير

يعجب كل انجليزى تطأ قدماه اميركا لاول مرة ، وكل انجليزى يعيش فى بلاد العم سام ، للسيل المنهمر من الاسئلة التى تنهال عليه من كل صوب ، عن الامبراطورية البريطانية . ويعجب للعنف والصيغة واللهجة التى تلقى بها هذه الاسئلة ، فيخيل الى السامع ان الامبراطورية قد سلبت كلا من هؤلاء السائلين حقوقا مكتسبة ، ويخيل اليه ان ٩٩ ./. من الاميركيين يعتقدون ان مجرد وجود الامبراطورية ، وكيانها فى ذاته ، جريمة يعاقب عليها القانون الدولى ، واجحاف لا يغتفر ، وان الساعة قد حانت لتصفية حسابها ، وتوبة أهليها ، والندم على ما اقترفته من الآثام ، على مدى الاجيال والاعوام

وقد نسى الاميركيون ، أو تناسوا ، أنهم يحتلون أرضا لشعوب قد غلبت على أمرها فانقرضت أو كادت ، ونسوا ان تلك الارجاء الواسعة المترامية الاطراف — فى الجنوب والغرب — ككليفورنيا مثلا ، كانت الى عهد قريب جدا ملكا للمكسيك — وللاسبان قبل ذلك — وانها وسواها من الاراضى التى تحتل الشطر الاكبر من القارة الاميركية اليوم ، لم تكن هدية من هدايا عيد الميلاد التى قدمها اليهم « بابا نويل » !

بيد اننى لا أريد أن أدخل فى نقاش عديم الجدوى ، وانما أوثر ان أبسط قضية بريطانيا فى صورة أشعر اننا قصرنا فى توضيحها ، وأحجمنا عن شرحها بالجرأة والقوة والصراحة الجديرة بها . وأول ما أريد توجيه الانظار اليه ، انه لولا الامبراطورية البريطانية ، لكسب هتلر الحرب ، وبسط نفوذه على العالم فأملى على الشعوب ارادته

ان فى مقدمة ما يحتاج اليه العالم اليوم ، فى هذا العصر الذرى ، تجنب الفوضى من جهة ، وقيام دولة دكتاتورية تحكم العالم بقوة « الجستابو » والايدى الحديدية من جهة أخرى . أما الفوضى فلا مفر من قيامها اذا ما انحلت الامبراطورية البريطانية . وهل فى ذلك من شك ؟ ألا يتبع انحلالها قيام دويلات وأمم صغيرة مستقلة فى كل من آسيا وافريقا وشرقى أوربا ، يحكمها رؤساء وأمراء وسلاطين ، طغاة « كالفوهرر » ، يتخاصمون ويتنافسون ويقاتلون ويعكرون صفو السلام العام ؟ ومما يؤيد ما أقول ان انحلال الامبراطوريات ، كما يشهد التاريخ — قديمه وحديثه — تتبعه الفوضى ، كما يتبع الليل النهار . ألم تغط أوربا

موجة الخراب والدمار ، فغاصت فى دياجير الجهل والظلام فى القرون الوسطى ، بمجرد انحلال الامبراطورية الرومانية ؟

وهذه امبراطورية آل هبسبرج ، كانت الامم التابعة لها تشكو وتطالب المزيد من الحرية، فما كادت تتفكك امبراطوريتهم ، حتى دبت الفوضى فى تلك الامم ، واكتسحتها القلاقل ، وراحت شعوبها تندب سوء حظها ، وتندم على ذلك النصيب من الحرية الذى كانت تشكو حرمانها منه ، اذ زادت آلامها وتضاعفت متاعبها

فاذا كان لا بد من انشاء حكومة عالمية قوية ، تستطيع الاشراف على الطاقة الذرية ، وايقاف الدول الطاغية عند حدها ، مع عدم التدخل فى حرية الشعوب المسالمة ، فهل من الحكمة فى شىء ، وهل فى مقدور الامبراطورية البريطانية ، ان تصفى هذه المراكز التعاونية المنتشرة فى جميع أنحاء المعمورة والتى تتألف منها أجزاء الامبراطورية ، وتخلق من كل منها دويلة مستقلة ؟ وهل فى حل هذه الاجزاء المتماسكة وتفكيك هذه المراكز التعاونية المتضامنة، ما يحقق ما ترمى اليه فكرة الحكومة العالمية ؟ وهل فى مقدورنا أو مقدور الحكومة العالمية ان تحل هذه الرابطة بهذه السهولة ، وبجرة قلم ؟

بيد ان هذا ليس معناه ان تبقى الامبراطورية الاستعمارية كما هى . ان كل شىء فى تطور ، والامبراطوريات الاستعمارية كذلك ينبغى ان تنال نصيبها من هذا التطور ، بشرط ان يكون ذلك بخطى وئيدة . ويقتضى هذا ان تستحيل أجزاء الامبراطوريات الى اتحادات على طراز « الكومونولث » فى الامبراطورية البريطانية ، وان يمنح كل اتحاد منها أقصى ما يمكن من الاستقلال الذاتى ، بشرط ان تتضامن جميعها فى العمل دفاعا عن كيان كل منها، وعن الامبراطورية كوحدة كاملة . وأخيرا يدخل كل اتحاد منها فى عضوية نظام عالمى مشترك . وقد أصبحت الحاجة الى هذا النظام فى عصر القنبلة الذرية أشد منها فى أى عصر آخر . ومما لا يرتاب فيه أحد ، ان هذا النظام العالمى اذا لم يصبح حقيقة واقعة ، ويزود بالسلطة الفعلية لتوقيع العقوبة على من يستحقها من الامم المعتدية ، فعلى المدنية والحضارة السلام ! ومن المعلوم ، أو مما ينبغى الاعتراف به على الاقل ، ان وضع هذا النظام العالمى المشترك على أساس متين ، من أشد المسائل التى واجهتها الدول صعوبة ، واكثرها تعقدا . وقد جربنا ذلك فى الحرب العالمية الاولى وباءت جهودنا بالفشل

وكانت أميركا أكثر الامم مقاومة للفكرة ، فبعد ان خذلت زعيمها الاكبر الرئيس ولسن ، اكتسحتها العزلة وتمكنت نظرياتها من الشعب الاميركى ، فأحجم العم سام عن التعاون الدولى ورغب عن كل نظام مشترك ، وأبى قبول الوصاية على فلسطين . كما أبى قبولها بعد الحرب العالمية الثانية ، وكما أبت فى هذه الفترة الاخيرة التى أصبحت فيها المشكلة العربية الصهيونية أعقد من ذنب الضب

وهكذا لم تخرج اميركا من عزلتها ، وتشاطر الدول فى معالجة المشاكل العالمية الشائكة، الا بعد مرور ربع قرن على اليوم الذى نادى به ولسن بمبدأ الدولية . فاذا احتاجت روسيا

الى ربع قرن آخر ، قبل ان يتاح لها اعتناق هذا المبدأ ، فهل من العدل أن تنحى عليها باللائمة ؟

وهناك نقطة هامة ينبغي ان نوجه اليها انظارنا ، وهى وجوب اتباع سياسة خاصة تلائم فترة الانتقال هذه . فاذا كان لا بد من وجود حكومة عالمية مشتركة ، وجب قبل كل شيء ان تكون ملائمة لمقتضى الحال ، نزاعة الى تحقيق ما تصبو له الشعوب من أمن وحرية وسلام وطمأنينة . فقد كان من السهل علينا ان نطمئن على بلادنا من القنابل الذرية والغارات الجوية وسواها من ويلات الحروب ، فيما لو كنا ألقينا بسلاحنا واستسلمنا لهتلر وهيروهيتو . ولكنا رفضنا بإباء وشمم ان نعيش تحت راية هذا النوع من الطمأنينة ، التى كان لا مندوحة منها ، لو لم تكن هناك امبراطورية بريطانية

يشهد العالم انه بعد انهيار فرنسا سنة ١٩٤٠ ، لولا القلاع والحصون فى جبل طارق ومالطة ، ولولا الجيوش التى كانت ترابط فى مصر دفاعا عن قناة السويس ، ولولا الاسطول والاستعدادات الحربية التى نصبت لصد رومل ، ومنع القوات اليابانية والالمانية من الهجوم على الهند ، وتحميلها من صنوف العذاب ما تحملته الصين — لولا ذلك لاكتسح العدو بريطانيا واستراليا ، واطبق على الشرق الاوسط من الشرق والغرب ، وبسط سلطانه على القارة الاوربية ، فضلا عن سواها من القارات

لولا هذه لما كان هناك قاعدة فى الباسفيكى «ماك ارثر» ، ولا قاعدة فى المحيط الاطلنطى « لايزنهور » ، ولا قاعدة فى الهند يعتمد عليها لاسعاف الصين ، ولا وسيلة لامداد روسيا بالمعدات الحربية ، والذخيرة ، والاطعمة ، والعقاقير ، والسيارات . وهكذا كان من المحقق أن يفوز هتلر . هذه هى الحقيقة العارية ، التى يريد النقاد ان يتجاهلوها ، أو ان يلقوا عليها نظرة ثم يغفلوها ... وكأنها لم تكن !

ومن الحجج التى يدلى بها النقاد ، استشهادا على مساوىء الاستعمار ، انه من أهم اسباب الحروب . قد يكون الاستعمار شرا ووبالا ، ولكن هناك حقيقة ينساها هؤلاء النقاد أو يتناسونها ، وهى انه فى خلال المئة والخمسين عاما الماضية لم تقم حرب عظمى أو حرب عالمية واحدة ، كان سببها ثورة الشعوب الخاضعة للدول المستعمرة . ففى الحرب العالمية الاولى لم تكن المانيا مستعمرة ، ثار شعبها فأشعل نيران الحرب انتقاما من مستعمريه . وفى سنة ١٩٣٩ لم تكن المانيا مستعمرة حتى غزت « الطغاة الظالمين من الدول المستعمرة » ، وأذكت نار الحرب العالمية الثانية . ومن المؤكد ان اليابان لم تغز الصين وتنتهك حرمتها لان الثانية كانت امبراطورية استعمارية ، وان الاولى كانت تئن تحت نير دولة مستعمرة

ومهما كانت الاخطاء التى ارتكبتها بريطانيا فى الهند وافريقيا ، وأيا كانت الذنوب والآثام التى اقترفتها — اذا كان ثمة أخطاء وذنوب — فانه من المحقق ان القلاقل والاضطرابات التى قامت فى تلك البلدان — اذا كان ثمة قلاقل واضطرابات — لم يكن لها دخل البتة فى اشعال نار الحروب ، ولم يكن لها دخل البتة فى الكارثة التى حلت بالعالم بين سنة ١٩١٤ و١٩١٨

والتى أعدت بأشنع صورة عرفها التاريخ بين سنة ١٩٣٩ و١٩٤٥

ان القلاقل الداخلية التى اضطرمت فى الامبراطورية الهندية لم تقم بسببها حرب فى الهند . ولكن القلاقل الداخلية التى اضطرمت فى الصين الحرة وما تبعها وتسبب منها من الانقسامات والتحزبات وعوامل التفريق بين شعوبها ، هى التى قامت بسببها الحرب هناك بطريق غير مباشر . وذلك انها اضعفت تلك الامبراطورية الكبيرة ، وانهكت قواهـا ، وامتصت دماءها ، فألفتها اليابان لقمة سائغة فحاولت ابتلاعها ، وألفت حصونها مهدمة ، وقلاعها مصدعة فحاولت التغلغل فيها ، وألفت شعوبها جائعة فأطعمت منهم من تستطيع اطعامه ، وقتلت من قويت على تقتيله ، ورشت بالمال والافيون والنساء من تستطيع رشوته ، وحاربت وعذبت وتعسفت الى أن جاءت القنبلة الذرية .. فكانت لليابان موتا زؤاما ، وللصين بردا وسلاما !

وقد تدخلت اميركا وزجت بنفسها فى حرب عالمية ، لتوقف رحى حرب أهلية فى الصين الحرة ، لا لتوقف حربا أهلية دارت رحاها فى الهند المستعمرة . والفكرة التى تدور بخلد الكثيرين ـ عن وجوب تمزيق الامبراطورية البريطانية ، والتفريق بين أجزائها ـ فكرة دل الاختبار أنها خاطئة

لقد نشرت الامبراطورية الرومانية على ربوع أوربا ألوية السلام زهاء مئتين وخمسين عاما ، وهى فترة لم يتح لاوربا ان تستمتع بها منذ سقوط روما . ولم تستطع أوربا فى خلال نيف وألف عام ان تنشىء وحدة تمكنها من الاستمتاع بمثل ما استمتعت به أوربا من السلام والطمأنينة والرخاء فى عهد الدولة الرومانية المستعمرة

ولسنا نريد بهذا أن نشيد بمجد الاستعمار ، ونتغنى بمحاسنه . وانما نريد ان نقول انه قد يستبدل بنظام أقل منه صلاحية ، وأشد مساوىء .. وان فى بقائه اختيار أهون الشرين

لقد كانت هزيمة « الارمادا » الاسبانية سنة ١٥٧٨ بدء الاستعمار البريطانى الحديث .

ولولا هزيمة الارمادا ، لما كان لولايات اميركا المتحدة وجود اليوم ، ولمنع الاسبان أول فوج من الحجاج الاميركيين ، وما تلاه من الافواج الذين شدوا الرحيل الى القارة الاميركية وتوطنوا فيها ، من السفر والاستيلاء على تلك الاراضى الواسعة الارجاء

ولولا قوة الامبراطورية البريطانية فى القرن الثامن عشر وشدة بطشها ، لما استطاع الاميركان ان يقفوا فى وجه فرنسا التى كانت تحتل وادى سنت لورنس ، ووادى أوهايو ، ووادى مسيسبى فى ذلك الحين ، وتحول دون تقدمهم نحو الغرب تجاه المحيط الباسفيكى

ولولا الاسطول البريطانى ، لما استطاعت اميركا ان تخرج نظرية « منرو » من حيز القول الى حيز العمل ، ولما استطاعت ان تلجأ الى سياسة العزلة وتجنب الوقوع فى شراك الدولية ، كما شهد بذلك شاهد من أهلهم ، أمثال « جفرسون » و « ماديسون » و « منرو » ذاته

(عن صحيفة « الديلى ميل »)

قــوة الذاكرة

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

ان خاصة التذكر تلعب دورا خطيرا فى ترقية عقل الانسان ، فبدونها يبقى كل علم عنده عقيما . لانها بحفظها لما يتلقاه ، وبتخويلها اياه القدرة على استحضاره ، تكون خير واسطة للاستزادة منه ، فيطرد تقدمه وترقيه

وقد أكثر الفلاسفة من الحوار فى مسائل الذاكرة ، ولكنهم لم يصلوا الى ما يثلج الصدر رغم أنهم بنوا بحوثهم على مشاهدات ذات قيمة علمية عظيمة لا بد من الالمام بها

ومما اتفقوا عليه ، ان هذه الخاصة لا تختلف قوتها باختلاف الناس فحسب ، ولكنها قد تختلف فى الانسان الواحد على حسب الاحوال الطارئة ، من صداع أو سوء هضم أو انفعال نفسانى

وقد ذكر المؤرخ الطبيعى الرومانى « بلين » المتوفى سنة ٧٩ م . ان رجلا اصابته صدمة فى الدماغ ، فنسى كل شىء حتى أحرف الكتابة ، وذكر البابا كليمان السادس (١٣٤٢ ــ ١٣٥٢) انه اكتسب بسبب صدمة اصابته فى رأسه ذاكرة قوية جدا

وقرر العلماء ان للمران تأثيرا عظيما فى تقوية الذاكرة . فالمشتغلون بالتمثيل تنمو الذاكرة اللفظية لديهم بدرجة مدهشة ، ورجال البوليس تقوى عندهم ذاكرة التعرف بالوجوه الى حد كبير

ورأوا أن تذكر الروائح والطعوم ، أضعف من تذكر ما تدركه الحواس الاخرى . وتذكر مدركات النظر أقوى وأبقى من تذكر مدركات الحواس الاخرى ، ولا سيما اذا قويت باللمس

ولكن أقوى الحواس فى التذكر هى حاسة السمع .. فاذا فكر الانسان فى عدد الالفاظ التى يحفظها مع مخارجها وانغامها المختلفة ، واذا أضاف اليها الاصوات التى يسمعها من الطبيعة ، وألحان الموسيقى على كثرتها واختلافها ، لخرج مجموع ذلك عن الحصر

ان أظهر الاسباب التى يحدث بواسطتها التذكر ، هو ترابط الافكار وتشاركها حول الشىء المراد تذكره . فلا يمكن ان يتذكر الانسان شيئا الا اذا حدث لديه ادراك جديد لشىء من الاشياء ، أو نتج عنده تذكر شىء آخر من ادراك آخر . فاذا تذكرنا أغنية ، فربما كان ذلك بسبب سماعنا صفير الهواء ، أو نغمات أخرى تمثل نغما أو بضعة أنغام من تلك الاغنية . فاذا استيقظنا ونحن نحلم ، لم نتذكر الحلم الا اذا وقع نظرنا على أشياء

تذكرنا به . واذا استيقظنا ونحن ناسوه ، فربما ذكرناه فى وسط النهار ، اذا وقع نظرنا على شىء يذكرنا اياه مما كان ماثلا لنا فى ذلك الحلم

فافكارنا مترابطة بعضها ببعض ، فاذا تذكرنا شيئا تذكرنا معه غيره كان بجانبه ، ولو لم يكن بينه وبين الاول سوى علاقة واهية

طرائف عن قوة الذاكرة

سجل التاريخ من طرائف قوة الذاكرة أن « ميتريدات » ملك البونت (١٢٣ - ٦٣) ق. م بالشمال الشرقى من آسيا الصغرى ، كان يحكم على اثنتين وعشرين جماعة مختلفة اللغات ، وكان من قوة الذاكرة بحيث كان يخطب كل أمة بلغتها ، ويحفظ اسماء كل جندى من أفراد جيشه

وقيل ان هورتنسيوس (١١٤ - ٥٠) ق. م من أشهر خطباء روما ، كان له ذاكرة تعتبر من الخوارق ، فقد راهنه يوما أحد مواطنيه « سيزينا » فأحضره محل بيع من أول النهار الى آخره . فأملى على مراهنه فى المساء انواع السلع المباعة واثمانها واسماء المشترين على الترتيب الذى جرى عليه البيع دون أن يخطىء فى شىء منه

وروى ان الخطيب اليونانى المشهور تيميستوكل الذى توفى سنة (٤٦٠) ق. م كان يحفظ كل ما يسمعه ، فجاءه يوما رجل يرجوه ان يعلمه السر الذى بلغ به هذه المنزلة فى قوة الذاكرة . فقال له : ان كنت أنت تملك سرا لنسيان ما أود ان أنساه مما احفظ فأرجوك ان تفضى به الى

وقد قيل عن شاعرنا الكبير أبى العلاء المعرى انه كان يملك ذاكرة تعد من الخوارق ، حتى حدث أن تنازع يونانيان فى دين لأحدهما على الآخر ، فرفعا أمرهما الى القاضى ، فسأل المدين فأنكر الدين ، فقال القاضى للدائن أعندك شاهد ؟ فقال نعم ، رجل كان قريبا منا ونحن نتنازع . فأمره باحضاره ، فلما حضر اذا به أبو العلاء المعرى . فسأله القاضى عما عنده من أمرهما ؟ فأجابه بقوله : سمعتهما يتنازعان قريبا منى ، وأنا لا اعرف لغتهما ، ولكنى وعيت كل ما قالاه ، وفى وسعى ان أعيده عليك اذا شئت . فأحضر القاضى مترجما ، وطلب الى الشاهد أن يعيد عليه كل ما سمعه . فأعاده أبو العلاء كأنه يقرأه فى كتاب . ففهم القاضى من محاورتهما ان المدين قد اعترف لخصمه بالدين ولكنه لما مثل أمام القضاء أنكره ، فحكم عليه بادائه وكان حكما عادلا

الذاكرة عند علماء المباحث الروحية

الرأى الذى غلب على الفلاسفة والفيزيولوجيين فى الماضى ، أن صور الاشياء ترتسم فى الخلايا المخية المخصصة للذكرى ، فاذا أراد الانسان ان يتذكر ماضيا رجع اليها فتذكرها .
هذا التعليل تقوم دونه صعوبات جمة ، منها ان الاشياء تعرض للانسان فى صور لا تحصى ،

فان كان كل منها يرتسم فى الخلايا ، تكاثرت صورها حتى طمس بعضها بعضا . واذا صح هذا فى الاشياء ذوات الصور ، فكيف يصح فيما لا صور له من الامور المعنوية ؟

جاء التنويم المغناطيسى فى أخريات القرن الثامن عشر فكشف كثيرا من الغوامض فى هذا الموضوع الجلل . فقد شوهد أن ذاكرة المنوم تكون أحفظ لكل ما وعاه فى حياته ، حتى انه ليتذكر ما حدث له فى جميع أدوار طفولته . فاذا أوقظ عاد الى حالته الاولى من جهل تلك الحوادث الماضية ، ولا يذكر ما قاله وقيل له فى أثناء نومه . فاذا أعيد تنويمه ذكر كل ذلك لم يسقط منه حرفا ، فاذا أوقظ ثانية عاد الى نسيان كل ما نسيه أول مرة ، مما يدل على أن الشخصية الباطنية للانسان التى يمثلها العقل الباطن هى شخصية الحقيقة الخالدة، واما شخصيته الظاهرة فهى صورة وقتية لحياته الارضية ، وحاجاتها الراهنة

***

وقد ابتكر العلامة الرياضى « البير دوروسا » الذى كان مدير الكلية الهندسية فى فرنسا حوالى سنة ١٨٩٥ أسلوبا لتأخير الذاكرة وتقديمها بواسطة التنويم المغناطيسى ، فكان يأمر الخاضع لتأثيره ، وقد يكون فى الخمسين من عمره مثلا ، بان يرجع بذاكرته الى ما كانت عليه وهو فى العشرين أو ما دونها ، حتى سن الطفولة الاولى ، فكان يتذكر كل ما حدث له حتى وهو فى اليوم الاول من حياته لا يغيب عنه شىء منه

واستطاع باسلوبه هذا ان يقدم ذاكرة المنوم ، أى ان كانت سنه عشرين سنة فى حالته الراهنة ، أمره ان يصعد بنفسيته حين يبلغ الاربعين أو الخمسين الخ ، فكان يخبر بما سيكون عليه اذ ذاك من سرور وترح ، وصحة ومرض الخ ، وقد كرر تجاربه هذه رجال من المشتغلين بهذه البحوث فثبتت صحتها علميا

فهذا وما سبق ، يدل دلالة قاطعة على ان المخ لا دخل له فى أمر الذاكرة ، ويؤيده ماحدث من المشاهدات على الجرحى فى أثناء الحرب الماضية فى مستشفى السالبتريير وغيرها بباريس . فقد رئى جنود فقدوا الجزء الاكبر من مخاخهم ولم تتأثر ذاكراتهم ، ورئى غيرهم من الناس استحالت مخاخهم الى مادة عجينية على أثر اصابتهم فى بعض الحوادث ، وبقيت ذاكراتهم سليمة

***

ومما يحسن ايراده فى هذه المناسبة ، ما نشرته المجلة الطبية الانجليزية المشهورة « ذى لانست » فقد ذكرت من غرائب المشاهدات الطبية فى الحرب العالمية الماضية ، أن جنديا تردى فى حفرة عميقة فأصيب بارتجاج مخى شديد كاد يقضى عليه . وشفى بعد علاج طويل الامد ، ولكنه أفاق فاقدا ذكريات جميع حياته السابقة كأنه ولد لساعته . فلم يستطع ذكر اسماء أبيه وأمه وبلده ، ولا أى شىء مما يتعلق به

فرأى الاطباء أن ينوموه مغناطيسيا ، فذكر وهو نائم اسمى أبيه وأمه وكل شىء يتعلق

به ، ولكنه لما أوقظ رجع لما كان عليه من جهل تاريخه السابق كله

ولما أتى بأبويه ليراه وهو صاح لم يعرفهما، فلما نوم عرفهما ونهض فاحتضنهما وقابلهما كما يقابل الابن أبويه بعد غيبة طويلة ، عانى فيها أهوالا شديدة ، وركب اخطارا عديدة

وعلى أثر هذه المشاهدات قرر العلماء المشتغلون بهـذه البحوث ان الذاكرة ككل الخصائص النفسية ، ليس محلها الهيكل الجسداني المكون من التراب ، ولكن مثواها جسد اثيري يشبهه فى الصورة ويختلف عنه فى التركيب ، فهو من عنصر الأثير المحض الذى لا يرى بالبصر ولا يقبل الانحلالات ، متداخل فى جميع اجزاء الجسم المادى ، وسار فى سائر خلاياه ، وهو بما اشتمل عليه من الروح يدبر الجثمان الذى حل فيه ، حتى اذا أدركه الوهن خرج منه الى عالم الارواح ليخلد فيه

وقد توصل العلماء بواسطة التنويم المغناطيسى العميق الى عزل هذا الجثمان الاثيرى عن الجثمان المادى ، فيصير هذا الاخير فى حالة موت ظاهرى ، يقف معها القلب ويبطل التنفس والحس . فاذا نوم المجربون فى هذه الاثناء وسيطا آخر الى درجة وسطى وسئل عن مكان الجسم الاثيرى للمنوم الاول رآه وعين لهم موضعه ، فاذا صوبوا اليه عدسة آلة التصوير فى ظلام حالك ، التقطت صورته

***

وقد كرر هؤلاء العلماء هذه التجارب مرات كثيرة ، وشاهدوا بالبحث أن لجميع الاحياء حتى النباتات اجساما اثيرية تشبهها من كل وجه ، هى التى تدبر أجسادها تدبيرا آليا دون أن يكون لارادتها دخل فى ذلك . ولاجل التحقق من نظريتهم هذه عمليا ، صنعوا آلة « فوتوغرافية » مقفلة ، وجعلوا فيها مكانا وضعوا فيه الحيوان المراد اجراء التجربة عليه ، ثم أوصلوا جسمه بسلك ليقتلوه بالتيار الكهربائى ، فانفصلت عنه صورته الروحانية ـ بعد موته ـ على هيئته من كل وجه ، وظهرت فى الزجاجة الحساسة الى جانبه منصرفة الى عالمها ، فلم يتبق بعد هذا شك فى صحة هذا الامر

وذكر هؤلاء الباحثون أن كل ما ينتاب الذاكرة الانسانية أو غيرها من الضعف والزوال فانما يكون سببه اعراضا تنتاب آلات الجثمان المادى ، لا تصلح معها لاستمداد ما هى فى حاجة اليه من الخصائص من الجثمان الاثيرى على الوجه الكامل . بدليل ان هذه الخصائص ترى سليمة لم يصبها أى عارض ، اذا اتصل المجرب بالعقل الباطن عن طريق التنويم المغناطيسى ، فاذا أوقظ المصاب عاد الى حالته المرضية الاولى

محمد فريد وجدى

التنويم المغناطيسي ..

كوسيلة للعلاج !

ليس الانسان جسدا فحسب ، ولكنه جسد وروح . فمن الخطأ ان يقتصر الانسان على تقدير القوى المادية وحدها ، ويغفل القوى الروحانية أو يستهين بها أو ينكرها انكارا تاما ، لا لشيء سوى جهله بهذا الميدان الذي لم يكن له به علم من قبل

والواقع أن قوى الانسان الروحانية قد بدأت تكتشف ، وتكتشف معها أسرار كانت اذا ذكرت من قبل عدت من قبيل الخيال ، أو من قبيل الدجل والشعوذة ، ولكن منذ التفت اليها فريق من العلماء الثقات وبدأوا يدرسونها، بطريقتهم العلمية التي لا يعتورها شك ولا يكتنفها خداع ، منذ ذلك بدأت تلك القوى تدخل في مجال العلم ، وتوضع لها الاسس والقواعد ، كبقية العلوم الثابتة المحترمة . ثم جاء الاطباء ــ أو على الاقل النفسانيون منهم ــ فشرعوا يستغلون ما كشفه العلم من تلك القوى الخفية في سبيل الطب والعلاج

ومن ذلك التنويم المغناطيسي ، الذي بدأ في الاصل كألعاب الحواة ، يعرضه ممارسوه في المسارح والملاعب ، ليثيروا دهشة الجمهور أو ليظفروا بنقود النظارة .. ولكنه بعد ان التفت اليه العلماء ، وبحثوا كنهه ، صار علما من العلوم ، ثم أخذ الاطباء النفسانيون يطبقونه لعلاج ما استعصى من الامراض ، اذ يصلون به الى ما في قرارة النفوس والوجدان

وما هو التنويم المغناطيسي ؟ انه لا يؤدي الى « النوم » الذي يفهم من هذه الكلمة ، ولكنه غشية عجيبة تصيب الانسان بتأثير خاص ، فيصل منومه الى دخائل نفسه ، ويثير فيه قوى عجيبة ما كان يظن وجودها به ، ويحرك في عقله ذكريات لا يتاح له ان يتذكرها في صحوه ، بل يتيح له كذلك معرفة بأسرار تتصل بالغيب ، أو تتخطى الحاضر المعلوم الى حجب الماضي وخفايا المستقبل !

وقد أصبح للتنويم المغناطيسي تاريخ طويل مذ اكتشفه الدكتور « أنطون مسمر » منذ قرن ونصف قرن من الزمان ، فصار يعرف باسم « مسمرزم » نسبة اليه ، أو «بالمغناطيسية الحيوانية » أو « التخشب » . ولم يقتصر في بدايته على عرضه بالمسارح كمختلف الالعاب السحرية ، بل عمد البعض منذ البداية الى علاج الامراض المستعصية به . ولكن العلماء والاطباء أنكروه وحاربوه ، وكلما وجدوه يجدي نفعا في علاج مريض من المرضى ، نسبوا ذلك الى مجرد الخيال ، أو الايحاء . والواقع انهم هم الذين أدخلوا في روع السواد منذ ذلك الحين ، خوفا من التنويم المغناطيسي وارتيابا بمن يمارسونه

ولما نشبت الحرب العظمى الاولى ، وظهر في خلالها صنف جديد من صنوف المرضى ، هم أولئك الذين أثر دوي القنابل في أعصابهم ، فاصيبت بهزة متواصلة ، أو صاروا

عاجزين عن المشى ، أو فقدوا فجأة قوة البصر ، أو أصابهم غير ذلك ، عمد بعض الاطباء الذين أوتوا حظا من الجرأة ، الى التنويم المغناطيسى ، فجربوه مع أولئك المرضى ، وسرعان ما أتى بنتائج مدهشة ، اذ هدأت الاعصاب المضطربة ، وتحركت الاقدام العاجزة ، وأبصرت الاعين الضريرة ، ونطقت الالسنة الخرساء !

ومنذ ذلك أثبت التنويم المغناطيسى انه علم من العلوم ، وطريقة من أجدى طرق العلاج ، وأخذ الاطباء يجرون تجاربه فى العيادات والمستشفيات والمعاهد ، وقد توسعوا فى علاج الجنود العائدين من القتال بواسطته ، أولئك الذين رجعوا بما هو فى الظاهر شر من الجروح والعاهات ، وأعنى بتلك الاضطرابات العصبية المختلفة ، وبضروب العجز التى تجعل الحياة شقاء متصل الحلقات . ومن عجب ان أحدهم لا يمضى فى هذا العلاج أربعة أو خمسة أيام ، حتى يعود كما كان من قبل ، صحيح الجسم والنفس ، سليم الاعضاء والاعصاب

وقليل من الاطباء يتبع طريقة التنويم المغناطيسى المباشر ، لانها تتطلب دراية ومرانا ، ويصعب تنويم المريض الا على يد طبيب مارس ذلك الفن زمانا طويلا ، ولذا يعمد أكثر الاطباء الى حقن المريض بدواء منوم ثم يعمق نومه بالايحاء النفسانى

ومتى نام المريض نوما مغناطيسيا عميقا فانه يذيع سر الاضطراب العصبى الذى أصابه . ففى حالة الجنود العائدين بذلك الاضطراب من ميدان القتال ، تجد أحدهم يذكر للطبيب تفاصيل الحادث التى أخلت بأعصابه ، وكيفية تأثره بها ، والشعور الذى أثارته فى نفسه ، وعندئذ تراه — وهو فى نومه المغناطيسى — يصرخ أو يبكى أو ينتفض أو يبدى جانب الخوف أو غير هذا ، مما يلائم شعوره المكبوت وذكراه المكتومة

ومتى استيقظ من ذلك النوم شعر براحة نفسية كبيرة ، وكأنما أزيح حمل ثقيل من فوق كاهله . وعندئذ يعترف ، واعيا ، بما كان مكنونا فى خفايا ضميره ، أو فى حنايا عقله الباطن ، فيساعده الطبيب على حل تلك العقدة النفسية بعد ان عرف سببها

ولنذكر مثلا واقعيا يبين أثر التنويم المغناطيسى فى معرفة العقد النفسانية ومعالجتها :

دخل جندى أمريكى فى مستشفى هالوران لمعالجة كسر فى ساقه ، وقد بدا عليه منذ أول يوم ميل الى المشاغبة والشجار وحرص على مخالفة أوامر الاطباء ونظام المستشفى ، وفطن طبيب الى ان هذا الجندى لا بد ان تكون به عقدة نفسية سببت له هذا الشذوذ ، فجىء بطبيب نفسانى ليبحث حالته ، وما ان رآه الجندى حتى زعم له ان هناك مؤامرة لحجزه بالمستشفى دون موجب .. على ان الطبيب وفق فى اقناعه بان ينومه تنويما مغناطيسيا وفى أثناء هذا التنويم اعترف الجندى بانه كاره « التسريح من الجيش » خوفا من عودته الى بيته ، حيث زوجة مشاكسة ، وأم لا ترحم ، وخلاف بينهما حامى الوطيس ، يضاف الى ذلك اضطراره الى البحث عن عمل له والاستهداف للكفاح فى الحياة المدنية من جديد ، بعد أن ظل سنوات وهو آمن شر ذلك كله

ولما أفضى الجندى بهذا السر الذى كان يكتمه فى يقظته حتى عن نفسه ، قال له

الطبيب : « سأوقظك الآن ، وستذكر كل ما قلته لى » . ثم قال له وهو يفتح عينيه : « لقد وصلنا الى الحقيقة . ان خلافك مع الناس لا يقع ذنبه عليهم ولكن عليك » ثم أخذ يوحى اليه بضرورة مجابهة الحياة كما هى ، متذرعا بالثقة بالنفس

والى القارىء مثلا آخر يختلف عما ذكرت فى تفاصيله ولكن يتفق معه فى النتيجة :

أصيب شاب « باكزيما » فى فخذه ، وأخذ طبيب اخصائى فى الامراض الجلدية يعالجه زمانا طويلا ولكن دون جدوى . وفى خلال تردده عليه علم الطبيب منه انه أشد ما يأسف له انه خاطب فتاة حسناء ولا يستطيع الزواج بها ما دام به ذلك المرض الجلدى . ثم خطر للطبيب انه ربما كانت به عقدة نفسية تحول دون شفائه ، رغم العلاج الصحيح الذى اتبعه معه . فأحاله الى طبيب نفسانى ، ولجأ هذا الى التنويم المغناطيسى ، وسرعان ما اعترف الشاب أثناء نومه ، ان خطيبته الحسناء تعرض عليه مالا ليتجر به ، ولكنه رابه منها ميلها الى الاستبداد برأيها والتحكم فيه ، وهى ان تزوجته وأعطته ذلك المال ، فستكون بلا ريب أشد استبدادا وتحكما . وقال فى نومه أيضا انه كان فى صغره يحب فتاة طيبة فى بلدته وهى ان تزوجها ستكون بلا مراء أطوع له من بنانه ، على عكس تلك الفتاة الغنية المتبدة

ولما أفاق الشاب من نومه وبين له الطبيب النفسانى أصل العقدة النفسية بعقله الباطن ، أزمع أمره على ايثار الفتاة الطيبة على الاخرى ، وسرعان ما أجدى معه علاج الاكزيما

وحدث ان وجدت فتاة نفسها فجأة فى وسط مدينة امريكية لا تعرفها ، ولا تعلم كيف جاءت اليها ، بل لا تدرى لنفسها اسما ولا لقبا ولا غاية . فلما أحالها البوليس الى المستشفى نومها الطبيب المختص تنويما مغناطيسيا فذكرت اسمها ، وبلدة فى ريف أمريكا وفدت منها ، واتضح انها فرت من زوجة أبيها التى كانت تسومها الخسف والعذاب . ثم أمرها الطبيب بان تذكر كل ذلك حين تستيقظ !

وعلى الرغم من النجاح الذى بلغ اليه التنويم المغناطيسى فى عالم الطب والعلاج ، فان سواد الناس لا يزالون ينظرون اليه نظرة الريبة والخوف ، فترى أحدهم يخشى اتباع طريقته حتى لا ينسب اليه ضعف الارادة أو خشية عدم اليقظة بعد ان ينوم ، أو خوف الوقوع تحت سيطرة المنوم فيأمره بارتكاب ما لا يحب من جرم أو فعل ، وهذه كلها مخاوف لا أساس لها ما دام القائم بالتنويم طبيبا موثوقا به . اما الاعتقاد بان قبول الشخص للتنويم دليل على ضعف ارادته ، فهذا وهم شائع لا أساس له من الحقيقة . فالواقع ان كل انسان يمكن تنويمه ، سواء كان قوى الارادة أو ضعيفها ، غير ان أى انسان لا يمكن تنويمه الا برغبته . ولقد ثبت ان سلطة المنوم سلطة وقتية لا تلبث حتى تزول

والحق ان هذه المخاوف الوهمية التى تعترض طريق التنويم المغناطيسى جديرة بالزوال حتى يمكن الانتفاع به فى مجال واسع ، بعد ان ثبت انه أنجع علاج لكثير من الامراض العصبية المستعصية

(عن مجلة « امرأة اليوم »)



يحلو للاطفال تمضية أوقاتهم فى المستعمرة النموذجية ببكنجهام وهذه طفلة جميلة تعد مائدة الشاى فى جانب منها

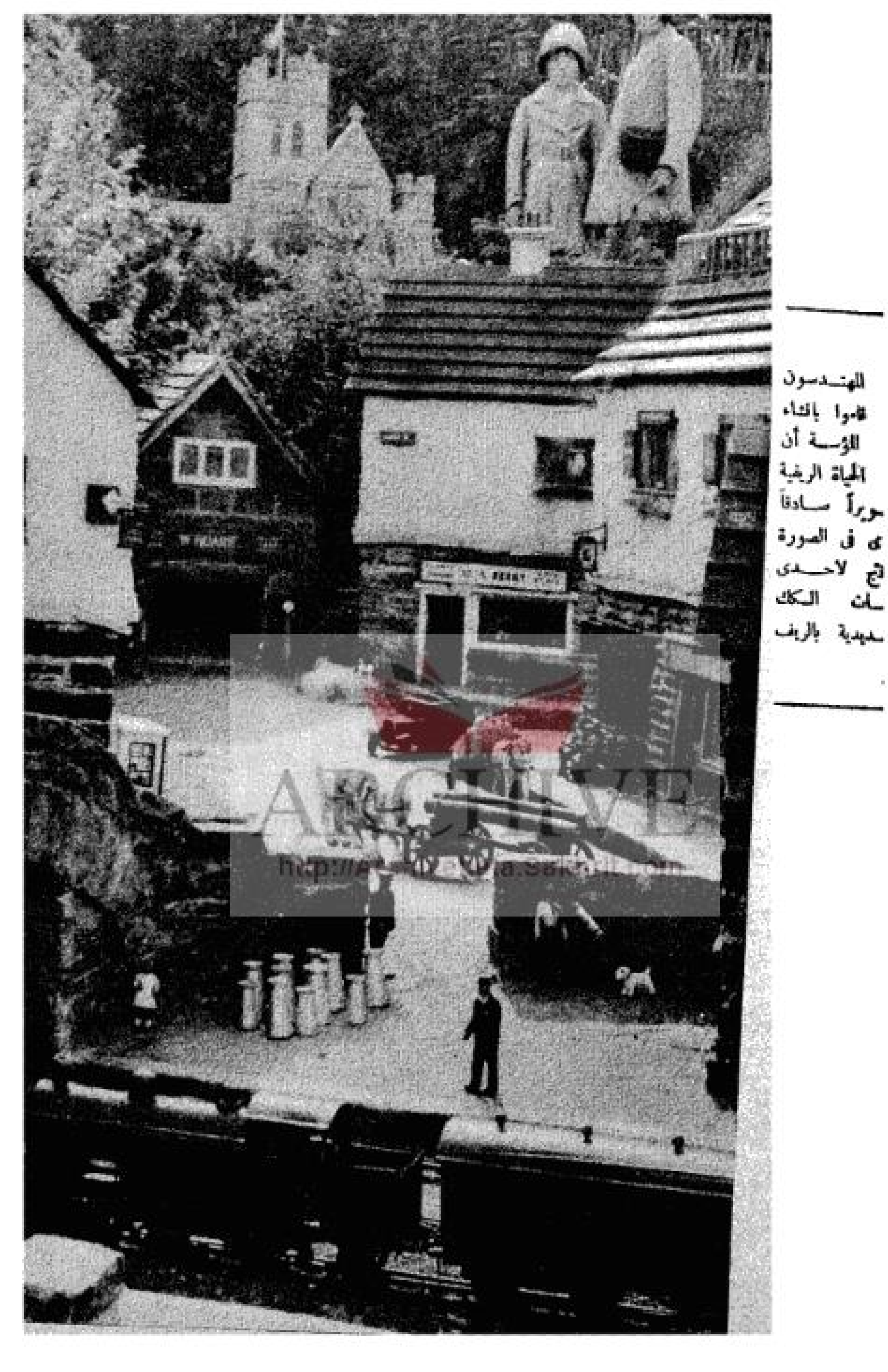
مستعمرة نموذجية

فى مدينة بكنجهام بانجلترا مستعمرة تبلغ مساحتها زهاء الثلاثة فدادين تمثل الريف فى انجلترا . وقد راعى المهندسون والصناع فى تصميمها وصناعة نماذجها أن تصور الحياة الريفية تصويراً صادقاً

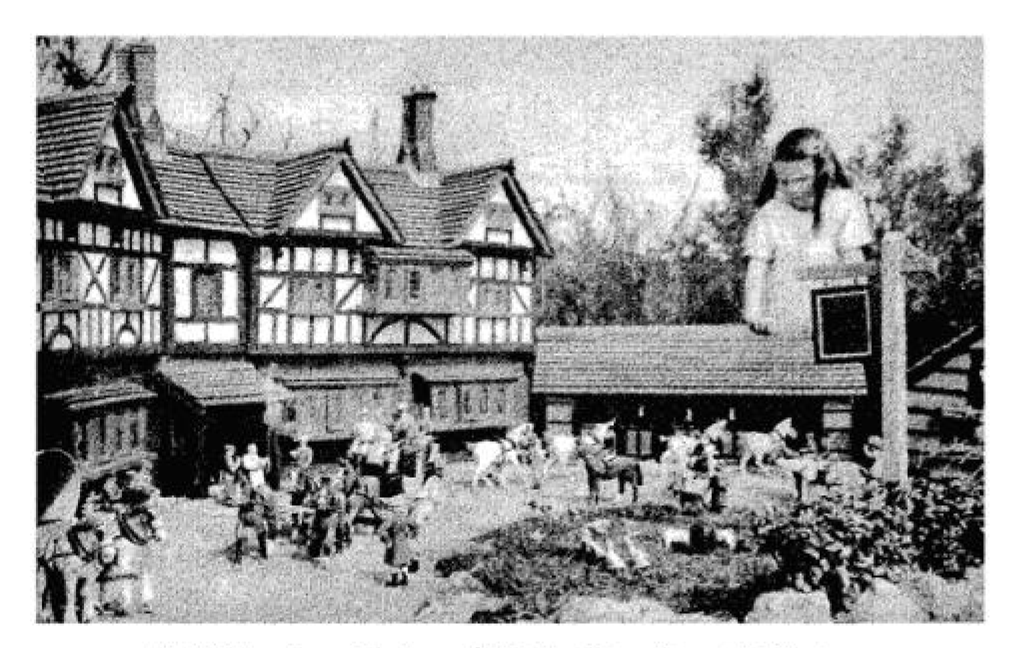
وقد فكر فى إنشائها منذ خمسة عشر عاماً المستر كالنجهام أحد رجال المال الذين كرسوا أنفسهم لأعمال الخير بقصد تخصيص إيرادها للعمال المتعطلين ومعاونة المؤسسات الخيرية . وقد نجحت الفكرة الى حد كبير ، فقد بلغ إيرادها خلال هذه السنوات أكثر من عشرة آلاف من الجنيهات رغم أن رسم الدخول اليها لا يتجاوز بضعة مليمات

ويتردد عليها الآن عدد كبير ممن تحول ظروفهم دون الاستمتاع بجمال الريف ، كما أن الأطفال يلذ لهم التنقل بين أرجائها. وقد كانت من أحب الأماكن الى الأميرة اليزابث ولية عهد انجلترا وشقيقتها إبان طفولتهما . وقد تبرعتا بمبلغ كبير لتزويدها بنماذج القاطرات الحديثة

وبالمستعمرة نماذج تدور بالكهرباء تصور حياة الفلاح وآلاته وطرق استخدامها ، كما تصور مساقط المياه ومحطات السكك الحديدية والسفن الشراعية والبخارية وغيرها مما ينبغى لكل طفل معرفته والاحاطة به قبل أن يندمج فى معترك الحياة

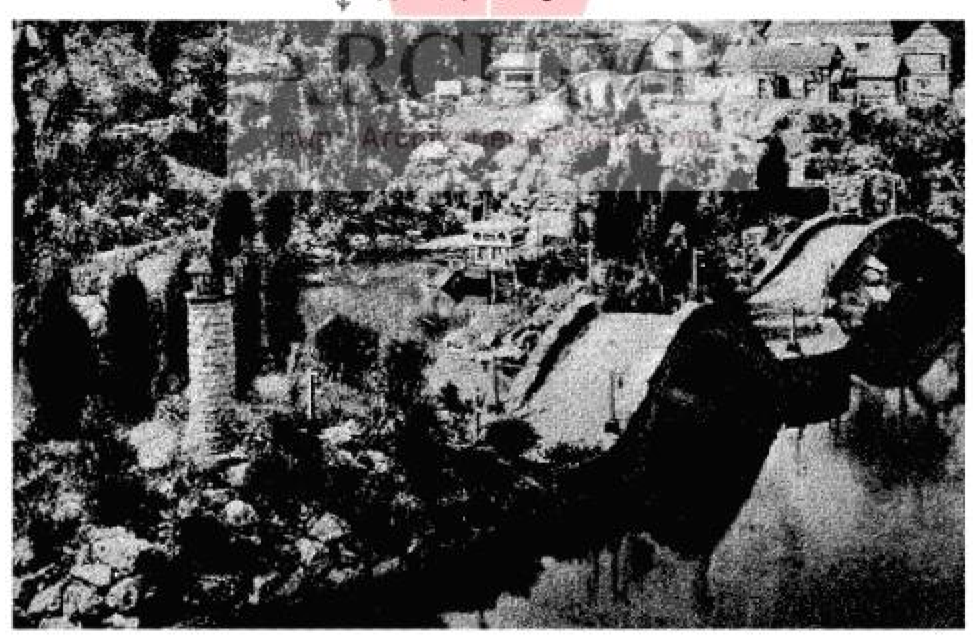


المهندسون
قاموا بانشاء
للؤسسة أن
الحياة الريفية
صوراً صادقاً
ى فى الصورة
ج لاحدى
سات السكك
حديدية بالريف



أحد أركان المستعمرة النموذجية يكتنجهام بانجلترا ، وتبدو فيه نماذج مصغرة من المنازل الريفية

منظر طبيعي ساحر من مناظر الريف الانجليزي كما تجسمه وتبرزه نماذج المؤسسة . وقد صنعت النماذج بحيث تمثل عشر أحجامها الطبيعية ↓



النفوس المريضة

بقلم الدكتور أمير بقطر

كان الفرنسيون الى عهد قريب يقولون : « ان الرجل بقميصه » وقد كان هذا القول حسنا مأثورا ، له أهميته فى أوائل هذا القرن ، حينما كانت القمصان الانيقة ميزة تستمتع بها الاقلية . أما اليوم ، وقد أصبحت القمصان الحريرية من حقوق الاكثرية ، فلم يعد لذلك المثل الكلاسيكى أهميته . على ان الامثال والاقوال السائرة كالازياء ، اذا ما اختفت حل محلها سواها ، وفقا لمقتضيات الاحوال . ولما كانت الاعصاب القوية المتزنة المستريحة ، متعة تختص بها الاقلية ، فى عصر اشتدت فيه المتاعب ، أصبح المثل السائر اليوم « ان الرجل بأعصابه » لا بقميصه

كان الفرد فى عصر الظلام قوى الاعصاب ، مستريح الضمير ، متزن العاطفة الى حد كبير ، اذ كان يعيش كالحيوان على الفطرة ، يسهل عليه التعبير عن رغباته ، واشباع غرائزه وميوله . فاذا ما كان غيورا أو مغبونا ، انقض على منافسه أو خصمه ، فاما قتله أو قتل هو . واذا كان عاشقا وحيل بينه وبين خليلته ، كسر الحواجز بمولّه ، أو خطف الفتاة وولى الادبار ، حيث أرض الله واسعة فضاها

يضاف الى هذا ان الانسان فى عصور الجهالة والظلمات ، كانت طبيعته الى الحيوان أقرب منها الى الانسان . والفرق بين عاطفة الحيوان وعاطفة الانسان ان الاولى لا تتصل الا بعدد لا يذكر من الحوادث والافكار والذكريات ، فى حين ان لحنا موسيقيا ساذجا ، يتألف من ثلاث نوتات ، قد يثير فى الانسان ألوف الذكريات . فالكلب مثلا ، اذا حرم عليه سيده التعبير عن رأيه — النباح — وحرم عليه مس العظام من فضلات المائدة وهى جنة أحلامه ، وحرم عليه السعى الى احدى « بنات » جنسه ، عمد الى كبت هذه الرغبات والميول الى حين ، فاذا ما أعاد سيده الكرة ، استسلمت عيناه للنوم . أما الانسان فى مثل هذا الموقف فانه يستسلم للارق والالم والكآبة والغيظ ، وقد يتمادى الى ما هو أبعد من ذلك

والانتقال من حالة الفطرة — التى ينام فيها الحيوان ملء جفنيه ، ثم يستيقظ فاذا به لا يذكر من حوادث التحريم والكبت شيئا — الى أجواء المدنية والحضارة الانسانية — التى قلما ينبى فيها الآلام والهموم — قد كلفه ثمنا غاليا . ومن العبث ان تحاول الانسانية الفرار من كبت الكثير من الميول الحيوانية والرغبات الفطرية ، والكف عن تحريم ما أجمع الناس على تحريمه بحكم العرف والعادة والتقليد ، اذ كل من الكبت والتحريم كالمقاومة فى الاسلاك الدقيقة داخل المصباح الكهربائى . فكما ان الضوء الكهربائى لا يأتى الا بهذه

المقاومه ، فكذلك نور الحضارة والمدنية لا يتأتى الا بالكبت والتحريم وضبط النفس ، وما ينتج عنها من الآلام والمخاوف والاحزان والوساوس والاضطرابات العقلية وسائر الامراض والعلل النفسية

ولسنا نريد فى هذا المقال ان نتحدث عن النفوس التى بلغ منها المرض أشده فتفككت أوصالها ، وعجز صاحبها عن العمل لتنافر أجزائها ، واطلق عليه الناس ذلك النعت المخيف الكريه « مجنونا » وأودعوه ذلك المستشفى الذى يأوى أمثاله من البؤساء ، اما لانهم خطر على المجتمع أو على أنفسهم ، أو لانهم لا يستطيعون العناية بحاجاتهم اليومية التى يستطيع أن يقوم بها اطفال عاديون فى الثالثة أو الرابعة من أعمارهم . عن هؤلاء وأمثالهم لانريد أن نتحدث ، لانهم فئة صغيرة وأقلية لا تذكر . أما موضوع بحثنا فيشمل ذلك الجيش الجرار من ذوى النفوس المريضة وأصحاب العلل النفسية ، الذين لا يعجزون عن العمل ، ولا يبلغ منهم التنافر وعدم الانسجام فى حركاتهم وسكناتهم مبلغا يقعدهم عن تأدية أعمالهم الا بالقدر الذى يقعد الرجل العادى أحيانا لتوعك أو مرض جسمى طارىء، ولا ينحرفون عن الرجل السليم فى المزاج والطبع وألوان السلوك انحرافا يدعو الى عزلهم عن سائر الناس . ان ذوى النفوس المريضة التى تريدنى « الهلال » أن اتحدث عنهم ، منتشرون بيننا فى المصالح الاهلية والاميرية ، القومية والاجنبية ، وفى القهوات واماكن اللهو وساحات الرياضة واللعب ، والشوارع والطرقات ، وبين السوقة والعامة ، وفى أرقى الطبقات ودور العلم والفن والادب ، ويعدون بمئات الالوف ، ان لم نقل الملايين

وقد يبدو هؤلاء ــ ذوو النفوس المريضة ــ وادعين ، متزنين ، أنيقى الملبس ، مطمئنى البال ، ولكنهم فى الداخل معذبون ، قلقو الضمائر ، مهدمو الاعصاب . وقد يكونون من أشد الناس ذكاء وفطنة وحكمة وأشدهم نجاحا فى الحياة ، ولكنهم رغم ذلك مرضى ، محطمو النفوس ، ناقمون على الحياة ، يمقتون الدنيا ومن عليها وما فيها، ويكرهون الانسانية، ينكرون على الشمس نورها وأشعتها الذهبية ، وعلى القمر جماله وأنواره العسجدية ، ويكيدون لانفسهم فى حين يظن أصدقاؤهم انهم يفكرون ، وقد يختمون حياتهم فجأة بالانتحار ، فى حين يعتقد عارفوهم انهم أبعد الناس اقداما على الانتحار

ان الكثير مما نسميه امراض العقول أو امراض الاعصاب أو أمراض النفوس ، ما هو فى الواقع الا « أمراض الضمير » . ومعنى ذلك ، الامراض التى تنتج من الوخز والايلام والتعذيب الذى يلاقيه امرؤ لارتكابه ما لا يتفق ومبادىء التربية والدين والعرف والقانون الادبى ، سواء أكان هذا وهما أم حقيقة واقعة ، وسواء أكانت هذه المبادىء والعادات والقوانين الادبية التى فرضها علينا المجتمع تتفق مع العدالة والمنطق أم لا تتفق . وليس الضمير فى نظر العلماء هو على الدوام ذلك المعلم الحكيم الذى يهدينا الصراط المستقيم ، وليس هو على الدوام ذلك الوازع العادل الرحيم الذى ينبهنا الى الخطأ وحسب ، انما الضمير ذلك القاضى الذى لا يرحم ، وذلك المشرع الذى لا يؤمن بأن « الرحمة فوق

العدل » . وذلك الجلاد القاسى المتغطرس ، الذى قد يتمادى فى التجريح والتعذيب والايلام حتى يستنفد القوى ، ويرهق نفس المعذب ، فلا تجد أمامها سوى المرض أو التخلص من الحياة

ومما يحير الاطباء ان المرض النفسانى قد يتأتى عنه أمراض بدنية حقيقية ، لا تجدى العقاقير فى علاجها نفعا . مثال ذلك ان القرحة المعدية التى قد يقضى الطبيب فى علاجها شهورا أو أعواما بغير جدوى ، قد تتسبب عن الغم والكآبة وانقباض النفس ، اذ تؤثر هذه فى جميع عمليات التغيرات فى الانسجة ، فتهبط الحرارة ، وتهبط النسبة فى قلوية الدم، ويقل الافراز ، وتنخفض حيوية الجسم وقدرته على المقاومة ، وتزيد قابليته للعلل البدنية . والطبيب يوالى علاجه بالادوية ، وقد يمضى زمن طويل قبل ان يدرك ان العلة مصدرها نفسانى وان شفاء العلة البدنية محال ، طالما كانت العلة النفسانية قائمة

ومما يدعو للعجب ان النفوس المريضة تأبى الشفاء من المرض وتقاوم الطبيب النفسانى، رغم ان المريض قد يسعى الى الطبيب من تلقاء ذاته ، ورغم انه قد تشتد رغبته الواعية فى الشفاء . وتعليل ذلك ان المرض الجسمى الذى يتسبب عن علة نفسية يرمى الى غرض خاص ، ولا يمكن تحقيق ذلك الغرض اذا تعافى المريض . ويبدو هذا جليا فى أحد انواع الهستيريا . مثال ذلك ان سيدة شلت ساقاها بغير ان يعثر الطبيب على علة عضوية تسبب هذا الشلل ، ولكن المحلل النفسانى اتضح له ان المرض انتابها أثر نقل زوجها الى بلدة قصية ، رغب عقلها الباطن عن ان تصحبه فى الانتقال اليها . ولم يكن أمامها الا طريقان ، فاما ان ترفض الذهاب معه فتتعرض لسخط زوجها وأقاربها ، واما ان تصاب بالهستيريا التى تؤدى الى شلل فى ساقيها يبرر بقاءها فى بلدتها بعيدة عن زوجها فلا يلومها أحد . ومن هذا يتضح انها تأبى الشفاء وتقاوم الطبيب النفسانى فى باطنها بغير ان تعى ما تفعل ، لان الشفاء معناه اما ان تصحب زوجها أو ترفض فتتعرض للتقريع والسخط . ومن هـذا القبيل الشابة التى يعيى الاطباء الطفح الذى يشوه وجهها ، ولا تجدى فى علاجه العقاقير وسائر الوسائل الطبية ، فيجد المحلل النفسانى بعد عشرات من الجلسات ، ان عقلها الباطن يرغب فى بقاء الطفح وتشويه وجهها لغرض خاص ، وهو تنفير شاب أرغمها أهلها على الزواج منه ويمنعها الحياء والتقاليد من ان ترفض يده . يتبين من ذلك ان أمراض النفوس كالاحلام من مخترعات أصحابها . وكما ان الاحلام تكون فى أكثر الاحايين نتيجة رغبة مكبوتة ، فكذلك الامراض النفسية . وكما ان الاحلام رموز لا يفهمها صاحبها بسهولة أو قد لا يفهمها أبدا ، وتحتاج الى من يفك رموزها بعد التنقيب فى باطن صاحبها ودراسة ماضيه ، فكذلك الامراض النفسية يعجز صاحبها عن ادراك أسبابها والأغراض التى ترمى الى تحقيقها

ومن مآسى بعض هذه الامراض ان أغراضها لا يمكن تحقيقها . مثال ذلك الوساوس التى تنتاب امرءا فلا يستطيع أن يؤدى عملا بغير ان يجد السبيل اليه مغلقا ، فقد تكون

الوسيله التى يستطيع بها الوصول الى عمله طريقين لا ثالث لهما . ولكن هاتفا يوحى اليه انه اذا سلك الطريق الاول مات ابنه الاكبر ، واذا اختار الطريق الثانى مات ابنه الاصغر . ولما كانت نفسه تأبى بطبيعه الحال ان يفقد أحد ابنيه ، آثر القعود عن العمل واجتناب الطريقين

وكل وسواس يدور حول محور ، وهذا المحور يحوى سرا من الاسرار ، وهو صدام بين الحقيقة والخيال . والوسواس مرض الاغنياء والمترفين ، ويتصف صاحبه عادة بشدة الكراهية للغير والميول الاجرامية . ومن أمراض الوسوسة ما يضحك لهـا الأصحاء . مثال ذلك ان رجلا يتوهم ان به عيبا فى خلقته يشوه منظره أو يعجزه عن تأدية واجباته . وقد لا يكون لهذا العيب وجود الا فى خياله ، أو على الاكثر قد يكون هذا العيب من البساطة والتفاهة مما يجعله فى حكم العدم . فقد يخيل للمريض ان أذنه عريضة ، أو ان أنفه كثير الانحناء ، فيخيل الى صاحبها انها ليست طبيعية طولا أو حجما أو قوة ولاتستطيع تأدية وظيفتها . ولا يخفى ان من أخطر الأمراض النفسية واكثرها تعكيرا لصفو الحياة ، ان يعتقد الرجل انه ليس برجل ، أو انه تعوزه الرجولة والحيوية والقوة . ويتأتى عن ذلك سلسلة من ضروب السلوك الشاذ ، فمن حياء وخجل ، واستكانة وانزواء ، وجبن وتجنب النساء ، أو نقائضها من جرأة وتبجح ، ومباهاة وكبرياء ، وحب ظهور ومعاكسة النساء ، تغطية للموقف وابعادا للشبهة مما يحس به

ومن الوساوس الخبيثة ان يتوهم رجل ان روائح كريهة تنبعث من جسمه ، وعلى الاخص من الاماكن المستورة ، وان العرق يتبخر من تلك الاماكن فيملأ الهواء حوله بغازات تنفر منه الناس ، فيبالغ فى تغطية عوراته ، ويسد كل طريق اليها ومنفذ سدا محكما ، والهرب من المجتمعات وقد ينتهى هذا المرض بجنون المراهقة ، ومنها المبالغة فى النظافة وخوف التلوث "mesophobia" وما يترتب عنه من عقدة «الأقذار» النفسية "dirt complex" التى تلزم صاحبها بغسل يديه أو أعضاء معينة من جسمه مئات المرات يوميا ، وغلى الاطباق وأدوات المائدة وغسل المأكولات ، بما فى ذلك البطيخ والشمام واللحم ، بالصابون والماء الساخن مرات ، قبل الاكل ، ومنها شدة الحذر والحرص والتدقيق فى كل شىء فوق المعقول بلا مبرر ، كالتأكد من ان الباب مقفل واعادة الكرة مثنى وثلاث ورباع واضعاف ذلك ، واعادة قراءة عنوان الغلاف عشرات المرات قبل القائه فى صندوق البريد ، وتعذيب الحلاقين بمطالبتهم باعادة حلاقة الذقن مرات مع عدم الحاجة الى ذلك ، وأخذ الموسى واعادة الكرة بنفسه وبيده ، واعادة تكرار العبارة لمحدثه عشرات المرات ، حرصا منه على ان يتفهم محدثه ماذا يقول

ومن أمراض النفوس خوف الضوء "photophobia" والتألم منه ، والتأثر الشديد من الضوضاء والانزعاج منها ، وكثرة التفكير والتأمل فى شىء واحد معين والاكثار من الكلام عنه ، والاصابة بعلة بدنية معينة كوجع الرأس أو الاسنان أو المفاصل مثلا ، اصابة دورية

منتظمة ، كمرة فى كل عام أو كل شهر أو كل اسبوع فى يوم أو اسبوع أو شهر معين ، وهو ما يسمونه « مرض النتيجة الزمنية السرية » "Secret calendar"

ويفسر علماء الامراض النفسية اسباب هذه العلل تفسيرا قد يرتاب فيه أكثر القراء . مثال ذلك انهم يزعمون ان شدة التأثر من الضوضاء ، ينبىء ان صوت الضمير صارخ عال شديد الدوى ، يضرب صاحبه بسياط اللوم والتأنيب على ما اقترفه من اثم ، أو ما خرج عليه من عرف وتقليد . ومثل هؤلاء المرضى لن يجدى فيهم نفعا ما يضعونه فى آذانهم من المطاط ، وما يحشونها به من قطن ، لان صوت الضمير القاسى الصارم الجبار يعلو فوق كل صوت ، وينطى كل ضوضاء ، ويطغى على كل جلبة . ويزعمون ان خشية الضوء والفزع منه تبنئان ان المريض كذلك كثير الخجل مما اقترفه من الآثام ، فيريده عقله الباطن الا يراه أحد . ويزعمون أن المرض الدورى الذى يسير بموجب « النتيجة الزمنية السرية » من أمراض الذاكرة والغرض منه ذكرى الألم والتوبة والندم . ويزعمون ان الاسراف فى التفكير والتأمل فى شىء واحد كالموت ، أو الخالق سبحانه وتعالى ، أو مبدأ من المبادىء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية ، أو شخص معين ـ المبالغة فى تركز الفكر فى شىء من هذا وأمثاله ـ ينبىء بأن صاحبه ينزع الى الانتحار ويتأهب اليه فينبغى مراقبته ، وان كان يبدو متزنا حكيما عاقلا فى الظاهر . ويزعمون ـ وهذا أغرب ما يمكن ـ ان الذين يتصلون اتصالا جنسيا بالمحارم من الاقارب ـ كالاخت والام والعمة والخالة ـ من الجنسين يكون أبناؤهم وبناتهم عادة عرضة للوسواس

كذلك يزعم علماء هذه الامراض ان « الهستيريا » فى اكثر الحالات ، ان لم تكن كلها، تسبب عن رغبة جنسية مكبوتة ، كما يدل عليها اسمها ، وهو مشتق من الكلمة اليونانية « هستر » ومعناها رحم المرأة . ويقولون ان هذا المرض كاد يختفى فى اكثر البلدان المتمدينة فى القرن العشرين وخصوصا منذ قيام الحرب العالمية الاولى وذلك لانتشار الاباحية انتشارا مريعا ، وقد أصبح اشباع الرغبات الجنسية سلعة تباع فى الاسواق بأرخص الاثمان، وأصبحت السيارة تبعد الفتى والفتاة عن عيون أهليهما عشرات الاميال فى بضع دقائق ، وتجمع بينهما فى خلوة لا فرق فيها بين خلوة الزوجين . ولكن الانسان المتمدين قد استعاض عن الهستريا وأمراضه النفسية بالوسواس ، اذ ان الوسواس بوجه عام سببه شعور باطنى باثم يقترف وذنب يؤتى أو قانون أدبى أو دينى يكسر ، أو عرف أو عادة أو تقليد يداس بالاقدام ، وما ينتج عنه من ضمير ظالم قاس عادل لا يعرف الرحمة ، يعذب ويقتص وينتقم ويؤلم ويجرح . كما ان « الهستريا » رغبة جنسية لم تتحقق وميل حيوانى شهوانى كالبارود قد دفن الى ان تصل اليه الايدى فينفجر . وخلاصة القول ان الرجل المتمدين فى استعاضته « الهستريا » بالوسواس كالمستجير من الرمضاء بالنار

أمير بقطر

موجز تاريخ امرأة لعبت دورا من الادوار الرئيسية
فى تاريخ روسيا الحديثة . وهو تاريخ أشبه
برواية سينمائية مثيرة الحوادث متسلسلة الحلقات

مدام كولونتاى

امرأة الثورة والسياسة فى روسيا السوفيتية

هى امرأة لا كالنساء ، لم تفق بنت جنسها وحدهن مهارة وكياسة ، وأثرا فى تاريخ بلادها ، بل فاقت الرجال كذلك ، حتى لتوزن بالعشرات أو بالمئات منهم ، وحتى لا يصح أن يقرن بها منهم سوى ستالين نفسه زعيم الروس

تلك هى السيدة الكسندرا كولونتاى ، سفيرة روسيا السوفيتية فى السويد ، وصاحبة النفوذ الاكبر فى روسيا ، والمرأة التى حازت من تقدير ستالين وأساطين السوفيت أوفى نصيب

وقد بلغت الآن السبعين من عمرها ، ويا له من عمر مملوء بالحوادث الجسام ، ويا لها من حياة يتخللها اخطر المجازفات وأعجب المفاجئات . ولما كانت هذه المرأة أشبه بأبطال الاساطير ، وحياتها أشبه بالروايات والقصص ، فقد ألف فيها اثنا عشر كتابا بست لغات مختلفة ، فضلا عن مذكراتها اليومية التى أصدرتها ، وفضلا عن ترجمة حياتها التى نشرتها الحكومة السوفيتية

***

ولدت الكسندرا كولونتاى لاسرة روسية موسرة ، ونشأت وترعرعت فى ظل بلاط القيصر ، وتلقت دراستها الاولى مع لداتها من بنات الاسر الراقية فى مدرسة خاصة

ولما بلغت العشرين من عمرها تزوجت ضابطا وسيما من ضباط الجيش الروسى وأنسلها ابنة ، وعاشا فى بيت لعمها الذى كان من رجال بلاط القيصر وله فيه مكانة كبيرة

على انها ما لبثت ان كرهت هذه البيئة العالية التى نشأت فيها ، وانقادت الى الحركة الثورية التى بدأت تبث بذورها فى ذلك الحين . وقيل انها كانت لها يد فى مقتل «بليهفه» وزير داخلية الحكومة القيصرية فى سنة ١٩٠٤ — وان لم يثبت ذلك قط

والثابت على أى حال انها اشتركت اشتراكا فعليا فى حادث سرقة البنك الامبراطورى فى سانت بطرسبورج . ففى اليوم الذى ارتكب فيه رجال الثورة هذه الجريمة ، كانت مدام كولونتاى جالسة فى مقهى فاخر يواجه ذلك البنك ، وقد مكثت وراء أحد الابواب ترقب السابلة ، حتى اذا رأت أربعة من السعاة يرتدون البذل الزرقاء الخاصة بالحرس

القيصرى ، وفى يد أحدهم حقيبة ، وقفت فى مكانها ، ودفعت ثمن مشروبها ، ومشت صوب باب المقهى . وكان ذلك بمثابة اشارة سبق ان اتفقت عليها مع ستة عشر من رجال الثورة لبدء العمل . واذا بقنبلة تنفجر وتحدث دويا عظيما ، ثم تلتها قنبلة أخرى . وسقط عشرة من الثوار ، بعضهم من أثر القنبلة الثانية وبعضهم فى مقاومتهم للشرطة . غير ان أحد الباقين من الثوار اختطف الحقيبة المملوءة بالمال من يد حاملها بعد ان قتلته القنبلة ، وقذف بها صوب المقهى . وبينما أخذ الشرطة يدفعون الجمهور عن مكان الحادث ، تلقفت مدام كولونتاى تلك الحقيبة ، وخرجت بها من باب المقهى الخلفى ، حيث كانت عربة عمها تنتظر !

وفى صباح اليوم التالى ، ذهبت مع بعض الضباط الشبان الى مساكن الفقراء ، توزع عليهم الصدقات ، ولم تكن هذه الصدقات سوى ذلك المال المسروق من البنك !

ومن حوادثها الاخرى الجديرة بالذكر ، قبل الثورة البلشفية ، حادث لها مع شاب خان الثوار الروس ، ثم خاف ان ينتقموا منه ، فهرب الى باريس وأقام بها . وسرعان ما تبعته مدام كولونتاى ، ولم تكن له بها معرفة ، واستأجرت مسكنا فاخرا فى العاصمة الفرنسية ، ولم يكن عسيرا عليها ان تتعرف عليه وتوقعه فى حبائلها ، بفضل جمالها الفتان وحديثها الخلاب . وفى مساء يوم كان معها وقد أسكره الحب والخمر معا ، اعترف لها بخيانته ، ولم تلبث حتى ناولته بيدها كأسا من النبيذ بعد ان أذابت فيه سما زعافا ، ثم فتحت مفتاح الغاز حيث هو وتركته يلقى حتفه وكأنه مات مختنقا

وبديهى أن مثل هذا الحادث الذى ينسب اليها لا يمكن تحقيقه ، وقد يكون صادقا أو كاذبا . .

***

ولما نشبت الحرب العظمى الاولى ، اعترى حياتها تغير جوهرى ، اذ تركت المؤامرات والدسائس وصارت تشتغل بالسياسة ، وقد جذبها لينين بشخصيته ، فصارت له تلميذة مطيعة وتبعته الى سويسرا . وكانت اذ ذاك فى الاربعين من عمرها ، ولا تزال تملك من الجمال والفتنة ما تأسر به قلوب الرجال ، فصار لينين يعهد اليها بكل مهمة تتطلب الجرأة والحيلة معا

وفى سنة ١٩١٥ بعثها الى الولايات المتحدة لكى تنشر الدعوة للحركة الروسية الشيوعية فطافت نواحيها فى أشهر معدودة ، وهى تخطب فى كل جمع ، وتكسب مكانة لنفسها ولتلك الحركة ، فى كل مكان ، وبذا مهدت الطريق لعقد مؤتمر زيمرمان الذى أنشئت فيه «الدولية الثالثة »

ثم عادت الى أوربا ، وحاولت ان تعبر الحدود التى بين المانيا وروسيا فأخفقت . وما لبثت ان اتصلت بصديق لها من نواب الحزب الاشتراكى الديموقراطى فى الريشستاج ــ البرلمان الالمانى ــ واتخذت منه واسطة لعرض مشروع لها على الحكومة الالمانية ، يرمى الى تهريبها

مع ثمانية وخمسين من الروس الشيوعيين فى عربة مقفلة من عربات السكة الحديدية ، عبر الحدود بين ألمانيا وروسيا ، حتى اذا دخلوا بلادهم استطاعوا ان يشعلوا فيها نيران الثورة على حكومة القيصر . واستطاعت بلباقتها ان تقنع الحكومة الالمانية وأركان حرب الجيش الالمانى بهذه الفكرة ، ولا شك ان مجازفتها هذه مع رفاقها من الشيوعيين أثرت أثرا كبيرا فى نشوب الثورة الشيوعية ، التى لم تلبث ان قلبت الحكومة القيصرية

على أن هذه الثورة ـ وتسمى بثورة فبراير ـ لم تبدأ شيوعية بحتا ، بل قام بها فى البداية الاشتراكيون الديموقراطيون بزعامة كيرنسكى . ولم يلبث هذا أن أمر بالقبض على مدام كولونتاى بحسبانها شيوعية مناهضة للنظام الذى أقامه . ومكثت فى السجن حتى نشبت ثورة اكتوبر الشيوعية بزعامة لينين وتروتسكى ، فجاء هذان الزعيمان الى السجن وأفرجا عنها ، فخرجت معهما وسط مظاهرة شعبية كبيرة

وفى سنة ١٩١٨ عهد اليها ستالين ان تعد العدة لعقد أول مؤتمر نسائى عالمى للحركة الشيوعية ، وعينها رئيسة لهذا المؤتمر ووزيرة من وزراء السوفيت

وهكذا حفظ الشعب الروسى اسم كولونتاى ورردده ، وصارت فى أعينه شهيدة من شهداء العهد القيصرى ، وزعيمة من زعماء العهد الجديد ، ولم ينكر منها حرصها على ارتداء أحدث أزياء باريس فى بلد يقاسى الحرمان والجوع . وصار لينين ومن حوله يعدونها شخصية لا غنى عنها ، اذ كانت الوحيدة بينهم التى تقف على قدم المساواة مع أساطين الدبلوماسية فى العالم ، وتتقن ما لا يقل عن احدى عشرة لغة أجنبية الى جانب لغتها الروسية ، فضلا عما تتقنه من الاحابيل والحيل . .

***

وبينما كانت فى ذروة مجدها ، سقطت بغتة كما سقط الكثيرون غيرها من أعاظم الرجال والنساء ، بسبب الحب ، والخضوع لسلطانه . فقد أحبت شابا جميلا يدعى فيدور يافيموفتش كان فى التاسعة والعشرين من عمره وهى فى السادسة والاربعين ، وكان قبل الثورة حمالا خاملا من حمالى الموانىء ، ثم رفعته الثورة ضمن من رفعت

وقد انضم الى حركة الثوار منذ سنة ١٩١٢ . وفى سنة ١٩١٥ كان قد أصبح بحارا بالبارجة بطرس الاول فأغرى بحارتها بالتمرد . وفى ابان الثورة ظفر بفتح مدينة « تسارتيسين » التى تسمى الآن ستالنجراد ، تحت امرة تروتسكى ، فكوفىء على هذا الظفر بمنصب كبير فى البحرية السوفيتية . غير انه لم يلبث حتى أغراه بعض ضباط القيصر السابقين بترك بعض السفن الحربية لهم ، فانضمت الى محاربة البلاشفة . ولما انكشفت هذه الخيانة قبض عليه وقدم الى المحاكمة

وهنا تجلى كل ما لمدام كولونتاى من حب ومقدرة فى آن واحد ، وكانت قد تزوجت هذا الشاب وسعدت بالعيش معه ، ولما رأت الخطر المحدق به من تلك المحاكمة ، تركت

كل شىء لكى تدافع عنه ، وتفوز بحياته وحريته ، وصارت تصدر النداءات والمنشورات ، وتقوم بحملة صحفية لا يخمد لها أوار . وفى الوقت نفسه صارت تصدر مؤلفات لها تدافع فيها عن « الحب الحر » ، وتطالب به لبنات جنسها جميعا ، وتصف العلاقة بين الرجل والمرأة وصفا تحمر منه الوجوه خجلا ، وان كانت قد اتفقت فى كثير مما كتبته فى هذا المجال ، مع ما نادى به العلامة فرويد من أثر الغريزة الجنسية فى حركات الانسان وسكناته ..

وقد ارتاع زعماء السوفييت من تلك الحملة ، ومن هذه المؤلفات ، ولكنهم لم يستطيعوا شيئا ، حيال هذه المرأة التى كسبت محبة الجماهير ، وتزعمت نساء روسيا جميعا . ولم يجدوا فى النهاية بدا من الافراج عن زوجها المحبوب رغم ما ارتكبه من خيانة

وبعد ذلك عاشت لهذا الحبيب وحده ، وتركت كل نشاط سياسى . ولكنها لم تلبث فى هذا الانزواء عاما حتى رجعت الى ما ألفته من الحركة الدائبة ، وانضمت الى حركة المعارضة التى تزعمها شلجابابكوف فى ذلك الحين ، ولما قبض على زعماء هذه الحركة وقفت امام المؤتمر السوفيتى الحادى عشر تزعم « انها لم تنضم الى أولئك الخونة الا لكى تهتك سرهم وتفضح خباياهم » .. وهكذا برئت بينما حكم بالاعدام على جميع أولئك الزعماء !..

***

بيد ان زعماء السوفييت أرادوا الخلاص من نشاطها ، فعينت سكرتيرة لوزير روسيا المفوض فى النرويج ، وبعد حين رقيت وزيرة مفوضة فى تلك البلاد

ثم شاع انها على صلات وثيقة بتروتسكى الذى صار موضع غضب السوفيت فنقلت الى مثل منصبها فى المكسيك ، أى الى منفى بعيد ..

غير انها لم تعجبها الاقامة فى هذه البلاد النائية ، فحركت أصدقاءها الكثيرين فى النرويج لكى يطلبوا عودتها الى منصبها السابق ، وما لبثت ان عادت اليه

ولم تكد ترجع الى أوربا حتى انضمت الى حركة بوخارين فى مناهضة الحكومة السوفيتية . ولما قبض على بوخارين وأعوانه مثلت الدور الذى سبق لها تمثيله ، فادعت انها لم تنضم الى هذه الحركة الا للتجسس عليها ، وهكذا حكم عليهم بالاعدام وخرجت من المعمعة سالمة ..

ثم نقلت وزيرة مفوضة فى السويد ورقيت الى منصب سفيرة فى سنة ١٩٣٠ ، وبعد ثلاث سنوات من ذلك أنعم عليها بوسام لينين ارفع أوسمة السوفييت . وقد انتهزت فرصة وجودها بتلك العاصمة فوثقت صلاتها بكبار رجال النازى ، وخصوصا بالسياسى الداهية فون بابن

ولامر ما استدعيت الى روسيا ، فتوجست من ذلك شرا ورفضت العودة ، وعندئذ تلقى مرءوسوها بالسفارة الروسية أمرا بحجزها فى دار السفارة ، على ان ينتظروا أول فرصة تسنح ، فيجرعوها دواء مخدرا ، ثم ينقلوها سرا الى سفينة روسية تعود بها الى روسيا .

ولكن مثلها لا يمكن ان تقع فى هذا الفخ ، فانها لما أحست الخطر ، ورأت نفسها سجينة السفارة ، بعثت سرا الى الملك جوستاف ملك السويد ، فجاء بنفسه توا بحجة زيارتها .. ولم يستطع موظفو السفارة الروسية ان يحولوا دون استقبال السفيرة لملك البلاد .. وبعد دقائق معدودة خرج معها « لتشاهد بعض مشروعات المبانى التى اعتزم اقامتها لسكنى العمال » . ولم تعد من تلك الزيارة المزعومة ، وانما أقامت فى فيللا استأجرتها فى بعض ضواحى استكهلم ، ومكثت فيها ترقب الفرص، وهى موقنة ان اضطراب الحالة الدولية سوف يجعل ستالين ينحنى أمامها ، لشدة حاجته الى كفاءتها الدبلوماسية وتدبيرها الحكيم

وقد صدق ظنها هذا فان ستالين ما لبث ان استرضاها وعاد الى الثقة بها والاعتماد عليها فى جلائل الامور ، ولا عجب فانها صارت الوحيدة الباقية من زملائه القدامى الذين قامت الثورة على أكتافهم

وقد دهش العالم حين عقدت المحالفة الروسية الالمانية على غير انتظار فى سنة ١٩٣٩ ، ولم يدر أحد ان الفضل فى عقدها يرجع الى مدام كولونتاى التى استغلت صداقتها لفون ريبنتروب وزير خارجية هتلر لكسب ألمانيا الى صف روسيا وكان عقد تلك المحالفة أكبر هزيمة منيت بها السياسة البريطانية ، وما عرف فضل مدام كولونتاى فى ذلك الا من الوثائق التى عثر عليها الحلفاء فى المانيا بعد استسلامها

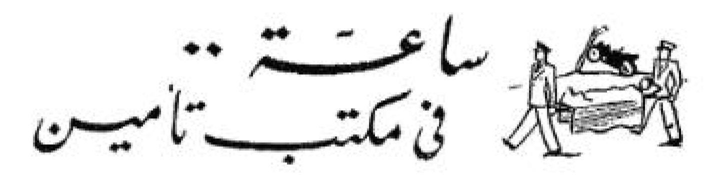
على ان مداد هذه المحالفة لم يكد يجف حتى أسرت مدام كولونتاى الى ستالين ما يضمره النازى من سوء النية وشر المنقلب نحو روسيا السوفيتية . وقد وقفت على هذا السر من هرمان جورنج نفسه ، فى أثناء زيارة له فى السويد ــ موطن زوجته الاولى ــ وفى خلال سكرة من سكرات الخمر والمخدرات التى كانت تحلو له ..

ومنذ ذلك استعد ستالين للحرب مع ألمانيا ، وهكذا أنقذت مدام كولونتاى بلادهـا بوقوفها على ذلك السر الخطير

***

وفى خلال الحرب مكثت فى منصبها بالسويد لا تغادرها ، وكان ذلك أمرا مدبرا ، فان هذه الدولة ظلت محايدة فكانت ملتقى الكبراء من جميع الدول ، ويسير على مثل تلك المرأة القديرة ان تتنسم الجو وتقف على الانباء والاسرار التى يهم حكومتها ان تعرفها دون ابطاء . ويقال ان هناك سلكا تلفونيا خاصا بين السفارة الروسية فى السويد وبين قصر الكرملين ، فكانت مدام كولونتاى تتصل بستالين رأسا فى كل أمر هام

(عن مجلة « ايفرى بوديز دايجست »)



ساعة .. في مكتب تأمين

بقلم الدكتور احمد زكي بك

ما أعجب الولايات المتحدة .. انهم يحصون كل شيء ، حتى نسمات الريح وأنفاس الناس يكادون يحصونها . ثم هم من بعد ذلك ينشرون ما أحصوا عن كل وجه من وجوه حياتهم ، وكل وجه من وجوه أرضهم ، ووجوه زرعهم ، ووجوه صناعتهم ، ووجوه غناهم وفقرهم . حتى المنازل يطرقونها بالاحصاء ، فيكادون يسألون الزوج كم غضبة غضب ، وكم قبلة قبل ؟ وقد يحصي غيرهم من الامم ، ولكن يخيل الى أنهم قد يكونون أسبق الى الدقة ، وان أرقامهم قد تكون أقرب الى الصحة من غيرهم من الشعوب. ذلك أن الشعب الامريكي أفهم لمعنى الاحصاء ، وأسرع استجابة لدواعيه ، وهو لا يرى الحياء ، في بعض الاشياء ، بالعين التي يراه بها الناس من أمم أسبق الى الوجود ، وأذهب في القدم

وأمس الغابر كنت في مكتب للتأمين ، أسدد قسط السيارة من ذلك ، فقضيت مع مدير المكتب الصديق - وهو أمريكي - وقتا قصيرا كان لي منه متعة المستمع لحديث استاذ في جامعة ، لا مدير مكتب في السوق تطل نوافذه على حي صاخب من أحياء التجارة والاعمال

وجرى حديثنا في موضوع ذي نسب بالتأمين الذي جئت أدفعه . جرى حديثنا في أخطار السيارات وما تحصد من أرواح الناس كل عام . فلم يلبث صاحبي ان مد يده يأتي بكتاب . لم يكن فيه كم تحصد السيارات من أرواح مصرية ، ولكن كان فيه احصاء بالذي تحصده من أرواح أمريكية . وامتد هذا الاحصاء الى عدد الارواح التي تذهب في حادثات المنازل ، وحادثات الطريق من سيارات وغير سيارات ، ومن حادثات في المصانع

وقد علمت منه في شيء من الغرابة ان حادثات السيارات تبلغ نحو الثلث من مجموع تلك الحوادث ، وان مثلها حوادث المنازل من حريق وسقوط وأشباه ذلك ، أعني الحوادث التي تنتهي بالموت . ثم ينقسم الثلث الباقي مناصفة بين حوادث الطرقات من غير السيارات ، وحوادث تنشأ من عمل الفرد بسبب مهنته ، أيا كانت هذه المهنة ، في مصنع للحديد أو مخزن للجمارك

وانتحى حديثنا ناحية السيارات ، فأخبرني محدثي ، تارة استقاء من ذاكرته ، وتارة بعد استشارة من كتابه ، أخبرني أن حوادث السيارات كانت تعزى قديما الى الطرق وتصميمها .. فطرق صممت على أن تكون لعربات تجرها الخيل - وهي ذات قوة محدودة

وسرعة محدودة ـ لا تصلح لعربات يحركها البنزين . أما اليوم فقد تحسنت الطرقات ، ولكن أصبح العامل الفردى ، العامل الانسانى ، بغير تحسن كبير . ثم ذكر لى طائفة طيبة من بحوث تجرى فى هذا السبيل

وجد البحاث المختصون أن حوادث الموت بالسيارات يختلف مقدارها باختلاف الاعمار . فالاطفال الى السنة الرابعة أكثر حظا فى هذه الحوادث ، ثم تأخذ حظوظ الاعمار من هذه الحوادث تقل الى أن تبلغ أقصى القلة بين سن الخامسة عشرة وسن الرابعة والعشرين . ثم تتزايد الى أن تبلغ أقصى الزيادة فوق سن الخامسة والستين . وحظوظ الاطفال قبل الرابعة كحظوظ الشيوخ بعد الخامسة والستين . أما الشيوخ فيقلل فرصة الخلاص عندهم قلة الحركة فيهم ، وطول ما يجرى بين التفاتة عين وانطلاقة قدم . وأما الاطفال فليس هذا فيهم ، وانما فيهم قلة خبرة بالسيارات والطرقات ، ومن أجل هذا عمدت المدارس الى دروس خاصة تسمى بدروس الطرق ، تجعل لها فى دار المدرسة ساحة تخطط كالشوارع وتتقاطع كما تتقاطع الطرقات . وتقوم عند تقاطعها العلامات ، لغلق الطريق وفتحه . والاطفال تركب فيها سيارات ، ولكنها سيارات صغيرة تدور بعضل الارجل لا ببخار البنزين . وفى هذا الدرس يتعلم الاطفال ، لا قيادة السيارات ، وانما فهم الطريق وكيفية تفادى الاخطار

***

واتجه البحاث الى السيارات ومن يسوقها ، فوجدوا أن عشرة فى المائة من حوادثها ترجع الى عيوب ميكانيكية فى السيارات تفسد عليها أداء الواجب ، والاستجابة الى مايريد السائق ، ووجدوا ان التسعين الباقية فى المائة تنشأ عن عيوب فى السائق نفسه ـ عن عيوب ميكانيكية أيضا ، ولكن فى عضله وعصبه وحسه وادراكه ـ عيوب نفسية لها رجال مختصون ابتدعوا فى سبيل التعرف عليها شتى الوسائل ، وكشفوا بها عن أمور كثيرة

من ذلك انهم جمعوا نفرا من السائقين لهم فى القيادة ماض معروف ، ورسموا دوائر جعلوها تجرى أمام الواحد منهم فى سرعة غير قليلة ، وأعطوه قلما ، وطلبوا اليه أن يعلم كل دائرة تمر به عند مركزها وهى جارية . وعدوا على هؤلاء الرجال ما أصابوه فى دوائرهم ، وعدوا ما أخطأوا ، وقدروا ما بين الخطأ والصواب درجات ، وأعطوا لكل منهم درجة كالتى تعطى للطالب عند امتحانه ، وقارنوا هذه بالذى أتاه الرجل منهم فى حياته من حوادث السيارات ، فجرت الحوادث مع هذه الدرجات مجرى عكسيا ، أى أن من أصاب فى امتحانه هذا رقما فى النجاح عاليا ، كان له فى حوادث السيارات رقم منخفض . واستنتجوا من هذا بالطبع أن اليقظة ، وسرعة استجابة اليد لما تراه العين ، سبب خطير من أسباب النجاة فى الطريق ـ النجاة لراكب وراجل على السواء

وأرادوا أن يكشفوا ما بين حالة الجسم وحسن القيادة ـ قيادة السيارات ـ من رابطة . فاتخذوا لذلك ضغط الدم سببا يختل به الجسم ويختل به أداؤه . واختاروا لهذه التجربة

خمسين سائقا فوق الخمسين من العمر . وفحصوا دماءهم فوجدوا واحدا وعشرين منهم يزيد ضغط الدم فيهم عن متوسط الضغوط فى مثل أعمارهم . وطلبوا عدد الحوادث التى وقعت لهم ، فوجدوا ان الواحد والعشرين ذوى الضغوط العالية تسببوا فى ١٣٦ حادثة . أما الباقون وعددهم ثمانية وثلاثون رجلا فقد تسببوا فى حوادث بلغ عددها مائة وعشر حوادث . أى ان الرجل ذا الضغط العالى تسبب فى المتوسط فى احداث ست حادثات ونصف حادثة ، بينما ذو الضغط المعقول لم يتسبب فى غير ثلاث من الحوادث . ونتج عن هذه التجربة ، وأضرابها ، ان الشركات ، لا سيما شركات النقل ، عمدت الى قياس ضغوط الدم فى سائقيها ، فمن زاد ضغطه حولته من عمل السياقة الى غيره من الاعمال قليلة الاخطار

وقد عمدت الشركات الى أمثال هذه التجارب ، فجعلتها من الفروض التى تقام عند اختيار سائقيها . وقد تظن بهذه الشركات انعطاف قلب الى سلامة الجمهور ، وقد تظن غير ذلك . ولكن لا شك فى ان من أهم البواعث الى ذلك رغبتها فى اقتصاد النفقات . فالحوادث تكلفها كثيرا

***

ومن ذلك أن شركة كبيرة من شركات النقل عمدت الى مجموعة من اختبارات تجريها فى كل من تقدم لها يطلب عملا من أعمال القيادة .. وتلك المجموعة هى :

قوة العضلات ـ سرعة التعب ـ سرعة الادراك لما يجرى فى الطريق ـ سرعة استجابته لما يدركه المدرك ـ القدرة على تقدير سرعة السيارات وهى جارية ـ القدرة على تقدير المسافات بالعين ـ سرعة اهتياج العاطفة

وهى اختبارات يقوم عليها علماء مختصون ، يجرونها بأجهزة خاصة

وقد أفادت الشركة من ذلك ، اذ هبطت حوادثها بمقدار ١٦ فى المائة . واقتصدت من ذلك قبيل هذه الحرب الماضية ١٥٠ ألفا من الجنيهات فى العام

وشركة أخرى لنقل الناس ، واسمها شركة « التكسيات الصفراء » أجرت على عمالها عند اختيارهم للقيادة تجارب أشبه بالسالفة ، فكان من اثر ذلك أن هبطت حوادثها الى النصف !

ثم أخذ يحدثنى صاحبى ، مدير المكتب ، عن الحوادث التى تقع من أمثالى .. وعن الحوادث التى تقع من السائق غير المأجور ، أو السائق الذى يأجره فرد لا شركة ، فقال: ان هذه الحوادث ، تزداد نسبتها بين الجمهور الهاوى عنها بين المحترفين ، ولا سيما فى الامم التى تدقق فى اختبار السائق قبل الترخيص له بمزاولة مهنته

وقد اهتم العلماء أخيرا باجراء اختبارات كهذه فى جمهور الناس . وقام بها مختصون على نفقة شركات يهمها الامر كشركات التأمين اذ تنتفع بنتائج هذه البحوث . وقد اعتمد العلماء أساسا لهـذه التجارب ما يسمونه « بفترة الانفعال » . وتعريفها انهـا الفترة من الزمن التى تمضى بين احساس المرء بشىء ، عن أى طريق كان هذا الاحساس ، عن

أو اذن أو لمس ، وبين استجابة عضله لهذا الاحساس . مثال ذلك الفترة التى تمضى بين احساسك بشكة دبوس ، وتحرك يدك لدفع هذا الألم عن نفسك . وقد حسبوها فى أمر السيارات ، فيما حسبوا ، على انها الفترة التى تمضى بين الاشارة لك بالوقوف ، وبين توقفك فعلا . وأجروا هذا الاختبار فى سيارات خاصة ، بها مسدسان اتوماتيكيان ، أحدهما يطلقه العالم المجرب ، والعربة يسوقها سائقها الى جانبه بسرعة منتظمة ، فيرش هذا المسدس على الارض صبغا أحمر . ويكون انطلاق هذا المسدس أيضا ايذانا للسائق أن يتوقف بأسرع ما يستطيع . فاذا هو فرمل ، فاحتكت الفرامل بالعجلات ، انطلق المسدس الثانى فرش على الارض صبغا أخضر . وبالسيارة مقياس دقيق لسرعة السيارة ، متصل بكرونومتر ـ أى ساعة دقيقة تقيس الى جزء من مائة من الثانية ـ فمن سرعة السيارة هذه ، ومن المسافة التى بين الصبغ الاحمر والصبغ الاخضر ، يحسب الوقت الذى قطعت فيه السيارة هذه المسافة . فهذا الوقت هو فترة الانفعال المطلوبة ـ فترة ما بين الحس والعمل

***

وقد بلغ متوسط هذه الفترة فى الناس أربعة وخمسين جزءا من الثانية . ومعنى هذا ان العربة اذا كانت تسير بسرعة ستين كيلومترا فى الساعة ، لم يستطع السائق ان يبدأ الفرملة الا بعد أن يكون قد جرى بالعربة ٩ أمتار من بعد رؤيته الخطر الذى يعرض أمامه . وهذا الرقم ، بل هذه الفترة من الزمن لها خطورتها فى تقدير ما يجب ان تكون عليه السرعة فى الريف والمدن

وقد وجدوا من هذه التجارب ان هذه الفترة من الزمن تزيد عند ذوى الخبرة القليلة بالقيادة ، وهى تقل عند ذوى الخبرة الكثيرة . ومتوسطها عند من قضى فى القيادة عاما بلغ ٧٠ جزءا فى المائة من الثانية . وبلغ متوسطها بعد أربعة أعوام أو خمسة ٥٠ جزءا من المائة فى الثانية . ووجدوها فى سائقى السيارات المحترفين ٤١ جزءا فى المائة ، وذلك لطول مرانهم . ووجدوا انه لا يكاد يوجد فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، ولا بين أمة وأمة

وأراد محدثى عند ذلك أن يزيدنى علما ، ويزيدنى من تلك التجارب تفصيلا . فقلت حسبك حسبك

وخرجت أعد حظ مصر من كل هذا : حظها من تنظيم شؤون القيادة وأمر السائقين ، وحظها من أمثال هذا القاعد على مكتبه ، يعقد فى دوائر المال الصفقات ، ويثرى بالتأمينات ، وقد جعل أساسها تلك النتائج العلمية ، طواها فى رأسه ، وفيما أحاطه من كتبه

احمد زكى

نماذج خالدة من النساء

عرض وتلخيص : الأستاذ حلمي مراد

المرأة . . أنثى الانسان !

أهي قالب واحد ـ ذو طبائع وخصال واحدة ـ صيغت على مثاله جميع النساء ، فى كل زمان ومكان . . منذ الازل حتى اليوم ؟

أم هى قوالب متعددة ، تتباين فيما بينها من حيث الطبائع والخصال تباينا يزيل كل تشابه بينها ، وكل وحدة ، الا وحدة الانوثة التى تميزها عن الذكر ؟

اعتاد الناس ان يجعلوا شخصية حواء رمزا للمرأة فى جميع الامكنة والازمان ، كأن كل امرأة هى صورة طبق الاصل من حواء ، فى الخلق والصفات والنزعات ، أو كأن لجميع النساء صفات واحدة مشتركة توجد فى كل امرأة ، ولا توجد فى غير امرأة !..

ولكن النظرة التحليلية لشخصيات شهيرات النساء ، اللواتى خلدهن التاريخ عرضا ـ دون تحامل أو محاباة ـ وهو بسبيل تسجيل الوقائع والاحداث ، تستخرج لنا من صحائف التاريخ القديم عددا وافرا من النماذج البشرية النسائية ، تختلف فيما بينها اختلافا صارخا ، وتكاد أن تنحصر فيها صورة جميع النساء ، فى جميع الاقطار والاجيال . . وكأن كل نموذج منها قالب خاص لشخصية خاصة ، صبت فيه وما تزال تصب ملايين « النسخ » المماثلة من النساء . . فهذا نموذج للغواية ، وذاك نموذج للفضيلة ، وثالث للبطولة ، ورابع للخيانة ، وخامس للوفاء ، وسادس للتضحية . . وهلم جرا . وان لم ينف هذا ان كل نموذج منها قد يجمع اكثر من صفة من هذه الصفات ، ويخلط بينها ، ولكن دون ان يطمس معالم الصفة البارزة بينها ، وهى التى نقصدها . .

فلندخل معرض النماذج البشرية ، كى نستعرض أخلد نماذج النساء كما صورها ـ بريشة بارعة ـ مرجع دقيق من مراجع التاريخ ، هو التوراة . . وجمعها الباحث الانجليزى « ه. ف. نورتون » فى كتابه الممتع الذى نلخصه فيما يلى :

١ ـ حواء

لطالما كانت حواء ، منذ بدء الخليقة ـ وما تزال ـ النموذج الذى صاغ منه الرجال

نظرياتهم فى النساء . وهى نظريات ما فتئت تحمل أمنا الاولى مسئولية ادخال شرين جسيمين على عالمنا المنكود ، هما : الخطيئة ، والكفاح من أجل القوت . ولعل من العجب أن الاجيال المتعاقبة من الرجال ما زالت تصوغ هذه التهمة فى ذات اللهجة التى صاغها فيها آدم «الاول» ، اللهجة الشبيهة باعتذار تلميذ شقى ضبطه المدرس يرتكب أمرا مخلا : «لقد اعطتنى من الشجرة فأكلت ! » . ولعل القديس « أوغسطين » كان أول من ابتكر تلك النظرية الشائعة ــ التى أخذها عنه ملتون ونجح فى ابرازها فى ملحمته الرائعة « الفردوس المفقود » ــ ونعنى بها النظرية التى تصور آدم فى صورة الانسان الذى كان راغبا عن تذوق ثمار الشجرة ، والذى لم يذقها آخر الامر الا بدافع اخلاصه وطاعته لحواء !.. ولكنها نظرية يصعب على النساء تصديقها

ولئن كان الكتاب قد قسوا دائما على حواء ، فان الرسامين والمثالين كانوا دائما أكرم منهم عليها وأرحم بها ، فلقد طالما جعلوها نموذجا لاجمل وأروع آياتهم الفنية

ولكن ، ترى على أية صورة كانت حواء ؟.. لم ينبئنا التوراة ان كانت سمراء أو شقراء ، طويلة أو قصيرة .. ولكننا نستطيع ان نستنتج انها كانت حسناء ، فى نظر آدم على الاقل ، حتى ان أول رد فعل أثاره فيه مرآها واقفة فى جنة عدن .. انه قرض أول بيت من الشعر نظمه انسان ، فقال ما ترجم عن الاصل العبرى فى هذه الصيغة : « هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرأة لانها من امرىء أخذت »

وربما كان من المغالاة والجور تصوير حواء دائما فى صورة المخلوقة الضعيفة ، الفضولية ، الخداعة ، ذات المطامع غير المحدودة .. فالواقع انه ليس ثمة فارق بينها وبين آدم فى كل هذه الصفات ، وانما الفارق الحقيقى هو أنها كانت أكثر منه جرأة على ارتكاب الخطيئة لاول مرة ، ولعل هذا ما حدا بالحية الى ان تتوجه بحيلتها الماكرة اليها دونه هو ، وأن تسعى اليها بأسلوب يعتبر ــ على ضوء الدراسة السيكلوجية للغواية ــ نموذجا لقوة الايحاء الخفى فى التأثير على النفس الانسانية .. فهى لا توصيها صراحة بارتكاب الخطيئة ، وانما تفهمها باسلوب ملتو أن ليس عليها من ضير لو ارتكبتها ! وهكذا تتدرج فى التهوين من خطر الاكل من الشجرة ، فاذا حواء تتدرج معها فى الاقتناع ، فترى فى البداية ان الشجرة « جيدة للاكل » فتستيقظ شهيتها الجسدية !.. ثم ترى انها « بهجة للعيون » فتستيقظ طبيعتها الحسية !.. وأخيرا ترى ان أكلها من الشجرة سيجعلها « كالله ، عارفة الخير والشر » ، وكان هذا التبرير الثالث هو المسموم ، فلقد برر لها خطيئتها فى عينى نفسها . وهذا هو كل ما يلزم عادة كى يمدها بالجرأة الكافية لتخطى أمنع العقبات

وهكذا تداعت أعصابها أخيرا تحت وقر هذا الاسلوب الماكر الذى كان دائما وما زال ، وسيظل أبدا ، جرثومة كل غواية !.. ولكن بالرغم من ان أحدا لا يلتمس لحواء عن سقطتها عذرا ، فانه لمن الظلم البين ــ كما يقول ملتون ــ ان نحملها وزر خطيئة شاركها فيها آدم بنصيب مساو . واذا كان هو لم يقطف من الشجرة بيده ، فانه كان واقفا تحتها

يشحذ أسنانه لقضم التفاحة !.. ويوحى مسلكه فى تلك اللحظة الحرجة ـ كما قال اكثر من ساخر ـ بأن الرجل هو الجنس الاضعف ! فهو لم يوقف حواء أو يمنعها ، أو حتى يناقشها ، وانما اكتفى بأن وقف يرقب شريكته وهى تردى الانسانية جمعاء فى هاوية العار الابدى وتفرض عليها عقوبة الكفاح الدائم من أجل القوت

والنتيجة التى يخرج بها المنصف من قصة حواء هى ان المرأة ، سواء فى الخير أو الشر ، هى التى تقود الرجل وراءها دائما .. حتى ـ بل وعلى وجه الخصوص ـ حين يغويها الشيطان !

٢ ـ سارة

فاذا انتقلنا فى ركاب الزمان الى ما يدور حوالى عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد ، وانتقلنا من جنة عدن الى قرية من قرى العراق تبعد عن مصب نهر الفرات ١٢٠ ميلا .. طالعتنا شخصية نسائية أخرى جديرة بامعان النظر ، هى شخصية « سارة » زوج ابراهيم

كانت سارة ذات جمال خارق ، فى الخلق والخلق ، ولكن حسنها الرائع لا يهمنا هنا بقدر ما يهمنا انها كانت أول نموذج حى فى التاريخ للمرأة المطيعة ، لله ولزوجها .. طاعة جعلتها لا تتردد لحظة فى ان تهجر بلدها وترحل الى أرض غريبة كى تعين ابراهيم على اداء رسالته المقدسة ، يشدد من عزيمتها وثوقها من انه دائما على صواب . ومن المظاهر الاخرى لطاعتها اياه مجاراتها اياه فى زعمه ـ كلما حطا رحالهما فى بلد ـ أنها اخته وليست زوجته .. الزعم الذى أغراه به خوفه المستمر من طمع الملوك فى حسنها الباهر ، وتفضيله أن يهبها زوجة حلالا للملك الذى تعجبه ، على أن يعرض نفسه لاحتمال أن يقتل غيلة بيد الطامع الذى يهمه التخلص من الزوج الذى قد يقف عقبة دون الزوجة المشتهاة ! ولكن الايام لم تحقق حدس ابراهيم فى خلق الملوك ، وان حققت حدسه فى عشقهم لسارة. فلقد أحبها فى المرة الاولى « فرعون » ، ثم أحبها « ابيمالك » وأدخلها كلاهما ضمن حريم قصره ، ولكن كليهما أيضا كان « جنتلمان » ، فلم يكد يعلم انها زوجة ابراهيم وليست أخته ، حتى أعادها الى زوجها مكرمة ، ومصحوبة بـ « اعتذار » مؤدب !

ولكن مأساة سارة تزداد تعقدا حين تتقدم بها السن دون ان تنجب نسلا ، وهنا يبدو خلقها الرفيع على حقيقته ، فانها حين ترى نفسها عقيما ، وحين تذكر وعد الله لابراهيم بان يمنح « نسله » مملكة واسعة ، تقدم على تضحيتها الكبرى ـ التى تعطينا صورة نادرة من صور اخلاص المرأة وانكارها لذاتها ـ فتدفع الى احضان زوجها ابراهيم ، مختارة ، جارية مصرية شابة هى « هاجر » ، كى تنجب له نسلا . ولكن لكرم نفسها حدودا تعجز عن المضى فيه بعدها ، حين تستمرىء هاجر لذة الفوز من دون سيدتها بشرف انجاب نسل لابراهيم ، فتتعالى الجارية الوضيعة على ربتها وتتيه دلا وتكبرا ، الى حد يستنفد صبر سارة ويضجر ابراهيم ، فيحيل الجارية الى سيدتها كى تؤدبها ، فتعاقبها سارة فى قسوة .. وتفر

هاجر الى البرية ، ولكن لتعود فيما بعد وتقدم خضوعها لسيدتها ، ثم تنجب « اسماعيل » ولكن صبر سارة كان لا بد ان يكافأ ، وكرم خلقها كان يستحق ان تجزى عليه ، جزاء يبدل ذلتها عزة ، ويعوضها عما قاست وتألمت .. فاذا الله يرسل لها من ينبئها بانها ستحمل وتلد ابنا لابراهيم ، وتدعو اسمه « اسحق » .. فتضحك سارة لغرابة النبوءة ، فانها قد شاخت وولى ربيع عمرها ، وصيفه ، بل وخريفه ، فكيف تحمل بعد ذلك وتلد ؟ ولكن الله يصنع المعجزة ، فتصبح سارة أما فخورا لاسحق . وهنا تعمل الطبيعة البشرية فعلها فى قلب الأم ، المنافحة عن حقوق نسلها ، فيشتعل غضبها على هاجر وتصيح فى زوجها أن اطرد هذه المرأة وابنها ، فان ابن الجارية لن يكون وريثا مع ابنى اسحق !

وهى صيحة تكمل فى الاذهان صورة سارة : صورة المرأة المطيعة ، والمسيطرة فى نفس الوقت ! المضحية بذاتها وبمكانتها عند زوجها ، ولكن الى الحد الذى يحقق الهدف المقصود ولا يتعداه !.. وأخيرا المرأة التى لها من الخصال والمزايا العقلية ما يجعلها ، حتى فى الشيخوخة التى تهمل فيها عادة كل امرأة عاقر ، رفيقة زوجها المدللة ..

٣ ـ زوجة لوط

« ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح ! » .. هذا كل ما تضمنته التوراة عن زوجة لوط ، وهى ولا شك اقصر سيرة حياة فى تاريخ جميع الآداب ، ورغم ذلك فان هذه العبارة على قصرها قد وضعتها بين نساء التاريخ الشهيرات ، فصارت رمزا للمصير التعس الذى يصيب كل انسان تواتيه فرصة النجاة فيلتفت الى الوراء حسرة على المتاع المادى الذى خلفه وراءه ، كما التفتت زوجة لوط وهى خارجة من مدينة « سدوم » بعد أن انذر زوجها بقرب تدمير المدينة عقابا لاهلها على خطاياهم المنكرة . ومنذ ذلك صار اسم سدوم علما على بؤرة الفساد والخطيئة

ولعل الكثيرين يظنون ان قصة تدمير « سدوم وعمورة » قصة أقرب الى ان تكون خيالية ، ولكن الذى يزور منطقة التلال المحيطة بشمالى البحر الميت ـ أو بحر لوط كما يسميه البعض ـ الذى ينخفض مستواه عن مستوى البحار ٤٠٠ متر ، يرى الارض المقفرة التى كانت يوما مدينة سدوم المظلمة .. وهناك فى مكان عمود الملح الذى يرمز لزوجة لوط أقيم مصنع للملح ينتج سنويا سبعة آلاف طن منه

ولوط وزوجته ، فى تعلقهما بالمال والماديات الى حد عصيان الله ، هما الصورة العكسية لابراهيم وسارة . ورغم انهما قد عاشا قبل بدء التاريخ بآلاف السنين فان أى مجتمع عصرى لا يخلو من أمثلة شائعة لاناس صيغوا على نموذجهما ويعيشون بيننا اليوم !

٤ ـ رفقة

.. وشاخ ابراهيم ، وأحس بدنو أجله ، فنادى عبده وكلفه ان يشد رحاله الى موطنه

الاول كي يبحث عن زوجة فاضلة لابنه اسحق . فأخذ العبد عشرة من الابل ويمم وجهه شطر الشمال ، نحو « السامرة » وجبال لبنان المغطاة بالثلوج . وكانت النار الموقدة في الخيام المتناثرة عبر الصحراء ترسل بصيصا يلون الافق وينير الطريق الى دمشق .. ثم عبرت القافلة الصحراء الكبرى الى وادي الفرات حيث حطت رحالها في بلدة « حاران » وكان الوقت مساء ، والنسوة قد خرجن الى ما وراء اسوار المدينة وعلى رؤوسهن الجرار كي يملأنها ماء من البئر ، على هدى نجمة المشرق التي تبسم لهن من كبد السماء . فأناخ العبد ابله المتعبة ، وجلس يرقب سرب العذارى يتكأكأن على البئر ، فابتهل الى ربه ان يرشده الى العذراء المختارة كي تكون زوجا لاسحق ، فالهمه ضميره أن من تقبل ان تسقيه وتسقي ابله تكون هي الزوجة المقدرة من الله !.. وجاءت « رفقة » الى البئر ، وكانت فتاة رائعة الحسن ، فسألها العبد ان تسقيه من جرتها فسقته ، وتطوعت بان تهبط سلم البئر مرة بعد مرة كي تسقي جميع ابله الظامئة ، فأدرك الشيخ انها عروس سيده و « أخذ خزامة ذهب وزنها نصف شاقل وسوارين ليديها وزنهما عشرة شواقل ذهب » . ووهبها اياها مهرا .. ثم ذهب معها الى اهلها فخطبها لسيده « فدعوا رفقة وسألوها أتذهبين مع هذا الرجل ؟ فقالت : أذهب »

وعادت القافلة برفقة ، فبلغت « بئر سبع » بعد اسابيع ، وكان اسحق يتعبد في الحقل ساعة الاصيل فرفع عينيه نحو الافق وأبصر القافلة قادمة فخف لاستقبالها .. ورفعت رفقة عينيها فلما رأت الرجل قادما نحوها أناخت جملها وسألت العبد من يكون ، فلما علمت انه « رجلها وسيدها » تناولت نقابا وغطت وجهها !

هذه رفقة في شبابها : الحسناء ذات الدلال ، التي تجمع في شخصيتها بين الخفر والاقتدار .. والمغامرة الجريئة التي تقبل ان تترك اهلها وتعبر الفياف والقفار كي تزف الى عريس لم تره ولم يرها .. لكن لرفقة صورة أخرى ، وشخصية أخرى ، في خريف عمرها . حين ازداد عمق الهوة التي تفصل بين سنها وسن زوجها — وكانت ربع قرن — زادته شيخوخة اسحق ، وانجابها منه توأمين ، بعد انتظار طويل . فاذا هي تريق كل أمومتها المدخرة على طفليها ، في عنف بالغ وعاطفة جياشة ، تفوق كل عاطفة أراقتها يوما على زوجها . بل يبلغ العنف بعاطفتها ان تنحاز لاحد الطفلين « يعقوب » ضد شقيقه الآخر « عيسو » وتحرضه ضده .. ثم حين يكبر التوأمان تتآمر مع فتاها الناعم المدلل ذي الخلق المرذول والجشع البغيض « يعقوب » على خداع أبيه اسحق — الذي كان قد فقد بصره ، وحوله وطوله — كي يمنحه بركته على اعتبار انه التوأم الآخر « عيسو » الذي كان على نقيض أخيه شهما أمينا كريم الخلق . ولا تتورع في سبيل هذا الخداع عن أن تذبح كبشا كي تغطي بفرائه يدي « يعقوب » وعنقه ، حتى يصير ملمسها في وعي الاب الاعمى شبيها بملمس بشرة « عيسو » الموعود بالبركة !

وكانت هذه آخر صورة لشخصية « رفقة » يخلفها لنا التاريخ . وهي صورة تسيء

عذراء الفرات المذبة ، وتخيب أملنا فيها ، خيبة لا يخفف من مرارتها ان الصورة تشهد للمرأة بالذكاء ، والحزم ، والاقتدار

٥ ــ راحيل

وأول ما يلفت النظر فى قصة « راحيل » انها تهدم ما يزعمه البعض من ان التوراة لم تمجد الحب الا فى أناشيد سليمان الحكيم ، فان غرام يعقوب وراحيل يقف جنبا الى جنب مع أروع قصص العالم الغرامية ــ مثل قصة « تريستان وايزولد » و «اوكاسين ونيكوليت» وغيرهما ــ بل انه غرام يعطينا مثلا على ان القلب البشرى هو هو لم يتغير منذ بدء الخليقة ، كما يعطينا أمثلة لشخصيات التوراة التى تشعرنا أننا أمام اناس نعرفهم ونصادفهم فى حياتنا العصرية . وأخيرا فهو غرام يصلح لان يصوغ منه الروائى البارع دراما عصرية ، تحبس الانفاس من البداية حتى النهاية

تبدأ القصة حين بارك اسحق يعقوب « وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان . قم اذهب الى « فدان أرام » وخذ لنفسك زوجة من بنات « لابان » اخى أمك .. فخرج يعقوب من « بئر سبع » وذهب الى أرض بنى المشرق » .. حتى بلغ ارض خاله « واذ هو واقف فى الحقل أتت راحيل مع غنم أبيها ، فكان لما أبصر يعقوب راحيل بنت لابان خاله ، ان يعقوب تقدم ودحرج الحجر عن فم البئر وسقى غنم خاله .. وقبل راحيل ورفع صوته وبكى . وأخبر يعقوب راحيل انه ابن رفقة فركضت وأخبرت أباها » .. فركض الاب للقائه وعانقه وقبله وأتى به الى بيته ، فأقام عنده شهرا .. « وكان للابان ابنتان اسم الكبرى « ليئة » واسم الصغرى راحيل ، وكانت عينا ليئة ضعيفتين . واما راحيل فكانت حسنة الصورة وحسنة المنظر . وأحب يعقوب راحيل فقال لابيها : أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى . . فخدم سبع سنين وكانت فى عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها »

وهكذا تمضى السنوات السبع ، والعاشق مقيم على حبه لراحيل . ثم يحين يوم الزفاف ، فاذا أبوها يخدعه فيقيم حفلا كبيرا ثم ينتهز فرصة الليل فيدخل عليه ــ فى تخدعه ــ الابنة الكبرى .. على انها راحيل ! ولا يفطن يعقوب للخديعة الا فى الصباح .. فماذا يفعل العاشق المتيم ، أيقنع بالزوجة التى فرضوها عليه غشا ؟ كلا ، وانما هو يعرض على خاله أن يخدمه سبع سنوات أخرى مقابل الفوز براحيل ، فالى هذا الحد كان قد برح به الهوى وملك عليه قلبه !

ويظفر الفتى أخيرا بفتاة أحلامه ، ولكن هنا تبدأ المأساة .. فانّ راحيل قد تكشفت آخر الامر على حقيقتها ، فاذا هى لا تستحق ذلك الانتظار والكد الطويل ، وهذا الوفاء والتفانى العجيب .. واذا هى واحدة من النساء اللواتى لا يزكيهن غير حسنهن الخارق ، أما ما عداه فهى امرأة شريرة تميل الى الشجار والمشاكسة ، ويملأ قلبها الحقد والحسد لاختها التى أنجبت لزوجهما من دونها نسلا

وهكذا يعيش الثلاثة حياة عاصفة منغصة ، ويظل الزوج المسكين نهبا لتجاذب امرأتين، وأختين ، أحبته كبراهما من أعماق قلبها المتحب ، فلم يبادلها الحب.. وأحب هو الصغرى واشتراها بكفاح أربعة عشر عاما كاملة ، فلم تسعد ولم تسعده !.. ولعل فى هذا التعقيد وما نجم عنه من منازعات نغصت على يعقوب عيشه طوال حياته ، بعض التكفير عما اقترف من خطايا فى حق عيسو أيام شبابه. ثم لعل حبه ذاك لراحيل من أندر الامثلة على ما اصطلح علماء النفس على تسميته مركب أوديب Œdipus Complex فان أثر أمه رفقة فى شخصيته ، وتطبعه بطباعها قد جعل كل همه أن يحصل على زوجة تكون صورة طبق الاصل من الام التى أحبته وأحبها ، وقد تحقق مراده فى راحيل التى كانت كأنما قد صيغت على نموذج أمه فى أدق خصالها وطبائعها ، فكلاهما نموذج للشباب الذى يتغير مع مرور الاعوام ، حتى يستحيل فى الكهولة الى مجموعة من الصفات المرذولة

ولكن يشفع لراحيل فى النهاية شيئان : أولهما انها أنجبت يوسف.. الصديق ، الرجل الذى كانت فضائله وذكاؤه وذكراه مبعث اشراق دائم على مر الاجيال . أما شفيعها الثانى فخاتمتها الأليمة ، فقد كانت أول امرأة حدثنا التاريخ انها ماتت أثناء الولادة . وما يزال القبر الذى يقال ان راحيل قد دفنت فيه ، قائما على طريق « أورشليم ــ بيت لحم » يزوره الحجاج حتى اليوم

٦ ـ زوجة فوطيفار

وهنا ينقلنا « يوسف » من حياة البادية ببساطتها ، الى حياة المدن والقصور .. ومن صحارى فلسطين وتلالها المقفرة ، الى شوارع عاصمة مصر حيث قصر فرعون ، وعرشه، ووزرائه .. وحيث النيل الخالد !.. وقصة يوسف هى صفحة من أنبل الصفحات التى تحتل مكانا ممتازا بين الآداب القديمة . وقد ثار لغط فى الدوائر العلمية فى منتصف القرن الماضى حين ظن ان أصل قصة يوسف مع زوجة فوطيفار قد اكتشف فى صورة قصة فرعونية قديمة مسجلة على أوراق البردى عنوانها « الاخوان » تشبهها فى حوادثها شبها كبيرا .. ولكن العلماء المعاصرين ينفون ان هناك صلة اقتباس بين القصتين ، ويرجعون التشابه الذى بينهما الى ان الواقعة المشتركة فى كليهما كثيرة الحدوث فى الحياة كما انها كثيرة الترديد فى آداب جميع العصور ، وان كانت قصة يوسف تتميز عن شبيهاتها بأن زوجة فوطيفار قد نجت فيما يبدو من العقاب الذى أوقعته القصص الاخرى بالزوجة الخاطئة

وامرأة فوطيفار تحتل مكانة تلفت النظر بصفتها أول امرأة خاطئة فى قافلة نساء التوراة، فان جميع الخطايا التى ارتكبها نساء قبلها فى التوراة قد ارتكبت وفق عادات العصر ومألوف عرفه ، أو بغرض المحافظة على الانساب والسلالات .. أما هذه فقد سعت الى الخطيئة سعيا لا يبرره عندها الا أن الفتى يوسف « كان حسن الصورة وحسن المنظر » فرفعت امرأة سيده عينيها اليه وقالت : اضطجع معى » .. ورغم ضعف وتسامح مقاييس الاخلاق

فى تلك العصور ، وخاصة فى مصر الفرعونية ، ورغم طفرة انتقال يوسف من حياة البادية الى حياة القصور والمدنية بذخها ومباهجها ، فقد أبى يوسف واستكبر واجابها مستنكرا « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء الى الله ؟ » .. ولكنها لم تيأس بل عاودت الكرة معه فى مناسبة أخرى حين « دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن انسان من أهل البيت هناك، فأمسكته من ثوبه قائلة اضطجع معى ، فترك ثوبه فى يدها وهرب الى خارج » .. وهذا الفرار يدلنا على قوة خلق لا زيف فيها عند يوسف . والفتى وان نجا من الغواية لم ينج من الانتقام ، ولعل زوجة فوطيفار أول مثل نعرفه يصور ثأر المرأة لحبها المرفوض ، وتحول الحب فى قلبها الى مقت هائل مخيف جعلها تفترى عليه فتقلب الوضع .. وتنادى أهلها لتقول لهم حانقة « انظروا .. دخل الى ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم ، وكان لما سمع انى رفعت صوتى وصرخت انه ترك ثوبه بجانبى وهرب » .. وزج بالمسكين فى السجن !

فالقصة اذن انما هى قصة الغواية الخالدة فى أبشع صورها .. والمرأة اذن انما هى نموذج لشخصية نسائية عرفت فى جميع العصور ، وعاشت يومئذ كما عاشت فى عصور الامس القريب ، وكما تعيش اليوم ، وستعيش غدا ..

٧ ـ ابنة فرعون

أما ابنة فرعون فهى من أجمل نماذج النساء وأحبها الى القلوب ، وهى من زوجة فوطيفار بمثابة النقيض من النقيض ، رغم ان كليهما مصرية ، فبينما الاولى تصور الانوثة فى عنفوان طغيانها ، ترى هذه تصور الانوثة فى رقة حنانها .. فتعوضنا عن ظلام الصورة الاولى نورا وسناء

كان قد مضى على حوادث القصة السابقة اربعمائة عام ، مات فى أثنائها يوسف مكرما ـ بعد ان تسنم فى مصر قمة المجد ـ فحنط ودفن فى قبر منقوش يليق به ، كقبور ملوك مصر ونبلائها .. وتوالد أبناء اسرائيل وتكاثروا فامتلأت البلاد بهم ، حتى أضحوا خطرا يهدد المصريين فى وطنهم ، فلما تولى عرش الفراعنة ملك قوى الشكيمة ـ تدل الدلائل كلها على انه البطل الحربى المغوار رمسيس الثانى ـ أصدر أمرا باغراق كل طفل ذكر يولد لبنى اسرائيل !.. ولكن امرأة من اليهود « ولدت ابنا ، فلما رأته حسن الصورة خبأته ثلاثة أشهر . ولما لم يمكنها ان تخبئه بعد ، أخذت له سفطا من البردى وطلته بالحمر والزفت ، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر . ووقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به .. فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل ، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها واخذته ، ولما فتحته رأت الولد واذا هو صبى يبكى ، فرقت له ، وقالت هذا من أولاد العبرانيين .. فقالت اخته لابنة فرعون هل اذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد . فقالت لها

اذهبي بهذا الولد وارضعيه لى وأنا اعطيك اجرتك . فأخذت الولد وارضعته . ولما كبر الولد جاءت به الى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه « موسى »

ولو تابعنا التاريخ بعد ذلك لرأينا ابنة فرعون تدخل موسى معبد الشمس بهليوبوليس ـ احدى كليات الدين بمصر القديمة ـ ولرأينا الكاهن الشاب يتردد على المعبد يوميا ليتعلم حكمة المصريين !..

٨ ـ راحاب

وعاش موسى حتى اخرج بنى اسرائيل من أرض مصر ، ثم مات فخلفه فى تزعمهم « يشوع » ، وأخذ هذا يتهيأ لقيادة شعبه الى « أرض الموعد » .. وفى وسط احدى غابات النخيل المتناثرة فى وادى الاردن كانت مدينة أريحا ـ قبلة يشوع الاولى ـ رابضة فى عقر أسوارها الشاهقة ، تتحدى الغزاة .. فكان لا بد أن يمهد يشوع لهجومه بحملة استطلاعية « فأرسل جاسوسين قائلا اذهبا أنظرا الارض وأريحا فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها « راحاب » ، واضطجعا هناك ، فقيل لملك أريحا هو ذا قد دخل الى هنا الليلة رجلان من بنى اسرائيل لكى يتجسسا الارض ، فأرسل ملك اريحا الى راحاب يقول أخرجى الرجلين اللذين أتيا اليك .. فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت .. لست اعلم أين ذهب الرجلان .. اسعوا وراءهما حتى تدركوهما .. الخ »

وهكذا ضللت راحاب رسل الملك ، فلما انصرفوا عادت الى الطريدين ترجوهما ان يقابلا صنيعها بصنيع مماثل فيساعداها على حمايتها وبيتها من الهلاك عند وقوع الغزو المنتظر ، فأقسما لها .. وحين هدأ كل شىء ، ونامت أريحا ، واتشح القمر بالغمام ، برز الجاسوسان من مخبأهما بين عيدان الكتان اليابس وانزلقا على حبل الى خارج اسوار المدينة المحصنة ، ثم مضيا محتمين بظلال التلال المتناثرة .. الى حيث كان ينتظرهما جيش يشوع

وتم الغزو .. ووفى يشوع بالوعد الذى قطعه جاسوساه لراحاب فحماها واهلها من الهلاك . أما ما وقع لها بعد ذلك فلم تعرض له التوراة ، واختلفت فيه الاساطير والروايات فقال البعض ان يشوع قد تزوج منها .. بينما قال آخرون ان الذى تزوج منها أحد جاسوسيه وليس هو ..

وأما سور أريحا فقد تهدم واندكت معالمه ، فلم يبق منه اليوم غير حطام متناثر هنا وهناك ، وغير بقايا بيت لم يصبه من الدمار ما أصاب غيره ، مما دعا بعض ذوى الخيال الخصب الى الزعم بانه بيت راحاب !

تلك هى قصة راحاب .. وان المرأة المغامرة التى قامت بذلك الدور الماكر الجرىء فى حرب يشوع منذ آلاف السنين ، لهى نموذج خالد لكثيرات من النساء اللواتى قمن بالدور ذاته فى مختلف الحروب .. وآخرها حرب تحرير أوربا فى سنة ١٩٤٤

٩ ـ راعوث

« ثم صار جوع فى الارض فذهب رجل من بيت لحم ليتغرب فى بلاد موآب هو وامرأته « نعمى » وابناه .. فأتوا الى بلاد موآب .. ثم مات رجل نعمى وبقيت هى وابناها فأخذا لهما امرأتين موآبيتين اسم احداهما عرفة واسم الاخرى « راعوث » واقاما هناك نحو عشر سنين ثم ماتا كلاهما .. » فانفردت الحماة مع زوجتى ابنيها فى « بلاد الغربة » ـ وان تكن « موآب » لا تبعد عن بيت لحم اكثر من ٣٠ ميلا ! ـ فاعتزمت نعمى ان تعود الى موطنها الاصلى ، وان تترك الارملتين تستمتعان بشبابهما فى احضان زوجين آخرين ، فودعتها « عرفة » بقبلة وهى تبكى ، أما « راعوث » فتعلقت بحماتها وهى تفوه بأبلغ عبارة حب ووفاء سجلها أدب من الآداب فى مثل ذاك المقام « لا تلحى على ان اتركك وأرجع عنك لانه حيثما ذهبت أذهب وحيثما بت أبيت . شعبك شعبى والهك الهى . حيثما مت أموت وهناك أندفن .. انما الموت يفصل بينى وبينك » .. وهكذا رحلت الاثنتان معا الى بيت لحم، فدخلتاها فى موسم حصاد الشعير . وتطوعت راعوث بالعمل فى الحقل مع الحصادين لمساعدة حماتها العجوز المنكوبة .. ولا شك ان صورتها وهى مرهقة تكد بين اجران الغلال غارقة فى دمعها ، لهى صورة خالدة تحرك الاشجان

وفيما كانت راعوث تتبع الحصادين ذات يوم ، وتلتقط الفتات الساقط منهم لتنال أجرها عنه ، رآها « بوعز » صاحب الحقل فسأل عنها وعرف ما كان من أمرها . وكان بوعز رجلا غنيا يمت بالقربى لزوج نعمى المتوفى ، فرق لحال الارملة الشابة وطيب خاطرها ثم أوصى الحصادين بها خيرا . وكان العرف فى تلك الايام ان من يموت زوجها دون ان تنجب منه نسلا تكون لاخيه أو أقرب أقربائه حتى تنجب منه نسلا للزوج الذى مات !.. فلما علمت نعمى بما كان من بوعز مع راعوث أوعزت الى هذه أن تغتسل وتتعطر وتتسلل الى فراش بوعز وهو نائم .. ففعلت راعوث ما أوصتها به حماتها ، ولكن الرجل تحرج عن أن يقربها وصارحها باعتقاده فى أن هناك من هو أقرب اليها منه ، وأحق بها ، فلما تنازل له ذاك فى اليوم التالى عن أولويته ، أمام شهود من شيوخ البلدة ، اتخذ بوعز راعوث زوجة له ، فأنجبت منه ابنا « فأخذت نعمى الولد ووضعته فى حضنها وصارت له مربية »

هذه قصة راعوث ، التى جعلت منها نموذجا فريدا فى تاريخ النساء .. نموذج المرأة التى تفانت فى محبة شخصية يغالى المجتمع دائما فى كراهيتها والتمثيل بها فى معرض السخرية، وهى شخصية الحماة . وما من أدب من الآداب غير التوراة ، جرؤ على تصوير الوفاق بين امرأة وحماتها على هذا النحو النادر الفريد . فراعوث ، وان لم تكن خارقة للطبيعة ، الا انها شخصية أقل ما يقال فيها انها غير عادية ، وان الانسان ما كان ليعرف عن الطبائع البشرية الا القليل لو لم يصادفها فى زوايا التاريخ حيث هى .. وحيث تستمد التوراة من

خصالها ـ طيبة القلب وكرم النفس وجمال الروح ـ فيضا من النور تسلطه على صورتها.. فيضعها بين الخالدات !

١٠ ـ دبورة

تقف « دبورة » فى معرض النماذج البشرية ، وستقف الى الابد ، نموذجا للمرأة التى تحرز لنفسها البطولة الفذة فى دور من ادوار الرجال ، هو دور التزعم وقيادة الشعب فى أحرج المحن التى تتعرض لها الاوطان ، وحين تتخاذل عن مواجهة الخطر عزائم الرجال، فينطلق فى اعماقها صوت يهيب بها ان تهب لدعوة مواطنيها الى مواصلة الحرب والنضال.. فهى النموذج الذى صيغت على مثاله « جان دارك » وغيرها من بطلات التاريخ

عاشت دبورة ـ كما يرجح السير تشارلس مارستون ـ فيما بين عامى ١١٩٤ ، ١١٥٤ قبل الميلاد . وكانت قاضية بنى اسرائيل ـ فهى أول امرأة تولت منصب القضاء ـ فكانت تجلس فوق جبل « افرايم » تحت نخلة تعرف باسمها ، فيصعد اليها المتنازعون من بنى اسرائيل كى تقضى بينهم . وكانت شخصيتها القوية وايمانها بالله وثقتها بالمستقبل ، ثم احتقارها الفطرى للضعف والخور والتخاذل ـ قد جعلت منها ملكة اسرائيل غير المتوجة.. فلما هاجم الاسرائيليون ارض كنعان ، المتقدمة عنهم فى المدنية ، فعجزوا عن السيطرة عليها رغم ما ارتكبوه فى غزوهم من حرق وتدمير وسلب ونهب ، تصدى لهم قائد الاعداء « سيسرا » بجيشه المدرب المكون من تسعمائة مركبة حديدية حربية ، وظل مدى عشرين عاما يصليهم نارا حامية جعلتهم أبدا فريسة الرعب والقلق ، فاستدعت دبورة أخيرا من رأته أجدر رجل فى قومها بمحاربة سيسرا ـ ويدعى باراق ـ وقالت له «اذهب وازحف الى جبل تابور وخذ معك عشرة آلاف رجل .. فقال لها باراق : ان ذهبت معى أذهب ، وان لم تذهبى معى فلا أذهب . فقامت دبورة وذهبت مع باراق » .. فاتجهت « مشاة » دبورة نحو حشد مركبات الكنعانيين .. وهنا حدثت المعجزة ، فقد انهمر سيل من المطر الغزير وهب اعصار شديد فى وجوه الكنعانيين فغرقت مركباتهم فى الوحل ، حتى قيل « لكأن النجوم فى مساربها حاربت ضدهم » .. وعندئذ كر عليهم الاسرائيليون ففر القائد سيسرا هاربا على قدميه كى يلاقى حتفه غيلة بيد امرأة بدوية استضافها فقتلته وهو نائم فى خيمتها. وكان ذلك بداية فترة سلام دامت اربعين عاما

١١ ـ دليلة

أما دليلة فهى نموذج المرأة التى تتسلل الى ثقة الرجل حتى تتمكن منها ، تحت ستار الحب ، وتعرف أسراره .. فتبيعها لاعدائه !.. فهى المرأة التى خلقت من البداية كى تحطم جبابرة الرجال أمثال « شمشون » . والنساء اللاتى تصوغهن الايام على قالبها كثيرات تشاهد أمثلة منهن كل يوم فى دور المحاكم والبوليس وعلى شاشة السينما فى القصص المثيرة ، وكلما خانت امرأة عاشقا تطارده العدالة !

كانت دليلة آخر من أحب شمشون من نساء فلسطين . وكان شمشون مستهترا غريب الاطوار ، يمزح مع الناس ويسألهم الاحاجى والالغاز ، ثم يذبحهم فى احتقار بواسطة عظمة « فك » الحمار !.. أو بربط المشاعل فى ذيول الثعالب ثم يطلقها على حقول الفلسطينيين فتحرق الزرع والضرع !.. ولا يكف عن مغامراته الغرامية فى مدن فلسطين ومع غوانيها ، فاذا كمن له أعداؤه عند باب المدينة كي يقتلوه « أخذ مصراعى باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها الى رأس الجبل » !

« ثم حدث انه أحب امرأة فى وادى سورق اسمها دليلة، فصعد اليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها تملقيه وانظرى سر قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه لكى نوثقه لاذلاله ، فنعطيك كل واحد ألفا ومئة شاقل فضة » .. فاحتالت عليه دليلة كي تعرف سره ، ولكن يبدو ان شمشون كان يشك فى نواياها فقد خدعها ثلاث مرات واحبط تآمر أعدائه على حياته ، ولكن « لما كانت تضايقه كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه الى الموت فكشف لها كل قلبه وقال لها .. ان حلقت رأسى تفارقنى قوتى وأضعف وأصير كواحد من الناس » .. فدعت أقطاب الفلسطينيين وبعد أن قبضت مكافأتها منهم « أنامت شمشون على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه ففارقته قوته .. وانتبه من نومه فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به الى غزة .. وأوثقوه بسلاسل نحاس » ثم أجبروه ان يدير طاحونة السجن بيديه . ثم أرادوا ان يحتفلوا بانتصارهم فأقاموا وليمة حضرها جميع أقطاب البلاد ونساؤهم وثلاثة آلاف رجل وامرأة غيرهم « ودعوا شمشون من السجن ليلعب أمامهم ، فدعا شمشون الرب وقبض على العمودين اللذين كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره ، وقال « على وعلى أعدائى يا رب » وانحنى بقوة فسقط البيت على كل الشعب الذى فيه فكان الذين أماتهم شمشون فى موته اكثر من الذين أماتهم فى حياته » .. وكانت دليلة قد اختفت بعد ان أدت مهمتها وقبضت الثمن ، كما تختفى مثيلاتها عادة !

١٢ ــ ميكال

يقول شوبنهور ــ وسائر أعداء المرأة ــ ان المرأة ، فى كل قصة حب، هى بمثابة الصائد. والرجل هو دائما الفريسة ! ولكن التاريخ يعطينا أمثلة ، لا حصر لها ، على ان الفرار ــ أو التظاهر بالفرار ــ هو عند المرأة من أمضى أسلحة المطاردة للرجل !..

ولعل أول نموذج فى التاريخ لامرأة تحقق نظرية شوبنهور ، هو نموذج « ميكال » ، الزوجة الاولى للملك داود ، والابنة الثانية للملك شاول . فهى ابنة ملك .. وزوجة ملك ! وهى أول امرأة من قافلة نساء التوراة كانت البادئة بالسعى وراء الرجل ، بل لعلها قد اختارت داود زوجا لها قبل ان يخطر ذلك على باله ، وحين كان على وشك الزواج من أختها الكبرى !.. فميكال أول امرأة من عابدات البطولة والابطال ، وقد أحبت داود

حبا مضطرما ، كما تحب فتيات عصرنا نجوم السينما ، وتتدلهن غراما بهم

كان داود قد دخل بلاط الملك شاول كبطل صغير وموسيقى بارع — وهى صفات أثبت التاريخ انها لا تقاوم فى بلاط الغرام ! — وكان ذلك عند ما ساءت معنوية شاول وعذبته الوساوس والشكوك ، فاستدعى راعى الغنم « داود » من فوق التل ، ومعه قيثارته ، كى يسرى عنه . ويمكننا ان نتصور ان ميكال قد هامت بداود منذ اللحظة الاولى ، حين رأت الفتى الجميل منحنيا على قيثارته يستعزفها أعذب الالحان . ولكن شاول سرعان ما صار يحقد على داود ويحسده ، حسد الشيخ الذى تدبر عنه الحياة للشاب المقبل على الحياة ، ومن ثم راح يدبر له المكائد الماكرة .. ومنها وعده اياه بتزويجه من ابنته الكبرى لو فاز فى معارك الحرب ، وكان يؤمل من وراء ذلك أن يغريه بالاستهتار فى القتال حتى يموت فى الميدان ! ولكن داود عاد من المعركة منتصرا ، حياء فخدعه الملك وزوج ابنته من آخر .

وتحقق حلم ميكال ففازت بداود ، وملكت بعد الزواج قلبه . ولكن مكائد أبيها ظلت تهدد حياة زوجها بالخطر ، فأعانته على الفرار من القصر فى أحرج لحظة .. واذ ذاك بدأت سنوات تشرده فى الصحارى والقفار ، انتظارا لموت شاول وعودته هو لتولى عرش اسرائيل . وكان لسنوات الفراق أثرها الطبيعى فى عاطفة الزوجين ، ففترت ، وتزوج داود من أخرى ، وتزوجت ميكال من آخر

ثم مات شاول أخيرا ، فأراد داود استرداد ميكال من احضان زوجها .. ولكن المرأة التى عبدت زوجها حين كان فقيرا مضطهدا ، احتقرته حين رأته يرقص أمام «تابوت الرب» وقد صار ملكا ! .. وأدرك هو بدوره ان التفاهم بينهما لم يعد ممكنا فتركها تلحق بزوجها ولكنه لم يصفح عنها . وهكذا اختفت من حياته .. ومن التاريخ !

١٣ — ابيجايل

كان داود يهيم مع رجاله على وجوههم فى الصحارى المجاورة لـ « الكرمل » يرتزقون من شبه ضريبة — من الغلال أو الصوف — يفرضونها على أصحاب المواشى فى مقابل حماية أغنامهم من اللصوص . فلما علم داود ان رجلا يدعى « نابال » يملك اربعة آلاف رأس من الماشية أرسل له عشرة من رجاله يطالبونه فى اسلوب مهذب بأجر حماية أغنامه ، فأهانهم الرجل .. وعز ذلك على داود فأمر بقتل نابال . وبلغ الامر مسامع زوجته « ابيجايل » فتوجست منه شرا واعتزمت التكفير عن حماقة زوجها فى الحال ، دون علمه ، فحملت هدية من الخبز والضأن والنبيذ والفطائر .. وسارت لمقابلة داود الغاضب !

وكان لقاء ليس أجمل منه لقاء : ملك اسرائيل المقبل ، برشاقته وكبريائه ، وابيجايل بحسنها وذكائها وانوثتها تجثو عند قدميه تلتمس منه العفو عن زوجها .. فكان أن أعجب داود بشهامتها واخلاصها لزوجها — رغم كونه شريرا عربيدا — فمنحها العفو الذى طلبته ، وعادت من حيث أتت .. أما هو فامتطى جواده ومضى ومعه رجاله يضربون فى الصحراء

ولكن حياة الزوج التى اشترتها ابيجايل من داود بماء وجهها ، لم تستطع ان تشتريها من بارئها ، فمات نابال بعد أيام . ولم يكد النبأ يبلغ « داود » حتى أحس بالاثر الذى تركه فى نفسه لقاؤه لابيجايل ، فأرسل يطلبها زوجة له .. وخفت هى اليه فرحة راضية

ولا نستطيع ان نتابع حياة أبيجايل فى « حرملك » الملك داود بعد ذلك ، فان التاريخ لم يرو لنا عنها مزيدا ، وكل ما نستطيع ان نستنتجه من انقطاع أخبارها انها قد شاركت زوجها فشله ونجاحه ، ثم ملكه وأمجاده . كما أن كل ما يملك المنصف ان يرجو لامرأة مثلها ـ كانت نموذجا للزوجة الفاضلة التى بادلت زوجها السكير شرا بخير واساءة باحسان ـ أن تكون قد وجدت فى كنف ملك اسرائيل السعادة التى تستحقها ..

١٤ ـ ملكة سبأ

ويسميها العرب « بلقيس » ، والاحباش « ماكيدا » .: ويتنازع الفريقان مملكتها ، فيزعم الاولون انها كانت جزءا من جزيرة العرب ، ويزعم الآخرون انها كانت جزءا من بلادهم .. بل يغالى الاحباش فيرجعون سلالة سلف ملكهم الحالى الى ابن تقول الاسطورة ان الملكة أنجبته من « سليمان الحكيم » .. حين حجت الى بلاطه فى تلك الزيارة التى تعد من أخلد الزيارات الغرامية فى التاريخ

كان ذلك حين ذاع صيت الملك سليمان فى أركان الارض ، وصارت مئات القوافل التى تجلب له ثرواته مما وراء البحار تعود الى بلادها حاملة أنباء بذخه وترفه وحكمته «وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان .. فأتت لتمتحنه بمسائل . أتت الى أورشليم بموكب عظيم جدا .. حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وحجارة كريمة .. وكلمته بكل ما كان بقلبها .. الخ » وتقول احدى الاساطير التى راجت عنها انها لم تتزوج قط بسبب عاهة فى جسمها جعلتها « شديدة الحساسية »!..وان احدى ساقيها كانت مغطاة بطبقة من الشعر الغزير ، فلما سمع سليمان بقصتها أراد التحقق منها بحيلة ماكرة من حيله . أمر بحفر قناة مائية أمام غرفة عرشه .. حتى اذا ما همت الملكة بعبورها اضطرت الى رفع ثيابها وكشف ساقيها . فلما حان يوم الزيارة جلس سليمان على عرشه يرقب اقتراب الملكة ، فما ان بلغت هذه القناة حتى ترددت برهة ثم رفعت ثوبها وعبرت القناة ، وفى تلك اللحظة الخاطفة لمح سليمان ساقيها فاذا واحدة طبيعية والاخرى مشوهة .. ولكنها لم تكد تعبر القناة حتى رأى الساقين وقد صارتا كلتاهما طبيعية ، فقد خطت الملكة دون قصد على قطعة من « خشب الجنة » فبرأت من عاهتها !.. وتزعم الاسطورة ان ملكة الجنوب الفاتنة قد مكثت فى بلاط سليمان ثلاثة أشهر كاملة ، تصغى الى حكمته وتعاليمه .. ثم عادت الى وطنها

فلنودع صورتها قبل ان تختفى قافلتها وراء أفق التاريخ : صورة المرأة الجميلة الرقيقة، الغنية المثقفة ، التى ستظل أبدا رمزا للظمأ الى المعرفة ، الذى تشتعل ناره فى قلوب الملوك كما فى قلوب الرعايا .. بل المرأة التى كانت ذكراها مصدرا أوحى بعشرات من الاساطير

والقصائد والالحان ، والتى ما زالت ـ رغم حداثة التاريخ عهدا بهـا نسبيا ـ أقرب الى شخصيات الخيال وأبعد عن التصور ممن يفقنها عراقة فى القدم ، مثل سارة ورفقة وراحيل!

١٥ ـ ايزابل

كان مجد سليمان قد بنى على الرق وابهاظ كاهل الاهلين بالضرائب ، فهو ـ كما قال ستانلى ، ـ المثل الخالد فى التاريخ لاجتماع العبقرية والاجرام فى رجل واحد ، فكان ان سادت عصره موجة من المظالم الاجتماعية والحرب العنيفة بين الطبقات .. فلم يكد يموت حتى انقسمت مملكته الى مملكتين: الاولى مملكة اسرائيل فى الشمال وعاصمتها «السامرة»، والثانية مملكة الجنوب وقد بقيت عاصمتها أورشليم موالية لنسل داود . فلما تزوج آخاب ملك اسرائيل من ايزابل ابنة ملك فينيقية توطد التحالف بين المملكتين ..

وكانت ايزابل قد ورثت عن أبيها قسوته وتجرده من الضمير ، الخلق الذى توضحه حادثة « نابوت البزرعيلى » المشهورة . كان نابوت يملك كرما يقع فى أرض مجاورة لقصر الملك فأراد الملك شراء الكرم كى يضمه لاملاكه ، ولكن صاحبه رفض بيعه ، حرصا منه على ميراث أجداده ، فقدر الملك عذره وكف عن مساومته .. فلما سمعت ايزابل بالامر دبرت لصاحب الكرم من اتهمه زورا بالتجديف على الله والملك ، فسيق المسكين الى خارج البلدة ورجم بالاحجار حتى مات .. واثارت الجريمة رعبا فى أنحاء المملكة ، وبلغت مسامع النبى « ايليا » فتنبأ لايزابل بأن الكلاب ستمزقها عند سور كرم نابوت .. وتحققت نبوءته، بعد أن سامت المملكة العسف والهوان أكثر من عشرة أعوام ، بغت فيها وطغت ما شاءت لها طبيعتها الشريرة ، حتى انها لم تتورع عن اضطهاد الانبياء ورجال الدين وطردهم من البلاد لاحلال كهنة الاوثان مكانهم .. ومن هذه الناحية تعتبر ايزابل أول مضطهدة دينية فى التاريخ

وأخيرا حانت وفاتها ، التى تعتبر حدثا من أفجع أحداث التوراة . كانت ايزابل تطل من برج قصرها ، حين رأت مركبة عدوها الفارس المغوار « ياهو » مقبلة على القصر تنهب الطريق بسرعة جنونية ، فأدركت الملكة ان أجلها قد دنا ، فتزينت وارتدت أبهى ثيابها ، كى تموت فى أبهة ملكها ـ كما فعلت كليوباترا ـ ثم كحلت عينيها ووضعت تاجها على رأسها .. وعادت الى النافذة . وكان ياهو قد بلغ باب القصر ، وابصر اثنين من الخصيان يقفان الى جوار الملكة فصاح فيهما « اطرحوها ! » فأمسك بها الخصيان وطرحاها من النافذة أمام مركبته ، فسال دمها على سور الكرم وخضب الجياد .. ثم وطأها ياهو بقدميه و «دخل وأكل وشرب ثم قال افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها .. ولما مضوا ليدفنوها لم يجدوا منها الا الجمجمة والرجلين وكفى اليدين ! »

وهكذا ماتت الباغية ، بعد ان لطخت صفحة تاريخها السوداء بأفظع الآثام .. وان صحائف التاريخ لتثبت انها كانت نموذجا لكثيرات غيرها ، جئن بعدها ، فان خلف كثير من

أبشع جرائم العالم تقف امرأة كايزابل تستحث حاكما ضعيفا على ارتكاب آثام لم يكن هو ليجد قط الجرأة على ارتكابها !.. أما فى عالم الادب فنستطيع ان نجد لايزابل قرينة ، فى شخص « الليدى ماكبث » بطلة رواية شكسبير المعروفة بهذا الاسم ..

١٦ - إستير

وكما نقلتنا زوجة فوطيفار وابنة فرعون من صحارى فلسطين الى بلاط ملك مصر ، تنقلنا استير من «أرض الموعد» عبر مئات الاميال الى بلاد غريبة ذات عادات وتقاليد غريبة ، والى بلاط غريب . هو بلاط ملك الفرس « احشويرش » .. حيث نرفع النقاب عن وجه التاريخ ، فنرى شيئا غريبا .. نرى سلفا لهتلر يكره اليهود ويعتزم استئصال شأفتهم .. نرى « هامان » رئيس الوزراء يطلب من مولاه الاذن بابادة اليهود من مملكته ، فيأذن له الملك ويسلمه خاتمه للتنفيذ .. وهنا تقتحم مسرح الرواية شخصية جديدة ، هى الملكة استير ، فتغير مجرى الاحداث .. وتكتب لنفسها اسما خالدا فى سجل تاريخ جنسها المفجع

كانت استير يتيمة ذات جمال وجاذبية ، نشأت فى كنف رجل عجوز عرف بالحكمة والسداد هو « مردخاى » .. وكان الملك قد أقصى زوجته « وشتى » عن الملك بتهمة عصيانه وأراد اختيار أخرى تخلفها على عرش قلبه وبلاده ، فراح يستعرض عذارى الفرس حتى صادف استير ، فصادفت هوى من نفسه ، ونصبها ملكة على فارس ، وهو لا يعلم انها يهودية ..

ومرت تسعة أعوام ، فأعلن « هامان » الحرب على اليهود وأصدر من الملك أمرا بذبحهم عن بكرة أبيهم .. فخف « مردخاى » الى استير يرجوها أن تشفع لشعبها لدى زوجها الملك !.. فهل كانت اليتيمة ذات المنبت الوضيع قد تغيرت ، وأبطرتها النعمة ، فنسيت مربيها وشعبها المنكوب ؟ .. كلا .. وهنا يبدو جمال وقوة شخصية استير ، الشخصية التى قامرت بمجدها ، وعرشها ، بل وبحياتها ، لانقاذ شعبها ! ومن ثم رأيناها ، فى دهاء المرأة ، تعد للملك ورئيس وزرائه وليمة فاخرة ، دامت يومين وليلتين ، ثم تنتهز فرصة انشراح الملك فى الليلة الثانية فتستدر عطفه وعاطفته نحوها ، حتى اذا ما وثقت من تسلطها على قلبه كشفت له عن سرها وقالت له : ان هناك رجلا من رعاياه يعد العدة لقتلها وقتل شعبها .. فيسألها الملك ، والشرر يتطاير من عينيه ، عن اسمه ومكانه .. فتشير الى « هامان » !.. ويخر رئيس الوزراء جاثيا ، ملتمسا العفو عنه ، ولكن الملك يأبى ، ويأمر بشنقه .. وبالعفو عن شعب اسرائيل !

فاستير من أحب النماذج النسائية الى القلوب ، كبطلة وطنية انقذت شعبها من مذبحة بشعة .. وكامرأة نادرة الخصال ، انسانة نبيلة لم تفسدها الثروة ، والسطوة ، والجاه

حلمى مراد
المحامى

«رب فرد فى الامم الحالية أبر من أمثاله اليوم ، ورب جماعة أعدل من نظرائها فى هذا الزمان، ورب أمة ماضية أرشد من أمم حاضرة. ولكن العالم فى جملته اليوم أقرب الى انصاف الضعفاء والبر بالفقراء»

القوى والضعيف أمس واليوم

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام

ما زال الانسان منذ كان على هذه الارض ، نزاعا الى الاستعلاء ، طماحا الى التغلب والقهر ، تواقا الى التسلط والاستئثار . وهو فى هذه النزعات يجور على غيره فيحرمه حريته ليفسح سلطانه ، أو يقتر عليه فى رزقه ليوسع غناه ، أو يسخر جسمه وفكره ليستمتع بالرفاهية والزينة والابهة . ذلكم فى جبلة الانسان ، الا أن يهذبها فكر وعلم وتربية . ويعرض لهذه الجبلة نزاع يضرم الغيظ ، وغيظ يؤرث الحرب ، وحرب تحيل الانسان حيوانا مفترسا سفاكا للدماء ، مدمرا للعمران ، ثم مسخرا للانسان مستعبدا اياه ، يسومه الذل ، ويكلفه ما يطيق وما لا يطيق

وبهذا كانت فى تاريخ البشر صحائف دامية تسجل على الانسان ما لا يلائم انسانيته من جور وبطش وتجبر ، ومن افساد فى الارض وتخريب . يصدق قول القرآن الكريم فى قصة خلق آدم : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ »

فهل اختلفت سيرة البشر على مر العصور ؟ هل انتصف الضعيف من القوى ؟ بل هل أخذ ينتصف لنفسه ، وهو راج هذا الانتصاف صائر اليه ؟

الحق أن الناس قد دعوا الى البر بالضعيف ، وانصاف المظلوم فى كل الاجيال . وبروا الضعيف ، وأنصفوا المظلوم أحيانا كثيرة . وان كثيرا من الكبراء والملوك وأولى السيطرة ضربوا — فى البر والانصاف والاحسان الى الفقير ، والاخذ بيد الضعيف — أمثالا خلدت فى التاريخ ، وأثرها الاخلاف عن الاسلاف . ولكن بجانب العدل والاحسان والبر ضروبا من العسف غالبة ، وسننا من الجور مسيطرة ، بل فوضى فى معاملة الضعيف مشهودة

ولا تزال هذه الامثال الرحيمة ، وهذه المظالم الفظيعة شائعة بين الناس فاشية فى أقطار الارض

فالتاريخ منذ وعى سيرة الانسان ، سجل بطش القوى بالضعيف ، وعدوان الغنى على الفقير . كما سجل دعوة الوجدان الانسانى الى البر والرحمة ، واستجابة كثير من الناس

ملوكا وسوقة لهذه الدعوة . فهل الضعيف اليوم أعظم في النصفة أملا ، وأقرب الى العدل مكانا ، وأدنى من الانصاف منالا ؟

أرى أن الامم افترقت في سيرها ، وأفراد كل أمة اختلفت في أعمالها . وأرى أن معاملة الضعيف حسنت وساءت ، وتقدمت الاجيال الى الانصاف حينا وتقهقرت حينا ، ولكن سير البشرية العام أدنى الضعيف اليوم من آمله وقرب اليه مقاصده

الوجدان البشرى في هذا العصر أكثر تقديرا لحقوق الناس ، وأشد احساسا بآلام الضعفاء ، وأعظم استنكارا للمظالم ، ونفورا من العسف . وما هذه الضوضاء الصاخبة ، وهذه الشكوى الصاعدة ، وهذا الاستصراخ المتواتر الا شعور الناس بالعدل ، وقدرة الضعيف على الشكوى وقوة المظلوم على التظلم

ولايذكرني القارىء بهذه الحروب الطاحنة، والعذاب الذي صب على الناس في ديارهم ، وهذه الفتن الثائرة ببني آدم في كل قطر من أقطار الارض . فليس هذا كله صولة القوى بالضعيف ، ولا بطش القادر بالعجز ، بل هو في معظمه تصادم القوى بالقوى ، وتناحر الغنى والغنى ، ودمدمة الامم العاتية على الامم العاتية . هو شر مستطير ، وعذاب أليم ، وقسوة تقشعر لها الجلود ، وتستطير لها الافئدة ، ولكنها ليست حربا بين الاقوياء والضعفاء

***

وان يجادل أحد في أن وجدان البشر اليوم أكثر يقظة ، وأوفر شفقة ، وأعظم نفورا من القسوة .. فما أحسبه يستطيع الجدال في أن البشر قد اخترعوا من النظم ، وسنوا من القوانين ، ما جعلهم أقدر على تحقيق ما صبت اليه البشرية منذ حدث عنها التاريخ — تحقيق ما دعا اليه الانبياء والاتقياء والصالحون في كل عصر وكل أرض من العدل والرحمة

فان لم يكن الناس اليوم أرق احساسا ، وأسمى شعورا ، وأكثر ادراكا للعدل والجور ، فهم اليوم ، لا محالة ، أقدر على بلوغ ما دعا اليه الاولون والآخرون من الخير والحق

كان بر الناس في العصور الخالية دعوة نبي تعمل عملها في نفوس دون نفوس وفي أقطار دون أقطار وعصور دون عصور ، أو مرحمة ملك صالح يخلفه خليفة مفسد ، أو احسان رجل فاضل تتناول قليلا ممن حوله ثم تزول ، فاهتدى الناس الى قوانين هي أثبت على الحوادث ، ونظم هي أدوم من الاشخاص ، وسنن في البر أعم وأبقى

أنظر الى ما هيىء للضعيف من حماية القوانين ، وما هيىء لهذه القوانين من نفاذ وشمول . وانظر الى ما يسر للفقير من وسائل لتعليمه ومداواته ، وتمكينه من الاستمتاع بالعيش ، انظر الى المدارس والمستشفيات والملاجىء ، ونحوها من وسائل العناية بالفقير ، والاخذ بيده . ولا تنظر الى هذه الوسائل في بلد واحد بل انظر الى أهل الارض جملة ، والى الامم قاطبة ، فسترى أن بعض هذه الوسائل كانت في القرون الغابرة ولكنها اليوم أعم وأوفى وأبقى ، وانها في ازدياد مطرد ، ونماء سريع

ثم انظر الى هذا التساند بين الفقراء والضعفاء فى الجماعات المختلفة والنقابات المتعددة ، بل انظر الى جدال الضعفاء عن أنفسهم بهذه الدعوة الاشتراكية ، وما نشأت من مذاهب ، وأورثت من نظم ، تجد تصديق ما أقول . ويزيدك تصديقا بما أزعم أن تتصور حال ضعيف فى أوربا فى العصور الوسطى أو قبل مائة عام وحال ضعيف فيها اليوم ، بل انظر الى ضعيف فى قرية من قرى مصر اليوم ، وتصور حال مثله قبل جيلين أو ثلاثة . تمثل مكان هذا الضعيف الاوربى من السادة ملاك القرى ، وأصحاب الاقطاعات . ثم انظر اليه اليوم فى حماية القوانين والنظم ، وكذلك قس حال الضعيف المصرى مع عمدة قريته أو كبير من كبرائها أمس واليوم

* * *

ثم تصور حال أمة مغلوبة فى القرون الخالية وأمة مغلوبة فى هذا العصر ، كلاهما حال سوء ذليل . ولكن المغلوبين فى هذا العصر أحسن حالا . هم يأملون فى الخروج من هذه المحنة يوما قريبا . وكانت نفوس المغلوبين وأموالهم وحرمهم فى الزمن الغابر نهبا مباحا . أنظر الى أسارى الحرب أمس واليوم ، كانوا من قبل يباعون فى الاسواق ، وتتقسمهم فجاج الارض ، ويحال بين الام وأطفالها الى غير لقاء ، وهم اليوم على الحال التى تعرف

لا أمارى فى أن الامم القوية تتحكم اليوم فى الامم الضعيفة ، وتحتال لاستغلالها ، وتخدعها عن استقلالها ، وتمنيها الأمانى الكاذبة ، وتعدها الوعود المخلفة . ولكن الامم القوية الماضية لم تكن فى حاجة الى احتيال ولا خداع ولا وعد ، بل كانت ترى كل ما تستطيع حلا لها . وكانت الامم الضعيفة لا تأمل فى الاستقلال أو الانصاف فلا تطالب ولا تستنكر ولا تشنع على غالبيها ، ولا ترفع شكواها الى جامعة من الامم منصفة أو جائرة ، ولا تحاج خصمها بالحق والقانون وهلم جرا

لا أزعم أن الضعيف قد انتصف ، والفقير قد اغتنى ، ولا أقول ان المساواة شملت الناس جميعا ، ولكنى أزعم ان العالم على علاته أقرب اليوم الى الانصاف . والامم الحاضرة ، على ما فيها من جور وظلم وخداع ومطال واخلاف ، وعلى ما فيها من عتو وتكبر وتجبر ، أقرب الى انصاف الامم الضعيفة ، وأكثر اذعانا للحق ، وخضوعا للقضاء به من الامم الماضية

وليذكر القارىء انى أحدث عن الامم فى جملتها ، والعصور فى عمومها ، ورب فرد فى الامم الخالية أبر من أمثاله اليوم ، ورب جماعة أعدل من نظرائها فى هذا الزمان ورب أمة ماضية أرشد من أمم حاضرة . ولكن العالم فى جملته أقرب الى انصاف الضعفاء والبر بالفقراء مما كان

عبد الوهاب عزام

لو فرضنا أن هيئة الامم المتحدة كانت قائمة قبل الحرب الاخيرة، فماذا كانت تفعل لمعالجة المشاكل السياسية الكبرى التي عرضت للدول؟ يجب عن ذلك « ألان نيفنز » استاذ التاريخ بجامعة كولمبيا بأمريكا بحثه الممتع التالي:

هيئة الأمم المتحدة .. .. وعصبة الأمم ..

كثيرا ما يتمنى الانسان لو بدأ حياته من جديد ، فيعالج أموره غير معالجته اياها، ويشكل حياته كلها تشكيلا جديدا . فهلا طبق أحد هذا الفرض على حوادث التاريخ وحياة الامم ؟ لنفرض أن العالم قد أتيحت له الفرصة ، لكي يحيا من جديد تلك الحياة التي عاشها في خلال العشرين سنة الاخيرة ، ولنفرض أن هيئة الامم المتحدة كانت قائمة في تلك الحقبة من الزمن ، وان الظروف التي تحيط بها كانت واحدة ، والمشاكل التي تواجهها ، هي التي برزت بالفعل في تلك السنين . فهل كانت تلك الهيئة تقدر على معالجتها بأحسن مما فعلت عصبة الامم ؟

سنورد في هذا البحث مسائل تاريخية واقعية ، ونرى كيف كانت هيئة الامم المتحدة تقف حيالها . وسنتناول تلك النظرية الغامضة ، نظرية منع الحروب ، التي أسست عصبة الامم ثم هيئة الامم المتحدة على أساسها ، لنرى كيف كانت هذه الهيئة الاخيرة ، تسير في سبيلها خطوة خطوة ، طبقا لميثاق الامم المتحدة الذي عقدته دول العالم

ولكي نجعل الفرض أقرب الى الواقع ، نطبق هذا الميثاق على مشكلتين تاريخيتين بدا عجز عصبة الامم حيالهما ، فكان ذلك من الاسباب التي مهدت الطريق للحرب العظمى الاخيرة : ونعني بهما مشكلة منشوريا التي قامت سنة ١٩٣١-٣٢ ، والحرب الايطالية ـ الحبشية التي وقعت سنة ١٩٣٥-٣٦

ففي المسألة الاولى : اعتدت اليابان على اقليم من أراضي الصين ، متحدية الرأي العام العالمي ، متجاهلة عصبة الامم ، ساخرة من ميثاق كيلوج ـ بريان ، وما لبثت حتى أنشأت مملكة منشوكو تحت حمايتها وسلطتها

وفي المسألة الثانية : اتهم موسوليني مملكة الحبشة بذنب ، كالذنب الذي ادعاه الذئب على الحمل ، وسرعان ما هاجم تلك الدولة الوادعة وغزا أرضها . ولما احتجت عصبة الامم عليه أعلن خروج دولته من عضويتها ، ولما فرضت الدول على ايطاليا عقوباتها الاقتصادية ـ بعد تردد ـ سخر منها موسوليني ولم يرجع عن عدوانه

ونرى في المسألتين ظواهر خارجية متشابهة ، ففي كل منهما دولة مصممة على الاعتداء

ودولة ضعيفة معتدى عليها ، ومجموعة من الدول تتخذ حيال ذلك تدابير ضعيفة أقرب الى « التهويش » منها الى الازعاج

وقبل ان نطبق الفرض الذى فرضناه على هاتين المسألتين ، نلقى نظرة سريعة على كيفية حدوثهما فعلا :

لماذا عجزت الدول عن اتخاذ تدابير فعالة ضد الدولة المعتدية فى كل من الحالتين ؟

فى مشكلة منشوريا كانت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة هما الدولتين المعنيتين بحماية الصين من العدوان ، غير ان كلا منهما أصرت على اتباع طريقة غير طريقة الدولة الاخرى : فاما بريطانيا فقد اعتمدت على عصبة الامم اعتمادا كليا . واما الولايات المتحدة فقد اتكلت على ميثاق كيلوج — بريان ، ومعاهدة الدول التسع — تلك المعاهدة التى قررت مثلا عليا دون أن تعد الاداة لتطبيقها

وكان كل من الولايات المتحدة وبريطانيا منقسمة انقساما داخليا فى هذا الشأن . فقد كان هنرى ستيمسون وزير الخارجية الامريكية مهتما أشد اهتمام بمسألة الصين ، ولكن الرئيس هوفر كان راغبا عن كل تدبير يمكن أن يؤدى الى نشوب الحرب . وفى الوقت نفسه كان الرأى العام الامريكى سيء الظن بعصبة الامم

ولما أرادت الولايات المتحدة ان تتخذ موقفا أدنى الى الحزم ، لم يرض السير جون سيمون وزير خارجية بريطانيا ان يسايرها فى ذلك ، وانتهى الامر الى سلسلة من التقارير الجوفاء ، والتهمت اليابان لقمتها سائغة ، وكان نجاحها فى اقتطاع منشوريا من الصين درسا فى العدوان وعته كل من المانيا وايطاليا

أما فى المشكلة الحبشية ، فقد كان الموقف يختلف عن ذلك فى بعض الوجوه : فان الدول التى يهمها الامر لم تكن مختلفة فيما بينها اختلافا خطيرا . أجل ان لافال — وزير خارجية فرنسا وقتئذ — كان قد أبدى بعض تعهدات خفية لايطاليا ، ولكن ارادة الحكومة الفرنسية غلبت ارادته . وهكذا وقفت بريطانيا وفرنسا والدول الاوربية الاخرى المنضمة الى عصبة الامم ، وقفة رجل واحد فى معارضة مآرب ايطاليا ، وكان بامكان تلك الدول مجتمعة ان تلقن موسولينى درسا ، من شأنه ان يخيف غيره كذلك ، وان يحول دون قيام حرب عظمى ثانية

ولكنها أخفقت فى ذلك اذ كانت فريسة وهمين تملكاها : فاولا اعتقدت تلك الدول ان العقوبات الاقتصادية الضعيفة سوف تكفى لردع ايطاليا ، ولكن هذه العقوبات فشلت فشلا ذريعا . ولم تجرب الدول العقوبات الاقتصادية القوية الفعالة مثل فرض الحصار الاقتصادى التام على ايطاليا ، لماذا ؟ لان مثل هذه العقوبات كان لا بد ان تظاهرها قوة عسكرية كافية ، وكان ذلك لا بد أن يؤدى الى وقوع حرب دولية . وكانت بريطانيا وفرنسا لا تباليان ان تخسرا بضعة ملايين من الجنيهات فى التجارة فى سبيل ارجاع ايطاليا عن شططها ، ولكنهما كلتيهما كانتا لا ترضيان بان تباشرا حربا بحرية فى البحر الابيض المتوسط ، ولقد وضع

بلدوين أصبعه على رأس الدمل حين قال : « ليس هناك من عقوبة فعالة لا تؤدى الى حرب »

أما الوهم الثانى فكان ماثلا فى نظرية التهدئة . . فقد حسبت الدول العظمى انها اذا سكتت أخيرا عن هذا العدوان المحدود النطاق ، وتفاهمت مع ايطاليا ، فقد تكسب موسولينى لصفها اذا وقفت أمام هتلر فى المستقبل ، وقد بدت حماقة هذا الوهم فيما بعد ، حين طعن موسولينى فرنسا من الخلف

والآن لنطبق ميثاق الامم المتحدة ونظامها على هاتين المسألتين : فما هو وجه الاختلاف؟ أول كل شيء نجد ان هيئة الامم المتحدة تضم جميع الدول العظمى ، على خلاف عصبة الامم التى كانت روسيا والولايات المتحدة خارجتين عن عضويتها منذ البداية ، فولدت كسيحة . أما الآن فليست هناك من دولة بعيدة عن هيئة الامم . وسيعد « مجلس الامن » قوة بوليسية دولية أقوى كثيرا من أية قوة يمكن ان تعدها دولة أو عدة دول معتدية ، فهو يمسك بعصا كبيرة على أهبة لان يهوى بها كلما استدعت الحال ذلك

والآن انظر الى عصبة الامم القديمة ، لقد كان بيدها وسيلتان لتأديب الدولة المعتدية ، الاولى اتخاذ عقوبات اقتصادية ضد أية دولة تنقض عهد العصبة ، والثانية الالتجاء الى القوة العسكرية بشروط معينة . وقد عقد الناس آمالا كبيرة على العقوبات الاقتصادية وظنوا انها ستكون وافية بالغرض ، ولما رأوا الوسيلتين المذكورتين قد وردتا فى بندين منفصلين من بنود عهد العصبة ، حسبوا ان كلا منهما تغنى عن الاخرى ، واعتقدوا أن وقف شحن الذخائر والمقاطعة التجارية بل والحصار البحرى عند الضرورة ، سوف تطبق كلها بدون الالتجاء الى تدابير عسكرية . وهكذا خدع الناس أنفسهم منذ البداية بأنصاف الحلول

وعلى العكس من ذلك نرى أن ميثاق الامم المتحدة جاء واقعيا حازما ، اذ يتضح منه انه كلما دعت الحال الى تطبيقه ، فانما يطبق بتدابير كاملة لا ناقصة ، فلمجلس الامن ان يطلب الى جميع الدول ان تقاطع أية دولة معتدية من حيث التجارة والعلاقات الدبلوماسية والمواصلات . ولكن ــ وهنا النقطة المهمة ــ ليس لمجلس الامن أن ينتظر حتى يستوثق من ان التدابير الاقتصادية وافية بالغرض ، بل عليه ان يتدخل دون ابطاء ، و « ان يتخذ من التدابير ، بواسطة القوات الجوية أو البحرية أو البرية ، ما يراه ضروريا لحفظ أو اعادة السلام والامن بين الدول » . وعلى جميع الدول المنضمة الى الميثاق أن تجعل قواتها الحربية على أهبة لتلبية نداء مجلس الامن . وهناك لجنة عسكرية مكونة من رؤساء أركان حرب الدول العظمى الخمس ، قائمة بشكل دائم ، ولها ان تؤلف لجانا فرعية فى مناطق مختلفة

وهكذا قرر ميثاق هيئة الامم المتحدة ، بشكل واضح ، ان التدابير الاقتصادية يجب ان تسير ، جنبا الى جنب ، مع الاستعداد لاستخدام القوات الحربية الساحقة دون ابطاء

***

وعلى ضوء هذه الحقائق نعيد النظر الى المشكلة الايطالية ـ الحبشية :

ايطاليا تسير جيوشها نحو حدود الحبشة متأهبة للغزو ، فتستغيث الحبشة بهيئة الامم المتحدة ، أو يباشر سكرتيرها العام هذه المسألة من تلقاء نفسه ـ وكان هذا لا يجوز تحت نظام عصبة الامم القديمة ـ ويعرض الخلاف توا على مجلس الامن ـ واعضاؤه ممثلون بشكل دائم فى مقر الهيئة ـ أو يعرض الخلاف على الجمعية العمومية ـ وأعضاؤها من جميع الدول المشتركة فى الهيئة ـ وعندئذ يصدر مجلس الامن أمرا الى كل من ايطاليا والحبشة يقول فيه : « لا تحركوا أية جيوش جديدة ، بل لتبق قواتكم حيث هى والا تطلق عليها النار »

فاذا أصاخت الدولتان لهذه النصيحة ، عرض الخلاف على المحكمة الدولية أو تقترح الجمعية العمومية للامم المتحدة حلا سلميا

ولكن لنفرض ان ايطاليا تغزو الحبشة فجأة ! عندئذ يصدر مجلس الامن دون ابطاء أمرا الى جميع الدول يقول فيه : « اقطعوا علاقتكم التجارية بايطاليا فى الحال ، وجمدوا أموالها التى فى بنوككم ، واقطعوا كل مواصلاتها مع بقية العالم سواء كانت بالسكك الحديدية أو الطرق البرية أو أسلاك التلغرافات »

وواضح أن معنى ذلك هو اشعال نار الحرب ، اللهم الا اذا خضعت ايطاليا توا ، وتسرع لجنة اركان الحرب الدولية الى وضع خطط للعمليات الجوية والبحرية والبرية . ويبادر أسطول الامم المتحدة ـ بقيادة قائد تختاره ـ الى محاصرة ايطاليا بحريا ، وتحلق طائرات تلك الدول فوق المدن الايطالية وتبدأ جيوشها فى الزحف اليها ، وتكون القوات الجوية هى البادئة بالقتال ، لان المادة ٤٥ من الميثاق تنص على ان تلك القوات تمد فى الحال بواسطة الدول المنضمة الى هيئة الامم المتحدة

حيال ذلك نحسب ان أى سياسى ، ولو كان بعقله خلل ، لا يجرؤ على محاربة العالم ، فان ذلك هو الانتحار لامته . وفى مثل هذه الظروف نحسب ان موسولينى نفسه كان يرضخ دون ابطاء !

واذا كانت الدولة المعتدية عضوا فى هيئة الامم المتحدة فانها لا تقدم على محاربتها الا اذا كانت احدى الدول العظمى تؤازرها . غير ان ذلك لن يحدث ، فان الدول العظمى الخمس ، على ما نأمل ، سيحدوها الرأى العام العالمى الى التزام الواجب نحو سلام العالم

على ان الوقاية خير من العلاج ، فعلى هيئة الامم المتحدة ان تعالج المشاكل الدولية قبل كل شىء ، ولا مراء فى ان معظمها مشاكل اقتصادية . ولقد كانت الحجة التى تذرعت بها ايطاليا لغزو الحبشة هى حاجتها الى المواد الخام ، والى أراض يستعمرها المهاجرون من الايطاليين الذين ضاقت بهم بلادهم . وتذرعت اليابان أيضا بمثل هذه الحجة عند اعتدائها على منشوريا

والواقع ان كل حرب سجلها التاريخ كان لها سبب اقتصادى . فكلما وجد قوم من

الاقوام انهم مهددون فى غذائهم خلقوا حجة للحرب والقتال

وقد تفطنت الامم المتحدة الى ذلك وعزمت على منع الاسباب الجوهرية للمنازعات بين الدول ، ومن ثم أخذت تقيم « المجلس الاقتصادى الاجتماعى » ، وجعلت فى مقدمة مهامه: عدالة توزيع موارد العالم ، فاذا كانت ايطاليا مثلا فى حاجة الى الفحم والبترول ، تعمل الترتيبات اللازمة لحصولها على كفايتها منهما فى مقابل بضائع فائضة تقدمها أو خدمات تؤديها . وسيتعاون هذا المجلس مع مكتب العمل الدولى والبنك الدولى للتعمير والهيئة الدولية للطيران المدنى والهيئة الدولية للتغذية والزراعة والوكالات الصحية الدولية ومع مكتب دولى سيقام للتعليم ، وغير أولاء من الهيئات الدولية الاقتصادية والاجتماعية

وعلى ذلك المجلس ان يقى الامم غوائل الازمات الاقتصادية ، وان يحمى الاقليات فى كل أمة ، وان يحول دون تضخم العملة فى أحد البلاد . وعليه كذلك ان يبحث فى دعوى اية دولة تزعم ان بلادها أضحت تضيق بساكنيها ، فاذا صحت لديه هذه الدعوى عمل على تيسير الهجرة الى احدى المناطق غير الآهلة

وليس لدولة ما حق ممتاز ولا مقعد دائم فى المجلس الاقتصادى الاجتماعى ، وتصدر القرارات بغالبية الاصوات ، ولكل دولة حق يماثل حق اية دولة أخرى دون نظر الى قوتها أو تعدادها . وللمجلس ان يبحث أية مشكلة ويضع تقريره عنها

وهناك اعتراض قد يردده البعض بشأن مجلس الامن نفسه وما قرره الميثاق من ضرورة اجماع آراء الدول العظمى الخمس الممثلة فيه كلما أريد اصدار قرار ما ، اذ يقول أولئك المعترضون ان معنى ذلك ان أية دولة يمكنها وقف اتخاذ أى قرار لا يرضيها . أجل ان هناك صعابا ، ولكن تلك القاعدة انما هى تقرير أمر واقع ، فان الدول العظمى الخمس لا يمكن ان ترغم على شىء الا بالمفاوضة والاتفاق فيما بينها

وقد اعترف عهد عصبة الامم بهذه الحقيقة الواقعة ، فكان أى قرار يصدره مجلسها فى المسائل الهامة انما يصدر باجماع الآراء ، حتى ان المندوب الامريكى ، الكولونيل هاوس ، اقترح عقب الحرب السابقة ان تقتصر العضوية فى عصبة الامم على الدول العظمى وحدها . وصرح أحد الساسة فى جنيف بانه لم ير قط أى نزاع يسوى الا بالاتفاق بين الدول العظمى . فالديكتاتورية المزعومة التى ينسبها البعض للدول العظمى انما هى شىء بديهى بل هى بمثابة قانون طبيعى فى العلاقات السياسية الدولية

وقد اعترف ميثاق الامم المتحدة بهذه الحقيقة . وما كانت روسيا لتنضم اليه لولا قاعدة اجماع الآراء هذه . كذلك ما كان مجلس الشيوخ الامريكى ليبرمه لولا تلك القاعدة

والنقطة المهمة فى الموضوع هى انه ما دامت هيئة الامم المتحدة تضم بين دفتيها جميع الدول التى من الدرجة الاولى ، وما دامت لا تتحرك الا باجماع الآراء ، فانها حين تقدم على حركة ما ضد احدى الدول فانما تقدم بقوات ساحقة . وفى ذلك سر قوتها ، كما ان فيه أمل العالم فى السلام العام فى المستقبل

(عن مجلة « مجازين دايجست »)

إسماعيل ..
يتحدث عن مصر عام ١٩٤٦

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

المؤرخ الحقيقى ما هو الا شاعر أو فنان ، ولا يستطيع أحد أن يضع حدا فاصلا بين عالم الخيال الذى يعيش فيه المؤرخ - اذ يريد أن يكتنه روح الحياة فى الماضى - وبين عالم الخيال الذى يعيش فيه الفنان اذ يريد أن يكتنه روح الحياة فى الحاضر أو المستقبل. فالمؤرخ الحقيقى هو الذى يستطيع أن يعاشر صور العصور الماضية ، ويندمج بينها كأنه أحدها ، يبصر بعيونها ويفكر بعقلها ، ويتطلع الى المستقبل من آفاقها . فالمؤرخ الحقيقى والشاعر الحقيقى يلتمسان المعانى الانسانية مجردة من الزمان والمكان ، فيبدو لهما الماضى والحاضر والمستقبل جميعا فى ميدان واحد وهو ميدان الحياة الانسانية

فالمؤرخ اذ يتحدث عن عظيم من العظماء أو عن عصر من العصور ، انما يعيش فى عالم من الصور يستطيع أن يحدثها وأن يجادلها وأن يصادقها وأن يترجم نظراتها وظلال مظاهرها بغير حاجة الى الالفاظ ، وهى هذه المصطلحات التى يلجأ اليها البشر فى حياتهم الدنيوية عند ما يكونون مقيدين فى حدود الجسد الفانى . فهذه الالفاظ التى نعبر بها نحن معاشر الأحياء ، ما هى الا رموز نستعين بها على كثافة المادة التى تقيد وجودنا . فالمؤرخ والشاعر والفنان لا يحتاجون الى هذه الالفاظ المحدودة ، اذا هم ركبوا أجنحة الخيال وحلقوا فوق عالم الجسد الى حيث يعيشون حينا فى عالم الصور الشفاف الأثيرى

هناك فى هذا العالم الفسيح لا توجد الا النفوس البشرية المطلقة من قيود الارض . وهناك لا تعرف الفروق ولا الحدود التى تقف فى هذه الدنيا حائلا بين الافراد والجماعات. فالمؤرخ اذا صعد الى ذلك العالم المطلق ، لا يجد حجابا يحول بينه وبين الملوك والعظماء ، ولا يحس فرقا يباعد بين الشرق والغرب أو الشمال والجنوب . فقد انفرطت فى ذلك العالم العلوى كل عقود الامم فصارت جميعها أمة واحدة هى الانسانية ، وزالت فيه فوارق الالوان واللغات والاديان ، وصارت الارواح كلها هناك وحدات متساوية من البشرية

وقد عكفت فى مطلع هذا العام الجديد على تأملى موغلا حينا فى حنايا الماضى ، ومستشرفا حينا الى حنايا المستقبل . فجلت جولة فى ذلك العالم الفسيح العلوى ، وطفت حينا فى ارجائه ، اتعرف الوجوه واستوحى نظراتها ولفتاتها . فهناك لقيت القادة والعظماء ، وتصفحت وجوه أكابر الادباء والعلماء ، والممت الماما بالاخيار الذين أمدوا الحياة الانسانية

بالمثل العليا ، واطلعت على الاشرار الذين مروا بالارض حينا ، كما تمر العاصفة الهوجاء .
وكنت فى تلك الجولة ، أثب على معالم الزمان والمكان . . فبينا أسير فى أقصى الشرق ، اذا بى أسير فى أقصى الغرب ، وبينا أحلق فوق بناة الاهرام ، اذا بى اضرب مع بحارة كولمبس فى عرض المحيط . وقد استوقفنى فى أثناء تلك الجولة منظر وجه عرفته ، وكان دائما يستوقف ناظرى ، وهو وجه اسماعيل خديو مصر وباعث نهضتها . وقد كان اسماعيل رجلا ، وكان فنانا ، وكان سياسيا ، وكان مصلحا . ونحن اليوم على عتبة عام جديد ، تحتاج الى الرجل والى الفنان والى السياسى والى المصلح

لقد كان اسماعيل فنانا ينحت من مصر صورة ، يريد ان يبدعها وفق المثل الذى فى خياله للوطن المجيد . وهو الذى وجه مصر الى ما اتجهت اليه فى هذه السنين الحديثة فى المدنية وفى الثقافة والسياسة . فلا عجب اذا تعلق به خيالى فى مطلع هذا العام الذى تتحرك فيه النفوس وتتساءل فيه العقول عن الوجهة التى نحن اليها سائرون

ولبثت أتأمل وجهه وهو هادىء لا يتعجل ولا يتبرم ، وجالت بنفسى أسئلة اتجهت بها اليه بغير ان انطق بلفظ . وكانت أسئلتى تتعلق بهذا العام الجديد الذى يطلع علينا ولا تدرى ماذا تخبىء لنا فى طياته المقادير . وكانت نظراتى تنم عن تساؤلى ، وكانت لفتات اسماعيل تجيب عما ثار فى ضميرى . وهأنذا أنقل هذه الترجمة الروحية

قلت : قد هل هذا العام على الارض بعد ان قضى البشر أعواما فى نضال وقتال . والانسانية تعلق أنفاسها اليوم فى انتظار ما يجىء لها هذا العام الجديد

فقال اسماعيل فى لفتة الروحية الصامتة :

ـ هذا هو عام جديد حقا يطلع على البشرية التى انتم منها يا بنى مصر . وأنا ألمح ما يدور فى نفوس أهل الارض من نوازع الى الخير ونوازع الى الشر ، ومن دوافع تمليها الانانية ودوافع يحتمها الطبع الانسانى . ولست أحس حيال ذلك كله الا السلام الشامل الذى يحيط بعالمنا هذا ـ عالم الصور والروح

فسألت بنظرة صامتة :

ـ أما يهمكم أمر هذه البلاد ؟

فقال بنظرة وديعة :

ـ أليست هى مولد جسدى ومغذاى ؟ أليست هى مسرح حياتى الاولى ؟

فقلت فى نظرة أخرى :

ـ وماذا ترى فى هذا العام الجديد ؟

فقال فى نظرة هادئة :

ـ انه دورة أخرى من دورات كوكبكم الصغير القديم ، فيه يولد لكم جيل جديد من الاحياء ويمضى عنكم جيل قديم ، تعود اجساده الى التراب . ويمضى تيار البشرية بعد ذلك فى سبيله المقدور فى القضاء

فسألته : أما ترى ثمة من جديد ؟

فقال بلفتة قصيرة الى الوراء :

ـ اننى لا أزال أذكر طرفا من تلك الحياة . أذكر هزة نفسى عند ما كنت أسير فى واديكم ـ ذلك الوادى الاخضر الصغير ـ لقد كان النيل دائما يهز نفسى . هو نهر وديع باسم كريم ، ولقد كنت احبه لانه باسم كريم

وأذكر أننى كنت أحمل صورة مصر فى قلبى ، وأتأملها وافكر فيها طوال أيامى فى الليل والنهار . كنت دائما انظر اليها كصورة عزيزة ، وكان أسعد أوقاتى ما أقضيه فى تزيينها وتنميقها وتجليتها . اننى لا أزال أذكر ألوانها الى الآن ، وكيف كنت اغتبط واشعر بالسعادة عند ما كنت أضيف اليها لونا جديدا يزيد من رونقها . انتم تقولون عنى اننى أنشأت الطرق ، واختططت المدن ، ومددت العمران ، وتقولون عنى غير ذلك أقوالا كثيرة . وقال بعضكم اننى رميت بالذهب ولم أقم له وزنا . ولكننى لا اعرف للذهب قيمة ، اذا لم نستخدمه فى زيادة قوة الحياة ، واعلاء رونق الوجود . انه اذا لم يستخدم فى ذلك لم يكن سوى بعض حجارة الارض ، وان كان بريقه يذهب بلب الاحياء

فقلت فى شىء من التردد :

ـ ولكنى أسألك : ألا تجد فرقا ؟ ألا ترى أن مصر قد تغيرت عن عهدك بها ؟

فقال فى بسمة هادئة :

ـ أظننى ألمح شيئا من الفرق فى اللون . اننا هنا لا ندرك الا اهتزاز الاثير . أنا لا أرى الآن مصر ولا مدنها ولا أهلها ولا شيئا من مادتها . انما هى موجات تصل الى هذا العالم عن البعد البعيد . أنت لا تستطيع ان تفهمنى لانك لا زلت مقيدا بالحواس ، فشأنك شأن هؤلاء الاحياء السجناء فى أجسادهم . اما أنا فلست أدرك من مصر الا موجات تنبعث منها الى عالمنا هذا وأحس انها تهز نفسى حبا

ونظر اسماعيل لحظة الى ثم قال فى ومضة لامعة :

ـ ولكنى أفضى اليك ببعض ذكرياتى :

عند ما عزمت على أن تكون مصر قطعة من أوربا كنت أقصد ما أقول . لقد كانت بلادنا منذ أقدم العصور مركزا طبيعيا للعالم بحكم موقعها بين الشرق والغرب . واذا كان الشرق كما قيل شرق والغرب غرب ، فان مصر العزيزة كانت تحمل فى مدنيتها المرنة وثقافتها الفسيحة ، عناصر المدنية الانسانية والثقافة الانسانية الخالدة . لقد كانت المدنيات دائما تمتزج بمدنية مصر منذ القدم ، وتترك فيها آثارها التى لا يمحوها تقادم الدهور ، وكانت الثقافات دائما تمتزج بثقافة مصر وتضيف الى ثروتها الواسعة عناصرها الفعالة التى لا ينقضى اشعاعها . والى جانب هذه المرئيات وهذه الثقافات المختلفة ، كانت مصر دائما تحتفظ بتراث مدنيتها الموغلة فى القدم ، وآثار ثقافتها التى أمدت العالم بأول أشعة الذكاء الانسانى . فمصر لم تكن فى عزلة عن العالم ، ولم يكن العالم أبدا فى عزلة عنها . فاذا كان الشرق

قد انطوى على نفسه فى حين من الدهر ، فان مصر لم تنطو على نفسها . واذا كان الغرب قد باعد ما بينه وبين سائر الامم كبرا وتعاليا ، فان مصر لم تباعد بينها وبين العالم لانها لا تعرف الكبر والتعالى . ان ثقافتها الفسيحة القديمة وتراثها الانسانى الفنى ، يحببان اليها الالفة والتعاون والتعامل . وقد كان على أن اختار بين أن تتجه مصر الى الشرق وتنحاز اليه فى عزلته ، وبين أن تتجه الى الغرب وتنحاز اليه فى تباعده . وكان على ان أوازن بين ما تجنيه مصر من الاتجاه نحو هذا أو نحو ذاك . فلم اتردد طويلا ، لان مصر بدأت فى اتجاهها قبل زمنى ، وكان الرجوع عن ذلك الاتجاه متعذرا . ولو أردت ان اتجه نحو الشرق ، لكان على أن أهدم كل ما بناه جدى وسلفى محمد على . على أن ذلك لو كان ممكنا لما رضيت به ، لاننى كنت أبغى الحياة الجديدة الفتية ، ولم يكن عندى شك فى أن بذور تلك الحياة ، كانت هناك عند الافق الغربى . ان الامم تتداول حمل لواء المدنية ، وشعوب الغرب هى التى تحمل اللواء الانسانى فى هذه العصور . فكان على أن أبعث مصر نحو الميدان الحافل بالحياة ، لتأخذ نصيبها من حمل اللواء الانسانى مع أمم الغرب الحية

ولكننى مع ذلك كنت أعرف ما ينتظر مصر فى رحلتها الجديدة . كنت أعرف انها لن تكون سوى مصر الخالدة ، التى كانت دائما تعطى وتأخذ بغير أن تذوب فى غيرها . فاذا كنت قد اخترت لها أن تكون قطعة من أوربا ، فانى كنت موقنا من انها سوف تكون قطعة لها شخصيتها ولها مميزاتها ولها قسطها من الخدمة الانسانية . وكنت فوق ذلك موقنا من انها لن تستطيع التخلى عن ميراثها العظيم ، بل تضيف اليه ثروة جديدة تحفزها الى النهضة وتبعث اليها الروح المتوثب الفتى

واذا كانت دول العالم الغربية لم تنصف مصر ولم تنصفنى فى معاملاتها ، فانى لا أحمل فى نفسى ضغنا ولا حقدا . فالطبيعة الانسانية نفسها تعتذر عما كان من تلك الدول ، لان الانانية من الطبائع المتغلغلة فى البشر ، ولا لوم على الدول اذا كانت تصدر عن انانيتها فى معاملاتها . واذا كانت تلك الدول لم تنصف مصر فى تقديرها والتحدث عنها ، فذلك لانها لم تتبين فى أول عهدها بمعاملة الشعب المصرى ما ينطوى عليه الضمير المصرى من ثروات المدنية والثقافة . وقد كنت أعرف أن شيئا من ذلك سوف يحدث ، بل لقد كنت أنا أول ضحية لهذا الاتجاه الجديد . ولست أذكر اننى كنت فى أى وقت من الاوقات حاقدا أو آسفا ، لان ضميرى كان مرتاحا الى ان النتيجة الاخيرة سوف تبرر رأيى ومنطقى

فمصر اليوم تسير فى الاتجاه الذى وجهتها اليه ، وهى اليوم أجدر بأن تسمى قطعة من أوربا . بل لقد أصبح العالم اليوم أضيق مما كان فى أيام رحلتى على الارض فليس يصح الآن ان يقال انها قطعة من أوربا ، اذ هى اليوم قطعة من العالم الجديد الذى يشمل أوربا وأمريكا واستراليا وآسيا وافريقا . لقد أصبح العالم حقا أضيق من ان يقسم الى قارات ، وحير له لو وسع من نظرته بمقدار تقارب المسافات وتغير مقاييس الزمان والمكان

لقد قاسى العالم فى نصف القرن الاخير أصنافا من الآلام والكوارث ، ولست استطيع

ان أجد تعليلا مقبولا لتلك الآلام والكوارث ، الا ان الدول العظمى لا تزال مع عظمة مدنيتها تحبو فى دور الطفولة الانسانية . وتستطيع هذه الدول على قوتها وعظمة ثروتها وتعقد مدنيتها، انتأخذ عن مصر شيئاكثيرا من عناصر مدنيتها وثقافتها الانسانية الخالدة. وانى أحس ان هذا العام الجديد يبشر بأن العالم قد سار الى الامام خطوات واسعة فى سبيل النمو الانسانى . واعتقد ان مصر تستطيع أن تمده بكثير من تجاربها ، وبكثير من فلسفتها ، وبكثير من توجيهها الروحى ، وان تحمله بمحبتها ومودتها ومعاونتها وحسن نيتها على الاطمئنان الى السياسة الانسانية الجديدة بالبشر . فمصر من العالم بمثابة الام التى توحى الى الابناء بالمكارم بافساح قلبها والفيض بمحبتها

أحس ان العالم سوف يستقر وانه سيكون لمصر نصيب من العمل على ذلك الاستقرار

فلمعت فى وجهى عند ذلك لمعة من الشك ورأيت وجه اسماعيل يسفر عن ابتسامة قال فيها :

— نعم ان العالم الغربى يحمل فى يديه اسلحة خطيرة تهدد الانسانية بالفناء اذا فقدت الحكمة ، ولكنى مع ذلك عظيم الرجاء . سيرى العالم أن مصلحته فى السلام والبقاء ، لان الانسان لم يوهب الذكاء ليساعده على الفناء . سوف يسود السلام الارض بعد هذا الاضطراب

وانى أحس عند مطلع هذا العام احساسا عجيبا لم يسبق لى ان احسست مثله ، مع شدة تعلقى ببلادى واهتمامى بمطالع أعوامها . احس عند مطلع هذا العام ان مصر توشك أن تخطو خطوة سعيدة نحو الانصاف والحياة الكريمة . أحس أن الاستقلال الذى سعيت الى تحقيقه جهدى والذى سعى من جاء بعدى الى استرجاعه واستكماله ، يوشك أن يكون حقيقة تامة على يد حفيدى . وما يكون اسعدنى فى مقرى الهادىء هنا اذا اطلعت يوما فأحسست ان العلم الاخضر يخفق على الوادى ويظله من أقصاه الى أقصاه . غير انى لا أحب أن تفوتنى هذه الفرصة لكى أقول كلمة أثمن عندى من كل كلمة . ان الاستقلال محبب الى النفوس ، وقد كانت أكبر أمنية لى أن أرى مصر مستقلة . ولكن هذا الاستقلال المحبوب يحمل فى طياته مسئوليات ضخمة واحمالا ثقيلة . ولا عجب فى ذلك فان الانسان كان منذ القدم يحب الاشياء التى تحمله المتاعب ، فحمل المتاعب من متع الحياة الكاملة ولا يقدر على التمتع بالحياة من لا يحب المجاهدة والمخاطرة ومصارعة الامواج . فليس الاستقلال غاية للحياة بل هو وسيلتها ، وليس هو سبيل الاستقرار والاطمئنان بل هو سبيل الجهاد والقلق والتقدم . والله لم يهب الاستقامة الا للعبيد الذين يكفيهم سادتهم مؤونة الفكر والقلق . اما الاحرار فعليهم ان يفكروا لانفسهم ويسعوا لانفسهم بل عليهم ان يفكروا ويسعوا للانسانية كلها . وهناك ابواب ثلاثة تؤدى الى المجد الحقيقى ، وانى اذ أقول ذلك أصدر عن خبرتى بالحياة ، وقد ذقت من الحياة كل أفاويقها ، فعرفت أحلى حلوها وأمر مرها . كل مجد يزول اذا كان يقوم على غير هذه الدعامات الثابتة الثلاث ،

الخلق والعلم والثروة . ولمصر آمال كبار أحس ان تحقيقها قد أصبح اليوم قريب المنال . فان ضمير الشعب المصرى ينطوى على كل عناصر الخلق السليم . وليس ينقصه الا شيء واحد ، وهو التعبير والتوجيه ، وهذا واجب قادة الفكر والزعماء . فعلى قادة الفكر ان ينطقوا ويصوروا الصورة المثلى ، فاذا هم فعلوا وجدوا اصداء تلك الصورة فى القلوب مستعدة للتلبية . وعلى الزعماء أن يكونوا مثلا لجمهور الشعب ، فاذا هم ساروا أمامه برؤوس مرفوعة وسيرة طاهرة ، لم يلبث الجميع أن يندفعوا وراءهم مع حماسة العقيدة الكامنة فى اعماق ضمائرهم . لا خوف على مصر من هذه الناحية ، فان الثقافة المجيدة المتخلفة من القرون الماضية ، تشتمل على كنز خلقى ثمين يكفل لمصر النجاة من كل تجارب الفناء . واما العلم فهو عدة الحياة . فليقبل عليه المصريون بقلوبهم ، لانه لا حياة لامة من الامم بغيره . ولن يكون الفرق بين الامم المجيدة والامم الخاملة ، الا بمقدار ما يفصل بينها من المعرفة والمقدرة . ولكن حذار أن يكون العلم فى أيدى أهل مصر عدة للفناء . لقد وهب الله العلم للانسان لكى يساعده على اداء رسالته على الارض ، لا لكى يفسد فيها ويسفك الدماء . ان الشيطان هو الذى يحقد على البشر ، ويوسوس لهم أن يغمدوا العلم فى صدورهم كما يغمد السيف فى الصدور ليمزقها

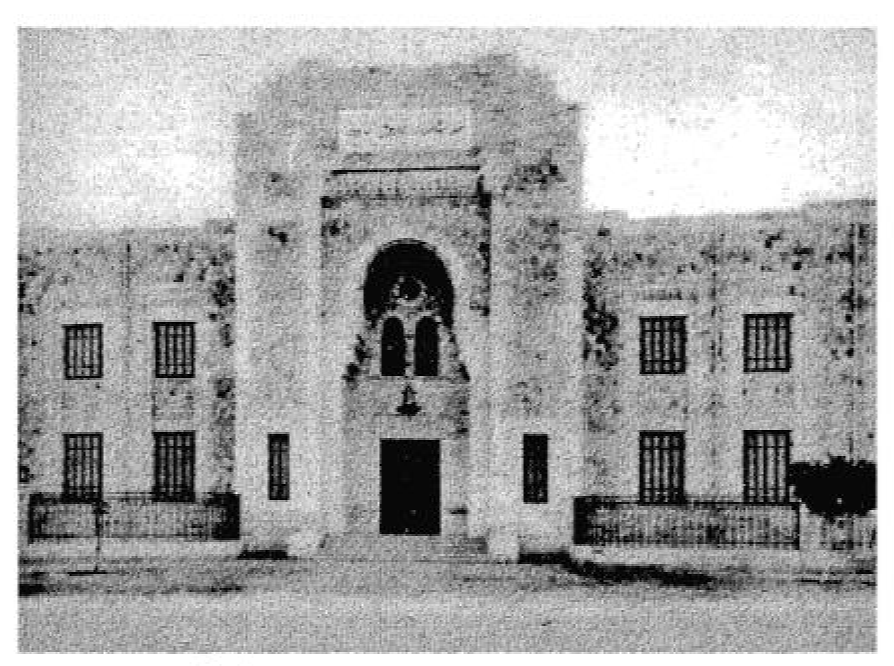
واما الثروة فهى العلامة التى تدل على مقدار النهوض والنضوج ، وهى العدة للتقدم والتطور . عند ما وزع الله الخيرات على الناس أودعها فى مكامن ، لا يمكن استخراجها منها الا بالعمل والذكاء ، فلتقبل على الخيرات الكامنة فى ارضها لكى تستخرجها وتسبح لله بالاستفادة منها . وهناك درجات للانتاج يلى بعضها بعضا . فالزراعة أولى الدرجات وأحبها . لقد كنت أحب ريف مصر وزرعه وزهره وحيوانه . وقد جاهدت ما جاهدت فى سبيل الزراعة ، لانى اعرف انها من طبع مصر الاولى . ولكن الصناعة تلى الزراعة وتكملها ، واذا كان الفضل الاكبر فى الزراعة لعناصر الارض والماء والهواء ، فان الصناعة هبة الفكر . وكلما ارتقى ذلك الفكر ، تعددت درجات الانتاج كما تتعدد درجات البناء فى الاهرام . وكلما تعددت تلك الدرجات ، تزايدت موارد الثروة لان كل طبقة من الصناعة مورد جديد يضاعف موارد الخيرات

ولكن هذا كله يحتاج الى المعرفة والى الخبرة كما يحتاج الى الهمة والمثابرة

واعتقادى ان هذا العام المقبل سيكون ظرفا لخطوة جريئة جديدة نحو هذا المجد الحقيقى

والتفت عند ما انتهى الحديث الروحى الى هذه الغاية نحو وجه اسماعيل ، فوجدته يشع نورا مثل الشمس اذا أشرقت من خلال السحاب . ثم علته ابتسامة سلام ومحبة ، فخفق قلبى وتقدمت نحوه خطوات ، فتباعد عنى ثم تباعد وهو باسم ، حتى بدا لى بعد لحظات على بعد كما يبدو النجم فى اطباق السماء

محمد فريد ابو حديد



المدخل العمومي لمدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم وقد قامت بإنشائها شركة مصر للنقل والقاولات تحت إشراف عضو مجلس الإدارة المنتدب الدكتور احمد عاشور

مدرسة الملك فاروق بالخرطوم

العلم والتعليم هما أهم ما يقرب الشعوب بعضها من بعض ، وأقوى ما يربط ما بين الأفراد والجماعات ويوحد اتجاههم ، ويوثق العلائق ، ويؤكد أواصر القوميات ، وقد قال بسمارك بعد الحرب السبعينية التي انتصرت فيها ألمانيا على فرنسا : « أنا غلبنا جارتنا بمعلم المدرسة »

***

وقد صدق هذا السياسي الكبير في قوله ، فعلم المدرسة هو مربي الجيل ، ومنشئه وموجهه ، والمدرسة هي البيئة والبوتقة التي تصنع النفس والعقل ، وتهيئه للمستقبل . وقد عرفت الأمم ذلك في علاقاتها بغيرها . وعرف محمد علي الكبير أن روابط مصر القومية بالسودان لا يغذيها ويقويها إلا التعليم ، فأنشأ في عهده عدة مدارس في الخرطوم وبعض العواصم الأخرى ، ثم استن خلفاؤه من بعده هذه السنة . غير أن هذه المدارس المصرية في السودان أغلقت فيما بعد بفعل الظروف السودانية

***

وقد رأى جلالة الفاروق أن يجدد رسالة العلم والتعليم بين شطري النيل «مصر والسودان» فعني بمساعدة الطلاب السودانيين في المعاهد والمدارس المصرية ، فأنشأت وزارة المعارف « بيت السودان » وتفضل جلالة الملك ، فأثثه من جيبه الخاص بأثاث فاخر . وقد بلغ عدد الطلبة السودانيين في معاهد مصر ١٧٦ طالباً موزعين بين دار العلوم ، ومعهد التربية ، والهندسة التطبيقية العليا ، والمدارس الثانوية ، والمدارس الفنية ، والمدارس الابتدائية . ثم أمر جلالته بإنشاء المدارس في السودان ، فعنيت وزارة المعارف بتأسيس عدد من

المدارس الابتدائية في جبل الأولياء ، وبلدة الشجرة ، وبلدة ملكال في الجنوب كما عنيت بتأسيس « مدرسة الملك فاروق الثانوية » بالخرطوم . وهي مدرسة نموذجية من جميع النواحي : من ناحية البناء ، ومن ناحية المدرسين ، ومن ناحية الادارة . والى جانب هذه المدارس توجد أربع عشرة مدرسة أخرى بين ثانوية وابتدائية منتشرة في ربوع السودان ، وكلها مدارس حرة تتبع المناهج المصرية

***

وتعد مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم من أحسن المدارس الحديثة في استعدادها ، وإدارتها التي يتولاها المربي الفاضل الأستاذ محمد عبد الهادي ، ولهذا الأستاذ أكبر الفضل فيما وصلت اليه هذه المدرسة من منزلة ممتازة . وقد رأت وزارة المعارف إزاء تقدم التعليم المصري في السودان أن تنشيء مراقبة عامة له في هذه البلاد عينت فيها الأستاذ عبد الهادي مراقباً عاماً لها

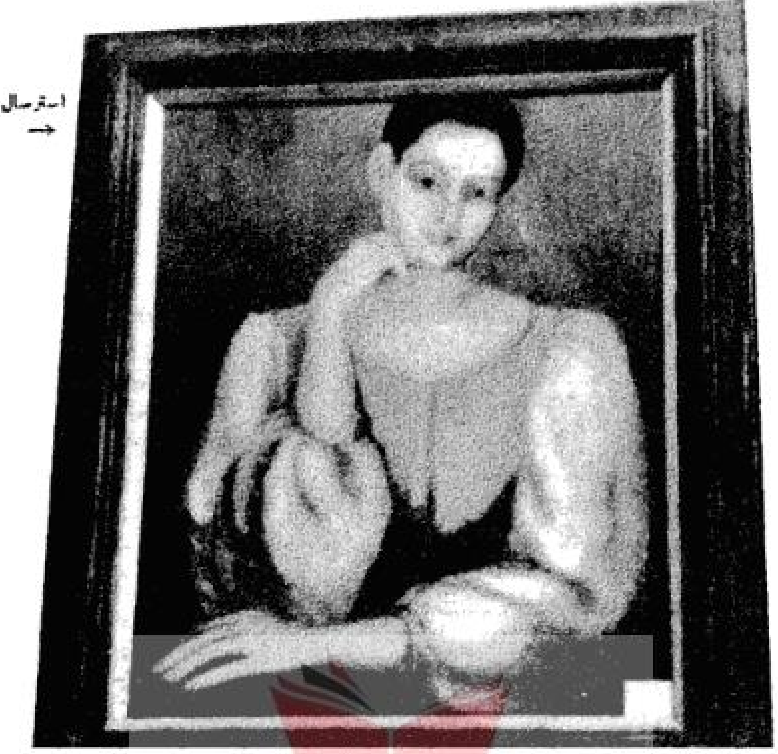
وقد رأت وزارة المعارف أن تزيد عنايتها بنشر الثقافة المصرية في ربوع السودان ، لأنه الشطر الجنوبي من وادي النيل الذي يرتبط منذ القدم بروابط طبيعية وتاريخية ووطنية وثيقة ، فأنشأت بالوزارة « لجنة العلاقات الثقافية ، بين مصر والسودان » برياسة الوزير . والغرض من هذه اللجنة تنظيم هذه العلاقات ورعاية الطلبة السودانيين بمصر ، والاشراف على بيت السودان الذي افتتحه مندوب جلالة الملك فاروق في حفل حافل . وسيكون لهذا البيت الذي افتتح في مكانه مؤقتاً مبنى ثابت بمدينة فاروق الجامعية التي وضع جلالته حجرها الأساسي في الشهر الماضي

وترى مع هذا الكلام صوراً لمدرسة الملك فاروق بالخرطوم وبعض محتوياتها ، وقد كان من أجمل هذه المحتويات « صالة الفن » التي عرض فيها الأستاذ الفنان راتب صديق لوحات فنية تدل على مكانته الكبيرة في الفنون الجميلة . وقد تعلم هذا الأستاذ في انجلترا وفرنسا ، ومن أكبر مدرسيه الفنان العالمي دوزن وهو الذي وضع عنه تقريراً نوه فيه بمقدرة الأستاذ راتب وكفايته ونبوغه



الدكتور السنهوري باشا ومرافقوه في رحلة السودان يسيرون في فناء مدرسة فاروق الأول الثانوية يوم افتتاحها

استرسال
→



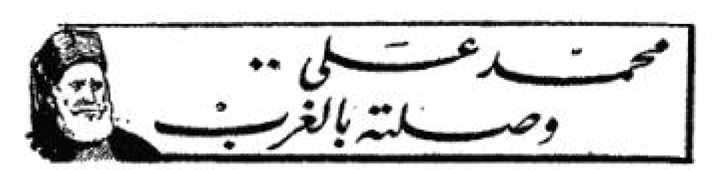
وحات فنية للاستاذ ر ب صديق معروضة بقاعة الفن بمدرسة ثلاث فاروق بمحرموم



عزيمة

دراسة

« حاول محمد على أن ينقل الغرب الى مصر ، ليحقق مثله العليا فى الاصلاح .. لكنه لم يحاول البتة أن ينقل مصر الى الغرب ، بل احتفظ لها بروحها وتقاليدها »



محمد على .. وصلته بالغرب

بقلم الأستاذ جمال الدين الشيال

مدرس التاريخ بجامعة فاروق

وفد محمد على الى مصر ضابطا صغيرا ضمن الحملة التركية الانجليزية التى أتت فى مارس سنة ١٨٠١ لاخراج الفرنسيين من مصر . واشترك محمد على فى معارك كثيرة مع جيوش دول ثلاث : احداها دولة شرقية متحطمة تسير نحو الفناء ، فجيوشها خليط من شعوب كثيرة متنافرة ، يعوزها التآلف والانسجام ، والنظم الحديثة ، وحسن القيادة . والثانية والثالثة دولتان غربيتان ناهضتان تنافس كل منهما الاخرى فى سبيل الاستيلاء على هذه الكنانة ، لما تتمتع به من ميزات جمة ، ولانها مفتاح الشرق مطمح أنظارهما ، ولموقعها الجغرافى الممتاز . وجيوش هاتين الدولتين ـ انجلترا وفرنسا ـ تمتاز بنظم حديثة ، وأسلحة جديدة ، وخطط محكمة ، وقيادة قديرة .

فلما جلا الفرنسيون عن مصر ، واستقر محمد على بها ضابطا من ضباط الفرقة الالبانية ، ظل يرقب عن كثب الصراع الذى قام من جديد بين القوى الثلاث : المماليك والاتراك والانجليز . وقدر محمد على كل قوة قدرها ، وأيقن أن كل واحدة منها تناضل الاخرى فى سبيل أن تفوز هى وتغنم ، دون أن تعير هذا البلد وهذا الشعب اهتماما . ورأى بثاقب نظره أن هناك ـ وراء الستار ـ قوة ظلت كامنة قرابة ثلاثة قرون ، أيقظتها هذه الحملة الفرنسية ، وان المستقبل دون ريب لهذه القوة ـ قوة الشعب المصرى ـ اذا وجدت من يأخذ بيدها ، ويقودها الى الخير .

وانتهت هذه المعركة الثلاثية بخروج الانجليز من مصر أولا ، ثم بضعف المماليك والاتراك ثانيا . وهنا ظهر محمد على فى صف الشعب ، ولحظ الناس ـ خاصتهم وعامتهم ـ مواهب هذا الرجل الممتازة « فرأوا فى رجل الحرب الزعيم المفطور على الخير » . ولما توترت العلاقات بينهم وبين الباشا العثمانى ، قالوا له : « انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ولا بد من عزله عن الولاية » فقال : « ومن تريدونه يكون واليا ؟ » قالوا له : « لا نرضى الا بك ، وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير » ، فامتنع أولا ،

ثم رضى ، وأحضروا له كركا وعليه قفطان ، وقام اليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى فألبساه له ، وكان ذلك وقت العصر ، ثم نادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة . .

وانتهى النزاع أخيرا ، واضطر السلطان اضطرارا أن يقر محمد على واليا على مصر . ومنذ ذلك الحين بدأ هذا الرجل العظيم يطهر الجو أولا ، ثم أخذ يضع الخطط لاصلاحاته المختلفة التى تعتبر - الى حد ما - استمرارا لما بدأه الفرنسيون فى مصر . وقد التزم فيها سبيلا وسطا ، فلم يلجأ الى القديم ويتعصب له ، لانه آمن منذ اللقاء الاول بان الاصلاح انما يكون بالنقل عن الغرب . ولكنه فى نفس الوقت لم يأخذ عن الغرب كل شىء ، ولم يعتمد عليه كل الاعتماد . بل اتخذ - كما يقول الاستاذ شفيق غربال بك - بين المستشرقين والمستغربين خطة وسطا ، يدلك على ذلك أن «ماكولى» استشهد بما عمله محمد على فى مصر لتأييد ما ذهب اليه من ضرورة تعليم العلوم الحديثة ، كما أن خصوم « ماكولى » من أنصار الثقافة الشرقية استشهدوا أيضا بمحمد على لتأييد ما ذهبوا اليه من ضرورة وصل حاضر الامة بغابرها ، فقالوا - وكان حقا قولهم - ان مصلح مصر يعلم العلوم الحديثة ، ولكنه يعلمها باللغة العربية . . »

تولى محمد على عرش مصر والعلم فيها قد انزوى فى أروقة الازهر ، وصحون بعض المساجد ، وقاعات المكاتب فى المراكز والقرى . وكان لعلماء الازهر - كما يقول رفاعة بك الطهطاوى - « اليد البيضاء فى اتقان الاحكام الشرعية ، العملية والاعتمادية ، وما يجب من العلوم الآلية ، كعلوم العربية الاثنى عشر ، وكالمنطق والوضع ، وآداب البحث ، والمقولات ، وعلم الاصول المعتبر » ، وكان الازهر كما يقول « جنة علم دانية الثمار وروضة فهم يانعة الازهار » ، وان كان أستاذه الشيخ حسن العطار قد فقد ثقته بهذه العلوم ، مذ بهرته علوم الفرنسيين ، وراح يطلب غيرها لنفسه ، ويقرأ لتلاميذه كتبا غير كتب الازهر ، وعلوما غير علوم الازهر ، وكان يقول : « ان بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها »

وآمن محمد على بهذا الرأى ، وبدأ يعد العدة لانشاء المدارس الجديدة . ولكنه تخير تلاميذها ومعلميها من المعهد القديم - الازهر - واحتفظ لمدارسه الجديدة بالطابع الاسلامى الشرقى ، فكان فى نظر أهل عصره من المصريين « مجددا لدروس العلم بعد اندراسها ، آتيا فى ذلك بما لم تستطعه الاوائل »

بدأ محمد على فى مصر عهدا جديدا ، فقد كانت العلاقات بينه وبين السلطان غير مستقرة . وكان الجيش الذى وجده فى مصر - ان صح أن يسمى جيشا - خليطا عجيبا من شراذم مملوكية ، وفرق ألبانية وشركسية . . الخ . وكانت له أطماع سياسية تتجه الى احياء العالم العثمانى . وكان يرى أن هذا الاحياء لا يمكن أن يتم الا اذا اتخذ لنفسه جيشا واسطولا عظيمين قويين ، ينهج فى تكوينهما منهج دول أوربا فى تكوين جيوشها وأساطيلها
ورأى محمد على بعد هذا أن السياسة الاقتصادية فى مصر سياسة خربة ، يعوزها

الاصلاح الشامل فى شتى نواحيها . وكان مذهبه فى الاصلاح ـ مصيبا فى ذلك أم مخطئا ـ أن تضع الحكومة يدها على فروع الانتاج الاقتصادى المختلفة من زراعة وتجارة وصناعة ، لتتمكن من ادخال الاصلاح الذى تريد

وكان محمد على أخيرا فى حاجة الى موظفين اداريين حازمين يفهمون عنه رغبته فى الاصلاح ، ويقدرون حالة البلد وحاجتها ، ويلمون الماما تاما بنواحى الاصلاح الغربى المراد اقتباسه

وكانت مصر خلوا من هذا الصنف ، فاتجه محمد على أول الأمر الى استخدام الاجانب . ولكنه كان يدرك منذ اللحظة الاولى « ان الاكثار من الاجانب فى خدمة الحكومة ليس من الصواب فى شىء ، فكثير منهم ـ على كفايتهم فى النظم الحربية والاقتصادية كما عرفتها بلادهم فى ذلك الوقت ـ يجهلون أغراض الحكومة ، وقد يعرقلون أعمالها ، عن قصد أو غير قصد . وقد يجهلون أيضا ما تحتاجه بلاد ناشئة كمصر من تلك النظم الحربية والاقتصادية ، وقد يرجع هذا الى جهلهم بلغة البلاد ، وعادات أهلها ، وطباعهم . وكان محمد على لا يثق فى كثير منهم ويرى أنهم انما يعملون لمصلحتهم الذاتية ، قبل أن يعملوا لمصلحة الدولة التى تنفق عليهم »

هذه هى الاسباب التى كانت تحول دون اعتماد محمد على على الاجانب أو الاكثار منهم فى وظائف الحكومة ، وتدفعه الى التفكير الجدى السريع فى ايجاد حل للاقلال منهم ، ثم لاحلال المصريين محلهم

أدرك محمد على اذن كل هذه الاسباب ، وكانت له بصيرة مستشفة ، وعين نفاذة ، فبدأ يفكر فى الوسائل التى تمكنه سريعا من الاستغناء عن هؤلاء الاجانب ، ثم احلال المصريين محلهم . وقد اتبع لتنفيذ هذا الرأى سبلا كثيرة :

١ ـ رأى أولا أن علوم الغرب ، وحكمته وخططه ونظمه ، قد سطرت كلها أو جلها فى كتبه التى وضعها علماؤه ومؤلفوه . فكانت خطته الاولى أن عهد السبل لترجمة كثير من هذه الكتب الى العربية أو التركية ، ليسهل على أبناء البلاد الاطلاع عليها ، والافادة منها . وقد عهد فعلا لكثير من الاجانب فى مصر ـ شرقيين وغربيين ـ بترجمة بعض الكتب ، غير أنهم كانوا يتلكأون ، أو يهملون فى عملهم ، حتى « ليتم أحدهم عمل ستة أشهر فى خمس سنوات » . ومع هذا فقد ترجمت كتب كثيرة فى مختلف الفنون ، ولكن هل يستطيع هذا النفر من المترجمين أن يحولوا ماء البحر بكوب ؟! . . كلا ولو جاء لهم محمد على بأضعاف أضعافهم عونا مددا . ولهذا أدرك ما يشين هذه الطريقة من بطء ، وما قد يشوبها من أخطاء ترجع الى سوء اختيار الكتب أو المترجمين

٢ ـ راح محمد على بعد ذلك يتلمس طريقة أخرى ، فرأى ان ينقل نفرا من أهل البلد الى أوربا ـ موطن هذه العلوم والنظم ـ ليدرسوا هذا الذى يريد نقله هناك ، وبلغة القوم ، حتى اذا عادوا لمصر كانوا عدتها فى المستقبل . وحلوا محل الاجانب فى الوظائف

المختلفة ، وفى تعليم ما درسوا لابناء أمتهم ، وفى ترجمة الكتب الغربية . ولهذا أرسل محمد على البعوث الى أوربا الواحدة بعد الاخرى . وعاد الكثيرون من أعضائها ، وقد أفادوا الفائدة الكبرى ، وحققوا أغراض محمد على ، وحملوا العبء عن الاجانب ، وأدوا واجبهم باخلاص وأمانة . وكان محمد على مع هذا لا يوليهم ــ بعد عودتهم ــ الاعمال المختلفة الا اذا استوثق من مهارتهم . وكان مقياسه فى ذلك أن يقوم كل منهم بترجمة كتاب فى الفن الذى اختص فيه ، أما الذين درسوا الصناعة منهم فكان يجربهم فيما درسوه ، حتى اذا أظهروا مهارة وكفاية استغنى عن خدمات الاجانب ، وأحل محلهم أهل البلاد فى وظائفهم .

٣ ــ كان لهذه الطريقة فائدتها وجدواها ، فقد عاد الكثيرون من أعضاء البعثات وتولوا الكثير من الاعمال والوظائف ، وترجموا الكثير من الكتب . ولكن جيوش محمد على وأساطيله تحتاج لمئات الضباط ، والمصانع المتعددة تحتاج لآلاف العمال ، والاصلاح الزراعى ، ومنشآت الرى والهندسة تحتاج لعشرات الخبيرين بهذه الفنون والعلوم الجديدة والمدارس تحتاج لمئات المدرسين المختصين فى مختلف العلوم ، والاصلاح الطبى يحتاج لجيش كبير من الاطباء ، وهكذا .. فهل يستطيع محمد على ، أو هل تمكنه ميزانية الدولة أن يبعث هذه الآلاف من المصريين ليتلقوا العلم فى أوربا ؟ ..

وجد محمد على أن هذه أيضا طريقة غير عملية ، أو ــ على الاقل ــ غير سريعة الانتاج لانه لو اكتفى بها لاحتاج الى سنوات وسنوات ، وهو حريص على ان يشمل اصلاحه كل ناحية من نواحى الحياة المصرية، وفى أسرع وقت ممكن ، لهذا لجأ الى تجربة ذات شعبتين:

٤ ــ أولا : عهد الى الاجانب ان يقوموا ــ الى جانب أعمالهم ــ بتعليم بعض المصريين علومهم وفنونهم ، حتى اذا أتم هؤلاء تعليمهم خلفوا أساتذتهم فى مراكزهم . فالضباط الاجانب ينظمون فرق الجيش ، ويعلمون الضباط والجنود المصريين أو الاتراك ، والاطباء الاجانب يعملون فى المستشفيات ، ويعلمون التلاميذ ليكونوا أطباء ، ورجال الصناعة الاجانب يعملون فى المصانع ، ويعلمون فنهم للصناع المصريين .

ثانيا : رأى محمد على أخيرا ان ينشىء المدارس المختلفة لتعليم أبناء البلاد تعليما رتيبا منظما ، فأنشأ مدارس الطب والهندسة والزراعة والحربية ، ومدرسة الالسن ، ثم رأى ان لا بد من وجود مدارس أخرى لاعداد الملتحقين بهذه المدارس « الخصوصية » ففتح مدارس المبتديان ، والمدارس التجهيزية

بهذه الوسائل جميعا حاول محمد على ان ينقل الغرب الى مصر ، ليحقق مثله العليا فى الاصلاح . لكنه لم يحاول البتة ان ينقل مصر الى الغرب ، بل احتفظ لها بروحها وتقاليدها ، بل لقد حاول ــ فى كثير من الاحيان ــ ان يمزج بين الخير فى العالمين ــ الشرقى والغربى ــ فأقام النهضة المصرية الحديثة على أسس متينة صحيحة

جمال الدين الشيال

هذا موضوع طريف كتبه العالم الامريكى النفسانى
دونالد ليرد فى كتابه المسمى «التحليل الشخصى» وجعله
على شكل أسئلة وأجوبة عن كل ما يتعلق بالذكاء

ذكاء الانسان

ـ هل الطفل الذى يكون وحيد أبويه أكثر ذكاء من سواد الاطفال ؟

ان معظم الازواج الذين لا يولد لهم سوى طفل واحد هم فى العادة شديدو الذكاء ، والطفل يرث هذا الذكاء عن أبويه . يضاف الى ذلك ان الطفل الذى يكون وحيد أبويه يلقى مقدارا أكبر من العناية وتتاح له فرص التعليم على اختلاف وجوهها

ـ هل الاطفال الذين يولدون فى الربيع يكونون أكثر ذكاء من غيرهم ؟

أجل وهذا لا يرجع الى حالة الجو أو حالة الكواكب بل سببه ان أبوى هؤلاء الاطفال، لذكائهما ، يعملان على ان يولد كل طفل لهما قبل أن يبدأ فصل الصيف الذى تشتد فيه الحرارة

ـ هل قوة الذكاء عند الابن تكون مثلها عند أبيه ؟

ان الجانب الموروث من قوة الذكاء يورث من الاب والام كليهما . وقد يكون الطفل ـ سواء كان ذكرا أو انثى ـ أذكى من أبيه أو من أمه . على ان ليس كل ابن بالضرورة أذكى من أبيه ـ كما يتوهم عادة أولئك الابناء الذين حازوا قدرا طيبا من التعليم . .

ـ هل أهالى المدن أكثر ذكاء من أهالى الريف ؟

ان بعض أهالى الريف أذكى من أهالى المدن ، غير ان سواد الفلاحين عادة يكونون أقل من سكان المدن فى مستوى الذكاء . وربما كان ذلك راجعا الى تيسر فرص التعليم فى المدن

ـ هل المقدرة على حسن سبك الكلام دليل على زيادة قوة الذكاء ؟

كلا بل هذه ظاهرة مضللة فى أكثر الاحوال ، والمهم فى حديث الانسان هو محتواه لا حسن صياغته وجاذبية أسلوبه

ـ هل مهنة الطبيب تحتاج الى قدر من الذكاء أكبر مما تتطلبه مهنة المهندس ؟

اتضح من البحوث أن مهنة المهندس تحتاج الى مقدار من الذكاء أكبر مما تحتاج اليه أية مهنة أخرى . كما اتضح ان مهنة الطب تتطلب من الذكاء قدرا أكبر مما تستدعيه مهنة المحاماة

ـ هل تزيد العقاقير من قوة الذكاء ؟

ان الاشخاص الذين عندهم نقص فى افرازات الغدة الدرقية يزيد ذكاؤهم اذا تعاطوا « الثيروكسين » تحت اشراف طبيب . كذلك القهوة و « بنزدرين السلفات » يزيدان من قوة الذكاء بصفة وقتية

ـ هل لعب كرة القدم يزيد من قوة الذكاء ؟

ان لعب كرة القدم ، وكذلك الملاكمة ، أدنى الى ان يسبب كسورا صغيرة فى أوعية الدم التى للمخ فيؤدى ذلك أحيانا الى نقص فى قوة الذكاء

ـ هل النساء أقل ذكاء من الرجال ؟

معدل الذكاء واحد تقريبا عند الرجل والمرأة . على ان البنات حين يبلغن الثانية عشرة من عمرهن يسبقن أترابهن من الغلمان . . ولكن بعد مضى سنتين يعوض الاولاد ذلك فيدركون البنات . حتى اذا وصل الفريقان الى سن الخامسة عشرة صارا متساويين فى قوة الذكاء . ويرجع ذلك السبق الى النضج الجنسى الذى يحصل عند البنات قبل الذكور

ـ هل يمكن أن يلد الاذكياء أولادا ضعاف العقول ؟

ليس هذا أمرا كثير الوقوع ولكنه يحدث أحيانا . وهو أدنى الى الوقوع اذا كانت الام قد تقدمت بها السن ، وصارت تهمل تربية أطفالها ، أو اذا كان هناك عسر فى الوضع يؤثر فى أنسجة المخ عند الطفل الوليد

ـ هل ضياع البصر ينقص من قوة الذكاء ؟

على الرغم من البراعة الهائلة التى يبديها فريق من العميان فى نواح مختلفة من الاعمال والفنون ، فان هذه البراعة انما تكتسب بالتغلب على عدوين طبيعيين للعميان ، وهما الظلمة المحيطة ونقص الذكاء . ولا شك ان براعتهم رغم هذين النقصين تعد درسا صالحا لغيرهم

ـ هل قلة النوم تؤدى الى نقص فى قوة الذكاء ؟

اذا حرم انسان النوم ثلاث ليال متوالية فان قدرته على التفكير السليم تنقص بمقدار الربع . ولكن من حسن الحظ أن النوم العميق مدة كافية فى ليلة واحدة يعوض كل ما مضى بسبب قلة النوم

ـ هل القرود أكثر ذكاء من بعض الناس ؟

يوجد آلاف من الناس أقل ذكاء من القرود . ومعدل قوة الذكاء عند القرد يوازى معدل ذكاء طفل فى السنة الثانية من عمره

ـ هل الرجال أقرب الى ضعف العقل من النساء ؟

ان مستشفيات الامراض العقلية بها من الرجال عادة أكثر مما عندها من النساء . وهذا يرجع الى ان ضعف العقل يلاحظ عند الرجال دون ابطاء . والنساء والفتيات الضعيفات العقول يمكنهن ان يواصلن أعمالهن المنزلية ، بينما الرجال المصابون بمثل ذلك لا يمكنهم ان يستمروا فى أعمالهم . والمستشفيات والمصحات الخاصة تمتلىء بالمرضى من الرجال بينما كثير من النساء يعالجن فى منازلهن

ـ هل قوة الذكاء موضعها الجزء الامامي من المخ خلف الجبهة ؟

كان العلماء يعتقدون ان قوة الذكاء تقع في الجزء الامامي من المخ خلف الجبهة مباشرة، ولكن المعروف الآن ان اجزاء المخ متساوية بالنسبة للذكاء فهو يشمل المخ كله . وبعض الناس أزيل الجانب الامامي من المخ عندهم في عمليات جراحية ومع ذلك استمرت قوة الذكاء والتصرف عندهم كما كانت من قبل

ـ هل الافراط في الغريزة الجنسية يسبب نقصا في الذكاء؟

ان الاشخاص الضعاف العقول يكونون أميل الى هذا الافراط من غيرهم ، غير ان ارضاء هذه الغريزة لا يسبب ضعفا في عقولهم فقد كانوا مصابين به قبل ذلك . . .

ـ ما هي قوة الذكاء ؟

ان قوة الذكاء هي عبارة عن وظيفة مركبة ، مؤلفة من سبعة اشياء على الاقل : وهي سهولة معالجة الارقام ، سهولة استعمال الالفاظ ، التصور النظري ، الذاكرة ، سرعة الفهم ، المحاجة ، تقدير التناسب بين الامور . وقد يكون الشخص الواحد ضعيفا في واحد من هذه الامور وقويا جدا في غيره ، ومع ذلك يعد شديد الذكاء . ولكي يزيد الانسان من ذكائه عموما يجب ان يعمل على تنمية كل من تلك المقومات

ـ هل قوة الذكاء تقف عن النمو في سن معلومة ؟

ان هذه القوة تنمو بسرعة في العشر السنوات الاولى من العمر ثم يبطىء تقدمها . فاذا بلغ الانسان العشرين من عمره وقف نمو قوة الذكاء عنده

على ان الاشخاص الذين يواصلون الدراسة والاطلاع والتفكير يزيدون من قوة الذكاء حتى يبلغوا الخمسين ، وربما الى ما بعد ذلك . ثم تقف تلك القوة عن النمو حين تنقطع وجوه النشاط التي أدت الى نموها

ـ هل قوة الذكاء في العالم في هبوط مطرد ؟

لا يوجد دليل على ذلك ، وان يكن بعض الخبراء يقولون بان قوة الذكاء عموما قد هبطت بنسبة عشرة في المائة عما كانت عليه قبل قرن من الزمان . ومع هذا فان سواد الناس يمكنهم ان يزيدوا قوة ذكائهم بتلك النسبة نفسها

ـ هل الاطفال بالذكاء الذي ينسبه أهلوهم اليهم ؟

المعتاد ان الآباء والامهات يقدرون ذكاء أطفالهم فوق قدره ، وان ما يقوله هؤلاء يعجب أهليهم ، وان كان لا يلفت نظر الغرباء عنهم . غير ان العلماء قل ان يجدوا الاطفال بمثل الذكاء الذي يتوهمه آباؤهم فيهم

ـ هل يكتشف المدرسون عادة النوابغ بين تلاميذهم ؟

المعتاد ان المدرسين يكتشفون التلاميذ الاغبياء . وقد يفوتهم تقدير النبوغ في ثلاثة أرباع النوابغ من تلاميذهم ولكن لا يفوتهم اكتشاف نصف الاغبياء بينهم على الاقل

ـ هل الاعين العميقة أو الحواجب الكثيفة تدل على الذكاء؟

هذا هو الاعتقاد السائد ولكن العلم لا يؤيده ولايجد صلة بين شكل العينين أو الحواجب وبين قوة الذكاء

- هل سرعة الحساب دليل الذكاء الخارق ؟

تضح ان كثيرا من الذين يسرعون فى العمليات الحسابية ليست لهم موهبة سوى ذلك، فهم أغبياء فى الامور الاخرى . والواقع ان القدرة على حساب الارقام ليست سوى قوة واحدة من القوى السبع الاساسية التى يتكون منها الذكاء

- هل البراعة فى الموسيقى أو فى أحد الفنون الاخرى دليل على قوة الذكاء ؟

يبدو ان الذكاء المعتاد يمكن الفنان أو الموسيقى من النجاح ولكن النبوغ فى مختلف الفنون يتوقف على مواهب معينة لا على قوة الذكاء

- هل الجمال حليف الذكاء ؟

ان الاشخاص الاذكياء يكونون عادة أوسم من غيرهم ، اذ يرجع جانب من جمال وجوههم الى تعبير فى ملامحهم يدل على اليقظة والانتباه على عكس وجوه الاشخاص الاغبياء

- هل الاشخاص الشديدو الذكاء يموتون فى عنفوان شبابهم !

ان الاذكياء يكونون عادة أقل أمراضا من غيرهم ، وربما كان ذلك راجعا الى ذكائهم الذى يجعلهم يعيشون عيشة معتدلة ويعنون بصحتهم

- هل الاشخاص الاذكياء يكونون عادة ضعاف البصر ؟

دلت الملاحظات على صدق ذلك . واذا كان الاذكياء أقوياء الصحة دقيقى السمع فانهم يحتاجون عادة الى نظارات يلبسونها . ولا يدرى أحد السبب ، ولكن ربما كان ذلك ناشئا من كثرة الاطلاع ودقة الملاحظة منذ الصغر ، وكثير منهم يبلغ بهم ضعف البصر الى حد انهم يبدون وكأنهم يقرأون بأطراف أنوفهم . .

- هل الاشخاص الاذكياء أقرب الى الجنون من غيرهم ؟

ان بعض الاشخاص الشديدى الذكاء ينسب اليهم ضرب من الشذوذ أو ربما يصابون بالجنون فعلا . ولكن سوادهم يكونون فى حالة عقلية سليمة وأبعد من الجنون من غيرهم

- هل الاذكياء يتملكهم الغرور عادة ؟

ان الاذكياء يدركون انهم يفوقون غيرهم فى ادراك الامور ، ولكنهم لا يختالون على الناس من جراء ذلك . بل انهم على العكس يقدرون مواضع الضعف أو النقص عندهم ، ومن ثم تراهم متواضعين بل خجولين ، وانما يتملك الغرور الاغبياء عادة

- هل الافكار النيرة تجعل الجنين ذكيا ؟

ان كثيرا من الحوامل يعمدن الى قراءة الكتب العميقة ، ويستمعن الى المحاضرات على أمل أن يلدن أطفالا أذكياء . ولكن الحقيقة ان ذلك لا يؤثر مطلقا على الجنين

(عن مجلة « ساينس دايجست »)



بقلم الأستاذ نقولا الحداد

ونادى الكوكب المشترى المريخ قائلا : ما هذا يا جار .. أشعر ان الفلك مضطرب بنا، هل أنت شاعر مثلي ؟

فأجاب الكوكب المريخ : وهل انت على ضخامتك أيها الكوكب الجبار الذي لا تقلقله الاحداث تشعر أيضا باضطراب الافلاك . ما كنت أظنك تحس باختلال في توازن الفلك المدار وتلاطم أمواجه الاثيرية . اذن فماذا تقول الزهرة ويقول عطارد ؟

فقال المشترى : انني أحس ان عالمنا الشمسي يكاد يتداعى

ـ لا يا أخي .. لا تخف ، الواقع ان اختنا الارض صار جلدها يأكلها لانها مصابة بداء الحكاك . وقد ذهبت الى أمنا الشمس تستعيذ بها وتستشيرها فيما تفعل لكي تبرأ من هذا الحكاك القاتل . فلذلك اختل توازن النظام الشمسي

قال المشترى : وما سبب هذا الحكاك الذي تشكو منه اختنا الارض المدللة العزيزة ؟

ـ يقال ان حشرة تسمى الانسان انتشرت في جلدها فملأت كل بقعة فيه ، وهي تنهش فيه نهشا ، فلم تعد تستطيع احتماله

ـ عجبا ! أليس هذا الانسان الحشرة من مواليد الارض ؟ فلماذا لم تعد تطيقه وقد كانت قبلا تفاخرنا به ؟

ـ صار يؤلمها جدا

ـ وماذا أشارت عليها أمنا الشمس ؟

ـ الى الآن لم ترجع لكي تخبرنا ماذا كانت نصيحة الام

***

ومثلت الكرة الأرضية لدى الشمس وجعلت تستغيث متلهفة : اماه .. لم أعد اطيق الألم . ان الانسان الشيطان ينهش في بدني نهشا ذريعا .. بربك خلصيني منه . لقد هرأ جلدي ومزق لحمي عن عظمي ، فهو يخترق الجبال ويسرح في الصحارى ويمخر البحار ويتغلغل في قرار الماء وفي طبقات الهواء . وقد غزا جميع قواتي الطبيعية المنظورة وغير المنظورة واعتقلها وجعل يسخرها لاغراضه ويتصرف فيها حسب ارادته

والغريب في هذا الانسان الشيطان انه يدمر اليوم ماعمره منذ أعوام ، ويقتل الآن البنين الذين ولدهم منذ الامس ، ويمسح عن وجهي كل جمال صنعته له، وكل حسن هو ابتدعه.

ان هذا العقل الذى زينه به الله تحول بسوء قصده الى جنون وحمق ، فصار خطرا على نفسه وعلى . بربك انصحينى واسعفينى

فقالت الشمس : ماذا فى يدى يا بنتى ! انت ولدت هـذا الانسان الشيطان ، ولطالما اعززته ودللته ، وجعلت له من كل صدر من صدورك أثداء ليرضع منها ومن مروجك الخضر حدائق غناء يقتطف ازاهيرها ، وجنات فيحاء يأكل ثمارها ، ومن جبالك مناظر بهيجة تسحر الالباب ، وهى تتساوق امام عينيه فيما هو يرتاد البلاد . وكنت مزهوة به على اخواتك الكواكب الاخرى متكبرة عليهن متبجحة . لعل هذا الحكاك الذى تشكين منه جزاء هذه العنجهية وعقاب هذه الكبرياء . وما ظلمك أحد يا بنتى الا مولودك هذا . . فتحملى

ـ ولكن يا اماه لو وقف خطره عند هذا الحد لهان ، ولكن . .

وجعلت الارض الحنون تنتحب حتى اختنق صوتها ، ولم تعد تستطيع كلاما . فقالت الشمس : ماذا غير هذا يا بنتى ؟ هل هناك أصعب من مرض الجرب

ـ نعم نعم . . هناك هلاك وفناء بلا مرض ولا داء . لا أدرى أى شيطان رجيم علم هذا الانسان ان يفجر الذرة ويفتتها تفتيتا ، فتنتشر فى البحر الاثيرى الذى نشأت منه هباءمنثورا

ـ أجل . . وماذا فى هذا ؟

ـ فى هذا كل الخطر . انه يحاول الآن ان يفتت كل عنصر من عناصر الذرات الاثنين والتسعين . فتت أمس ذرات الاورانيوم ، فانفجرت انفجارا هائلا زلزل بدنى . وغدا يفتت ذرات الراديوم ، فذرات الرصاص ، فذرات الذهب ، فذرات الحديد ، فذرات كل عنصر من عناصرى الباقية . وقد اخترع جهازا جهنميا اذا سدده الى ذرة واحدة انفجرت وهى بدورها تفجر جميع الذرات التى حولها ، وكل ذرة تفجر غيرها وهكذا دواليك حتى تفجر جميع الذرات التى يتألف منها جسمى . وفى لحظة قد أصبح هباء منثورا فى الفضاء اللامتناهى ، فلا تبقى لك بنت تسمى الارض . فهل نسكت على هذا النذير بالويل والثبور ؟

فضحكت الشمس ضحكة تنبهت لها جميع الاجرام القريبة والبعيدة ، وتساءلت فيما بينها : ترى ماذا طرأ ؟ هل زوجت الشمس أحدا من ابنائها ؟ ولكنهم سمعوا الشمس تقول : وأين يكون هذا الانسان العفريت ، أما هو مؤلف من ذرات مثلنا ؟ هل يجهل هذا والا فكيف يفعل فعلا فيه فناؤه

ـ يفعل يا أماه ذلك لانه لا يزال طفلا غبيا يلعب بالنار ولا يدرى ما النار ، حتى يحترق فيها

ـ عجبا . . لا افهم هذا ، لا افهم ان الانسان الذى فهم الذرة وأمكنه ان يفتتها ، يقدم على فعل فيه فناؤه

ـ انه مجنون يا اماه ، ثارت ثورته واشتد به الغضب فصار لا يفكر فى شىء حتى فى

نفسه . وقد فعل مثل هذا الفعل فى مدينتين ، فدمرهما فى لحظتين وأهلك فيهما ربع مليون نفس . انه مخلوق شرير صرت أخاف من شره . ويخيل الى ان شياطين الجحيم طرا قد غزت الارض وأفسدت الانسان

فقهقهت الشمس وقالت : لا . لا يا ابنتى .. الانسان هو الذى غزا الجحيم ، وأفسد زبانيته ، واستقدمهم الى الارض ، لكى يلقى عليهم دروسا فى العبث والافساد، ويستخدمهم فى الكيد والشر . فاذا كنت قد أصبحت فى خطر من هذا الانسان المفوق ـ كما تقولين ـ فالجئى الى الاله الاعلى وارفعى اليه شكواك

***

وعادت الارض وهى لا تدرى كيف تقابل الرب الاعلى وأين تجده ، واذا بالملاك جبريل يقابلها قائلا : الى أين تهربين أيتها الارض التعسة من وجه الحق والحقيقة ؟

فأجابت والدموع تهطل من عينيها : هل من يلجأ الى الله العلى يعد هاربا يا سيدى الرئيس من وجه الحق والحقيقة ؟ انى أرفع شكواى الى الحق الاعلى والحقيقة الابدية ، ومن يكون غيره جل جلاله ملاذ المظلوم ومنصف الشاكى ؟

ـ هل علمت ان ابن آدم الذى يسمونه الانسان ، وينسبون اليه الرحمة والرفق ومكارم الاخلاق ويعزون اليه الصفات النبيلة التى تنطوى عليها كلمة الانسانية ـ هذا الانسان الحيوانى ـ يعيث فى فسادا . وقد استنبط جميع آلات الشر والخراب والتدمير . فما ترك فى حجرا على حجر ، وهو ينخر فى كما ينخر السوس فى الخشب

ـ وى وى . وكيف يفعل الانسان هذا ، وهو يعلم ان فتاكه يشمله هو أيضا

ـ أجل يريد هذا لانه أحمق ، وفى ساعة غضبه وغيظه قد يفعله منتحرا ، كما فعل شمشون قبله . اصبح هذا الانسان أحمق ارعن متغطرسا جبارا لا يخاف الله ولا يهاب قوات الطبيعة

ـ بل لا بد ان يهاب قوة الله ويعلم ان ما لا يريده الله لا يستطيعه الانسان

ـ ولكنه لم يعد يأبه بشىء .. لقد نسى الله سبحانه وتعالى وحالف الشيطان . أريد ان أشكو أمره الى البارى مدبر الكون الاعلى

ـ تعالى نمثل لدى العزة الالهية ، ونرفع الامر الى جلاله الاقدس

***

وانتقلا لدى العزة الالهية . فقال جل وعلا : لقد وصل الى نحيب الارض من جراء عمل الانسان العاتى الماكر الكافر الفاجر ، وعلمت انك يا ملاكى جبريل قادم معها لكى تتشفع بها وترجو منى ان أرد كيد هذا الانسان عنها ، فلست بفاعل

فقال جبريل بعد ان سجد عدة سجدات : مولاى .. جئت اتوسل الى جلالك ان لا تدعه يهتدى الى أى اختراع بعد اليوم ، لان ما اخترعه زاد عن حاجته لاجل هنائه ،

ولكن طموحه لا يقف عند حد فبعد ان توصل الى تحطيم الذرة واخترع قنبلة ذرية تدك الجبال صار الآن يحاول ان يفجر كل عنصر من عناصر المادة ، حتى انه توصل الى اختراع يفجر به كل ذرات الارض فتتفتت الارض وتذهب هباء منثورا فى الفضاء

فأجاب البارى تعالى : حسن جدا .. وماذا فى ذلك ؟ دعه يفجر جميع ذرات الارض

ــ مولاى اتسمح ان تفنى الارض ويفنى الانسان معها أيضا ؟

ــ فليفنيا معا .. هذا ما أريده

ــ مولاى . اتفرط بالانسان وهو أجل مخلوقاتك واحبها اليك ، وقد انقصته قليلا عن الملائكة ، وجعلت قديسيه أرفع من الملائكة

ــ أجل . ولكنه طغى وتجبر وأصبح دون الابالسة والشياطين . فليفن من الوجود اذا شاء ، ما أنا مفنيه بل هو مفن نفسه

ــ ولكن فى طوقك رباه ان توقف قوة الاختراع فيه عند هذا الحد ، فكفاه ما اخترع وما استنبط ، وقد ملك الآن عنان الطبيعة ، فلك ان تسد عليه سبيل الطموح

ــ لقد خلقته حرا .. فليفن حرا . فاذا رام ان يفجر ذرات المادة الارضية ــ وهو منها ــ فليفعل ، وما أنا مانعه . كما أنى براء من فعلته ، فقد خلقته حرا ، ولا أريد ان أغير خليقته

ــ مولاى الاعلى .. ولكنه لا يفهم عواقب عمله ، فيمكنك ان تكبح جماح حريته قليلا

ــ كيف لا يفهم عواقب عمله وقد منحته عقلا عظيما لم امنحه لغيره من الخلائق . ووهبته قوة ادراك النتائج المجهولة من المقدمات العلوية المعقولة . افلا يفهم انه مؤلف من ذرات كذرات الارض ، وانه اذا نسف ذرات الارض نسف نفسه . أليس من تراب الارض جبلته ؟ فمع تراب الارض ينصهر ويتبخر ويتبدد فوتونات فى الفضاء اللامتناهى

ــ ولكنه سكر بخمر الانتصار على الطبيعة ، فلم يعد يذكر نفسه . فنرجو ان ترده الى صوابه لكى يعقل مصلحته

ــ قلت لك انى خلقته حرا فلن اتصدى لحريته ، ومنحته عقلا يفهم فليتدبر شأنه

ــ اتسمح يا مولاى ان يفنى الانسان وهو زهرة خليقتك ، ومرصود لعبادتك وتمجيدك والتسبيح لك

ــ السموات تسبح لى والافلاك تمجدنى . فانا غنى عن تسبيحه وتمجيده .. نعم كان مكرسا لعبادتى وتمجيدى والتسبيح لى وقد قلت له بصراحة : « أنا الرب الهك . لا يكن لك آلهة أخرى غيرى » . فاذا به قد نسينى وصنع له الها من الذهب ، من تراب الارض الذى جبلته منه . ثم انه عظم الذهب وقدسه واعلاه . ولئلا يتدنس ذهبه ، صنع ورقا قائما مقام الذهب . لقد جعل البنوك مساجد له ، والمصارف معابد ، وأصبح الاثرياء ــ فى نظره ــ قديسين ، والمعدمين الفقراء كفارا ملحدين . ادخل الى دار الاوراق المالية تصم اذناك من الهتاف للمال والترنم باسمه ، ادخل الى المصرف تر المناكب متزاحمة ، ادخل الى

الكنائس والجوامع لا ترى فيها أحدا من هؤلاء ! أين عبادي ؟ لا أرى منهم فيها الا المرائين . اذن ، فلماذا استبقي هذا الانسان الاعق . يريد ان يخسف الكرة الارضية به . فليفعل ، فلست آسفا عليه

ـ أجل انه يستحق الفناء جزاء عقوقه ، ولكني لست بعدلك يا مولاى الوذ ، بل برحمتك وغفرانك . انك الرحيم الغفور

ـ أهذا الانسان الكنود العاق يستحق رحمة وغفرانا ، وهو لا يفهم ما هي الرحمة ولا يحس بشفقة على الرغم من انى ما زلت اتعهده برحمتى ورأفتى منذ خلقته الى اليوم لكى يتعلم الرحمة ، ولطالما أشفقت عليه لكى يتعلم الشفقة . كانت حياته سلسلة مظالم وجرائم وكان سلوكى معه سلسلة رحمات وغفرانات . من أجرى الدماء أنهارا فى الحروب ؟أأنا . . من يتم الاطفال ؟ من رمل الزوجات واثكل الامهات ؟ من عذب ابن الانسان غير هذا الانسان ؟ من بقر بطون الحبالى وذبح الاطفال ؟ من جوع الناس ؟ من دفنهم أحياء ؟ من رمى البشر فى الافران أحياء ؟ من عراهم واطلقهم فى الزمهرير على الثلج ؟ من حصد الناس حصدا بالمدافع الرشاشة ودمر المدن ؟ من اغرق السفن بالاطفال والرجال ؟ من سبى العذارى ؟ من زلزل الارض والسموات بشروره ؟

كل هذا فعله الانسان تفانيا فى عبادة المال الهه . انى أرى بنى الانسان يقتتلون تنازعا للمال الذى يعبدونه من دونى ، يتنازعون ميراثى وانا حى الى الابد . يتخاطفون الممالك والاراضى والبحار تهالكا فى عبادة الورق ، كأن الارض على رحبها لا تسعهم ، وهى تسع الف ضعف من عديدهم . وكأن الرزق كاد ينضب منها ، وهى كلها لهم رزق لا يفنى ويكفى الف اضعافهم . يحشدون الاموال والارزاق فى خزائنهم ومصارفهم ، فمتى أفنى بعضهم بعضا ، فلمن تبقى تلك الارزاق والاموال . يريدون ان يبتلعوا خيرات الارض جشعا ، والارض تبتلعهم . يفنون والارض تبقى . ما اجهل هذا الانسان وما اسخفه لقد غزا الجحيم واستقدم ابليس الرجيم ، لكى يشركه فى ملكوته ويحالفه على عصيانى . أعلى هذا الانسان تريد ان اعطف يا جبريل واياه ارحم وله اغفر ؟ دعه ينتحر بقنابله الذرية . جئت به للصلاح فاذا به يتمادى فى الطلاح

فقال الملاك جبريل مجهشا بالبكاء : ولكن يا مولاى فى البشر ابرارا اتفرط فيهم بجريرة الاشرار

ـ كم فيهم من الابرار ؟ هل فيهم عشرة فى المئة فاعفو عنهم جميعا لاجل خاطر العشرة

فتململ جبريل وقال : لا اظن يا مولاى

ـ هل فيهم عشرة فى الالف ، فاعفو عنهم جميعا

ـ لا ادرى . . قد لا يكون

ـ هل تكفل ان يكون فيهم عشرة فى المليون

ـ لست اضمن يا سيدى العلى

ـ اذن فليهلك الاشرار ، وانا انتشل الابرار المعدودين من بينهم مهما كان عددهم قليلا

فترنح جبريل اسفا وقال : ولكن الارض يا ربي ما ذنبها حتى تهلك بجريرة بنيها

ـ انها الملعونة .. اليست هي التي انتجت الغذاء والكساء لهذا الانسان لكي يعيش هنيئا . اليست هي التي فتحت له صدرها لكي يستخرج منه الفحم والزيت لكي يحرقهما لاصدار الطاقة واستعمال القوة لاغراضه ، ولكي يستخرج الذهب والفضة ليصوغ منهما الهه ، والمعادن ليصهرها ويسبك منهاآلاته، وأخيرا الراديوم والاورانيوم للدمار والهلاك، اما هي التي فتنته بجمال الطبيعة وعلمته الفن وأوحت اليه السحر .. فلماذا تشكو ؟

ـ أجل لقد أنتجت للانسان الخيرات فكان ابنا اعق ، يقابل الخير بالشر . فارجو يا مولاي ان تعفو عنها وان تصونها من شر ابنها لانها لا تزال هي والسموات تسبح لك بمجدك

ـ سمعا يا ملاكي جبريل سأصونها ، فلا ادع هذا الانسان العاق يدمر منها أكمة ولا جبلا ولا يبدد منها صحراء ولا وعرا . فمهما تعاظم هذا الانسان الفاجر وتكبر وتشامخ وتجبر وتمرد ، فستبقى الجبال جبالا والمنخفضات وديانا والمياه انهارا ومجتمعاتها بحارا . وستبقى الارض ارضا الى الابد . واذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت اثقالها ، فكل ما شاده هذا الانسان عليها من مظاهر المجد والفخر يتهدم ويتقوض . ينقرض البشر ويقوم أحياء آخرون يبنون مدينة جديدة ، ويجددون عمرانا رائعا ، وابقى انا الحاكم الديان مدى الزمان . ان هذا الانسان اذا لم يفن بتحطيم الذرات فسيبيد بثوراته بعضه على بعض ، فقد قضى على نفسه بالهلاك . فان لم يهلك بالقنابل الذرية فسيهلك بالغازات السامة والاشعة المحرقة . فهو هالك هالك لا محالة

فتنهد جبريل ثم قال: انه يا رباه سكران الآن وللسكران بعض العذر . فارحمه واغفر له

ـ لا سكرة الا بعدها صحوة .. فليعد الى بعد سكرته فارحمه وليتب فاغفر له . وليعد الى عقله وصوابه ، فامامه مدى طويل لاصلاح حاله واستئناف حياته الصالحة ، على قاعدة العدل والاستقامة والرحمة والشفقة . امهله فترة من الزمن عسى ان يرعوى

فقال جبريل ساجدا : الحمد والشكر لذى الجلال

***

وعاد جبريل وجنوده الملائكة يحفون حول الارض فى عودتها الى فلكها . وعادت الارض مطمئنة بعض الاطمئنان وهى تقول : ترى هل يرعوى هذا الانسان ، ويتوب الى الله الرحمن ، ويثوب الى رشده ويطرد الشيطان من ملكوته ، ويعيش بارا سعيدا ممجدا الله . اللهم الهمه التوبة والصلاح انك السميع المجيب

نقولا الحداد

الفن والفنان

للدكتور ابراهيم ناجى

ما أكثر ما تردد اليوم كلمتان : الفن والفنان ، حتى انه ليخيل الينا أحيانا ان الفن هو مجرد الاتقان ، وان حشد غرفة باللوحات البراقة ، أو صف المقاعد الملونة ، وارسال الاضواء البراقة الزاهية ، والاكثار من مظاهر الترف والجاه هو الفن

والواقع ان فهم الفن على هذه الصورة مفسد لاصوله ، مضيع لجوهره ، ذاهب بمعناه . ولقد ذهبت ـ من باب المعرفة ـ استقصى تعاريف الفن عند كوكبة من صفوة المفكرين والفلاسفة فوقفت على مجموعة عجيبة ، فى بعضها دقة علمية رائعة ، وفى البعض الآخر ومض واشراق وفهم دقيق ! فالتعريف العلمى عند شيلر ودارون وسبنسر مثلا هو ان الفن نشاط خاص منشؤه الحاسة الجنسية والميل الى اللعب وهو مصحوب بتأثير سار فى المجموع العصبى . فاما ان منشأه الحاسة الجنسية ، فيكفى للدلالة على ذلك ان الالوان البديعة والزينات الرائعة التى تكسو أعضاء الحيوان ، تكون على أتمها فى الربيع وتلك هى الاغانى والاغاريد المنطلقة من حناجر ظامئة عاشقة فى مواسم التناسل

***

اما التعريف العلمى عند العلماء فهو التعبير عن العاطفة بوساطة الخطوط والالوان والخطوات والاصوات والكلمات . . فهيجل واتباعه يقولون بان الجمال عبارة عن اشراق الفكرة من خلال المادة ، فلا بد للروح من مظهر مادى والفن هو الذى يجلو هاته الفكرة لتعبر عن أهم مشكلات الانسانية وأعلى حقائق الروح . والحق والجمال عند هيجل شىء واحد ، غير ان الحق هو الفكرة مستقرة ، والجمال هو الفكرة مجلوة ظاهرة . .

وتقول مدرسة هربرت ان الجمال نسب ، وعلى الفن أن يكتشف هذه النسب ويجلوها . واما شوبنهاور فيقول ان الارادة طبقات مختلفة ، والتجرد من الذات لتأمل تلك الطبقات يحدث الشعور بالجمال . والفنان هو الذى يملك القدرة على التأمل والتحليق فى سموات مشرقة عليا

ان الجمال هو الكمال المطلق منظورا من خلال الحواس ، والحق هو الكمال منظورا من خلال العقل ، والخير هو الكمال منظورا من خلال الخلق ، والجمال هو ما تناسب فيه علاقة الحق بالخير وعلاقة الجزء بالكل . والفن هو الذى يكتشف احسن هذه النسب ، وهى على أتمها فى الطبيعة

ولنسأل انفسنا أولا ما هى أنواع الفن التى نعرفها ، ثم ما هى حاجة الانسان الى الفن وهل يمكن أن يعيش الانسان بدون الفن ؟ وبعبارة أخرى هل يمكن ان تخلو الدنيا من الموسيقى والشعر والنحت والتمثيل ؟.. ان الفنون جميعا تنبع من مصدر واحد ، فان الشعر له « بيت » ، وهذا يشير الى البناء ، والالوان المتناسقة لها انسجام يدعى « موسيقى الالوان » ، وقد سبق لجيته ان قال : ان العمرة الفنية عبارة عن موسيقى متجمدة . ومن ثم يكون الكلام على الفنون جميعا متشابها ، والفنان الحقيقى يلم بها ويفهمها الماما عاما ، الماما مبنيا على الطرب ، قبل ان يكون قائما على معرفة خاصة

والفنون قسمان : منظورة وغير منظورة ، فالمنظورة هى التى يكون العمل الفنى فيها بارزا أو مجسما كالتصوير والنحت ، وغير المنظورة هى التى لا يكون فيها العمل الفنى ملموسا كالموسيقى والشعر والتمثيل

***

ان قصد الفن ، احداث الطرب والسرور بواسطة اظهار الجمال ، والفن والجمال صنوان ، ولكنهما على قدر الصلة الوثيقة بينهما ، يجب ان يميزا ، واذكر على سبيل المثل اللوحات « الفنية » التى ليس فيها شىء من الجمال مطلقا ، ومع ذلك فيها الفن الخالد ، والقطعة من الخزف القديم التى تباع بثمن غال جدا على انها « فن » ، وليس فيها للناظر مسحة من الجمال ، والتمثال المنحوت ، الذى له قيمته « الفنية » وليس له أية قيمة من ناحية الجمال ! على ان الذى يشترى هذا التمثال ، لا بد أن يجد فيه جمالا لا يراه الا القليلون ، فالجمال على ذلك شىء ذاتى ، أى ينعكس من روح الصانع على فنه ، ثم من العمل الفنى الى المتفرس فيه ، والشرط الاساسى فى استيعاب روح الفنان ، ان لا تنظر الى القطعة الفنية « بالتقسيط » ، بل اجتهد ان تتأملها « جملة » فسيثب اليك معناها المستتر وجمالها الخفى ، وستفاجىء روحك عبقرية صاحبها من خلال عمله الفنى . ويذكر هربرت ريد فى كتابه عن « معنى الفن » على سبيل المثال صورة يابانية لمركب على وشك الغرق ، فاذا اخذتها جزءا جزءا ، أى المركب ، ثم الموجة ، ثم الاشخاص ، ضاعت معالمها ومعانيها، ولكن اذا عرفت كيف تستوعبها جملة وجدتها شيئا رائعا خالدا لا تنساه ، ويقول فى ذلك ان الانسان لكى يقدر العمل الفنى يجب عليه الا يعطف عليه ، ويقف على هامشه ، بل عليه أن يتعلم كيف يدخل اليه ويستغرق فيه أو بعبارة أهل التمثيل « يندمج » ، وأنا شخصيا تعلمت ان اقدر القصيدة مثلا بالاصغاء اليها جملة فأقدر قيمتها الفنية بعد لحظات

يقول هربرت ريد : « ان العمل الفنى يجب أن يكون له شكل ، أو بعبارة أخرى هيكل وقوام ناتج من تشابك نماذج فنية متكررة ومتلاحقة بطريقة خاصة ، فالعمل المهلهل الضعيف لن يكون له شكل «form» لانه ليس له وحدة ، وعلى ذلك مهما حاولنا الدخول فيه ، والاستغراق فى ملكوته ، فلن نستطيع لانه ليس به شىء ، ولذلك نقف عند باب بغير منزل ونلازم شاطئا بغير بحر .. ولكن لماذا نرقص ولماذا نغنى ولماذا نمثل ؟ نسمع كثيرا ان

الفن هو الصلة بين الانسان والطبيعة ، وهذا صحيح ، وزادوا على ذلك ان الفن يحاكى الطبيعة ، وهذا خطأ ، فان الفوتوغرافية تنقل عن الطبيعة ونحن نفضل التصوير بالالوان أو الزيت على الفوتوغرافيا . اننا نفضل الاخير على الاول لسببين : ان التصوير باليد يحمل طابع المصور وروحه ، ولقد أمكن تمييز صور رافايل الاصيلة من المنقولة بواسطة أشعة اكس التى تظهر من الخطوط الاهتزازت والتموجات الخاصة بيد رافايل والمنعكسة من روحه ، والثانى ان الفوتوغرافيا تحمل شيئا منقولا لا زيادة فيه ، أما التصوير فينقل الينا الشىء مضافا اليه التفسير والايضاح »

فنحن اذن فى الفن لا نحاكى الطبيعة بل نزيد عليها ، نخلع عليها الحياة ، نخلع عليها الخيال ، نحن فى الواقع نسبق الحياة فى التطور ، ونصور الطبيعة لا كما هى ، بل كما يجب أن تكون . قالت سيدة لهويسلر الرسام الانجليزى المشهور : « ان رسمك يخالف للطبيعة » فأجابها : « هذا حقيقى ، ولكن أما كنت تودين ان تكون الطبيعة كذلك » !

***

يتضح من ذلك اننا فى أعماق نفوسنا نجد الطبيعة كما هى ناقصة ، فالكلام شىء ناقص ، والمكمل له هو الغناء . والمشى شىء ناقص ، والمكمل له هو الرقص . والتعبير العادى شىء ناقص ، والمكمل له هو التمثيل . ولما كان تغريد الطيور وهمس النسيم موسيقى ناقصة ، فقد اكملناها نحن بالموسيقى .. ونحن نقول الشعر لان التعبير بالنثر لا يكفى ، ونحن لا نلجأ الى الزخارف اللفظية الا كحيلة نخلع بها شيئا من الجمال على تعابيرنا ، أما الشعر العميق فليس بحاجة لذلك فهو جميل بقوته . فنحن اذن الذين نضفى الجمال على لوحات ناقصة ، نحن نأخذ الشفق فنرسمه فى لوحاتنا أو فى « صورنا القلمية » رسما حيا نابضا ، يكاد ينطق لو ملك النطق والكلام ، ونحن لن نحس بجمال الشفق والغروب أو الفجر الا اذا أضفنا اليه شيئا من ذكرياتنا وخيالنا . اما اذا نظر اليه الناظر العادى فهو مجرد ألوان سابحة وخطوط غادية رائحة .. وحسبكم ما يجده الناظر من الانقباض فى الطبيعة الجرداء ، وحسبكم ما يجده من الراحة عند ما ينظر الى العشب ، لانه حياة ، فنحن اذن بفننا نرقى بالطبيعة الجامدة الى أعلى مراتبها وهى الحياة ..

وقد يعجبنا الشاعر أو الموسيقى وهو يصف الجماد . ولو دققنا لوجدنا اعجابنا يفسر بانه خلع الخيال والحياة على الجماد ..

ونحن لا نخلع الخيال والحياة والجمال على الاشياء الا بما يسمى « البصيرة » . والبصيرة شىء مخالف للعقل تماما ، وهى ذلك الشىء الذى منحته ايانا السماء ، واعطت كلا قسطا منه كما تشاء . البصيرة هى ذلك الشىء الذى يجعل العبقرى يخرج اللحن قبل ان يتعلم « النوتة » ، والمصور يرسم الصورة ، وقد تكاملت فيها النسب الهندسية اللازمة لكل عمل فنى ، بدون ان يقيس بمسطرة أو ببرجل ..

والانسان يطرب ببصيرته ، لا بعقله ، واحب الفنون الى الانسان أقربها الى بصيرته وابعدها عن ذهنه ، ولذلك نجد الموسيقى والغناء أحب الفنون الينا

فالفن اذن يقتضى اولا : البصيرة ، ثانيا : تجاوز الواقع الى الخيال ، ثالثا : تجاوز المادة الى الروح ، رابعا : التفسير لا النقل

وآفة الفن شيئان الاول الانانية ، فلا يمكن لفنان صاف ان يكون أنانيا ، بل الحب هو أساس كل شيء . بعد ما رسم دافنشى صورة الجوكوندة ، لم يستطع التخلى عنها ، وقد طلبها منه ملك فرنسا فاعتذر . .

وآفة الفن الثانية الخضوع للعرف والاوضاع المألوفة . ومن السهل ان ندرك اسباب انحطاط الفنون فى العهود المختلفة ، فان العهود التى كانت ترسم فيها للفنان أوضاعه وتقاليده هوت بالفن الى الحضيض ، ولم يزدهر الفن الا عند ما ترك حرا مطلقا

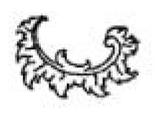
وقد لوحظ انه اذا روعيت النسب الهندسية فى الفنون، خرجت جامدة باردة. فعلى الفنان ان يشذ عن الاصول ، فما من عمل فنى رائع الا وفيه شذوذ . فعلى الفنان ان يجعل الخط المستقيم منحنيا ، والمنحنى مستقيما اذا اقتضى التعبير ذلك . ودليل ذلك انك لا تجد فى التماثيل الرائعة جبينا أو انفا مرسوما فى خط مستقيم . ومن الصور التاريخية لوحة صينية تصور حصانا ، أراد المصور ان يعبر بها عن عضلات الحصان ، فرسمها كتلا منحنية متعاقبة من اللحم . . فجاءت أوقع فى التعبير وبهذا كسبت الخلود . .

قلت ان الفنان يتعمد الشذوذ ، بل يتعمد الالتواء أحيانا ، ما دام يجد ان هذا الالتواء يمكنه ان يتقن التعبير عن روح المنظر أو الشخص ، وقد يبلغ الالتواء درجة كبيرة ، وهذا هو الفن الرمزى ، ولكنه يعطيه قوة خارقة

ما هاته القوة الخارقة ؟ هى القوة التى تعطى للخصوص معنى الشمول ، وللشمول معنى الخصوص ، أى ان الطابع الذى يبديه الفنان يكون طابعا انسانيا عاما ، بعد ميزة واحدة هى ان الفنان يجب ان يكون لشموله ، خصوصته هو واسلوبه هو وشخصيته هو

ويجب أن نذكر ان الفنان الحق لا يهمه غير موضوعه ، ولا يهمه غير ان ينقله لنا معبرا عما يجيش فى نفسه ، وما يحس به نحوه خاصة ، بغض النظر عن أى ناحية من نواحى الخلق أو الوعظ أو الارشاد . ان الفن الذى يشوبه شيء من هذا هو فن غير خالص

ابراهيم ناجى



اعرف جسمك تعرف مرضك

تغلب الطب الحديث على حميات الجدرى ، والدفتيريا ، والحصبة ـ أى على هذه الامراض العنيفة التى كانت أكثر الامراض خطرا على الانسان منذ قرن مضى . ولكن الانسان يجد نفسه الآن مستهدفا لامراض أخرى خطيرة وعنيفة تحملها اليه ، لا الجراثيم الناقلة للأمراض ، بل عواطفه المريضة

فاكثر ما يؤدى اليوم الى الموت أو الى العجز أمراض القلب ، والروماتزم ، وضغط الدم ، والحوادث ، والسكر ، والحالات العصبية والعقلية ـ فان هذه الأمراض تودى بحياة فرد أو تفسدها من كل عشرة أفراد فى الولايات المتحدة الامريكية ، وليس أدل من هذا الاحصاء على خطرها الفادح

وأطباء هذه الايام يرجعون أكثر اسباب هذه الامراض الى مشاعرنا المضطربة وعواطفنا المتنافرة : الى مشاعر القلق والجزع ، والحنق والحقد ، والخوف والندم ، والاحساس بالاثم والجريمة . وهم الآن فى سبيلهم الى التحقق من أن متاعبنا ومخاوفنا واحقادنا خطرة على اجسامنا خطر الجراثيم ذاتها

وقد كان الاطباء دائما يعرفون أن عواطفنا المضطربة ومتاعبنا المستترة كثيرا ما تؤذى أجسامنا وتعصف بها ، ولكنهم ما كانوا يزيدون على أن يربتوا على ظهور مرضاهم هؤلاء قائلين : ان الامر ليس الا وهما ، فخذوا الحياة سهلة يسيرة ، ولا تبتئسوا بها ولا تضيقوا ذرعا ! نعم ، كانوا يظنون الامر فى هذه الحالة وهما خادعا ، وليس مرضا حقيقيا . فقد كان المرض فى علمهم وعرفهم هو اضطراب الأنسجة والخلايا ، أما اضطراب العواطف والمشاعر فلا تترتب عليه الا أوهام وظنون

وعلى نقيض هذا ما وصل اليه « طب نفسية الجسم » من النتائج . فانه يعترف بأثر العوامل العاطفية فى « جميع » الامراض . ويطلب الى الطبيب أن يزن هذه الاسباب العاطفية فى تشخيصه وعلاجه مثلما يزن الاعراض الجسمية تماما . فان خلاصة هذا الطب ان شخصية الانسان ومرضه عنصران متصلان ، ومتأثران ، الواحد بالآخر . فالطب الجسمانى يسأل : ما هو المرض الذى أصاب هذا الجسم ؟ أما الطب النفسى فيسأل : ما هو الجسم الذى أصابه هذا المرض ؟

وليس هذا النوع من الطب جديدا فى الحقيقة ، وانما الجديد فيه هو اسمه العلمى Psychosomatic Medicine . وهو مؤلف من كلمتين اغريقيتين Psycha أى النفس و Soma أى الجسم . أما موضوعه فقديم جدا ، فقبل الميلاد بخمسمائة سنة ، قال سقراط عن احدى الجماعات الهمجية التى تقاتل الاغريق « انها أكثر رقيا من الاغريق لانها تعرف

أن الجسم لا يمكن علاجه بدون علاج النفس .. وهذا هو السبب فى أن اطباء الاغريق يجهلون علاج كثير من الأمراض »

وما قاله سقراط منذ خمسة وعشرين قرنا ما زال صحيحا الى حد كبير الى يومنا هذا . فان فصل الاطباء بين الجسم والنفس فى تشخيصهم للامراض وعلاجهم للمرضى ، أدى الى انهم ما زالوا حتى اليوم عاجزين بعقاقيرهم ومباضعهم عن أن يعالجوا بنجاح «ثلث» المرضى الذين يقصدونهم ، يلتمسون عندهم البرء والشفاء . ذلك أن هؤلاء المرضى لا يشكون مرضا فى أجسامهم ، وانما يشكون اضطرابا فى نفوسهم ، يطفو على السطح ــ أعنى على الجسم ــ فى حالة صداع فى الرأس ، أو تلبك فى المعدة ، وما الى ذلك من الحالات المرضية

وحتى أولئك المرضى بامراض جسمية عضوية واضحة ، لا يمكن علاجهم علاجا ناجعا دون النظر الى حالاتهم النفسية التى تساهم بنصيب كبير فيما أدى الى حدوث هذه الامراض وفيما يتخذ لعلاجها . فمن الذى ينكر أن أحقادنا ومخاوفنا لها تأثير كبير فى الجسم ، يضعفه ويوهنه ، فلا يستطيع أن يقاوم ما ينفذ اليه من الجراثيم وما يتعرض له من الامراض؟

وكلنا نعرف أن عواطفنا تؤثر فى أجسامنا تأثيرا ماديا ، أو عضويا ملموسا . فعاطفة الحزن تدمع العيون وتسيل منها العبرات . والخوف المفاجىء يؤدي الى جفاف الحلق وخفقان القلب . وشعور الارتباك يدفع الدم الى وجوهنا فتحمر خجلا . وسورة الغضب المفاجئة تجعلنا نقبض أصابعنا فى عنف وشدة . وهكذا نرى ان لكل عاطفة « استجابة » جسمانية . وهذا شىء ملحوظ للناس جميعا ، فهم يعرفون ان الصداع يصيب أعصاب رؤوسهم حين يهمهم أمر أليم ، وان التلبك يصيب معداتهم حين يقدمون على أمر مرهوب

والآن فلننظر فى بعض النتائج العلمية التى وصل اليها « طب نفسية الجسم » لنرى مدى الارتباط بين « أنفسنا » و « أجسامنا » :

فحصت الدكتورة فلاندرز الفا وستمائة من المرضى تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والخمسين وفدوا على مستشفاها بنيويورك مرضى بواحد من أمراض ثلاثة يبدو أن لا علاقة لها بالعواطف والمشاعر ، وهى : مرض القلب ، مرض السكر ، كسر فى العظام . فوجدت أن العنصر العاطفى كان له تأثير كبير فى اصابة ٧٩ ./. من هؤلاء المرضى ، وان فريقا كبيرا منهم مصاب بهذه الأمراض اصابة مزمنة لا لشىء الا أن عواطفه ومشاعره تحول بينه وبين الشفاء

ولا شك أن كسر العظام هو ــ فى الظاهر ــ أبعد الامراض عن أن ينشأ عن شعور الانسان ، لانه ينشأ غالبا عن حوادث الصدام والسقوط وما اليها . ولكن بحث هذه الطبيبة أثبت ان ثمة علاقة وثيقة بين شعور الانسان وما يتعرض له من الحوادث . اذ وجدت أن ٨٠ ./. من مرضاها المصابين بكسور فى العظام هم من ذوى العواطف المضطربة المتنافرة ، الذين يغضبون ويحنقون كثيرا ، مما يجعلهم « هدفا » تصيبه كثير من الحوادث

وأغرب من ذلك أن هذه الطبيبة وجدت أن كل مجموعة من المرضى بكل مرض من الامراض الثلاثة التى ذكرنا ، لها سمات وملامح مشتركة بين أفرادها ، أى أن مرضى السكر لهم ملامح خاصة بهم تميزهم عن مرضى القلب مثلا ، وللمصابين بكسر العظام سمات مشتركة بينهم تفرزهم عن أية مجموعة أخرى من المرضى . وهذا يفسر لنا صدق هذا الطب النفسى حين يقول ان لكل مرض أجساما خاصة به ، يرسل اليها جراثيمه ، أو يسدد نحوها سهامه !

فاذا عرف الانسان من أية مجموعة من الناس هو ، حسب ما له من السمات والملامح ، أمكنه أن يعرف أى مرض من الامراض يستهدفه . واذا تقدم الاطباء ببحوثهم فى هذا السبيل فقد يكون فى وسعهم أن يجعلوا أول همهم « الوقاية » لا « العلاج » . اذ يمكنهم حينئذ أن يقولوا : ان من كانت هذه سماته وصفاته كان معرضا للاصابة بالسكر أو الربو أو ضغط الدم — فيعملون لوقايته من هذا المرض قبل ان تقع الاصابة

ولما يصل طب نفسية الجسم بعد الى هذه الغاية ، ولكنه على أى حال يسعى فى سبيله اليها . فان بلغها قامت فى الطب ثورة يدونها الثورة التى أحدثها باستير ، اذ تصبح مهمة الطبيب ان يقى الجسم الامراض التى يتعرض لها بدلا من أن يشفيه منها

وهذا بحث آخر فى أمراض العيون يدل على ارتباطها بعواطف الانسان ومشاعره . فمن هذه الامراض مرض الجلوكوما أو « صداع الحدقة » الذى يصيب من أهل الولايات المتحدة الامريكية فى كل سنة عشرين ألف نسمة بالعمى ، ومائة ألف نسمة أخرى يكف لهم بصر عين واحدة . وقد قامت بعض الهيئات العلمية فى أمريكا بفحص ستة وثلاثين مريضا بالجلوكوما ، فحصا جسمانيا ونفسانيا ، فتبين لها أن أربعة وعشرين منهم أصيبوا بهذا المرض نتيجة مباشرة « لحادثة نفسية عنيفة » ، كرؤية حادثة يصاب فيها شخص قريب أو عزيز . وفى أكثر الحالات الباقية ثبت أن المرضى كانوا يعانون ازمات نفسية عنيفة مزمنة تتصل بعلاقاتهم بأقاربهم وأصدقائهم . وقد أدت هذه الحالات النفسية الى هذا المرض العضوى ، أى الى تصلب حدقة العين

وهذا مرض الروماتزم ، وما ينطوى تحت اسمه من جميع أمراض التهاب المفاصل ، يتصدر قائمة الامراض المزمنة فى المناطق الباردة من أوربا وأمريكا ، ويعتبر من اكثرها ضررا من الوجهة الاجتماعية لما يؤدى اليه من عجز المريض عن العمل والكسب . وقد حاول الاطباء علاجه بكل وسيلة من وسائل العلاج ، ومنها استعمال قرابة ثلاثين عقارا مختلفة ، فلم يوفقوا الى ما أرادوا كثيرا . فاتجهوا أخيرا الى « نفسية الجسم » المريض بالروماتزم يدرسونها ويحللونها ، فوجدوا أن التوتر أو الاجهاد العاطفى العنيف يعبر عن نفسه بتشنجات تعترى عضلات الجسم ، وهذه تؤثر بدورها على مفاصل العظام ، فتنشأ أمراض الروماتزم والنقرس وما اليهما من أمراض التهاب المفاصل

واكثر الاطباء ايمانا بأن الامراض رهن بالحالة العضوية ، دون الحالة النفسية للجسم ،

لا يستطيعون أن ينكروا تأثير العاطفة والشعور فى الاحشاء الداخلية وما يصيبها من أمراض منها التهاب القولون وقرحة المعدة . فقد تولى ثلاثة من الاطباء الامريكيين فحص ستين حالة من حالات التهاب القولون ، فوجدوا ان هذا المرض يستهدف أولئك الذين يعانون أزمات نفسية عنيفة ، تتوتر وتهيج فيها أعصابهم طويلا ، أو أولئك الذين يمتازون بالحس المرهف الدقيق ، مما يجعلهم فى غمرة دائمة من التفكير والشكوك والاوهام . فهذا المرض الذى ينشأ غالبا من تقلب المعدة والامعاء بين القبض والاسهال ، انما ينشأ قبل ذلك من اضطرابات نفسية حادة أو مزمنة تنتاب المرء فتفسد اجهزته الداخلية على صورة لا يتبينها الا الطبيب الذى يفحص فيما يفحص « نفسية جسم » المريض

ولا شك أنه لو عرف الانسان ان عواطفه المضطربة أو مشاعره المكبوتة قد تؤدى به الى المرض ، لعمل على تهدئة ما يضطرم منها وللتنفيس عما احتبس . فهذا موظف يظهر أمام رؤسائه وزملائه أنه يلبى ما يصدر اليه من الاوامر طائعا راضيا ، ولكنه فى قرارة نفسه يضطرم تمردا وامتعاضا ، واذا به يمرض ، فيقول له الطبيب : أقلل من التدخين شيئا ما ، فهو السبب فيما أصابك من ارتفاع فى ضغط الدم . ولو انه نظر فى نفسية الرجل لعرف سر هذه الحالة التى انتابته وهو ما يزال فى شرخ الشباب . وهذا رجل من رجال الاعمال ، ينصرف الى شؤونه عن أمور الحب والعاطفة . وهذه امرأة تريد أن تستقل بنفسها عن الرجال ، فلا تفكر فيهم من ناحية الحب أو الزواج . فماذا تكون النتيجة ؟ ان هذه المرأة وان ذلك الرجل يصيران هدفا للاصابة بقرحة المعدة، ذلك ان وراء تفكيرهما الظاهرى تفكيرا باطنيا يضطرم رغبة فى الحب وملاذه ، وميلا الى الزواج ومتعه ، ويظل هذا التفكير الباطنى محتبسا مكبوتا ، تتصارع عوامله فى دخيلة النفس صراعا لا تلبث ان تبدو آثاره العضوية ، فاذا بها اضطراب فى الاحشاء تعقبه قرحة فى المعدة أو الامعاء

وقد ذكرنا من قبل أن « طب نفسية الجسم » ليس حديثا الا بالاسم فحسب ، أما فى موضوعه فقد عرفه ابقراط ، أبو الطب ، قبل الميلاد باربعة قرون ، حين حذر مرضى الربو من التعرض للغضب والخوف . وهذا صحيح ، وأصدق دليل عليه ذلك الصبى الذى كانت لا تنتابه نوبة الربو الا اذا تركته أمه بالليل وحيدا . وقد أثبت بعض الاطباء الامريكيين أن الربو يتفشى بين الناس الذين يحبون الحياة العائلية الاليفة حبا مسرفا ، والذين ينفرون ويخشون من الوحدة والانفراد . وقد ثبت أن بعض المرضى بالربو أصيبوا به فجأة اثر حادثة ألقت الفزع والرهبة فى قلوبهم

هذه البحوث المتعددة المتباينة ، قد اقنعت اكثر الاطباء بأن « الجسم » و « النفس » عاملان يتأثر كل منهما بالآخر . فكما ان « النفس » تنبسط وتبتهج وتنقبض وتبتئس ، وفقا لحالة الجسم من الصحة والمرض ، فكذلك الجسم يتأثر بما يعترى «النفس» من الازمات العاطفية ، وما ينتابها من المشاعر المضطرمة ، وما يستقر فى حناياها من اللوازع المكبوتة

(عن مجلة « ليبرتى »)

فن الضحك

وفى فن الفكاهة بالمسرح المصرى

بقلم الأستاذ زكى طليمات

مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

الضحك أمر معروف ، وأماراته لا تحتاج الى وصف ، وله ألوان عدة ، وفيه ما هو صادق وما هو متكلف، والانسان مفطور على الضحك، ولذلك عرف بعض العلماء الانسان، فيما يعرفونه به تمييزا له عن سائر الحيوان ، « بالحيوان الضاحك »

واذا صح لنا أن نتساءل وما الذى يثير الضحك الحق فينا ، فسرعان ما تزدحم أمامنا أسباب عدة ، يضيق المقام بالاحاطة بها جميعا . بيد أننا نجمل فنقول :

نحن نضحك كلما وقع حسنا على تغيير فجائى ـ وذلك فى الحركة ، أو فى الصوت ـ يأتى من غير قصد . واليك المثل :

شخص يجرى فى الطريق، فاذا هو يقع فجأة على الأرض لارتطام احدى قدميه بحجر . أو هو ينزل السلم فاذا قدمه تزل فينذلق متدحرجا على درجات السلم

وذاك شخص آخر تسمعه يتكلم فى وقار ، وصوت مهيب ، فاذا به ، على غير انتظار ، يشد وسطه بحزام ويأخذ فى الرقص ، أو هو يرفع صوته بالغناء فى صوت حاد . بل انه يكفيه ليثير ضحكنا أن نراه ينتقل فى لهجة كلامه من الصوت المهيب ، الى صوت يحاكى صوت الأطفال !

وفى هذا ما يفسر ضحكنا حينما نسمع المصابين بنقص فى لسانهم يتكلمون ، فمنهم من اذا نطق (السـين) جاءت (ثاء) فيقول « يا ثلام الثمس ثاطعة النهارده » ، ومنهم من يتمتم أو يتلعثم ، وهذا أيضا يفسر ضحكنا من الاطفال وهم يتكلمون وقد انحرفوا فى نطقهم عن المخارج الصحيحة للحروف

وضحكنا فى هذا الصدد وفيما تقدمه يرجع الى كبريائنا واعتزازنا ، والى اعتقادنا اننا فى نجوة من كل هذا ، فنحن ـ كما يخيل لنا ـ أرفع شأنا وأحذق من أن نتعثر بحجر فى الطريق ، أو تزل بنا القدم ونحن نهبط السـلم ، أو ننحرف عن اخراج الحروف من مخارجها الصحيحة

ولكن اذا وقع لنا شىء من هذا فلا نلبث أن نضحك من انفسنا ، وان كنا قد عبنا على غيرنا ما وقع ـ وهذا من ضحك النفس على النفس !

ونحن نضحك أيضا اذا طالعنا ما لم يكن منتظرا من نتائج !!

اليك مثلا : عالم جليل يجلس الى مكتبه وحوله علماء أجلاء وهو يقول : « سأقدم لكم نتيجة بحثى فى مبلغ نشاط الذهن البشرى مكتوبا فى مذكرة ضافية » ثم يفتح درج مكتبه فاذا قطة صغيرة تطل برأسها ثم تخرج وهى تتمطى وتموء فى انزعاج !

ويدخل فى هذا ، المواقف غير المنتظر وقوعها ونحن أمام حالة عرفنا أولها ونحن نضحك اذا وقع نظرنا على غير ما ننتظر أو سمعنا به

واليك الامثال : هذه سيدة تدعى رخامة الصوت وعذوبته ، فاذا غنت حسبت انك تسمع صوت ماعز ، أو نقيق ضفدع !

وهذا رجل سمعت عنه أنه يأسر النساء بفتنته ، فاذا رأيته رأيت قارا يرتدى لباس آدمى!

وتكرار الشىء الواحد فى موقف واحد يثير الضحك !

تصور انسانا يقول لك « السلام عليك » فترد التحية ، ثم يكررها ثانية ، فثالثة ، وانت فى كل مرة ترد عليه !

وكذلك الحال فى الحركة الواحدة ، وما عليك الا ان تتصور شاربا يرقص كلما تكلم صاحبه !

وهناك ضحك تبعثه كلمات أو عبارات ، ويتم هذا بطريقة القائها ، أو بما تدل عليه دلالة مباشرة ، أو بما توحى به ، وقد جرى استعمالها بطريق المجاز والاستعارة !

ومن الاسماء والألقاب ما يبعث على الضحك ، اذ يكون مدلولها لا يتفق وهيئة المسمى بها أو من يحمل القابها ، أو هى لا تنسجم والمهنة التى هو عليها ، بل ان من الاسماء ما يجعلنا نضحك بمجرد سماعه أو النطق به ، لان حروفه تكون قد انتظمت فى تنافر وخصام!

والنكات أمرها معلوم تجرى الفكاهة فيها فتثير ضحكنا ، بما تضمنته من أوصاف غريبة واستعارات عجيبة تفاجئنا من غير حساب !

وليست هذه البواعث على الضحك مقصورا أثرها فيما يقع عليه السمع والبصر من المسموعات والمشهودات ، بل هى نافذة الاثر فيما نتخيله فى وهمنا ، وما تسترجعه ذاكرتنا من صور ومشاهد . وآية هذا اننا نضحك أحيانا ، وقد نغرق فى الضحك بمجرد استحضارنا ذكرى حوادث وقعت ، أو بمجرد أن تنسرح المخيلة فتبدع صورا من أشكال مضحكة

***

وعلى ضوء ما تقدم ذكره من بواعث للضحك ، وهى بعض من كل ، يصح أن نقرر اجمالا اننا نضحك كلما وقع حسنا على ما يخالف المألوف ، أو ما يجافى المنطق والقياس والمنتظر مما نشهده أو نسمعه أو نتصوره فى سلوك الناس وغيرهم من الكائنات الحية وغير الحية ، بأن يجاوز نطاق المألوف الى المستغرب ، والمعقول الى غير المعقول ، والمنتظر الى الامر المفاجىء

والمألوف والمعقول يرجعان الى مقاييس ومعايير ، وسبل ونظم استقرت جميعها فى أعماق

نفوسنا ، وبها نأخذ فى النظر الى الاشياء . والمنتظر أو المتوقع ـ وهو غير الامر المفاجىء ـ ما يجىء تبعا لمنطق الموقف الذى نكون نحن فيه أو يكون غيرنا عليه

والمألوف يشكل ناحية من المزاج ، وان كان المزاج ينهض على مقومات أخرى أهمها البيئة ، والوراثة ، والمستوى الثقافى

المزاج العام والضحك

والمزاج كما يختلف فى الاشخاص ، فانه يختلف فى الشعوب ، واختلافه فى الشعوب يرجع ، فيما يرجع اليه ، الى المناخ الذى يحدده الموقع الجغرافى . فأهل الجنوب مثلا ، حيث الدفء يشحذ الحواس ، وحيث الشمس ضاحكة تفصح عن تفاصيل المرئيات ، يميلون الى الفكاهة والضحك، ويغرقون فيهما أكثر من أهل الشمال، حيث البرودة تخفف من حدة الحواس ، وحيث الغيوم تحجب طلعة الشمس ، والضباب يغشى معالم الاشياء فلا ترى الا باهتة شاحبة بعد انعام فى النظر ، وامعان فى التأمل

ومن هنا تأتى أن ضحك أهل الجنوب تثيره المجسمات الملموسة أو الماديات ، والالوان الصارخة من الفكاهة أكثر مما تثيره ظلال الالوان ولطائفها ومولدات الذهن من رقيق المتخيلات ، وكلها تدخل فى نطاق المعنويات

والمزاج المصرى ، وشأنه فى هذا شأن مزاج أهل الجنوب ، يميل الى الفكاهة وتستخفه النكتة ، ويمتاز فوق هذا بلين وطراوة ولطف وخصوبة، كلها مستمدة من تربته ونيله الذى ينساب هادئا متسرحا فى أرض سهلة معتدلة المناخ رقيقة النسائم ، ويختص هذا المزاج بنزعة جامحة الى أن يبتدع مجالات للفكاهة من أتفه الاشياء ، وان يستخرج من كل حادث جدى ، مهما عظم خطره ، جانبا للفكاهة يطلق فيه ضحكه ، بعد ان يحيله الى أهكومات واضاحيك ولعله مدفوع الى هذا بحافز من واعيته الباطنة ، وهى واعية دأبت على الكبت الدائم والكظم المستمر ، بفعل الاحداث التى نزلت بمصر فى مختلف أدوار تاريخها ، وبتأثير الضغط والعسف اللذين نزلا بالمصريين فى عصور الرق والاستبداد والغزو والاحتلال

فالضحك لدينا ـ ونحن من أكثر الناس مبالغة فى الضحك ـ انما هو رد فعل لحالات مؤلمة اكتوينا بنارها وما زلنا نكتوى ، وهو لدينا منفرج وعزاء ، وضرب من الاستسلام الذى أخذنا بأسبابه منذ القدم بفعل ما سبقت الاشارة اليه

هذا المزاج المصرى الذى أجملت وصفه ينعكس على مسرحنا المصرى الناشىء ، بعد ان كانت مرائيه جلسات السمر ، ومجالات التندر والتراشق بالنكات والاهكومات ، وحفلات الرقص والغناء

المسرح والضحك

والمسرح منذ نشأته الاولى كان للمأساة كما كان للفكاهة ، ولا يزال لهما باعتبار

انهما وجها الحياة من حيث الحزن والفرح ، اليأس والامل . والمتقصى مدارج المسرحية الفكاهية منذ القدم الى اليوم ، تطالعه ألوان الفكاهة كلها فى مختلف بواعثها وأسبابها ، وكيف سايرت وسائلها تطورات الزمن تبعا لسنة الارتقاء العام ، وان بقيت بواعثها واحدة لم تتغير ، كما هو الحال مع النفس البشرية الخالدة بغرائزها . كذلك يفصح المسرح عن ماهية المزاج العام الذى عليه كل شعب من الشعوب يكون له مسرح قائم ، ويستخرج منه ألوان الفكاهة التى تستهويه ، وماهية خصائصها من حيث الوسائل الغالبة عليها

والمسرح المصرى ، باللسان العربى أو اللهجة العامية ، حديث العهد بالوجود ، اذ يرجع قيامه الى ما يقرب من ثمانين عاما خلت ، بعد ان انتحلنا أوضاعه وأدبه من واردات الغرب الوافدة علينا

والجدير بالنظر أن هذا المسرح منذ قيامه كان للفكاهة والهزل أكثر مما كان لنواحى النفس ومآسى القلب . ومرجع هذا عريق فى النفسية المصرية التى كانت تتحرز دواما من ابداء متاعبها والكشف عن خوالجها الدفينة جهرة ، وعلى ملأ من الناس ، نظرا الى عوامل الضغط والقمع وحبس الحرية التى قضت بها ظروف سياسية واجتماعية غاشمة دامت عصورا طويلة

وما كان للمسرحية المصرية الفكاهية أن تشذ عن المسرحية عامة ، من حيث انها تقوم فى عناصرها على ما يخفق به المزاج العام . ولهذا فاننا نجد فى هذه المسرحية المصرية جميع البواعث والوسائل التى تستهوى الجمهور الى الفكاهة وتنشطه على الضحك . وكأن المسرحية قد استعارتها مما كان سائدا فى مجالات الضحك الخاصة والعامة ، أى فى مجالس السمر والتندر ، فى المقاهى ، وفى الافراح والموالد ، وهى بواعث فطرية ووسائل بدائية ، ولكنها صادقة ، تقوم وتجرى لمجرد الاضحاك والترويح عن النفس . وهى تهدف بدافع لا شعورى من النفسية المصرية المكبوتة ، نحو التهكم والسخرية ، وكأنها تلتمس الغذاء الذى يعوزها وهو الحرية

الحكام الظلمة ، والمديرون المستبدون ، والملاك المتغطرسون ، ومن هم على طرازهم ممن يحيطهم الجاه أو المال بسياج لا ينفذ منه تبرم الناس بهم . كل هؤلاء كان موضع السخرية ومثار الضحك فى المسرحية ، ولكن بعد أخذ من جانب المؤلف ، بأسباب التغطية والتنكير والتمويه فى الاسماء والحوادث

وكيف كانوا يقدمون على المسرح بحال يثير الضحك ؟

كانوا يقدمون فى هيئات عجيبة وأزياء غريبة غير مألوفة تناقض ما يجب أن يكونوا عليه هيئة ومنظرا ، فلا يلبث الناظر اليهم أن يغرق فى الضحك !

ولما كان المؤلف المصرى لا يحذق الحبكة المسرحية وايراد مواقف تثير الضحك بغرابتها ومفاجآتها ، وذلك بحكم حداثة عهده فى كتابة المسرحية ، فانه عمد الى الحوار وأودع فيه كل الخصائص التى من شأنها أن تضحك الجمهور بطريق اللفظ والعبارة ،

فمن نكات حاذقة ، الى استعارات يقوم التناقض على أتمه بين معناها اللفظى المباشر ومعناها الذى يلوح ولا يفصح ، الى اسماء تضحك بمجرد سماعها

وهكذا كان الدور الاول للمسرحية الفكاهية من حيث بواعثها على الضحك ووسائلها فى الاضحاك ، بعد أن امتدت هذه الوسائل الى معالجة غير الشخصيات التى يروق الجمهور أن يجرحها بسخريته وضحكه ، هذا والضحك فى هذه المسرحيات كان دائما يتسم بالمبالغة والخشونة

وجاء الدور الثانى بعد أن شاعت روايات «الفودفيل» المترجمة ، وهو نوع من المسرحيات الفكاهية أساسه الاضحاك بالمفاجئات والمواقف الشاذة التى لا تخطر على بال ، فاذا المسرحية تتخذ عاملا جديدا فى اثارة الضحك ، اساسه المفاجئات وتجسيم الشذوذ فى سلوك اشخاص المسرحية ، وتضيفه الى العوامل الاولى ، بعد ان هدأت من مبالغتها ولكنها احتفظت بعامل الاضحاك بطريق الاسماء الغريبة ، وكلنا سمع أسماء « كشكش بك » و « زعرب » و « أم شولح » و « شرفنطح » فى المسرحيات الهزلية . وما زلنا نسمع اشباها لهذه الأسماء الغريبة فى بعض ما يقدمه المسرح الفكاهى اليوم

ثم جاء دور ثالث ، اذ اقتربت المسرحية من الفكاهية الاخلاقية أو « فكاهية النماذج البشرية » ، وهى المسرحية التى يجرى الاضحاك فيها بغير طريق المبالغة فى ايراد المواقف والمفاجئات وافتعال النكات والالفاظ المتبلة ، اذ هو يجرى بتقديم نماذج بشرية قومت تقويما انسانيا صحيحا يكشف عما فى نفوسها من غرابة وتناقض ، ويكون مثار الضحك فى هذه المسرحيات ما تحمله هذه النماذج فى طباتها من طرافة ونغاشة وخفة ظل ، ومفارقات .

وانشق فى السنوات الاخيرة أفق ضيق للمسرحية ذات الفكاهة اللبقة والضحك المتدل ، ولكنها لا تحظى الا بقبول الخاصة الذين صفت أذواقهم بحكم التثقيف ، فصاروا يؤثرون التلويح على الاشارة الصريحة ، والهمس على الصراخ ، والمعنويات على المجسمات ، ويتابعون الفكاهة فى أبسط ألوانها ، ويمضهم الهزل والتهريج

ويمكننا أن نلخص ما عليه الفكاهة المصرية فنقول ، ان الضحك فيها ، كثيره مبالغ يصل الى الهزل والتهريج ، وقليله معتدل ومتزن . وان مثارات الضحك فيها ، تقوم على ما هو مادى ومجسم تلحظه العين ، أكثر مما تكون للمعنويات وما يخاطب الذهن . وان وسائله فى هذا وذاك ما زال يعوزها الصقل والتهذيب ، وان الفكاهة تجرى لمجرد الاضحاك ، وأخشى أن أقول ان الضحك فيها أجوف ومدوى

وهكذا ترسم المسرحية الفكاهية ناحية من مزاج الجمهور المصرى ، وهى فى حالتها الراهنة ، صدى لما عليه الجمهور الكبير ، وكما نكون يكون مسرحنا . .

زكى طليمات

الأرق .. وعلاجه

الارق من أشد ما يصيب انسانا فى حياته ، وكثيرا ما يكون ناشئا عن عسر الهضم فيزول بزوال هذا السبب ، وقد ينتج من هموم تشغل بال الانسان ، فيكون علاجه بترك هذه الهموم

ولكن الامر ليس دائما بهذه السهولة فقد لا يعرف للارق سبب ، فينسب الى ضعف أو اضطراب فى الاعصاب ، ولا يجد الطبيب له علاجا قاطعا ، فيضطر كارها الى وصف بعض الاقراص المهدئة أو المنومة . وشر ما فى هـذا العلاج ان المريض لا يلبث حتى يعتاده ، فلا ينام الا بعد تناول تلك الاقراص . والادهى من ذلك انه قد يحتاج الى زيادة المقدار الذى يتناوله منها حينا بعد حين . وعلى أى حال لا يكون النوم الذى يأتى به مثل هذا الدواء نوما طبيعيا ، بل قد يستيقظ المريض صباحا بعد نوم ثمانى ساعات أو أكثر أو أقل ، وهو يشعر بتعب لا يدرى سببه ، ان لم يشعر بصداع شديد

لهذا ترى أكثر الاطباء يكرهون أن يصفوا للمريض بالارق دواء من هذا القبيل . وقد يعمد أحدهم الى النصح له ـ بدلا من ذلك ـ بعد الارقام أو قراءة ما يحفظه حتى يغلبه النوم ، وهيهات !

وقد اهتدى أخيرا الدكتور ميشيل ميلر الطبيب بمستشفى سانت اليزابث بواشنجتن الى طريقة للعلاج تنأى بالمريض عن العقاقير وسوء أثرها فى الجسم والاعصاب ، ولا تستند الى فروض لا تتحقق كعد الاعداد وما أشبه ، بل هى طريقة عملية جربت فى عدد كبير ممن يشكون الارق فأتت بنتائج مدهشة . ومن عجب انها من أبسط الطرق وأرخصها ، فلا تكاد تكلف المريض بالارق جهدا ولا نفقة ، فانها تنحصر فى الاقلال من تناول ملح الطعام !

والذى هدى ذلك الطبيب الى هذا العلاج المبتكر ، ما لحظه عند كثير من مرضاه ، من هياج واضطراب فى الاعصاب وحساسية زائدة وشكوى من أرق مستعص ، كلما أكثروا من تناول الملح فى غذائهم المعتاد وألوان طعامهم اليومى ، فلما دعاهم الى الاقلال من الملح هدأت أعصابهم وزال اضطرابهم وصاروا ينامون نوما هادئا عميقا

وهنا ندع الدكتور ميلر يشرح طريقته بنفسه كما كتب عنها فى « مجلة الجمعية الطبية الامريكية » التى تصدر فى شيكاجو :

لاحظت أثناء تجارب تناول فيها بعض المرضى طعاما كثير الملح أن أعصابهم هاجت واضطربت ، فسألت نفسى : اذا عكسنا الامر وجردنا الطعام من الملح أصلا ، ألا يحدث ذلك عند آكليه شعورا بالتعب وميلا الى النوم ؟

وعلى ذلك جئت بعشرين مريضا بالمستشفى ممن يشكون الارق ، وتتراوح أعمارهم بين عشرين وخمس وثلاثين سنة ، ووضعوا تحت الاختبار مدة اسبوع ثم بدأنا فى اعطائهم طعاما قليل الملح ، وحرصنا على عدم اعطائهم أى دواء

وبعد مدة تتراوح بين أربعة وسبعة أيام بدا على أكثرهم هبوط تدريجى فى توتر الاعصاب واضطرابها وحساسيتها ، وصاروا يسلمون أنفسهم الى النوم دون صعوبة ، ويستمتعون بنوم هادىء عميق ، وكان بعضهم قبل التجربة ترتعش أطراف أصابع يديه من شدة « العصبية » فبدأت هذه الظاهرة فى الزوال بعد أيام قليلة من بدء التجربة . كذلك حدث عندهم هبوط فى نسبة ضغط الدم وسرعة دقات النبض

وفضلا عن ذلك كانوا أدنى الى الشعور بالتعب الجسمانى، فصاروا يأوون الى فراشهم فى ساعة مبكرة من الليل ، ثم يغلبهم النعاس بعد عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة ، وصار أكثرهم ينامون طول الليل ولا يستيقظون الا عند الساعة السادسة صباحا ، وكان أقصى مدة يسمح لهم بالنوم خلالها هى ثمانى ساعات . وقد لوحظ انهم صاروا فى نومهم أقل حركة وتقلبا من قبل . وكان أحدهم ، قبل التجربة ، اذا استيقظ من نومه تعذر عليه النوم بعد ذلك ، فزالت هذه الظاهرة أيضا

وبعد مضى اسبوعين أو ثلاثة أسابيع على هذه التجربة صار نومهم أقل أحلاما . ولم يكتف بعضهم بالنوم طول الليل بل صاروا كذلك ينعسون بعد الظهر

وصحب هذه الظواهر كلها تحسن كبير فى « مزاجهم » وميل الى الحلم والهدوء ، وقدرة على حصر الفكر وكثرة القراءة . وكان بعضهم قبل هذا العلاج يشكو صداعا شديدا مستمرا ، فشفى منه شفاء تاما أو خف وقعه عن ذى قبل

وانما شذ ثلاثة فقط فلم يماشوا رفاقهم فى هذه النتائج ، واتضح ان اثنين منهم كانا قد أدمنا العقاقير المنومة زمانا طويلا فصارا يعتمدان عليها ، ولايمكنهما ان يناما بدونها سواء كثر الملح فى طعامهما أو قل . .

ومن بين الباقين أعطى ثلاثة عشر شخصا منهم أقراص كلوريد الصوديوم « ملح الطعام » بعد ان ظلوا بضعة أسابيع وهم يتناولون طعاما قليل الملح . فلم تمض على ذلك مدة سبعة الى عشرة أيام ، حتى بدأ عشرة منهم يشكون الأرق واضطراب النوم من جديد، فدلنا ذلك على ان العودة الى تناول طعام كثير الملح تحدث عندهم حالة الاضطراب العصبى السابق . وأورد فيما يلى تاريخ بعض حالات :

دخلت امرأة فى الرابعة والعشرين من عمرها معهد الامراض النفسية بنيويورك ، وكانت تشكو قلقا ظاهرا ومخاوف لا تعرف كنهها ورغبة فى اعتزال الناس ، وقد ظلت شهورا عديدة وهى تعانى الارق ، ويتملكها خوف عجيب يوحى اليها انها لن تستطيع التنفس بسهولة ، فكانت تكره نفسها على التنفس فى الهواء الطلق مدة ، ثم تعمد الى البكاء . وقد أعطاها المعهد المذكور أدوية مسكنة للاعصاب مدة خمسة أسابيع ولكن

دون جدوى . وأخيرا تركت هذه الادوية وجربت معها طريقة الطعام القليل الملح

مكثت المرأة اثنى عشر يوما على هذا الطعام دون أن يبدو عليها تحسن ، وفى اليوم الثالث عشر بدا عليها هدوء الاعصاب ، وزال كثير من الخوف الذى كان يعتريها ، ونامت ثمانى ساعات ونصفا . وأخذت حالتها بعد ذلك تتحسن باطراد ، وازداد وزنها وأصبحت هادئة الاعصاب ، تلعب بالورق و « البنج بونج » بعد ان كانت تكره ذلك قبلا ، ثم زيد مقدار الملح فى طعامها الى الحد المعتاد فى الاطعمة ، وسرعان ما عادت الى حالتها العقلية السابقة وشرعت تعانى الارق من جديد

وأدخل رجل فى الثالثة والاربعين من عمره مستشفى اليس ايلاند وكان يقاسى أرقا ودوارا وخفقانا فى القلب واضطرابا عاما فى الاعصاب . وكان عند دخوله المستشفى لا ينام سوى ساعة أو ساعتين طول الليل

وقد جرب معه علاج الاقلال من الملح ، فلم يبد عليه تحسن الا بعد مضى اسبوعين وعندئذ صار ينام سبع ساعات ونصفا كل ليلة . واستمرت الحال على ذلك ثلاثة أسابيع، على ان العجيب فى أمره انه رغم هذا العلاج وطول مدته وتحسنه فى خلاله ، لم يلبث حتى عاد الى سالف أرقه واضطراب أعصابه ، فلما حلل البول اتضح ان مقدار الملح الذى فى جسمه هبط الى أقل من الحد اللازم . وعلى ذلك زيدت نسبة الملح قليلا فى طعامه اليومى ولكن الى حد أقل من النسبة المعتادة فى أطعمة الناس، وسرعان ماتحسنت حالته من جميع الوجوه

من ذلك اتضح لنا ان علاج الارق يكون بالاقلال من ملح الطعام ولكن الى حد معلوم لا ينبغى النزول دونه

على انى أؤكد النصح للمرضى بالارق ألا يعمدوا الى هذا العلاج من تلقاء أنفسهم بل يجب أن يكون كل منهم فى مستشفى تحت الملاحظة الطبية المستمرة ، حتى يمكن عمل الاختبارات الطبية والكيماوية اللازمة

وعلى الأطباء الذين يرون اتخاذ هذا العلاج لمرضاهم ، أن يرقبوا فى مرضاهم كل ظاهرة من ظواهر الضعف العضلى البالغ أو التعب الجسمانى أو اضطراب الامعاء

وعلى أى حال لا يصح اتخاذ هذا العلاج مع من يكون مصابا بمرض السكر أو القلب أو الكليتين . ولا يصح هذا العلاج عموما فى الاشهر التى يشتد فيها القيظ ففيها يحتاج الجسم الى مزيد من الملح لتعويض ما يفرز مع العرق

وفى خلال هذا النوع من العلاج لا يجوز معالجة المريض بأى علاج قائم على الحرارة ولا يصح ان يبذل مجهودا جسمانيا كبيرا

على انه اذا بوشر بالحيطة الواجبة وتحت اشراف طبى مباشر وبالشروط التى بينتها فانه لا يخشى منه أى ضرر بل فيه نفع مؤكد

(عن مجلة « فاكتس دايجست »)

العلم والعالم

كيف تستيقظ ؟

كتب كثيرون من الاطباء وغيرهم يصفون الطريقة المثلى ، التى تجعل النوم يواتى الانسان سريعا مريحا . ولكن اذا كان هناك عدد كبير من الناس يشكون الارق، فان فى الطرف الآخر عددا مثله أو أكبر من الناس الذين ينصب داؤهم على الطريقة التى بها يستيقظون ، فانهم حين يصحون من النوم يشعرون بثقل فى اجفانهم ، وتعب فى اجسامهم ، وتراخ فى عضلاتهم . فاليقظة عند هؤلاء تتطلب منهم مجهودا يوازى ما يتطلبه النوم عند الاولين . وقد تمضى فترة طويلة من الزمن بين ايقاظ أحدهم من نومه وبين قيامه فعلا من فراشه ، وهو انما يقوم منه متعبا كأنه قد انتهى لتوه من جهد جسمانى عظيم لا من راحة تامة طويلة

والواقع ان عملية الاستيقاظ من النوم تشبه العملية التى بها يأوى الانسان الى فراشه ، ولكنها معكوسة . فكما ان سواد الناس لا ينامون توا حين يستلقون على الفراش ، كذلك هم لا يقومون من فراشهم دفعة واحدة حين يستيقظون من النوم

والعادة السائدة بين الصينيين ان احدهم اذا قام من فراشه أخذ يربت بيده على صدره ثم يتنفس تنفسا طويلا عميقا ، ولهذا أثره النافع فى تنشيط الحركة الدموية بالجسم

واعتاد بعض الاوربيين ان يعدوا كوبة من عصير الفواكه فيشربوها حين يصحون من النوم، ولا شك ان ما بهذه الفاكهة من سكر وفيتامينات يبعث النشاط فى الجسم

واعتاد الكثيرون ان يدخنوا السجاير عند يقظتهم من النوم ، وهذه عادة ضارة ، فان التدخين يؤدى الى انقباض فى أوعية الدم ، وهذا الانقباض فيها يجعل الانسان أميل الى النوم منه الى اليقظة

وقل من الناس من لا يتثاءب ويمدد ذراعيه عند صحوه من النوم ، وهى عادة حسنة يتخذونها دون قصد ، اذ تؤدى الى تنشيط الحركة الدموية

على ان أحسن ما يعمد اليه الانسان لكى يستيقظ من نومه نشيطا معافى ، هو أن يأوى الى فراشه فى ساعة مبكرة من الليل ، وأن ينام نوما مريحا

وقد اعتاد الكثيرون ان يغلقوا النوافذ ويسدلوا عليها الستائر ليلا لكى لا يزعجهم ضوء النهار صباحا . وجدير بهم الاقلاع عن ذلك، فان ضوء النهار اذا مس أجفان النائم كان أحسن موقظ له ، اذ ينشط مراكز الاعصاب ويزيد من تدفق الدم الى خلايا المخ

هذه كلها نصائح للشخص العادى الذى يعيش عيشة عادية . أما الذى تشغله الهموم فهو يكره ان يستيقظ من نومه كيلا يواجهها من جديد ، فان شأنه كشأن الذى يصيبه القلق لمثل هذا السبب ، وعلاج الحالين فى التغلب على الهموم والتقليل من خطرها وعدم الخضوع لها ، فان ذلك يجعل الانسان يستقبل الحياة صباح كل يوم بشجاعة ونشاط ، كما يأوى الى فراشه ليلا مطمئن البال هادىء النفس

(عن مجلة « الأسبوع » الامريكية)

الزواج يطيل العمر

تبين من الاحصاءات ان الزواج يطيل العمر، وقد كان الشائع في الاذهان عكس ذلك، لما يتبع الزواج من مشكلات وأعباء، قد ينوء بها كاهل رب الأسرة، وينأى عنها الاعزب الذي لا زوجة له ولا ولد. وقد يتفكه البعض فيقول ان الزواج يقصف العمر ويخترم الحياة، وان «نق» زوجة، أو مضايقة حماة، قد يكفى لاختزال العمر واستدعاء الموت قبل موعده..

غير ان الواقع الذى تؤيده الارقام وتثبته الاحصاءات، لا يتفق وذلك الظن وهذا التفكه. فقد اتضح ان الرجل المتزوج والمرأة المتزوجة أطول عمرا من الاعزب والعزباء. وفى مقابل كل مائة رجل يموتون بعد سن العشرين من المتزوجين يموت مائة وعشرون من الرجال العزاب بعد تلك السن. وفى مقابل كل مائة امرأة متزوجة يمتن بعدها، يموت ١١٧ امرأة عزباء بعد تلك المرحلة من السن

والاختلاف البادى هنا بين الرجال والنساء، هو ان النساء المتزوجات يستهدفن بعد سن العشرين لاخطار شتى من جراء الولادة

وقد قيل فى تفسير طول عمر المتزوجين بالنسبة للعزاب، ان الزواج نفسه يتضمن عملية اختيار وانتخاب، فان الاشخاص المصابين بامراض خطيرة أو بعاهات جسمانية لا يقبلون على الزواج عادة. فيبقى الزواج مجالا للسليمى الاجسام والعقول، والقادرين عليه من الوجهة المادية. غير ان هذه حجة لا تؤيدها الوقائع دائما، فانا نرى الكثيرين من المرضى والمشوهين يقبلون على الزواج كغيرهم

على ان الثابت ان عدد ضحايا مرض السل مثلا بين العزاب، رجالا ونساء من جميع فئات السن، يكاد يكون ضعف عدد أولئك الضحايا بين أندادهم من المتزوجين. ولعل كثيرا من ذلك يرجع الى ان بيئة الزوجية تهيىء للمريض أو المريضة بالسل مزيدا من العناية وسبيلا الى الشفاء

(عن مجلة « الصحة »)

خرائط ذهنية

المعروف ان القطط والكلاب تعرف الاماكن بحيث تستطيع ان تعود الى أى مكان مهما أبعدت عنه، وانها تمتاز على الانسان بهذه الحاسة العجيبة

غير ان الدكتور أدوين بورنج أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد بأمريكا يقول بأنه لايوجد دليل علمى يؤيد ما ذاع عن امتياز القطط والكلاب أو غيرهما من الحيوانات على بنى الانسان فى هذا المجال. وقد ضرب مثلا بالطيارين الذين يمكنهم ان يكونوا أبرع من الحمام الزاجل فى معرفة المكان الذى يوجدون فيه حتى ان أحدهم لترتسم فى ذهنه دائما خريطة خيالية يعرف بها أين يوجد فى كل لحظة. ومن رأيه ان الانسان يمكنه ان يكتسب هذه الموهبة بالتدرب عليها، وهى ألزم ما تكون للطيارين والملاحين ومن يرتادون الصحراوات الشاسعة

البكم يتكلمون !

اخترع الدكتور رالف بوتر الخبير بمعامل تلفونات بل الامريكية جهازا يمكن الصم البكم من ان يتحدثوا بالتلفون وان يستمعوا الى اذاعات الراديو ويفهموا كل ما يقال لهم. وهذا الجهاز يشبه الآلة الكاتبة ويسجل الاصوات التى تحدثها الكلمات الصادرة من التلفون أو الراديو على طبلة متحركة بها مادة فوسفورية، وتبدو عليها تلك الكلمات فى شكل رسوم يقرأها الابكم الاصم. ويقول ذلك المخترع فى مقال له شرح فيه ذلك الاختراع : ان الصوت يتكون من ثلاثة أشياء : المقام والارتفاع والنغمة. وكل صوت آت من أى بعد يمكن تحليله الى هذه المقومات الثلاثة فتنتج عدة رسوم له حسب كثافته

من خصائص السادة !

يلبس السادة فى قبائل « سوكا » الضاربة على حدود الحبشة أساور فى أيديهم ويحرصون على تضييقها عليها بحيث تمنع الحركة الدموية وتجعل الايدى شبه مشلولة من بقائها صغيرة شوهاء . وهم فخورون بذلك اذ يحسبونه من دلائل السيادة .. ولا عجب ، فان عجز الايدى عندهم معناه ان أصحابها لا يؤدون أى عمل بأيديهم فهم أسياد على غيرهم الذين يسخرونهم لخدمتهم. على ان نساءهم من اللاتى يقمن بمختلف الاعمال عادة ، راضيات بذلك غير شاكيات ، بل يفخرن بأزواجهن العاجزين عن العمل ..

نقل القلوب

أحد عجائب الطب فى روسيا السوفيتية

توصل الدكتور نيكولاى سينتسين الاستاذ بمعهد جوركى الطبى بموسكو ، الى نقل القلب من بعض الحيوانات الى أخرى حية، وقد أجرى عدة تجارب ناجحة فى هذا المجال ، فنقل قلوب أرانب وكلاب وقطط الى رقاب حيوانات أخرى من نوعها بحيث صار لكل منها قلبان ، واحد أصيل فى مكانه وثان طارىء فى رقبته . وهو يقول ان هذه الحيوانات لم يبد عليها أى تشنج أو لهث فى التنفس أو شدة تهيج ، بل صارت تتأثر تأثرا طبيعيا بالمؤثرات الخارجية مثل الضوء أو الصوت أو الألم

وكان ذلك العلامة نفسه قد أجرى تجارب لنقل القلوب بين الضفادع وبعض الحيوانات القريبة الاخرى . فكان يستأصل قلب الضفدعة منها ويضع فى مكانه قلب ضفدعة أخرى ، فكانت الاولى تعيش بعد ذلك لغاية ستة شهور ، دون ان تتغير مسلكها أو يبدو عليها شىء طارىء من أثر ذلك القلب المستعار . وفى الربيع كانت الذكور والاناث من هذه الضفادع تتناسل كالضفادع العادية ذات القلوب الاصيلة . وقد دل الفحص الميكروسكوبى لاوعية الدم فى الحيوانات التى أجرى لها تلك العملية انها التأمت تماما وان تكوين عضلات القلب عندها عادى لا شذوذ به

ترى هل يخطو هذا العالم خطوة أخرى يتوصل بها الى نقل القلب من انسان الى آخر ـ اذا رضى انسان ان ينزع منه قلبه ـ ولن يرضى بذلك أحد ولو كان على حافة القبر ميئوسا من حياته ؟

شكل تكوين الجسم

دليل شخصية صاحبه

يقول العلامة الامريكى وليم شلدون ان شكل تكوين الجسم يدل على شخصية صاحبه ومزاجه وطباعه وأخلاقه . ويؤيده فى ذلك الدكتور جورج ذرير الاستاذ بكلية الطب بجامعة كولمبيا فقد وجد علاقة وطيدة بين شكل تكوين الجسم واستعداد صاحبه للاصابة بانواع معينة من الامراض

وقد قام الاستاذ شلدون بعدة تجارب وتحليلات ودون مشاهداته التى تؤيد نظريته . فمثلا رأى ان الشخص الطويل القامة النحيف الجسم الذى يكاد يكون « جلدا على عظم » كما يوصف النحفاء عادة ـ هو ميال الى العزلة شديد الاحساس بالألم من أى نوع متحفظ فى اظهار عواطفه

ومن رأى العلماء الذين يدرسون التكوين الجسمانى ان الوراثة ليست هى العامل الحاسم فى تشكيل عقلية الانسان ومسلكه وخلقه . أجل ان الوراثة تفرض حدودا على الأنسان لا يقدر ان يتخطاها ، فلا يستطيع النحاس الآدمى مثلا ان ينقلب ذهبا بشريا ، بل كل انسان يبقى على « معدنه » .. ولكن كل شخص يمكن ان يسمو كثيرا على مستواه وان يستغل كل مواهبه وكفاءاته اذا استطاع ان يدرس نفسه دراسة صحيحة وان يوجه حياته الوجهة الصالحة له ، وهنا تدخل ابحاث الاستاذ شلدون التى تيسر للانسان معرفة حقيقة مزاجه وطباعه واستعداده تبعا لشكل تكوين جسمه

أزمة الذكاء فى العالم !

نشرت مصلحة التعداد الامريكية فى مجلتها الشهرية مقالا جاء فيه : « ان فى امريكا اليوم وفى العالم كله أزمة ذكاء خطيرة ، فان الناس الأذكياء يقل نسلهم على عكس الاغبياء . وقد ثبت بالاحصاءات والارقام أن خريجى الجامعات يبلغ متوسط ذريتهم طفلا وثلاثة أرباع الطفل لكل منهم ، بينما الاشخاص الذين لم يقضوا فى مراحل التعليم سوى أقل من سبع سنوات يبلغ متوسط نسلهم أربعة أطفال لكل منهم . ومعنى ذلك ان فى الاذكياء أزمة قلة تقدر بنقص قدره ٢٦ فى المائة ، وفى الاغبياء أزمة وفرة تقدر بفائض قدره ٣٩ فى المائة ؛ فامامنا اذن عاملان يعملان جنبا الى جنب لتقليل الذكاء والاكثار من الغباء . . »

ثم تقول المصلحة فى مجلتها ان معالجة هذه الحالة بحيث يكثر نسل العلماء والاذكياء وتتوفر القوى المفكرة المنتجة ، أهم كثيرا من استكشاف طاقة الذرة والبحث فى تقييد استخدامها فى الحروب

الشهرة تقصر العمر !

السائد فى الاذهان انمشاهير الرجاليعيشون حتى يبلغوا عمرا طويلا ، وفى وسع الانسان أن يحصى عددا كبيرا منهم عمروا طويلا

غير ان الاستاذ ماثيوس سميث الامريكى نشر أخيرا مقالا فى « المجلة الاجتماعية الامريكية » أثبت فيه عكس ذلك وأفتى بان الشهرة تقصر العمر لا تطيله

وقال ان عمر مشاهير الرجال يجب انيحسب من تاريخ ذيوع اسمائهم وانتشار شهرتهم حتى تاريخ الوفاة ، لا من تاريخ مولدهم الى يوم يموتون كسواد الناس . فاذا حسبت أعمارهم بهذه الطريقة التى يقترحها وجدت جد قصيرة .

وقد فسر ذلك بان الشهرة تجعل صاحبها يغفل العناية بصحته ، ولا تدع له مجالا للراحة والاستجمام ، فلا يلبث حتى تتملكه الامراض ويعدو عليه عادى الردى

دور سينمائية للاصدار !

اعتادت أمريكا ان تصدر أفلاما سينمائيةشتى الى مختلف بقاع العالم . غير انها رأت أخيرا ان تخطو خطوة أخرى فتصدر الدور السينمائية ذاتها الى من يطلبها فى الخارج !

وكان أول من فكر فى هذا المشروع هو تشارلس سكوراس مدير شركة مسارح التسلية الوطنية وقد وضع تصميمات لدور سينمائيةتصنع فى امريكا بغية اصدارها الى الخارج بكامل مشتملاتها ، وهى على ثلاثة أحجام ، واحد يسع ٨٠٠ متفرج وثان لالف متفرج وثالث لالف ومائتين من النظارة . ويبلغ وزن أكبرها عند شحنه الى الخارج نحو ٣٥٠ طنا

وهذا المشروع نتيجة بحوث دامت سنتين . وقد انتهى صاحبه الى ابتكار دور للسينما تلائم زمهرير سيبريا كما تناسب قيظ بناما

وتتألف احدى تلك الدور من هيكل خارجى من المعدن الصلب ، يحشى ما بينها بألواح مضادة للحريق . وتتكون الحيطان الداخلية من قماش الشراع المبطن بمادة حاجزة للصوت والمطلى بمختلف الالوان والرسوم . وستكون المسافة الفاصلة بين كل صفين من الكراسى ٣٦ بوصة . ويستعمل المطاط فى حشوها وفىمفاصلها ضمانا لراحة الجالسين

وتحوى كل دار جهازا لتكييف الهواء . وسيكون على واجهة كل منها برج للاعلان المضىء كأى دار سينمائية امريكية

ويقضى المشروع بان يكون البيع بالتقسيط مع دفع نصف ثمن الدار المطلوبة سلفا ، ويقدر ثمن احدى هذه الدور بنصف التكاليف المعتادة لاقامة دار منها على حساب صاحبها

استمداد الطاقة الذرية من الماء

حين اكتشف العلماء الامريكيون والانجليز قوة الذرة ، استمدوها من مادة البلوتونيوم التى توجد فى معدن الاورانيوم . وهذا المعدن موجود بوفرة فى جوف الارض ، غير ان استخراجه واستخراج البلوتونيوم منه ليسا بالامر القليل النفقة ، حتى لتقدر قيمة الرطل الواحد من المادة الاخيرة بمبلغ خمسة آلاف جنيه

لذلك اتجه هم العلماء الى استكشاف مادة أخرى يستمدون منها قوة الذرة . وتتجه أنظارهم الآن الى مادة تعد أرخص ما فى الوجود ، وهى الهيدروجين أحد العنصرين اللذين يتكون منهما الماء

واذا وفق العلماء فى استمداد الطاقة الذرية من الهيدروجين ، فان فى تقديرهم انتلك الطاقة ستكون أكبر ألف مرة من الطاقة الذرية التى تستمد الآن من البلوتونيوم . والمعروف ان هذه القوة الاخيرة أشد ٢٥٠٠٠٠٠ مرة من القوة التى تستمد من مقدار معادل من الفحم أو زيت البترول

ولا يخفى ان الهيدروجين هو أكثر المواد وفرة فى العالم ، وهو المادة التى تظل الشمس بفضل القوة الذرية التى تستمدها منه متألقة متوهجة . والشمس — وكذلك كل نجم — اما مكونة من الهيدروجين أو محاطة بسحب شاسعة منه ، والفضاء الفسيح الذى بين الكواكب مملوء كذلك بمقادير لا تنفد منه

والشمس اذ تحول الهيدروجين الى منبع للطاقة الذرية انما تتبع عملية مركبة بطيئة لاتحول بها سوى واحد فى المائة من كتلة الهيدروجين الى تلك الطاقة . غير ان هذه النسبة أكبر كثيرا من نسبة الطاقة الذرية التى تستمد من كتلة الاورانيوم فانها لا تعدو جزءا من عشرة من واحد فى المائة

ويقول العلماء ان الهيدروجين الذى تستخدمه الشمس يكفى لان تظل فى ضوئها الوهاج مدة اربعين بليون سنة

وواضح ان تحويل الهيدروجين الى طاقةذرية اجدى كثيرا من تحويل معدن الاورانيوم ، ولكن العلماء لم يعرفوا بعد كيف يتم ذلك التحويل

ومن رأى الدكتور جون هويلز الاستاذ بجامعة برنستون الامريكية والذى اشترك فى استمداد الطاقة الذرية من الاورانيوم، أنالاجدر البدء بالبروتون لاستخراج تلك الطاقة منه ، ويقول غيره بل الاجدى استخدام النيترون فى ذلك . وهم يفكرون الآن فى الانتفاع بالاشعة الكونية لتحطيم ذرة الهيدروجين

على ان ذلك كله لم يتخط بعد دور التفكير . ومن يدرى لعل التجربة تعقب ذلك فاذا بالطاقة الذرية تنتج بوفرة تكفى لخدمة الانسانية جمعاء وللوثوب بالمدنية وثبة بعيدة المدى

مبيد الفيران

لاحظ الكثيرون فى مصر ان سلطات الجيش البريطانى والجيش الامريكى تستخدم دواء يعرف بالاحرف (د.د.ت) لابادة الحشرات والذباب والبعوض وغيرها . وقد اخترع فى امريكا حديثا دواء لابادة الفيران اطلق عليه اسم « ١٠٨٠ » ويتركب من أحد مركبات الصوديوم ويقال انه أفتك دواء من نوعه عرف حتى الآن ، فاذا أكل الفأر جزئين من عشرة آلاف جزء من أوقية منه، مات لتوه . وهو كذلك خطر على الكلاب والقطط

فى عالم الزراعة

اخترع فى أمريكا دواء لرش المزروعات وقتل الحشرات المختلفة ، وثبت انه أقوى مائة مرة من أية مادة كيماوية كانت تستخدم لهذا الغرض حتى الآن ، ويكفى مقدار جالون الى ستة جالونات منه لتطهير فدان من جميع انواع الحشرات التى تصيب الزراعة . وهو يصلح ايضا لقتل الذباب والبعوض فى المدن

استنشاق البنسلين

نجح البنسيلين في معالجة امراض عديدة . غير ان الاطباء الذين يعالجون مرضاهم به يلقون صعوبة كبيرة من سرعة افلاته من الجسم ، فهو اذا أعطى بصفة حقنة في الوريد هرب من الدم بعد ساعة واحدة وخرج معظمه من الجسم بعد نحو ثلاث ساعات . فاذا انقضت خمس ساعات لم يبق منه بالجسم شيء . ولكي يتغلب الاطباء على هذا العيب صاروا يمزجونه بزيت الفول السوداني وشمع عسل النحل ويحقنون به المريض في العضل حتى يبطيء خروجه من الجسم ويبقى فيه أكثر وقت ممكن . ولكن ذلك لم يقض على عيب هذا الدواء

وفضلا عن ذلك ثبت ان ثلاثة في المائة فقط من البنسيلين الذي يعطى للمريض تصل الى الرئتين وبذا يقل نفعه في معالجة بعض امراض خطيرة تتصل بالتنفس

وقد نظر الى ذلك كله الدكتور فرنون بريسون الاستاذ بالمعمل البيولوجي بلونج ايلاند (الولايات المتحدة) ، وما زال يواصل البحث حتى اهتدى الى صنع البنسيلين بطريقة تمكن المريض من استنشاقه . وقد ثبت من التجارب انه اذا استنشق صار أشد تأثيرا في الجسم منه اذا حقن به العضل . وقد عولج به عدد من المرضى بداء الصدر بهذه الطريقة فأدى الى نتائج باهرة . وبدأ عدد من المستشفيات الامريكية في استعماله بهذه الطريقة

تعفن الخبز

التعفن هو داء الخبز ، يصيبه وشيكا فيجعله غير صالح للتناول ، وبذا يقضى على مقادير هائلة من الغذاء يحتاج اليها العالم . وقد عنى بهذا الموضوع الدكتور وليم كاثكارت مدير أحد المخابز فابتكر طريقة تحول دون تعفن الخبز ، وذلك بتعريضه لنوع خاص من الاشعة الكهربائية

وكان الباحثون في هذا الموضوع قبله قد اهتدوا الى بعض مواد كيماوية تؤخر التعفن عن الخبز ولكن دون ان تمنعه أصلا . اما الطريقة التي اخترعها الدكتور كاثكارت فانها تمنع التعفن اصلا ، وقد ثبت ان الخبز الذي يعالج بهذه الطريقة لا تقل قيمته الغذائية ولا يفقد شيئا من خواصه ولا يتغير مذاقه

فتك الملاريا بالشعوب قديماً

كتب الدكتور هلموت دي تيرا الاستاذ بجامعة اوهيو بحثا في جريدة « العلم » قال فيه ان الملاريا كانت تفتك بجانب كبير من شعوب الشرق الادنى اذ كان ينتشر وباؤها كل عشر أو اثنتي عشرة سنة ، وكان ذلك يتبع دورات الامطار الغزيرة التي كانت تأتي في أعقاب فترة جفاف فتؤدي الى ايجاد برك ومستنقعات يعشش فيها البعوض الذي يحمل جرثومة الملاريا . وبديهي ان فترات الجفاف كانت تحدث بين العرب ما يقرب من المجاعة فيرحلون الى الجهات الخصبة القريبة من الانهار باحثين عن الغذاء فاذا نزلت الامطار بعد ذلك بغزارة وتبعها نشوء البرك والمستنقعات كانت جموع الاهلين المحتشدة حول مواطن الغذاء هدفا سهلا للملاريا

طلاء الوجوه

اعتاد المقاتلون من الهنود الحمر ان يطلوا وجوههم ويرسموا عليها خطوطا وأشكالا شتى . وكان المعروف ان أحدهم انما يفعل ذلك بوجهه ليبدو مخيفا رهيبا فيخشاه عدوه . غير ان بعض الباحثين أثبتوا أخيرا غير ذلك ، فهم يقولون ان ذلك الطلاء ليس سوى تعمية للعدو ، فالهندي الاحمر يطلى وجهه بألوان واشكال تجعله يمتزج بما في الغابة من اشجار واغصان ، فلا يراه خصمه ولا يميزه عما في المكان ، وبذا يمكن صاحب الطلاء ان يخدع عدوه ويأخذه على غرة



طبيعة الانتحار

تزداد حالات الانتحار تبعا لشدة التزاحم فى الحياة وما تأتى به من يأس للنفوس وتلف للاعصاب . ويقول علماء النفس : ان كل حادث انتحار يمكن رده الى سبب واحد ، وهو عجز صاحبه عن المطابقة بين نفسه وبين الظروف التى أصبحت محيطة به ، وان الدوافع التى تدفع اليه هى عوامل اجرامية لا تختلف عن تلك التى تدعو الى السرقة أو قتل الغير

وقد زعم البعض ان للجو تأثيرا فى انتشار الانتحار وانه يكثر فى فصل الصيف وفى البلاد الحارة ، بخلاف ما يحدث فى الشتاء وفى المناطق الباردة . ولكن ثبت من الاحصاءات التى جمعت فى الولايات المتحدة — حيث يتراوح الجو بين الحر والبرد — ان الجو لا تأثير له اطلاقا فى هذا المجال

والشائع كذلك ان النساء أكثر انتحارا من الرجال ، ولكن الواقع انهن وان يكن اكثر اقبالا عليه فان الرجال مع ذلك اكثر موتا بسببه ، ذلك لان النساء حين يقدمن على الانتحار يخترن وسائل تبقى على حسنهن وجمالهن ، اما الرجال فاشد حزما فيه حتى ليموت به منهم أكثر من ثلاثة أضعاف من ينتحرن من النساء

ومن أعجب ما دلت عليه احصاءات شركات التأمين على الحياة ان حوادث الانتحار تقل فى أزمان الحروب ، وقد ثبت ذلك فى الحرب العظمى الاولى ثم تحقق مرة أخرى فى الحرب العظمى الاخيرة . والظاهر ان ذلك ناشىء من قلة التعطل أو انعدامه فى وقت الحرب — وهو عادة من أهم اسباب الانتحار — فضلا عن ان الحرب تدعو الى نسيان الهموم وتغليب الغاية القومية عليها ، ومهما يكن الامر فان من يفكر فى الانتحار قد يؤثر التطوع فى الجيش والاتيان باعمال البطولة فى ميدان القتال . .

ويجمع علماء النفس على ان الانتحار ينافى الطبيعة البشرية كما يعارض المنطق . وقد ترى بعض الناس يتعلقون بالحياة ويخشون على انفسهم كل أذى جثمانى مهما ساءت ظروفهم ومهما أحاطت بهم دواعى اليأس والقنوط وتجد غيرهم يقدمون على الانتحار لظروف كان من اليسير التغلب عليها . ومن رأى الدكتور مننجر — وهو من كبار علماء النفس فى أمريكا — انه لا يقدم أحد على الانتحار الا اذا تملكته الرغبات الثلاث الآتية : (١) الرغبة فى الموت (٢) الرغبة فى قتل الغير (٣) الرغبة فى ان يقتله الغير

وقد فحص البروفسور بيل استاذ علم الاجتماع بجامعة ييل بامريكا ، مائة ألف حالة انتحار فانتهى من بحثه الى ما يلى :

اولا — ان المتزوجين أدنى الى الاقدام على الانتحار من العزاب

ثانيا — ان سن الخطر بالنسبة للرغبة فى الانتحار هى الفترة التى بين سن الثلاثين والاربعين

ثالثا — ان الغالب ان الشباب يستخدمون السم عند الانتحار ، وان متوسطى العمر يقتلون أنفسهم بالرصاص ، وان العجائز يشنقون أنفسهم

والثابت ان الشعوب والطوائف المتدينة يقل بينها الانتحار

ولقد نصت معظم القوانين على حسبان الانتحار جريمة يعاقب عليها ، ولكن ذلك لم يحل دون كثرة وقوعه . ولعل الذى يصل الى علم المحاكم من حوادث الانتحار هو جزء ضئيل مما يقع ، فليس علاج الانتحار فى عقوبة المقدمين عليه . .

خفت أو اشتدت ، وانما العلاج الصحيح في اعادة الاتزان الى من يفكر فيه ، ومن ثم كان العلاج النفسانى خير علاج له . واذا عجز الاطباء النفسانيون فلعل ادلاء المهموم بهمه الى صديق له، واستماعه الى نصحه ، يعيد اليه ما غرب من استقامة تفكيره ، واتزان عقله ، وصواب حكمه على الامور.

وهنا نذكر انه ظهر في بلاد المجر قبل الحرب العظمى الاخيرة رجل غير اطلق على نفسه اسم « العم روبرت » ، وكرس حياته لهداية الراغبين في الانتحار ، حتى ينثنوا عن عزمهم ، وقد وفق في انقاذ حياة نحو ألفي شخص كانوا يفكرون في الانتحار، وكانت طريقته تنحصر في الاستماع اليهم اذ يبثونه همومهم وشكاواهم ، ثم نصحهم

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال ان احدى شركات التأمين على الحياة في امريكا تلقت يوما كتابا من أحد المؤمنين لم يذكر اسمه فيه وانما طلب قرضا كبيرا وقال ان العقد الذي بينه وبين الشركة لا يخول له الحصول على هذا القرض ولكنه في مسيس الحاجة اليه ليستعيد به تجارة ضاع رأس مالها . وانذر الشركة بان ينتحر اذا لم تمنحه ذلك القرض ، وقال ان الشركة في هذه الحالة تكون الخاسرة لانها ستصرف المبلغ المؤمن به وهو اضعاف القرض المطلوب . ورجا في نهاية خطابه ان تنشر الشركة في جريدة عينها لها كلمة موجهة الى اسم مستعار ذكره ، تدل فيها بموافقتها على الاقتراح والشروط بامضاء مستعار عينه كذلك

وقد رأى بعض الرؤساء في الشركة ان يهمل هذا الطلب ، ولكن المدير نشر في الجريدة التي عينها الطالب وبالاسم المستعار الذي ذكره ، كلمة قوية أجاب به فيها ان يواجه الحياة برجولة وعزم ، وان يذكر صالح أسرته وأولاده ، وان يناضل من أجلهم الى النهاية .. فعمل بالنصيحة واقلع عن الانتحار

(عن مجلة العلوم الامريكية)

شيوخ أقوياء

لا يقدر الكبر بالسن ، وانما يقدر بشعور الانسان ، فاذا كان لا يزال يشعر بالقوة على العمل والقدرة على الانتاج ، فهو شاب وان بلغ الثمانين من عمره . واذا كان على العكس يشكو الضعف ، ويميل الى التأخر بدل التقدم ، ويأخذ انتاجه الفكرى أو العضلى في التناقص ، فهو شيخ وان كان في الاربعين من عمره . والواقع ان الانسان عادة لا يستخدم كل قواه في عمله ، فاذا بلغ الشيخوخة كان لديه مدخر من تلك القوى يمكنه استخدامه

وعلى هذا الاساس نرى المستر تشرشل مثلا وكيف انقذ الامبراطورية البريطانية بشجاعته وعزيمته واصالة رأيه وهو في السبعين من عمره . كذلك الكاتب الايرلندى الاشهر برنارد شو قد بلغ التاسعة والثمانين من العمر وهو لا يزال يؤلف أبدع الكتب ويضع أروع الروايات والقصص ، وكأنه في عنفوان شبابه . وهنرى فورد صاحب مصانع السيارات المشهورة باسمه في الثانية والثمانين من عمره ولا يزال يدير أكبر مصانع العالم . ومثله في ذلك كايزر الذى بلغ من العمر ٨٢ سنة ، وتوسكانينى الذى بلغ الثامنة والسبعين . ويمكن ذكر أمثلة لا تحصى على أناس برزوا في عالم السياسة أو العلم أو الاختراعات أو غير ذلك بعد ان بلغوا سن الشيخوخة أو الهرم

والظاهر ان سر احتفاظ هؤلاء الافذاذ بحيويتهم ونشاطهم في الكبر ، هو احتفاظهم بمرونتهم العقلية قبل كل شيء آخر ، فان مرونة العقل لا تقل شأنا في صحة الانسان عن مرونة العضلات والشرايين ، وفي ذلك يقول هنرى فورد : « ان كل من ينقطع عن التعلم هو عجوز سواء كان في العشرين أو الثمانين من عمره »

(عن مجلة « الصحة »)

كيف يعدون الطلبة للحياة ؟

يرى علماء التربية ان منهج الدراسة في اية مدرسة ، لا ينبغي ان يكون مقصورا على المواد النظرية ، بل يجب ان يشمل دراسات عملية في شتى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية التي تفيد الطلبة عمليا ، فتعدهم لمجابهة الحياة والنجاح فيها

وعلى هذا الاساس نشأت مدرسة « شوكي » في مدينة « دنيتيكا » بولاية « الينواز » احدى الولايات المتحدة . وقد حدث مرة ان كثرت حوادث الدراجات في هذه المدينة بشكل أقلق المسئولين عن نظام المرور فيها ، فاجتمع طلبة « شوكي » وانتخبوا من بينهم لجنة لبحث هذا الموضوع ، واقتراح ما تراه كفيلا بالقضاء على حوادث المرور ، وانتهت اللجنة في دراستها الى ان حوادث الدراجات ترجع الى عاملين : وهما خلو الدراجات من الروابط « الفرامل » المتينة، وجهل الراكبين بنظم المرور . وعلى هذا الاساس اقترحت بعض اللوائح الناجحة ورفعت تقريرها الى المسئولين في البلدية، فوافقوا عليها بعد دراستها

ولما كانت الاطباق تتعرض للكسر اثناء تناول الطلبة غذاءهم، وفي هذه الحالة يتحتم على الطالب ان يدفع ثمن الطبق الذي كسره، فقد فكر الطلبة في انشاء شركة للتأمين . وتألفت لجنة لبحث المشروع ، فوضعت قانون الشركة، وحددت الاسهم وثمنها وكيفية توزيعها ، ونفذت المشروع بعد اقراره من جميع الطلبة ، وبعد عام واحد كانت اعمال الشركة قد نجحت نجاحا كبيرا فاستطاعت ان تدفع ارباحا مغرية للمساهمين فيها

واستفاد الطلبة من خبرتهم في الشؤون المالية فأنشأوا مصرفا صغيرا لتسليف النقود للطلبة وللمدرسين بالضمان الشخصي وبفائدة قليلة ، وتنفيذ بعض المشروعات الاقتصادية . وقام المصرف في خلال عام واحد بعمل ستمائة سلفية بلغت ارباحه منها اكثر من مائة دولار ، كما ربح مبالغ كبيرة من مشروعاته الناجحة فدفع للمساهمين ارباحا مغرية أيضا . وكان تقريره السنوي الذي كتبه اعضاء اللجنة لا يقل دقة واتقانا عن تقرير أكبر مصرف في العالم

وتدرج الطلبة الى انشاء مزرعة نموذجية ، يربون فيها الدواجن والماشية ، ويعقدون سوقاً اسبوعية لبيع منتجات المزرعة والدواجن الى سكان المدينة الذين يقبلون على شراء هذه المنتجات حتى لا تكفي لسد طلباتهم

وانتخب الطلبة من بينهم لجنة أخرى لصناعة المداد الذي يحتاجون اليه ، ولما وفقت الجمعية في اعمالها فكرت في صنع معجون الاسنان والروائح العطرية ومستحضرات التجميل . وكان بيع هذه المواد مقصورا في أول الامر على طلبة المدرسة ثم تعداهم الى المدارس الاخرى والسكان والشركات بل والتصدير الى المدن المجاورة

ويشرف مدرسو هذه المدرسة على اعمال الطلبة ويوجهونهم الى الطريق القويم الذي يضمن لهم النجاح ، كما يتبعون في تدريسهم طرق التربية الصحيحة ووسائل علم النفس التي تجعل الطلبة يحبون المدرسة والمدرسين والعمل ، ويتفانون في اداء الواجب . ويعزو مدرسو المدرسة السبب في تفوق الطلبة الى الجو المرح الذي يسود الدراسة ، فهم يقولون : ان قليلا من المرح اثناء الدراسة لا يعطل الدراسة كما يعتقد الكثيرون ، بل هو في الواقع مشجع للطلبة لانه من أكبر العوامل التي تحفزهم الى العمل والاقبال على الدراسة

فمدرسة شوكي هي عالم قائم بذاته ، أنشيء وفقا لاحدث نظريات التربية التي تعد الطالب الى النزول الى معترك الحياة ، وهو مسلح بعزيمة وخبرة وحماسة . وهذه كلها عوامل اساسية تساعده على تحقيق اهدافه

وينادي رجال التربية والتعليم في أمريكا بوجوب تطبيق نظم مدرسة شوكي في كل مدارس العالم

الشفاء من السرطان

السرطان من أخبث الامراض وأخطرها . وأكثر فرائسه من الكهول والعجائز بين سن الاربعين والسبعين ، وكان يظن انه من الامراض الحديثة التي منيت بها الانسانية في العصر الاخير، ولكن ثبت انه كان يصيب الشعوب القديمة كذلك، فقد وجدت أعراضه في كثير من الموميات التي فحصت حديثا ، وذكره « أبوقراط » كذلك ضمن الامراض الخطيرة التي ذكرها

وهو لا يصيب البشر وحدهم على اختلاف طبقاتهم وطرق معيشتهم ، بل يصيب الحيوانات والنباتات كذلك

ويبدأ المرض بورم يظهر في موضع ما من الجسم دون سبب ظاهر ثم لا يلبث هذا الورم حتى يصبح مركزا تتضاعف حوله خلايا هذا المرض الوبيل . وشر ما في هذه الخلايا انها تتوالد بسرعة وتهاجم خلايا الجسم الصحيحة فتقضي عليها ، وما دامت خلايا المرض لم تصل بعد الى مجرى الدم فان في الامكان معالجة المرض وشفاءه ، ومن ثم صار أهم ما تجب العناية به كشف هذا المرض قبل ان يستشرى . اما اذا وصل الى الدم فلا بد عندئذ من اجراء عملية جراحية أو على الاقل العلاج بالاشعة والراديوم، وليس الشفاء مضمونا في هذه الحالة

فعلى الانسان اذا لحظ أي ورم أو نتوء يظهر فجأة في موضع من جسمه ولا يزول بعد فترة معقولة من الزمن ، ان يستشير طبيبه ليفحص خلايا هذا النتوء . حتى اذا كان سرطانا أمكن علاجه في مرحلته الاولى

ومن أنواع السرطان الاكثر شيوعا سرطان الجلد وهو يصيب الزراع والبحارة عادة ، اذ تتعرض اجسامهم للفح الشمس مدة طويلة . وهنا نذكر ان أفراد الشعوب الملونة — وخصوصا الزنوج — يندر ان يصابوا بهذا المرض ، لان الصبغة الطبيعية التي في بشرتهم تبعد عن جلدهم تأثير الاشعة فوق البنفسجية في ضوء الشمس — والمعروف ان هذه الاشعة هي الاصل في الاصابة بسرطان الجلد اذا امتصها بمقدار كبير

ومن الانواع الشائعة كذلك سرطان الفم واللسان ، وأكثر ما ينشأ من الافراط في التدخين بوساطة الغليون « البيبة » أو من حك اللسان بالاسنان المثلمة ، وكذا سرطان الزور الذي تتسبب عنه وفيات كثيرة

وشر ما يستهدف له النساء : السرطان الذي يصيب الثدي أو اعضاء التناسل . ولكن الثابت ان سرطان الثدي على الاقل يسهل علاجه بالجراحة اذا عرف قبل فوات الوقت . فيجدر بكل سيدة ان ترقب اي ورم يحدث في أحد ثدييها سواء استمر هذا الورم أو وقف عند حد ، وان تبادر الى استشارة الطبيب لعلاجه قبل ان يستفحل

كذلك استمرار ادماء الرجال عند التبول ، قد يكون من أعراض السرطان عندهم ، فيجب ان يفحص ويعالج دون ابطاء

وهناك سرطان المعدة ، وهو يعالج اما بعملية جراحية أو بالاشعة فوق البنفسجية والراديوم ، غير انه من اخطر انواع السرطان ويصيب الذكور والاناث على السواء ويستدعي العناية من مهرة الجراحين

ولا يدري عالم الطب بعد ، ان كان السرطان وراثيا أو غير وراثي ، ولكن الارجح ان النوع الذي يصيب مواضع معينة من الجسم مثل الرحم أو المهبل هو وراثي ، غير ان الوراثة هنا ليست في المرض نفسه ولكن في الاستعداد للاصابة به بتأثير المهيجات . فعلى السيدات اللاتي أصيبت أمهات أو جدات أو قريبات لهن بسرطان الثدي أو الرحم ، أن يعتنين بأنفسهن ، وان يستشرن الطبيب بين حين وآخر ليفحصهن ، وخصوصا متى بلغن الاربعين من عمرهن

ويقول الدكتور لويس كريس مدير قسم مكافحة السرطان بوزارة الصحة بولاية نيويورك: «ان المعرفة هي خير الوسائل في مكافحة السرطان»

الكتب الجديدة

المهرجان الألفى

لأبى العلاء المعرى

المجمع العلمى بدمشق — فى ٣٩٦ صفحة

أهدى الينا « المجمع العلمى العربى بدمشق » سفرا قيما فيه وصف شامل للمهرجان الالفى الذى أقامه المجمع لابى العلاء المعرى مع نص القصائد والخطب التى ألقيت فى ذلك المهرجان الحافل

والكتاب مقدم بكلمة قيمة للاستاذ خليل مردم بك جاء فيها : « ان ما ألقى فى مهرجان ابى العلاء وما كتب لاجله من الدراسات والبحوث والقصائد والخطب ، يعد من خيرة ما جادت به قرائح أقطاب العلم والادب . والكتاب فى جملته أجمع وأمتع كتاب بحث عن أبى العلاء فى كل نواحيه ، وهو فى الوقت نفسه صورة للادب العربى المعاصر فى نظمه ونثره وأساليب بحثه وبيانه ..

« ولئن كان فى عقد هذا المهرجان وطبع هذا السفر محمدة ، فالفضل فى ذلك لفخامة رئيس الجمهورية السورية ، فهو الذى استحسن الاقتراح وأمر بتحقيقه ورعاه بعنايته »

والكتاب — بوجه عام — ذخيرة أدبية جدير بأن لا تخلو منه مكتبة أديب

شجرة الحكم

للاستاذ توفيق الحكيم

مكتبة الآداب بالجماميز — فى ١٧١ صفحة

لا حاجة بنا لتعريف المؤلف للقراء ، فهو معروف بخفة روحه وجمال عرضه واشراق ديباجته . وموضوع الكتاب كما يدل عليه عنوانه يدور حول رجال الحكم والاداة الحكومية فى مصر . وهو مجموعة فصول سبق أن نشرت فى الصحف فى سنة ١٩٣٨ وما بعدها ، ولكنها لا تزال طلية شائقة لما اتسمت به من الصراحة وما انطوت عليه من الحق

يقول الاستاذ الحكيم : « ما من شك عندى فى أن أكثر رجال السياسة والحكم فى مصر قد خالجتهم يوما أعظم مشاعر التضحية والبطولة . ولكن الى أى وقت عاشت فى قلوبهم هذه المشاعر ، والى أى مدى احتفظوا بقوة هذه العواطف ، فلم يلينوا بعد ذلك لمغريات المنصب ، ولم يذعنوا لشهوات النفس ، ولم يخضعوا لمطالب العيش ، ولم يجرفوا فى تيار النعمة والابهة والرفاهية ؟

« ما أكثر أولئك الابطال الذين يبدأون بالعذاب والتضحية والتشريد ، وينتهون الى اللذائذ والارائك والعيش الرغيد ! وما أندر أولئك الابطال الذين يعيشون بفكرتهم العليا مشردين ويموتون بها معسورين فى زمرة المساكين ! تلك هى العظمة ! »

ولسنا نشك فى أن القراء فى مصر والشرق سيرحبون بهذا الكتاب الممتع الطريف

كيف تفهم الناس

للدكتور ابرهيم ناجى

المكتب الثقافى الدولى — فى ١٣٠ صفحة

الدكتور ناجى أديب وطبيب وعالم نفسانى ، ولذلك امتازت كتاباته بالجمع بين حقائق العلم المجردة ووقائع الحياة القائمة

وقد كان علم النفس منذ عهد قريب فرعا من الفلسفة ، ثم استقل بنفسه وما زال يشتد وتقوى دعائمه حتى صار ذا أثر فعلى فى حياتنا العملية .

واليوم أصبح العلماء يرون ضرورة تطبيقه فى كل نواحى الحياة: فى السياسة والادب والمدرسة والمصنع والمجتمع

والكتاب الذى تقدمه مجموعة بحوث نفسية يهم كل قارىء الاحاطة بها والاخذ بما جاء فيها من ارشادات وتوجيهات حتى يستطيع أن يفهم الناس ويفهم نفسه ويفهم الحياة . فمن بين الموضوعات التى تناولها المؤلف فى اسلوب سهل واضح : سيكولوجية المرأة والطفولة والمراهقة والحب والاخلاق ونفسية الجماهير ومركب أوديب

ما أحوج مكتبتنا العربية الى مثل هذه البحوث الشائقة النافعة

الباب الضيق

لاندريه جيد ــ ترجمة الاستاذ نزيه الحكيم

دار الكاتب المصرى ــ فى ١٤٣ صفحة

هذه قصة طريفة رائعة تتلخص فى ان فتى فى مرحلة الدراسة العليا احب فتاة تربطه بها صلة قرابة ، تعيش مع أبيها وأمها واختها الصغرى فى مدينة الهافر . وظل الفتى يتردد على هذه الاسرة فتزداد روابط الحب بينهما . ولكن الاخت الصغرى أحبت الفتى وراحت تختلس الفرص لتظهره فيها على هذا الحب . والشاب المسكين لا يكن لها الا هذا الحب البرىء الذى يكون بين الاقرباء وأما الحب الآخر فقد خص به اختها الكبرى . وعرفت الاخت الكبرى بما يملأ قلب أختها من حب الفتى ، وعرف الثلاثة ما بينهم

فضحت الاخت الصغرى بحبها واقترنت على كره منها بالزوج الذى قدمته الاسرة لها . وأبت الكبرى بعد تضحية أختها أن تستمتع بهذا الحب الذى تركته لها فلم تقترن بالفتى ولكنها حاولت أن تسمو بهذا الحب الى منزلة الطهر والنقاء

ويقول الدكتور طه حسين فى تقريظ الكتاب:

« لقد ترجمت القصة ترجمة حسنة وان كنت أشك كل الشك فى انها تنقل الى العربية دقائق الفن الادبى الرفيع كما يصدر عن اندريه جيد والشىء الذى لا شك فيه هو ان الترجمة صحيحة صادقة فى نقل الخواطر والافكار »

من حولنا

للاستاذ سعيد العريان

دار الكاتب المصرى

هذه مجموعة قصص من صميم الحياة المصرية، بدأ قراءتها فاذا بالكاتب قد استهوى نفسك واجتذبك الى استيعاب القصة كلها ، يقول عنها الدكتور طه حسين : « هذا أدب قيم ممتع خليق بالعناية حقا ، فهذه صور صغيرة للحياة المصرية المعاصرة يعرضها فى قصص صغار قصار . والصور كلها جميلة رائعة ، منها ما يؤثر فى النفس تأثيرا عميقا ومنها ما يدعو الى التفكير المتصل ومنها ما يتيح التسلية العابرة »

وقد صاغ المؤلف قصصه فى عبارة تنبض بالحياة وتفيض بالقوة

العالم القديم

للاستاذ نقولا زيادة

المكتبة العصرية بيافا ــ فى ٢٤٧ صفحة

المؤلف استاذ التاريخ القديم بالكلية العربية ببيت المقدس ، وهو شاب عربى متحمس لقومه وعروبته ، كما يتجلى ذلك من مؤلفاته وبحوثه فى الادب والتاريخ والاجتماع فهو صاحب « القومية والعروبة » و « شخصيات عربية » و « مرتبة العرب » الخ ..

والكتاب الذى نقدمه للقارىء يتناول تاريخ مصر القديمة وبابل وآشور وسوريا القديمة ومملكة الفرس . ورغم ان الكتاب فى الإصل مدرسى وضع ليسد حاجة الطلاب ، الا انه يروق

لكل من يريد أن يقلب صفحات الماضي ليتخذ من احداثه عبرة وليجد في الاطلاع عليها لذة ومتعة

ولم يقتصر المؤلف على تسجيل الحوادث بل تعداه الى تصوير الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد التي عرض لها وضمن كتابه عدة صور وخرائط ورسوم

نسمات البكور

للاستاذ عاشور عليش

مطبعة دار اللواء — في ٤٩ صفحة

يقول الاستاذ تيمور بك في تقدمة هذا الكتاب « سألت أديبنا الشاب : ما اسم كتابك ؟ فقال « نسمات البكور » فما هي الا أن وجدتني أتمثل الكتاب وما يحتويه . فهذا عنوان يشعر النفس لاول وهلة بيقظة وتفتح وشباب . وهو وحي شاعرية رقيقة تسبح بأجنحتها الرفافة في آفاق من خيال . ثم أتاح لي الاديب أن أطلع على نخبة من موضوعات الكتاب فلم تكذبني نفسي : حلم عذراء ، عروس خيالي ، حطام ، مقومات النجاح في الحياة .. »

والحق انها باقة عاطرة من المقالات الشائقة — رغم انها موجزة — تنم عن روح يشتعل فيه الصدق والتحرر والطموح والوفاء . وانا نرجو أن يستفيض قلم صاحب هذه الرسالة بفوج آخر من هذه المقالات الطريفة الممتعة

رفاعة الطهطاوى

للاستاذ جمال الدين الشيال

دائرة المعارف الاسلامية — في ١٣٠ صفحة

ثلاثة قرون طويلة خضعت مصر فيها للحكم العثماني ، وفي هذه القرون كانت بلدان الشرق الادنى — ومن بينها مصر — تنعم بسبات عميق ، وفي ابان هذا السبات تأخرت نواحي حياتها الحربية والعلمية والصحية والاقتصادية

وقد آمن محمد علي — منذ ولي عرش مصر — بان سر عظمة الغرب هو تقدم العلوم والآداب والفنون عندهم . ولهذا بذل الجهد كل الجهد لنقل هــذا العلم الى مصر والمصريين ، فأنشأ المدارس واستدعى الاساتذة الاوربيين وأوفد البعوث الى الخارج وبدأ حركة الترجمة الواسعة لنقل العلوم الاوربية الى اللغة العربية

والكتاب الذي نقدمه للقراء ترجمة لحياة رفاعه رافع الطهطاوى زعيم النهضة الفكرية في عهد محمد عــلي ومن أنبغ المصريين الذين بعثوا الى أوربا . وقد كانت له — بعد عودته — جهود محمودة في حياة مصر الثقافية ، مما يجعله بحق زعيما لنهضتنا الفكرية في ذلك العصر

والكتاب ثمرة بحث علمي شاق ، فقد رجع المؤلف عند وضعه الى معظم المصـــادر العربية والافرنجية التي أرخت لنهضتنا الحديثة

حكايات فارسية

للدكتور يحيى الخشاب

دار الكاتب المصرى

« يمثل الادب الفارسي من القصة فنونا أربعة، أولها قصص الملوك التي يدور حــول ما يجب للملك من رعيته وما يجب عليه نحوها ، والثاني قصص هدفه العبرة والعظة ، والثالث قصص يرمى الى الايماء والرمز في تصوير أحداث التاريخ التي تحول الظروف دون تصويرها في صراحة وجلاء، والرابع قصص تاريخي يقصد به اذكاء الروح الوطني في سامعيه فتختلط فيه حقائق التاريخ بالخرافات وفقا لــما يريد المؤلف من تأثير في سامعيه »

وكتاب « حكايات فارسية » جملة من القصص في كل من هذه الفنون ، قصد بها المؤلف أن ينقل الى العرب المحدثين كما نقل ابن المقفع الى العرب الاقدمين الوانا من أدب الفرس وحكمتهم وسياستهم . وسيجد فيه قراء العربية — دون ريب — متعة أدبية طريفة

« ما من انسان يحترم من لا يحترم نفسه . وما من انسان خسر ما له قيمة بحرصه على احترام نفسه . وقد يكرهه البعض ، ولكنهم على كرههم له ، ونفورهم منه ، لا يسعهم الا أن يوقروه، وينزلوه حيثأراد لنفسه من منازل الكرامة»

كيف يتحرر العرب من النفوذ الأجنبي؟

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

أمتنا العربية دول شتى . وليس من هذا ضير ، فان وحدة الاصل والثقافة والميراث التاريخى ، واللغة ، والدين أيضا على العموم ، لا تمنع أن لكل شعب من الشعوب العربية فى موطنه الخاص ، خصائصه التى يتميز بها ، ومن الخير أن تبقى له هذه الخصائص ، وان يظل متميزا بها بين أخوته ، وقادرا على انمائها والانتفاع بها ، واقامة حياته الخاصة على مقتضاها ، وتوجيه نفسه بفضلها الوجهة التى هو أصلح لها . وان قوما منا ــ أنا منهم ــ ليرجون أن يتيسر فى المستقبل أن تكون للدول العربية ــ مع بقاء كل منها مستقلة بشؤونها ــ حكومة عليا قائمة على الشورى ، يوكل اليها وضع النهج السياسى العام حيال الدول الاخرى أو جماعاتها ، وتتولى توحيد كل ما يسهل ويفيد توحيده من النظم وما اليها بلا افتئات على حق ، أو تضييق لحرية ، فتصبح البلاد العربية ، دولا متحدة ، لا مجرد « ولايات » متحدة كأمريكا أو سويسرا . وهذا نظام من الممكن أن تتطور اليه جامعتنا العربية الحالية ، واعتقد ان هذا التطور حاصل ، وان بداياته واضحة من الآن ، على حداثة عهد هذه المؤسسة الجامعة ، ولا بأس من البطء حتى تطمئن القلوب ، وتألف النفوس مراحل التطور ، وتقتنع بمزايا التنظيم الموحد على الايام

ولكنى ــ كما يستفاد مما أسلفت ــ لا أذهب الى حد الاندماج ، لا لاسباب سياسية ، بل لانى أعتقد ان الاندماج يقضى على مزايا الخصائص القومية لكل شعب من شعوبنا العربية ، ويتركها فى الواقع عبارة عن أمم تشعر بانها مغلوبة على أمرها ، وهو شعور سيء لا يثمر الا البغضاء ، والتململ ، والانقباض ، واجراء العواطف والافكار فى مجار لا صالحة ولا مأمونة . ولو كان الامر الى ، أو لو كان لرأيى وزن عند الساسة والمصلحين لاشرت بمنح كل مديرية من مديرياتنا المصرية أوفر قسط من الحرية المحلية لادارة شؤونها وتمهد مرافقها ، على مثال الواقع فى الولايات المتحدة الامريكية أو السويسرية ، وتبقى جملة هذه المديريات هى مصر ، وتكون كلها خاضعة للحكومة المركزية فى السياسة

العامة والتنظيم الموحد اللازم لما يعنى الامة كلها ، وحينئذ كنا نرى كيف تتنافس المديريات وتتسابق الى الاخذ باسباب الرقى ، وكيف تنفض عنها غبار الجمود الذى يفرضه عليها علمها ان أمرها كله ليس بيدها ، وانها ليست مسئولة عن نفسها ، وانها ليست مكلفة ، ولا مقبولا منها ، ان تصنع لنفسها شيئا

ودولنا العربية حظوظها من الاستقلال متفاوتة . والدولة السعودية أتم الجميع استقلالا ، وأوفرها نصيبا من الحرية ، وليس لدولة اجنبية ما ، نفوذ خاص فى بلادها ، وان كان لا يسعها ـ ككل دولة مستقلة أخرى ، كبرت أم صغرت ـ الا أن تدخل فى حسابها ، مواقف الدول الاخرى واستعدادها ، ومبلغ حاجتها هى الى هذه أو تلك ، وما تقضى به مصلحتها على العموم . وكل دولة تفعل ذلك وتتحراه ، فليس فيه جديد أو غريب ، أو ما من شأنه ان يتخذ دليلا على ان لدولة أجنبية نفوذا فى البلاد السعودية

أما سائر دولنا العربية فلا تخلو واحدة منها من نفوذ دولة أجنبية ، ولك أن تقول بريطانيا على التعيين ، وهو نفوذ مرجعه فى الوقت الحاضر الى القوة العسكرية ، فان لبريطانيا قوات فى العراق ، وشرقى الاردن ، وفلسطين ، ومصر ، وما زالت لها قوات فى لبنان وان كانت ستجلو عنها قريبا . ولا ريب فى أن هذا نفوذ بغيض لاستناده الى القوة ، ولا خير فيه لبريطانيا ولا لدولنا ، لان كل ما تجنيه بريطانيا منه انما تناله غصبا ، لا عن رضى منا وايثار . واذا قيل ان هذا النوع من العلاقة بيننا وبين بريطانيا لا يخلو من فائدة لنا ، قلنا قد يكون هذا صحيحا من بعض الوجوه ، ولكنه لا شك فى اننا نتقبل الخير حين يتفق أن يجيئنا من هذا الطريق ، بنفوس غير راضية ، لان استقلالنا مقيد بوجود هذه القوات وما تكسب بريطانيا من نفوذ . والامة المقيدة الاستقلال تكون أشبه بالانسان الذى بترت ساقه وركبت له مكانها ساق خشبية ، وانه ليستطيع ان يروح ويغدو بها ، ولكن الساق الطبيعية أصلح وأكفل بتمكينه من السعى الذى يريد أن يسعاه ، وتيسيره عليه . وفى وسع بريطانيا ان تنال بفضل الصداقة الحرة أطيب من كل ما يمكن أن تناله بالنفوذ المستند الى القوة . واظن ان هذا من البديهيات

وكيف نتحرر من هذا النفوذ البغيض حتى ولو كان نافعا ؟

لا شك ان بريطانيا دولة قوية عزيزة الجانب ، وفى وسعها أن تخضعنا لمشيئتها وترغمنا على ما تبغى بالقوة . ولكن أين هذا المجنون الذى يتصور أن ضمير العالم يمكن أن يقبل أن تسلط بريطانيا علينا الحديد والنار ؟ قد يقال ان ضمير العالم شىء معنوى لا حساب له أمام الدبابات والطائرات ، وقد يكون هذا صحيحا ، ولكنا لسنا فى عصر تيمورلنك ، أو جنكيزخان . ولكل عصر روحه ، وروح هذا العصر الذى نعيش فيه قد تسمح بخنق أمة صغيرة واستعبادها ، ولكنها تسمح بذلك على شرط أن تكون هناك حجة تبدو وجيهة ، وعلى ألا يكون للخنق مظهر مادى مفضوح ، أو مظهر عدوان ، أو مظهر غير انسانى الصبغة فاستخدام القوة اذن أمر خارج عن نطاق البحث ، فيجب اهماله . ومؤدى ذلك ان

نتشجع ونثق بأنفسنا ، ونؤمن بحقنا فى الحياة الحرة الكريمة ، وبقدرتنا على الفوز بها بغير حاجة الى قوة حربية تعادل أو تقارب قوة بريطانيا . فانه لا أمل لنا فى شيء اذا كان مثل هذه القوة لازما للظفر بحقوقنا، ومن أين نجيء بها وبريطانيا حريصة على الحيلولة دونها؟

وما من انسان يحترم من لا يحترم نفسه . وما من انسان خسر ما له قيمة بحرصه على احترام نفسه . وقد يكرهه البعض ، ولكنهم على كرههم له ، ونفورهم منه ، لا يسعهم الا أن يوقروه ، وينزلوه حيث أراد لنفسه من منازل الكرامة

وهل رأى أحد قطة تحاول أن تمشى على لوح من الخشب مثلا ؟ انها تمد يدها أولا ، وتجس ، فاذا اطمأنت الى ثبات ما تحتها ، مدت رجلها ، فخطت خطوة ، ولا تزال تفعل ذلك فى حذر وأناة حتى تعبر اللوح كله . وكذلك السياسة البريطانية : تمد يدها ــ كالقطة ــ على سبيل الاختبار ، فاذا وجدت لينا ومسايرة مدت يدا أخرى ، واذا اصطدمت بمقاومة ردتها ، وظلت حيث كانت وكأنها لم تحاول شيئا

***

والواقع ان السياسة البريطانية ما نالت من استقلالنا منالا ، ولا بسطت كل هذا النفوذ علينا ، ولا صار لها هذا السلطان الخفى أو الظاهر الا بفضل جبننا وضعفنا . فنحن نجبن، أمام السياسة البريطانية فتمتد اليد الاخرى وتتمكن ، وعلى الايام يصبح الجبن فينا ، والافتئات أو التحكم منها ، عادة . وكل شيء فى الدنيا عادة كما نعرف . والضعف يخيل الى بعضنا ان المصلحة تقضى بهذه المسايرة ، وقد تشير عليه مصلحته الخاصة بذلك ، فيموهها ويجعلها تبدو فى صورة المصلحة العامة . ولا أدرى أى مصلحة لامة من الخضوع لامة أخرى ؟ ولا أدرى أى شر يتقى بالمسايرة ، وكل الشر فى المسايرة ؟ وماذا يمكن أن تخسر أمة اكثر مما خسرت من الاستقلال والحرية ، حين تقول لمسترقها « لا » حاسمة قاطعة لا تردد فيها ولا تلعثم ؟ أيضيع فوق ما ضاع ، أو أعز منه ؟ ان الامر لا يمكن ان يستقيم لدولة أجنبية بالغة ما بلغت من القوة ، اذا أبى المستضعفون ان يسايروها أو يعاونوها على أنفسهم . وهذه حقيقة يجب أن تتقرر فى الاذهان ، والعمل بها هو السبيل للتحرر التام من كل نفوذ أجنبى ، فان الاجنبى قد يستطيع أن يمنعنا من فعل شيء نهم به ، ولكنه لا يستطيع أن يرغمنا على فعل شيء لا نريده ، الا اذا لجأ الى أساليب القرون المظلمة ، ولا سبيل الى هذه فى زماننا

فلننف الخوف من نفوسنا اذن، ولنثق ولنؤمن بها ، ولنتشجع، فان هذه سبيلنا الميسرة . والا فما اغرب ان نطلب الحرية الصحيحة لا المزيفة ــ فان هذه موفورة ــ وان نتردد أو نجبن ، ونخاف مما يجشمنا السعى لها وطلبها ؟ وما يكلفنا حربا ولا ضربا ، وانما يكلفنا شجاعة قلب ، وجرأة جنان ، وثقة بالنفس

ابرهيم عبد القادر المازنى

الفيلسوف بين الناس

بقلم الدكتور منصور فهمى باشا

طلب الى أصدقائى من القائمين بأمر مجلة الهلال أن أتحدث الى قرائه عن الفيلسوف بين الناس . ولقد أفاض هذا الطلب على نفسى سرورا حف بذكريات من الود اللذيذ . على أن من القى الى بهذا السؤال وضعنى فى مأزق عند الجواب عنه ، لكنه برغم ذلك طيب ثغرى بابتسامة عذبة عليها مسحة الرضا والقبول ، ومر بنفسى أن أتساءل عن سر هذه الابتسامة الرضية لموضوع هذا الحديث ، بعد أن سددت اليه فكرى وأصبح فى متناول مكتبى وقلمى . قلت فى نفسى ـ وتركت لها فى القول مجالا للشؤون والشجون ـ أصدر هذا السؤال عمن صدر عنه حين كان ناعم النفس بساما هنيا فوصلت الى عدوى ابتسامته وهناءته ؟ وحينئذ تداعى الى خاطرى شبح لشيخ المعرة ، واستذكار لقوله :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد بعدوى ... ...

***

ثم أخذت أسائل نفسى قائلا : ولم لا تنتشر عدوى الهناء من بعيد ؟ . . ولم لا تنتقل الابتسامة من ثغر الى ثغر دون أن تتلاقى النواظر والعيون ؟ . . ألم ير المشتغلون بعالم النفوس والأرواح أن لها سلطانا وتأثيرات لا يثنيها تباعد المكان ولا يعوقها تتابع الزمان؟ . . الا أننى لم أطمئن كل الاطمئنان الى هذا التعليل ولم أسكن تمام السكون الى ذلك التأويل ، فعدت أقول لنفسى مرة أخرى : لعل أصدقائى من أصحاب الهلال تذكروا أنى كنت فى حين من الدهر أدرس الفلسفة وأدرسها ، فحسبوا أنهم يجدون عندى بغيتهم من الجواب

وطاف بخاطرى مثل سائر عند الفرنسيين ، أفلم يقولوا : ليست مسوح الراهب دليلا حقا على رهبنته ، فقد يتيه شيطان فى برد المترهبين . وعلى ذلك قد أكون ممن قرأوا فى الفلسفة سنين ، وعلموها حينا بعد حين ، لكنى خرجت من قراءتى ومن تعليمى أترحم على الفخر الرازى اذ قال :

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم عدت لنفسى فقلت : لعل تقاعدى ذكر بى اخوانى من أسرة الهلال ، فرأوا أن الستين وقد بلغتها كفيلة بأن تشهد لى بالشيخوخة . .

زعمتنى شيخا ولست بشيخ انما الشيخ من يدب دبيبا

فقدروا أن فى الشيخوخة تجارب ، وأن فى التجارب علما ، وان علم التجارب لحرى به

الجواب الشافي لمن قصد السؤال اليه، ولكن اذا صح لي كل ذلك ، فقد حرت فيمن يكون الفيلسوف بين الناس

وبعد أن أخذت أعرض مختلف التعليلات والتأويلات لهذا السؤال ، قلت في نفسي لا مانع من رسم صورة تخطيطية لما يتوهمه عامة الناس عن الفيلسوف ، ولعلي بعد ذلك أرسم صورة أخرى للفلسفة عند أهل الذكر منها،ثم لعلي أخيرا أهتدي لما اراه لنفسي رأيا

***

تذكرت أنهم علمونا فيما علموا أن الفيلسوف يحلل ويعلل ، ويفحص ويمحص ، وقد يجر ذلك الى تحقيق وتدقيق والى اسهاب واطناب ، والى جدال فيه أحيانا بعض املال . أليس بعض من يصطنعون التعليل والتدليل ويتخذون الاسترسال والتطويل يلقبون من بعض الناس بألقاب فلاسفة الزمان وعباقرة الأوان ؟ وقد يقال في سذاجة - أحيانا - لمن يدقق أو يسبح بفكره وبخياله ويحلق : انك لفيلسوف ..

فهل يا ترى يكون الفيلسوف هو الثرثار المتدفق ، أو الغائص المتعمق ، أو السارح في السموات المحلق ! لست أدري ...

ولطالما سمعت عمن يشذ بتفكيره وتصويره ، أو يتفاخم ويتضاخم بمصطلحه وتعبيره ، انه أصبح في حظيرة الفلسفة وعداد المتفلسفين ، وقديما قالوا عمن شرد في فكرته وتأول في المألوف من عقيدته

بثلاثة كفر الفلاسفة العدى ....

ترى أتكون الزندقة حقا معادلة للفلسفة ، ويصبح الفيلسوف من الناس من تزندق وتمنطق ؟ لست أدري !

ولربما قيل عن الرجل الغافل عن أمور الدنيا ، المنعزل عن ماجريات الوجود ، الغبي أو المتغابي ، بأنه فيلسوف ، وقديما قالوا :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فكأن الفلسفة في نظر هؤلاء تمت الى الغفلة أو التغافل،ويكون الفيلسوف هو من اتصف بهذه الصفة أو تلك. فهل حقا يكون من الفلاسفة بعض المغفلين أو المتغافلين؟ لست أدري!

ولطالما سمي فيلسوفا من لا يكترث بشيء ولا يثور لشيء ، ومن يرضى بكل شيء ، وينظر للامور ناعما هادئا في برود وجمود مستنا بقول من قال :

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن الا خالي البال

ورحم الله شوقي حين قال :

خل اهتمامك ناحية وخذ الامور كما هيه

على أنني لما عرضت الكثير من تصور الناس للفلسفة ، ومما يحسبونه صورة للفيلسوف جال بخاطري أن أستمد من جملتها صورة أكتبها للهلال مستمدة من تصورات الكثير من

الناس قد ترتضيهم وان لم ترض أصحاب الهلال . ولم لا؟! . . ألسنا فى زمن الديمقراطية حيث ينشد رضاء جمهرة الناس وسوادهم أكثر مما ينشد الحق المحض ؟ واذن أفيصح أن تكون الفلسفة ضروبا من ثرثرة وتعقيد وترك للاكتراث وغفلة وشذوذ عن المألوف . وكأن الفيلسوف فى نظر من لا يدركون كنه الفلسفة شخص تنطبق عليه بعض هذه الصفات متفرقة ، ومن باب أولى من تتسق له مجتمعة . على أننى بعد ان لاحت لى صورة للفيلسوف كما يتمثلها سواد النـاس ، عدت فقلت ، لعلهـا لا تطابق الحقيقة التى ينشدها أصحاب الهلال . ولكن عدت أسأل : ما هى تلك الحقيقة ؟ وأين تكون ؟

***

وأخيرا رأيت من الخير أن أبعث لقراء الهلال بصورة أخرى تتجاوز ما يدور فى أفواه العامة الى أقوال من اصطلحوا على تسميتهم بالعلماء والمفكرين ، والجهابذة الصادقين . . فلما شرعت فى تقييـد ذلك أدركنى جهد واعيـاء من شدة تعميقهم وطرائق تحقيقهم ، وأعنتنى محاولة ربط عللهم بمعلولهم ، ثم تذكرت مثلا كنت أسمعه عن أجدادنا الاولين : ان السلطان من لا يعرف السلطان ! . . .

فالى اللقاء فى مقـام آخر بعد أن أستريح قليـلا ، وأسعى الى حظيرة السادة العلماء المفكرين ، لأسألهم ما تكون الفلسفة ؟ ومن يكون الفيلسوف بين الناس ؟

وأعود فأقول اذا صح أن السلطان من لايعرف السلطان،فهل يصح أن يكون الفيلسوف من لا يعرف الفلسفة ولا الفيلسوف ! . . .



البنسلين والأمراض الصدرية

تتسع آفاق العلاج بالبنسلين يوما بعد يوم . وآخر ما وصل اليه تفنن المعالجين بهـذا الدواء الثمين الناجع ، تهيئة البنسلين بحيث يستنشقه المرضى بأدواء الصدر المستعصية . . كالانتكاسات التى تحدث اثر الاصابات بالربو

وقد استخدم الأطباء والجراحون فى كلية الطب فى مدينة كولومبيا جهازا يحول محلول الملح والبنسلين الى ذرات دقيقة متطايرة يستطيع المريض ان يستنشقها من اناء زجاجى يوضع على فمه

وقد استدلوا من سرعة ظهور البنسلين فى الدم والبول على ان رئة المريض قد استطاعت ان تمتص هذا الدواء الثمين . . ليفيد الجسم من خواصه العلاجية

هل السياسيون منافقون؟

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

السياسيون فى اللغة العربية كلمة واحدة تشمل صنوفا من المشتغلين بالسياسة العامة ، معروفين فى اللغات الاوربية باسماء متعددة ، يدل كل منها على صناعة مختلفة ، يبلغ من اختلافها فى بعض الاحيان ، ان من يصلح لاحداها لا يصلح لغيرها

فالدبلومات Diplomat سياسى، وهو يعمل فى السفارات والوساطات الرسمية بين الدول. وقد يخطر على البال للوهلة الاولى انه أحوج السياسيين الى النفاق والخداع ومحاولة الاقناع بطريق التمويه والتلفيق . ولكنه فى الواقع أغنى السياسيين عن هذه المحاولات ، لانه يعامل أناسا يضارعونه فى الخبرة والذكاء، ويعرفون ما يعرفه من أصول الصناعة الدبلوماسية ويسمون بالممثلين السياسيين . وهم فى معنى من المعانى يمثلون ويعملون كما يعمل الممثلون على المسرح ، حين يقولون ويسمعون « ادوارا » محفوظة ، يعرفونها قبل ان تتحرك بها الالسنة وتصغى اليها الاسماع . واذا اختلسوا المعلومات التى تنفعهم فى صناعتهم ، فهم لا يختلسونها بالحيلة والخداع بعضهم من بعض ، بل يختلسونها بمعونة الارصاد والعيون ، ويفهم كل منهم انه محوط بهم ، معرض لاستطلاعهم من غير حاجة الى ذكاء خارق أو فراسة نادرة . وقد قال دزرائيلى ان « السياسة مقامرة » وهو كلام صحيح ، ويتممه ان هذا الطراز من السياسيين ــ طراز الدبلوماسيين ــ يلعبون على المكشوف ولا يعملون هم فى صناعة « المداراة » ولكنهم يتقون بمداراة الآخرين

ورئيس الحزب أو الوزير الديمقراطى أو الصحفى الحزبى سياسى بمعنى غير هذا المعنى يعرف عند القوم باسم البولتيكى Politician ويؤدى عمله فى الغالب على صلة بالشعب أو الجماهير . ولا بد له من الاقناع ، فاذا كان الاقناع يحوجه الى المساومة والخداع ، فلا بد له من المساومة والخداع

والحاكم المدبر أو رجل الدولة Statesman سياسى من أقدم الذين وصفوا بالسياسة فى العالم بين الغربيين أو الشرقيين . وقد زعم ماكيافلى انه لا يستغنى عن الكذب والغدر والمداورة والمراوغة ، وانه معفى من قيود الاخلاق والآداب لان واجبه الاول هو منع الفتنة والفوضى وهما شر من مخالفة الاخلاق والآداب . وقد كان ذلك مفهوما على وجه من الوجوه فى القرون الوسطى ، حين كان الحكم صناعة أفراد غير مسئولين أمام الناس . وكان هؤلاء الافراد فيما بينهم خصوما ألداء ، يتنافسون فى رقعة واحدة من الارض ، ويتوقعون العدوان والهجوم على حين غرة فى كل وقت من الاوقات . وهى حالة قد تغيرت ولا شك بما طرأ من التغير على مراكز الامراء والوزراء ورقابة الشعب على أعمالهم

فى الجهر والخفاء . فما كان بالامس صناعة مباحة لا تعاب الا بالنقص فى البراعة ، قد أصبح الآن سلاحا ممنوعا لا يسمح للسياسى باستخدامه على ملأ من الناس ، وجرى عليه ما جرى على صناعة الفرسان فى القرون الوسطى اذ كانت اللصوصية ضربا من ضروب الشجاعة والفروسية تعاب بالعجز وقلة الاتقان ولا تعاب فى المبدأ واللباب . ثم أصبحت من « الممنوعات » التى لا تعالج فى حدود القانون ، ولا تستحق الاعجاب بما فيها من فنون المهارة

وحكماء التشريع سياسيون ولا سيما الحكماء بالمعنى القديم Lawgivers وهم طبقة أعلى من طبقة هؤلاء السياسيين اجمعين ، لانهم يقررون أصول الشرائع ولا ينحصر عملهم فى دراسة الفقه وشرح الاحكام والنصوص

وقد يظن بهؤلاء انهم لا يكذبون ولا يحتالون ، وانهم أحوج الساسة الى الصراحة والابانة عن حقائق الامور فى الحياة الاجتماعية . ولكننا نقرأ سياسة افلاطون مثلا — وهو من أخلصهم نية وأشرفهم فكرا — فنراه يبيح الكذب للقوامين على الشرائع دون غيرهم . ويستحل للسياسى — بل يوجب عليه — أن ينشىء الجيل المتعلم على تصديق الخرافات التى تستقيم عليها علاقات الطبقات وتنظيم الفرائض والحقوق بين أبناء كل طبقة منها على تفاوت منازلها من الجماعات البشرية . واحدى هذه الخرافات المستباحة عنده ان الناس خلقوا من معادن ثلاثة هى الذهب والفضة والنحاس ، وان الذهب معدن المشرعين والرؤساء ، والفضة معدن القادة والجنود ، والنحاس معدن الدهماء والمسخرين . وينبغى ان تبث هذه الخرافة فى الدروس والاقاصيص وأناشيد الطفولة ، حتى ينشأ الجيل الذى يتلقاها كما يتلقى وحى السماء بغير تشكك أو امتعاض

تلك نماذج من الساسة ومن انواع الكذب الذى يحتاجون اليه . وما دام هذا الكذب خاصا فرديا ، فهو شبيه بالكذب الذى يقع فيه أصحاب الصناعات جميعا ، وان لم يشتهروا بالكذب كما اشتهر به السياسيون . فالطبيب يخفى الحقيقة عن المريض أو يناقضها ، ليستنهض فيه عناصر المناعة أو يريحه من المخاوف والآلام ، ويخدره بالعقاقير الطبية وهو أصل التخدير الذى استعير حديثا لما يفعله الكلام اللين فى النفوس . والمحامى يصور الحقائق فى الصورة التى يستلزمها تعزيز الدفاع ونقض الاتهام . والمعلم يخفى بعض الحقائق ويرجىء بعضها كلما وجب الاخفاء والارجاء . والتاجر يبالغ فى جودة البضاعة ويبالغ فى تقدير الاسعار . وليس « السياسى » بدعا بين أصحاب الصناعات بخليقة الكذب والنفاق ، فان كذب فكما يكذبون وان صدق فكما يصدقون

أما الكذب الذى يخرج من الخصوص الى العموم ، فهو بضاعة تتوقف على السوق ولا تتوقف على البائعين ، والمعول فيها على العناصر اللازمة للاقناع فى كل جمهور من الجماهير . فيكثر الكذب والغش والتهريج فى الساسة حين يكثر الجهل والقصور وايثار المصلحة العاجلة فى الجماهير . ويسقط السياسى من جراء هذه الوسائل بعينها اذا واجه بها أمة يقظى وجمهورا يحسن القياس والتقدير

ومهما يكن من احتيال السياسى على جمهوره فانه ليسقط اذا انكشف نفاقه . ويتوقف كشف نفاقه على طراز الالاعيب السياسية وطراز العقول التى تعرض عليها تلك الالاعيب

وقد كان « لويد جورج » السياسى الانجليزى المعروف من اشهر الساسة المحدثين باللعب والمناورة والنفاق . ولكنه نجح بالذى عمله لا بالذى وعد به ونافق فى انجازه .

ومثله فى هذا مثل اللاعبين فى المسارح العامة والمعارض التى يغشاها صنوف من الجماهير. فكلهم يعالجون الخفة والخداع ويعترفون بذلك أو يعرف الناس ذلك منهم بغير اعتراف ، ولكن اللعبة التى تخدع الصبية فى القرى غير اللعبة التى تخدع العلية فى مجامع المثقفين . فربما أصبحت هذه اللعبة « تجربة علمية » ليس فيها من الخداع الا ان الحقيقة العلمية نفسها تبدو للنظارة فى صورة الاعجوبة التى لا يشهدونها فى كل مكان

فاذا سئلنا : هل السياسيون منافقون ؟ فالجواب ان نصيبهم من النفاق على قدر نصيب الشعوب التى يحكمونها من الجهل والغفلة وايثار المصلحة العاجلة وقلة الخبرة بمعترك السياسة الشعبية ، وان النفاق لا يمتنع فى الشعوب بمجرد اليقظة والارتقاء . فانها قد تبتلى بالمنافقين والمخاتلين وقد تمتحن بالمساومات والوعود . ولكن الفرق بينها وبين شعب غافل لم يختبر ضروب السياسة وأفانين الدعاية ان النفاق فيها لايطول ولا يلبث أن يؤول باصحابه الى شر مآل ، وانه فى الشعب الغافل الغرير يطول ويتمادى ، ويكفل لاصحابه الغلبة على ذوى الصدق والاستقامة من الدعاة والحكام

وقد تسمح الامة الذكية لساستها بشيء من الكذب والمراوغة ، اذا كانت سياسة الدولة نفسها سياسة ذات وجهين مختلفين : وجه مسفر فى العلن ووجه مستتر فى الخفاء . وكانت مصالحها التى يفطن لها الشعب بالبداهة ، مرهونة بمداراة الحقائق وتلبيس الوقائع على الآخرين . ولكن الامم الذكية فى هذه الحالة ، تعزل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية ، وتقيس كلا منهما بمقياس تتواضع عليه . بل تحسب الخدعة فى السياسة، كالخدعة فى الحرب من دواعى الاكبار والاعجاب ، ولا ترى تناقضا بينها وبين شمائل الرجل العظيم

والنفاق على كل حال صفة خاضعة فى تقديرها وتقدير اصحابها لمقررات العلم ومقاصد الاخلاق . فاذا كان النفاق هو التلون بالالوان المتغيرة فى محيط البيئة ، فقد ثبت من المراقبة العلمية انه طبيعة فى جميع الاحياء ، وان الوان الحيوان فى رمال الصحراء غير ألوانه فى مروج البطاح أو الوانه بين وشائج الآجام . فلا عيب فيه لذاته ، وانما العيب فيه ان ينقل من توقى الاعداء الى التغرير بالاصدقاء ، وانما النيات فيه هى مناط القدح والثناء . فمن كان من السياسيين ينافق لينفع قومه ، فلن يكون شأنه فى ميزان الاخلاق ، كشأن السياسى الذى ينافق لينفع نفسه ويضر قومه . وقد يخطىء السياسى فى تقدير النفع فى سبيله المأمون ، ولكنه مع هذا الخطأ خير من السياسى الذى لا يقدره ولا يطلبه ولا ينافق فى سبيله . وانما الاخلاق كالاعمال بالنيات

عباس محمود العقاد

حـديث مستفيض فى عيوب التعليم
المدرسى الحاضر والسبيل الى اصلاحه

اتجـاه جـديد
فى تربيـة النشء !

بقلم معالى محمد العشماوى باشا
وزير المعارف العمومية

لقد طالما شكوت من الأسرة ، ومن الام ، ومن البيت ، ومن البيئة العامة ، ولطالما قلت منذ أمد طويل ان علة العلل فى مصر هى فقدان الام الصالحة ، والزوجة الصالحة ، وأثر الفتاة المثقفة المكونة تكوينا صالحا

ان الأمية والجهالة قد غمرت السواد الاعظم من نسائنا وفتياتنا ، فأصبح شبابنا يتقلب فى بيئة لا تهيئه لنشأة صالحة ولا يرجى من ورائها نفع للوطن . لقد قلت فى مناسبات كثيرة ان وظيفة وزارة المعارف مزدوجة ، فهى تؤدى وظيفة المدرسة ، وهى فى الوقت نفسه تؤدى وظيفة البيت . على حين ان وزارات المعارف فى الامم الاخرى تضطلع بمهمة واحدة هى مهمة التثقيف ، وذلك لان البيت هنالك يعاون المدرسة . والبيئة تعاونها كذلك تعاونا يخفف عن المدرسة ـ الى حد بعيد ـ مهمة تربية النشء ، ويفسح لها المجال لامداده بالمعلومات والمعارف . أما فى مصر فان المدرسة تبنى والبيت يهدم . ولما كانت الفترة الكبرى من الوقت يقضيها النشء فى البيت والشارع ، فان أثر المدرسة فى تكوين الفتى والفتاة أثر محدود ، وأخشى أن أقول انه معدوم !

***

لذلك نشأ الشباب فى ربع القرن الاخير نشأة لا تقوم على أساس صحيح ، ولا ترمى الى هدف واضح . ولذلك كانت التيارات المضطربة تجد فى الشباب مجالا لتأثيراتها الخطرة ، فيندفع وراء بعض الدعايات الغاوية لا يدرى أين تسوقه . ولقد قيل ـ وقد يكون فى القول مبالغة ، ولكنه لا يخلو من بعض الحقيقة ـ ان الطفل المصرى يدخل الروضة فيفقد من سلامة فطرته ٥٠ ./. ، ثم يدخل المدرسة الابتدائية فيفقد ٢٥ ./. ، فاذا أتم المرحلة الثانوية يكون قد فقد الباقى . فيدخل الجامعة خالى الوفاض ـ لا أقول من العلم ـ بل من التربية الصحيحة والاعداد الروحى والتوجيه الدينى وغير ذلك من مقومات الشباب الصالح ، فاننا مهما نزود الشباب بالعلم وأسرار الكون وفروع المعرفة المختلفة ـ لا نكون

قد صنعنا شيئا ما دمنا لم نبث فيه روح التضحية والشعور بالقومية التى تسمو على النزوات، وما دمنا لم نوقظ فيه الوازع الدينى فيتقى الله فى قوله وعمله وفى سره وعلانيته . والحق ان العلم اذا لم يكن معه خلق صالح وتربية قومية ودينية فانه يصبح أداة شر واضرار

ان وزارة المعارف لم تستطع حتى الآن النهوض بالتربية بقسط كاف ، بل قصرت فى واجبها من هذه الناحية . وانصرفت الى ناحية أخرى ، هى حشد العقول بالمعلومات لكسب العيش ، ولذلك كان أهم ما عنيت به حين عدت الى وزارة المعارف ان أستأنف الرسالة التى بدأتها منذ كنت لهذه الوزارة سكرتيرا عاما فوكيلا ، وهى وجوب العناية الجدية بهذه الناحية من نواحى التربية

مسئولية الوزارة بالنسبة للفتيات

واذا كان من واجب وزارة المعارف أن تعنى بهذه الناحية بين النشء عامة ، فان واجبها فى ذلك بين الفتيات أعظم ومسئوليتها أخطر . فنحن ان أعددنا الام أعددنا الطفل والشاب والرجل . فهى أمه وأخته وزوجه ومربيته وملهمته ، والناظرات هن اللاتى يصنعن أولئك الامهات والاخوات والزوجات الصالحات ، فمسئوليتهن فى واجب التربية أخطر ونصيبهن أجل . واذا لم نستطع فى معاهدنا الا أن نخرج متعلمات قد استوعبن فروع المعرفة ، وخلون من عناصر التربية الصحيحة ــ فاننا نكون قد أخفقنا اخفاقا ذريعا فى اعداد الجيل . ولذلك كان كل جهد يبذل فى سبيل العناية بالبنين جهدا ضائعا ما دام هؤلاء البنون سينتهون الى أمهات أو زوجات غير صالحات

وقد صار من المجمع عليه الآن، أن أخطر هدف يجب أن تسعى اليه التربية هو الارتفاع بمستوى المرأة . وأن سر اخفاق الامم هو الاخفاق فى اعداد المرأة ، وسر النجاح هو النجاح فى اعدادها . وكل شخص ناجح فى تكوينه وفى أهدافه لا بد أن تكون وراءه امرأة تسنده : أما أو أختا أو زوجة أو بنتا ، فهى التى تبنيه وتنمى فيه خلال الخير وتغرس فيه الفضائل التى نسمعها ألقابا ولا نراها حقائق ! وكذلك كل رجل فاشل وراءه امرأة تكون هى سر فشله ايجابيا كان موقفها أم سلبيا

الحرب أفسدت المعنويات

ان مصر تجتاز اليوم مرحلة خطيرة ، فنحن فى أعقاب حرب غاشمة مدمرة أفسدت المعنويات والماديات جميعا ، ولعلها كانت للمعنويات أكثر افسادا . وكان ما أفسدته مما يصعب تعويضه ، فالاخلاق اذا تهدمت احتاج اصلاحها الى أجيال ، بل لعله يحتاج الى التخلص من جيل من الناس ! والعالم يواجه تطورات فى الاوضاع الاجتماعية والسياسية تقتضى صلابة عود وقوة احتمال وسرعة فى مسايرة التطورات . ونحن فى مصر خاصة نواجه تطورا خطيرا ، فقد أجمعت الامة على أهداف سياسية تريد أن تبلغ بها مكانها من

العزة والكرامة ، فاذا لم تتخذ الوسائل المجدية لهذه الاهداف، واذا لم تجد شبابا يدركون حقيقة الموقف ويعملون مخلصين للوطن وحده - أفضى بنا الامر الى الاخفاق . وحالتنا الاجتماعية العامة الحاضرة لا ترضى غيورا على مستقبل البلاد، لا من ناحية أوضاعنا الراهنة فى الحياة ، ولا من ناحية الروح التى تسود الشباب

البيت المصرى عائق !

يجب أن نعلم أن البيت المصرى ليس فى طاقته أن يعيننا أى عون فى التربية ، بل لعله يعوق خطانا ويفسد مساعينا ، لان الامية تشيع فى نحو ٩٠ ./. من النساء ، وهذه نسبة مخجلة فى بلد امتزجت فيه الحضارات امتزاجا عظيما، وتلاقحت فيه مدنية الفراعنة والفرس والرومان والعرب ، والتقت فيه ثقافة الشرق والغرب ، واتخذته البلاد العربية قبلة وقدوة وبايعته بالزعامة ، ومد يده الى الغرب يريد أن يسهم معه فى وضع أسس جديدة للسلام العالمى والحضارة الانسانية . أفيليق أن تكون هذه مكانتنا وتلك رسالتنا ، والامية تبلغ بين نسائنا ٩٠ ./. ؟!

اننا فى هذا الوضع نحتاج الى مجهود كبير لتربية الشعب . أما العلم فنستطيع أن نجده فى الكتب ونستعيره من غيرنا ، ونبعث بنينا وبناتنا الى حيث يتلقونه ، وان نستقدم من الاساتذة من يضطلع بهذه المهمة . أما التربية فليس فى مكنتنا أن نجدها فى كتاب، ولا أن نستعيرها من أحد ، ولا أن نبعث لها البعوث ، ولا أن نستوردها من الخارج ، فنحن نريدها تربية قومية عربية دينية ، وعلى عاتق الاقلية الضئيلة من نساء مصر المثقفات يقع ذلك العبء الجسيم

ان الطفل يجب أن يكون موضع رعاية خاصة ، فلا يقتصر عمل الناظرات على حشد التلميذات حشدا كأنهن فى ثكنات ، وانما أريد أن يجعلن معاهد التعليم بيوتا وأسرا ، وأن يتغلبن على الاثر السىء الذى قد يحدثه البيت فى حياة الاطفال ، وانى اذ أخاطبهن انما أعول على ما أودع الله المرأة من روح التضحية والايثار والصبر والرحمة ، فليس مثل المرأة أحد فى هذه الفضائل العليا ، وبها وحدها يستطعن أن يخلقن لمصر جيلا من الشباب يكون عدته فى غده

ان الطفولة مضيعة فى مصر سواء فى قصور الاغنياء أو فى اكواخ الفقراء . فأما فى قصور الاغنياء فالتقصير والتواكل والاعتماد على الخدم واهمال تكوين الروح ، واما فى اكواخ الفقراء فتتعذر وسائل التربية والتقويم والرعاية

مدارسنا لا صلة لها بالدنيا

نحن متهمون بأن مدارسنا لا صلة لها بالدنيا ، وبأن المشكلات تتوالى والدنيا تتطور على حين لم تزل معاهدنا تحوى أناسا كأنهم فى دير قد انقطع ما بينهم وبين الحياة ، لانها قصرت

مهمتها على تلقين المعارف فى الحدود الضيقة التى رسمتها المناهج . وقد خشى المعلمات والناظرات والمشرفات عليهن أن يتخطين هذه الحدود المرسومة حتى لا يتأثر مستوى التعليم ، ولكن مستوى التعليم قد تأثر فعلا برغم وسائل التوقى هذه ، وتصايح الناس شاكين من ضعف ذلك المستوى ، مع ان الليل والنهار لم يزالا كما كانا أربعا وعشرين ساعة ، ومع أن الذكاء المصرى هو الذكاء المصرى ، ومع ان الانتاج الفكرى قد زاد عما كان ، ومع ان المشكلات الاجتماعية قد زادت كذلك زيادة تحمل على اتساع أفق المعرفة والدرس ، ومع ان وسائل التثقيف قد تحسنت عن ذى قبل

لا عذر لنا بعد اليوم

ليس لنا عذر بعد اليوم فى البقاء وراء هذه الحدود الضيقة ، يجهل شبابنا وفتياتنا ألوان الثقافة العامة . وهذا النقص ينشأ عندنا منذ الطفولة ، فالطفل الاوربى يفتح له كل مغلق ، ويحل له كل ما يتراءى له من مشكلات ، لانه كلما سأل أجيب . أما الطفل المصرى فان سأل زجر ، وان دنا أقصى ، بل اننا فوق ذلك قد نعطيه القدوة السيئة ، فنعلمه الصدق فى الكتب والكذب فى العمل . تعلمه أمه أن يقول لمن يسأل عنها انها غير موجودة ، وهى موجودة ! فيجب أن نتكلف عبء تقويم أنفسنا حتى لا يقتدى الطفل بنا فى غير خير ، فلا ننهاه عن الاسراف والفحش والكذب ونحن نسرف ونفحش ونكذب. وقد كنت فى مجلس ضم طفلا وأمه ، فلما حضرت القهوة طلب الطفل قدحا كأمه ، فقالت له : عيب ! فأجابها : اذا كان عيبا فلماذا تشربين ؟! وكان عليها أن تفهمه مثلا أن حالتها الصحية ، أو أن سنها، أو أن باعثا من البواعث المختلفة هو الذى يدفعها الى شرب القهوة التى لا يليق بالطفل أن يشربها ، أما أن تقول له ان هذا عيب ومنكر على حين انها تأتيه ، فمثل هذا الجواب غير الموفق من شأنه أن يفسد على الطفل تفكيره وقوة حكمه

هبوط المستوى الروحى بين الشباب

ان الشباب اليوم يسير فى طريق مضطرب بخطى متخاذلة ، وقد هبط المستوى الروحى هبوطا كبيرا ، واختلط الجد بالهزل ، وساء توزيع الوقت بين الدعة والعمل . فعجز الشباب عن الانتفاع بوقت فراغه ، وان أوقات الفراغ لهى التى تخلق عظماء الرجال وتنشىء المخترعات ووسائل الحضارة ، فاكثرها وليد النزوع والميل الشخصى الى مزاولة عمل ما فى وقت الفراغ ، ثم صار هذا الهوى الشخصى الذى كان يشغل الفراغ شيئا عظيما له أثر فى بناء الحضارة وتوجيه المجتمع . ففى وقت الفراغ تفتحت عبقرية الفنان ، وبزغت شمس النبوغ ، وانبثقت المواهب . فعلى المربيات أن يعملن على تعويد الاطفال حسن توزيع الوقت بين العمل والدعة ، وان يستخدمن وقت الفراغ عند الطفل فيما يربى روحه ويوجه ملكاته وينشط ميوله من طريق الاحاديث ومشاهد الطبيعة . فنحن بلد لا يقبل على القراءة .

فلتكن أحاديث المربيات الى النشء تعويضا عن القراءة وتشويقا اليها فى الوقت نفسه . وانه لمما يدعو الى الاسف ان التلميذ المصرى يضيق بالقراءة أشد الضيق ، فهو يكره الكتاب أشد الكره! وقد رأيت طلابا فى احدى كليات الجامعة قد أعفاهم استاذهم من بعض مواد الكتاب الذى يدرسون ، فمحوا سطور هذه المواد بأقلامهم محوا ، كأنها ليست من العلم ، وكأنهم يخشون أشد الخشية أن يخطئوا فيقرأوها عن غير قصد! فهؤلاء التلاميذ أو الطلاب قد طغت عليهم روح الامتحانات وفقدوا الشوق العلمى الى الاطلاع والقراءة ، فحرموا أنفسهم الانتفاع بالمجهود الفكرى الذى يوسع أفق ثقافتهم . ونجم عن ذلك قلة القراءة فى مصر والجفوة بين الشباب والمؤلفات النافعة حتى لقد ثبت أن كثيرا من الهيئات العلمية تبيع أغلب ما تنتجه فى الخارج ، ولا تبيع فى مصر من مطبوعاتها العلمية الا القليل

تحبيب الجو المدرسى للطفل

وأخيرا يجب أن يعملن على تحبيب الجو المدرسى الى الطفل، فلا يضيق بالمدرسة ويحاول الفرار منها ويترقب أيام العطلة بشوق . ويطيب لى هنا ان أذكر تجربة وقفت على نتيجتها، وذلك انى علمت احدى ابنتى تعليما مصريا خالصا حتى انتهت الى غايتها ، ثم بدا لى أن ألحق الاخرى بعد ان قطعت مرحلة كبيرة فى التعليم العادى بمدرسة خاصة تستهدف الاغراض التى تحدثت عنها ، فلم يلبث ان ظهر لى أثر هذه المدرسة الجديدة واضحا فى توجيه ابنتى هذه . لم يلفت نظرى فى هذا الاثر خلاف مواد الدراسة ، ولا الكتب المقررة ، ولا مستوى الاساتذة ، وانما لفت نظرى — على وجه الخصوص — الاثر الاجتماعى الكبير . ففى سنة دراسية واحدة تحولت ابنتى مرة واحدة ، وصار لها فى فهم الحياة وأوضاع المجتمع رأى، وأقبلت على القراءة اقبالا كبيرا ، وراحت تساير الانتاج الفكرى بشغف ملحوظ . وكنا قبل ذلك نسوقها الى القراءة سوقا ، وكان من صنيع هذه المدرسة أن تدعو — مثلا — بعض كبار الرجال من المصريين والاجانب وعقائلهم ، فتجرى الحديث بين الزائرين والطالبات طبيعيا عن الشؤون الحية التى يتحدث عنها الاحياء ، فينتقلن الى المجتمع من خلال هذه الاحاديث ويعرفن ما لم يكن يعرفن ، وينشأ لهن رأى وفكرة ، ويسرن فى ركب الحياة وكن منقطعات. فأين هذا من الحياة الاجتماعية للطلاب والطالبات فى سائر المعاهد المصرية؟! لقد أتيح لى أن أشترك فى امتحان بعض الطلبة فى مادة الثقافة العامة ، فأدهشنى أن الطلبة كانوا يجيبون اجابات غريبة عن أسئلة فى موضوعات تملأ الاذهان وتفيض بها انهار الصحف وتتجاوب بها أصداء الاذاعات المختلفة وتتصل بحياتنا أوثق اتصال !

محمد المشماوى

« يتغنى الديمقراطيون بديمقراطيتهم ، ولكن ديمقراطيتهم فى بلادهم وشعوبهم . فاذا وردوا منهـا شيئا الى الخارج ، حجزوا خيرها فى بلادهم ، وصدروا نوعا من الاستبداد والعسف ، بعد أن يلونوه لونا مزيفا باسم الديمقراطية »



هذا العالم المضطرب

بقلم الأستاذ احمد امين بك

فى الشرق اضطراب ، وفى الغرب اضطراب، وفى كل مكان اضطراب ، سببه أن المعبود القديم من النظم والتقاليد والاوضاع قد تحطم ، ولم ينصبوا بعد تمثالا جديدا يعبدونه . فالفترة فترة حيرة بين القديم المنهار ، والجديد الذى لم ينشأ

حيرة فى الأخلاق ، وفى الاقتصاد ، وفى السياسة

فى الاخلاق لم يعجب الانسان ما هو عليه ، ولم يتضح له ــ فى دقة ــ ما ينبغى أن يكون، لقد كانت صبغة الاخلاق فردية ، فتحولت ــ بتقدم الانسان ــ الى أن تصبغ صبغة اجتماعية فالاخلاق ينبغى أن تؤسس على نطاق واسع من مراعاة مصالح الجنس البشرى ، ومن الانسجام بين الشعوب بعضها وبعض ، ومن الانسجام بين أفراد الشعب الواحد بعضهم وبعض . وكل أخلاق تدعو الى النزاع بين الشعوب أو عدم الانسجام أخـلاق قديمة بالية لم تعد صالحة للبقاء . والبرنامج الجديد للاخلاق يجب أن يلخص فى كلمة ، وهى « اغناء الحياة بمراعاة الآخرين ، وتعديل النفس للانسجام مع من حولها من الناس » ، والاخلاق المؤسسة على مصلحة الفرد وحده ، أو الامة وحدها ، أو مراعاة الظروف المحلية للامة وحدها ، لم تعد صالحة للبقاء بحال من الاحوال . ولم يعد البطل الاخلاقى هو من يصدق ويؤتمن على السر ويعدل فى معاملته ، بل البطل الاخلاقى من رفع مستوى الحياة فى أمته ، وأكبر منه بطولة من استطاع أن يرفع المستوى الخلقى فى أساليب الحياة والتفكير فى العالم

فهذا التفكير الجديد لم ينضج بعد ، ولا يزال فى صراع مع الاساليب القديمة التى تنظر الى الفرد مستقلا كاملا ، أو الى الامة مستقلة كاملة ، بقطع النظر عما عداها . هناك صراع بين المثل الذى يرسمه قول الشاعر :

« اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر »

وقول الآخر :

« فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا »

على هذا الاساس ليس المقصد الاسمى محافظة الفرد على نفسه بل ولا على نوعه ، ولكن رقى النوع وبلوغه ما يستحقه من سمو

وعلى هذا الاساس لا استغلال ، ولا استعمار ، ولا امتصاص دم أمة لغنى أمة ، ولا حرب ، الا دفاعا عن ظلم أو تحقيقا لعدل

ولكن يعوق هذا الفرض غرائز وحشية موروثة ، وضعف انسانى منشؤه حب الذات، ونعرة وطنية كاذبة

بين هذه التقاليد القديمة التى تجذبه الى الارض ، وبين الامل المنشود الذى يشده الى السماء كانت الحيرة الخلقية

***

وأما الازمة الاقتصادية ، فهى أيضا أزمة أخلاقية ، لانها نشأت من تقدير المادة والمال فوق قدرهما . فكل أمة قوية أرادت ــ من طريق الاسواق ــ أن توفر لشعبها العيش الرخى ، من أكل شهى ، ولبس فاخر ، ومشروب منعش ، وسيارات فخمة ، وما الى ذلك . فكان من نتائجه الاستعمار الخانق ، والتنافس بين الاقوياء ، الذى ينتهى بالحرب، ثم السلم المؤقت ، ثم الحرب وهكذا يفقد العامل الانسانى والنفسى فى الموضوع . فالسعادة والامن والطمأنينة لا تشترى بالمال ، وليست خاضعة لقوانين المال . وليس الانسان منتجا ومستهلكا فقط ، كما ينظر اليه الاقتصاديون ، بل هو فوق ذلك انسان له انسانيته ، وفيه معنويته التى اذا سلبها ، سلب جزءا كبيرا مكونا لحقيقته

على هذا التصور القاصر ، وضعت النظم الاقتصادية ، من تقييد التجارة ونظام الجمارك، واستغلال الشعوب والنقابات ، والعلاقات بين الرأسماليين والعمال الخ فانتجت هذا الاضطراب ، ولم تسبب للجنس البشرى سعادة . انما تكون السعادة يوم تؤسس قوانين الاقتصاد ، على أن الانسان مادة وروح ، وأن المادة وحدها لا تسد حاجته ، ولا تسبب طمأنينته . ويوم ينظر الى الانسان ــ فى ناحيته الاقتصادية ــ ككل لا كأمة ، وأن يعالج جوع العالم ، ورخاء العالم ، وتعاون العالم ، لا على أنه أجزاء بل على أنه وحدة . وليس يصح أن يتخم جزء ، ليموت جزء آخر من الجوع

وبين هاتين النظريتين : القديمة البالية التى لم تقنع ، والجديدة التى لم تتحقق كانت الحيرة

***

وأما فى السياسة فنقطة الضعف فيها ــ كذلك ــ انها قومية لا انسانية . يتغنى الديمقراطيون بديمقراطيتهم ، ولكن فى بلادهم وبين شعوبهم . فاذا وردوا منها شيئا الى الخارج ، حجزوا خيرها فى بلادهم ، وصدروا نوعا من الاستبداد والعسف ، ولونوه لونا مزيفا باسم الديمقراطية ، فكان لهم من الديمقراطية نوعان من السلع نوع محبوب كتب عليه « ممنوع التصدير » ونوع ردىء كتب عليه « يستعمل للخارج »

والديمقراطية الحقة هي التي ترى مساواة كل الناس في الحقوق والواجبات، سواء في ذلك أسودهم وأبيضهم، وشرقيهم وغربيهم، ورجالهم ونساؤهم، وأفريقيهم وأسيويهم وأوربيهم. والديمقراطية الحقة هي التي تتعاون فيها الأمم على ازالة العوائق، التي تعترض التقدم الانساني من جهل وفقر ومرض للجميع، حتى تكون الهيئة الانسانية كلها صحيحة مثقفة، عندها ما يكفيها العيش والحياة الطيبة، وحتى يجد كل فرد نفسه، وتجد كل أمة نفسها

على أساس فهم الديمقراطية بمعناها القاصر على شعبها، تكونت العلاقات بين الدول. فهي علاقة عداء عميق، تتخذ شكل صديق، وتنافس حار، كأنه شعلة من نار، تلتهب رويدا رويدا حتى تكون الحرب المدمرة القطيعة. وكلما أراد محبو الخير أن يؤسسوا العالم على نظام الوحدة، لا على نظام القومية، كعصبة الامم وميثاق الاطلنطي، طغت النزعة القديمة على النظام الجديد فزعزعته، وفضل قادة السياسة أن يظفروا بتصفيق أممهم بالعبارات الخلابة مثل «لم آت هنا لتصفية الامبراطورية»، وفضلوا الانتصار في المعارك الحزبية، على نصرة مبادىء العدل والحق والتقدم الانساني الشامل

وبين مبادىء السياسة القديمة التي سببت الخراب، وبين المبادىء الجديدة التي لا تجد لها من الانصار الا الفلاسفة وبعض الكتاب، كانت الحيرة والاضطراب

ما أجمل الحلول يصوغها الساسة وقت الحرب وينسونها وقت السلم كميثاق عصبة الامم وميثاق الاطلنطي، حتى شك الرأي العام في العالم من قيمة هذه الوعود وسخروا منها سخريتهم برواية هزلية واعتقدت الامم الصغيرة أن هذه الوعود أداة من أدوات تسلح القوى ضدها فعصبة الامم لم تكن الا حلف الاقوياء على الضعفاء ونخشى أن يكون كذلك ميثاق الاطلنطي، لقد عودونا أن يضعوا المبادىء الجليلة أيام الحرب فاذا جاء السلم أمطرونا بسلسلة من التحفظات حفظت شكلها وأماتت روحها وادعت هذه الامة أنها تحمي كيانها وادعت الاخرى انها تدافع عن نفسها، فعادت الحالة سيرتها الاولى، ولا أمل في الاصلاح الا أن يحل العقل والحكمة محل النعرة الجنسية والسفسطة السياسية، وأداة العقل والحكمة القانون، وأداة النعرة الجنسية والسياسية التسلح — وبين الاساليب القديمة في التسلح والاساليب المنشودة في التعقل، كانت الحيرة والاضطراب

احمد امين

ـ الفضيلة لفظ يسهل نطقه ويصعب فهمه	فولتير
ـ رأيت أكثر من امرأة تغرق الشرف في ماء الذهب	دي هوديتو
ـ الصداقة هي الوردة الوحيدة التي لا شوك فيها	سكوديري
ـ يتكلم الرجال عما يعرفون، وتتكلم النساء عما يسرهن	روسو
ـ روح الشاعر مرآة الدنيا	مرسيه

«ما أجدر أصدقاءنا البريطانيين ـ الذين لا نزال نريد أن نحرص على صداقتهم ـ أن يدركوا أنهم بارتكاب الاثم فى وادى النيل ، ينشرون فى العالم تلك المبادىء الهدامة ، التى تقضى على كل أمل فى خلق عالم جديد يسوده الأمن والعدل والرخاء »

شهوة الاحتلال !

بقلم الدكتور محمد عوض محمد بك

لئن كان عهد الحرب قد انتهى ، فقد تلاه عهد آخر نستطيع أن ندعوه « عهد الاحتلال» فحيثما اتجهنا بأنظارنا رأينا جيوشا جرارة تحتل أقطارا مختلفة فى قارة أوربا وأفريقية وآسيا . والمحتلون دائما وفى جميع الاحوال أقوام غرباء ، لا يمتون الى الارض التى يحتلونها بصلة ، وليس بينهم وبين سكانها روابط جنسية أو ثقافية أو سياسية . ولقد نتساءل عن السبب فى هذه الاحتلالات المختلفة ، وعن البواعث التى دعت اليها ، ولكننا ، مهما بحثنا وفتشنا ، لن نجد لهذه الاحتلالات مبررا معقولا ، فليس هناك مصلحة تمليها ، ولا منفعة عاجلة أو آجلة تقضى بها . ولا بد لنا أن نخرج من تفكيرنا وبحثنا الى نتيجة واحدة ، وهى ان الاحتلال ظاهرة لا تدعو اليها مصلحة أو سياسة رشيدة ، بل تمليها شهوة تطغى على العقل وتضل النفوس

وأعجب شىء أن ظاهرة الاحتلال هذه هى شر على العالم من الحرب الضروس التى سبقتها ، وستترك فى العالم من الفساد والشرور أكثر مما خلفته الحرب بويلاتها وتخريبها وتدميرها . بل أعجب من هذا وأغرب ، أن عهد الحرب ـ من وجهة العلاقات الدولية ـ كان أسلم وأكرم من عهد الاحتلال الذى نشاهده اليوم . فان الحرب قد حفزت الهمم لبذل الجهد والتضحية ، وللتعاون الوثيق بين الامم وقادتها ، فكانت الدول تتبارى فى خدمة القضية العامة ، كل منها تنصر الاخرى وتؤيدها أشد التأييد ، ولا تدخر وسعا فى اكتساب مرضاتها واستجلاب عطفها . ومهما كانت الدولة صغيرة المساحة أو قليلة السكان ، فان هذا لم يقم حائلا دون مساعدتها واكتساب ثقتها واجتلاب معونتها . وامتلأ الجو بالمبادىء الانسانية السامية التى تبشر بعهد طويل تنعم فيه الامم جميعا بالسلم والرخاء ، لان امتلاء الجو بمثل تلك المبادىء كان جزءا من ذلك التعاون الدولى الوثيق ، الذى لم يكن منه بد للوصول الى النصر . كان الانتصار على قوات العدو هو الهدف الاعظم ، وكانت المبادىء السامية من أقوى الوسائل لبلوغ ذلك الهدف ، ولذلك امتلأ الجو بها وبالتحدث عنها

ولم تكن تلك البيانات ، والمبادىء السامية التى تضمنتها أقوالا أدلى بها أناس غير مسئولين ، أو رجال ملكتهم الحماسة العابرة ، أو العاطفة الثائرة ، فاندفعوا ينثرون الالفاظ

من غير روية أو تدبر ، بل رجال أولو خبرة ودراية وذوو أحلام راجحة ، وتجارب واسعة فى سياسة الدول وقيادة الشعوب ، فلا يدلون بقول الا بعد أن يزنوه بميزان حكيم ، ويقدرون غايته ومرماه أدق تقدير

كذلك لم تكن أقوالهم عبارات مبهمة أو غامضة ، بل بيانات جلية واضحة ، لا تحتمل الا معنى واحدا ، صريحا كل الصراحة ، ولذلك كان لها فى النفوس أجمل وقع ، ورددها الناس فى مشارق الارض ومغاربها ، وهم مؤمنون بأنها عهد لا يقبل النقض ، ومواثيق لابد من الوفاء بها

وأى عبارة أبلغ وأقوى وأشد وضوحا مما تضمنه الميثاق الاطلنطى ، وبنوده السبعة ، التى لا تحتمل تأويلا ، ولا يكتنفها أدنى غموض ؟ لقد أعلن هذا الميثاق أن حكومات الامم المتحدة لا تنشد توسعا فى الاراضى أو فى أى معنى من معانى التوسع ، وانها لا تريد أن ترى أى تبدل فى حالة أى قطر من الاقطار ، ما لم يطابق رغبة السكان التى عبروا عنها بكامل حريتهم ، وانها تحترم ما لكل شعب من الحق فى اختيار نظام الحكومة التى يريد أن يعيش فى ظلها ، الى غير ذلك من المبادىء الانسانية العالية التى صاغها الرئيس الاعلى للولايات المتحدة مشتركا مع القائد الاعلى للامة البريطانية ، ثم لم تلبث ان نالت موافقة الامم المتحدة جميعا ، وسبح بحمدها الناس فى كل أرض وتحت كل سماء

والآن وقد انتهى عهد الحرب ، وتحقق هدف النصر ، وانقضى الوقت الذى كان يتطلب الكلام عن المبادىء الانسانية ، وجاء وقت العمل على تحقيق تلك المبادىء ، نرى الشهوات المكبوتة تنشط من عقالها ، فلا تلبث تلك الامانى الجميلة أن تتوارى وأن تذبل ، وتوشك أن تصبح ذكرى من الذكريات

ومن العجب أن قادة الدول الكبيرة عجزوا عن أن يدركوا أن السلم هدف لايقل خطرا وجلالا عن هدف النصر ، ولذلك رأيناهم يتسابقون فى الاندفاع فى تيار الشهوات الجارف ، دون أن تردعهم عظات الماضى ، أو التأمل فى المستقبل

تملكت شهوة الاحتلال النفوس ، واستولت على ألباب كبار الساسة فى فرنسا وروسيا وبريطانيا . وقد تطلبت أعمال الحرب ، وما ترتب عليها من اجراء ، أن تحتل مساحات كبيرة من أراضى الاعداء .. ولكن شهوة الاحتلال تجاوزت ذلك الى احتلال أراضى الاصدقاء والحلفاء . وكان هنالك أقطار نزلت بها جيوش الحلفاء « مؤقتا » . فلم تكد طلائع النصر تظهر فى الافق ، حتى بدأت الجهود تبذل لتحويل الاحتلال المؤقت الى احتلال دائم

وكانت فرنسا سباقة فى هذا المضمار ، فعلى الرغم من العهود التى قطعتها ، بادرت باتخاذ اجراءات عنيفة فى سوريا ولبنان لترسيخ أقدامها فى بلدين من بلاد « الامم المتحدة » ولم تتورع عن ضرب عاصمة سوريا بقنابل الطائرات والمدافع ، فى الوقت الذى اجتمعت فيه وفود الامم فى سان فرانسسكو لوضع نظام جديد لعهد جديد يسوده السلم والعدل والرخاء

ولم يكن بد من أن تحذو روسيا حذو الدول الغربيه ، فلم تكتف جيوشها باحتلال دول البحر البلطى وبولنده وبعض دول البلقان والمجر ، بل رأيناها تبادر باحتلال أقطار لا تمت اليها بأدنى صلة ، فأخذت تعمل جهدها فى تثبيت أقدامها فى جزيرة برنهولم الدانماركية ، وهى جزء أصيل من الوطن الدانماركى ، وفى الجزء الشمالى من ايران ، بما فى ذلك ولاية أذربيجان الايرانية ، وفى منشوريا ، وهى جزء لا يتجزأ من الوطن الصينى وقد حاربت الصين اليابان سبع سنوات كاملة ، وعانت ويلات هائلة من أجل استرداده من الغاصبين

وقليل من التفكير والتحرر من تأثير الشهوات الجامحة ، كفيل بأن يقنع قادة روسيا وغيرها من دول الاحتلال بأن ليس لها مصلحة حقيقية فى ذلك المسلك الشاذ . تقول روسيا مثلا انها ستجلو عن منشوريا يوم تجلو القوات الامريكية عن الصين. وهذا بلاشك حجة واهية ، لا نظير لها فى سخفها وضعفها سوى الحجج المماثلة لها التى تتذرع بها الدول التى طغت عليها شهوة الاستعمار . ان روسيا تطمع فى الغالب أن تفعل فى منشوريا ما فعلته فى اذربيجان ، فتشجع العناصر الانفصالية على اقامة حكومة شيوعية موالية لروسيا . وهذا بلا شك انتصار عاجل للسياسة الروسية ، ولكنه يخفى وراءه خطرا آجلا لانه يضع البذور للحرب العالمية التالية ولما تنذر به العالم من التخريب الكامل الشامل

ومن أفظع ما جرته شهوة الاحتلال على العلاقات الدولية ، انها دفعت الدول الكبيرة الى الحنث بوعودها وبما قطعته على نفسها من عهد وميثاق . ولا يسعنا فى هذا الصدد أن نبرىء بريطانيا من انها هى التى سنت هذه السنة ، وجرت فى الخضوع لتلك الشهوة الى أبعد مدى . فلقد احتلت جيوشها مصر احتلالا « مؤقتا » فى الربع الاخير من القرن الماضى ، ولم يكف ساستها وقادتها منذ ذلك الحين عن الاعلان بانهم سيجلون عن مصر « فى موعد قريب » ، فاذا الموعد القريب يزداد بعدا على الزمن ، واذا العهود المقطوعة تطغى عليها شهوة الاحتلال ، فتطمسها وتمحوها . وقد اضطر الساسة البريطانيون بتأثير تلك الشهوة الى الاعتذار عن الحنث بالعهود ، بمختلف الاعذار الواهية ، التى لا تخلو من تشويه الحقائق والتمويه والتضليل . ولقد رأيناهم فى الازمة الاخيرة ، يدلون ببيانات وتصريحات لا تمت الى الحقيقة بصلة ، مع أن الحق واضح صريح . بل لقد رأيناهم يبادرون باصدار البيانات قبل أن يقوموا بأقل مجهود لتحرى الحقيقة ، والاطلاع على الوقائع الصحيحة . وذلك لان شهوة الاحتلال تطغى على كل فضيلة ، وتحيل النفوس البشرية الى أدوات للشر والفساد

ما أجدر أصدقاءنا البريطانيين ـ الذين لا نزال نريد أن نحرص على صداقتهم ـ أن يدركوا أنهم بارتكابهم الاثم فى وادى النيل ، ينشرون فى العالم تلك المبادىء الهدامة ، التى لا بد أن تنال العالم عامة ، والامبراطورية البريطانية خاصة ، بألوان الشر والاذى ، وتقضى على كل أمل فى خلق عالم جديد يسوده الأمن والعدل والرخاء

محمد عوض محمد

حب الشهرة

بقلم الدكتور محمد مظهر سعيد

المفتش العام للفلسفة بالمعارف

من الناس فريق يولدون عظماء ، فى بيوت العز ينبتون ، وفى مدارج الجاه ينشأون ، وهؤلاء هم المحظوظون . ومنهم من يولدون هملا من سقط المتاع ، نكرات لا يدركون معنى العظمة ، ولكن الظروف تدفعهم اليها دفعا وهم لا يشعرون ، وأولئك هم أبناء القدر المختارون . ومنهم أفراد قلائل يكدون ويكدحون ، يسهرون الليالى فى طلب المعالى ، ويشقون طريقهم فى الصخر والنار، ويشيدون مجدهم بمادة عقولهم وقوة نفوسهم ويصلون الى العظمة ويظفرون ، فهم النوابغ المجدون والابطال المكافحون . ومنهم من يدعى العظمة المزيفة ، ينسجون منها حول أنفسهم ثوبا واهيا شفافا ، ويبنون من ريح الغرور على أرض الباطل بيتا سرابا يرى ولا يلمس ، فهم الواهمون المغرورون . وما من فرد من الناس الا وهو واحد من أولئك أو هؤلاء ، تساق العظمة اليه سوقا ، أو يملكها عنوة، أو يتوهمها ويوهم الناس بها ان أعوزته أسبابها

ولما كانت العظمة أمرا نفسيا يتركه الفرد العظيم أو المتعاظم فى الافراد الآخرين ، وفكرة معنوية تتولد فى عقولهم عنه ، فان الناس ترى العظمة أو تتوهمها فى صور متباينة وألوان مختلفة . فالعالم الجهبذ المفكر ، والاديب المعجز المبرز والفنان النابغ المبدع ، والقائد الفاتح المنتصر ، كل أولئك فى نظر الناس والتاريخ عظماء ، كما ان أصحاب الملايين وملكات الجمال ونجوم السينما بل وأعداء الشعب ورؤساء العصابات ، كذلك فى نظر الناس عظماء ، ما دامت العظمة لا تخضع لقوانين ثابتة ولا مقاييس معروفة . وليست هى بالنهر الضيق الوادى المحدود المجرى ، وانما هى بحر شاسع المدى متعدد الشواطىء، يغترف منه من يشاء حين يشاء ، فيظفر بالماء الزلال أو الملح الاجاج ، والدر أو الحصى ، على السواء ، وكل وعقليته وكل ونصيبه فى الحياة . وتاريخ البشرية حافل بالمفتونين والمشعوذين والمجانين أمثال كاليسترو ومزدك ونيرون وابن صباح الذين يسيرون فى موكب العظماء جنبا الى جنب طارق وابن سينا والغزالى وابن الوليد

ولما كانت العظمة أمرا معنويا كالذكاء والفضيلة وسائر القوى والصفات النفسية ، فانها تحتاج الى ثوب مادى يبرزها ، وآثار ونتائج ملموسة يحكم بها عليها . فطبيعى ان يسعى كلّ من يشعر فى نفسه بناحية منها، ان يبرزها للناس بالقول والفعل، ويلفت اليها الانظار، ويشهرها بينهم ويظل يشهرها ، حتى يصفه الناس بها ويعترفون له بحقه فيها . وطبيعى اذن ان يكون كل انسان محبا للشهرة ملتمسا للصيت ، ولو فى دائرة مجتمعه الصغرى ،

ان لم يظفر بها فى المجتمع العام الاكبر ، لانها اعتراف ممن يعرف لمن لا يعرف بعظمة صاحبها وقديما قال الناس ــ الصيت ولا الغنى ، وقديما أدرك الشاعر ان حب الثناء وهو أول درجات الشهرة من طبيعة الانسان

وعند الانسان والحيوان الراقى نزعة طبيعية تدفعه لان يقيس نفسه وجوانب شخصيته المتعددة بالافراد الآخرين الذين يحتكون به فى بيئته أو يسمع عنهم فى البيئات الاخرى، فان كشف فى نفسه ناحيــة مادية كالقوة البدنية ، أو فنيــة كالصوت الجميل ، أو عقلية كالذكاء والحافظة ، أو معنوية كالاصل والجنس والجاه ، اعتز بها وملأه الزهو والاعتداد بالنفس ، وحاول ان يكشفها للناس فى الصــورة التى تستهويهم وترضيه ، ويتفنن فى وسائل اظهارها حتى يشتهر بها ، ويصطفى لنفسه جماعة من الناس أقل منه فيها فيسيطر عليهم بها ، فالطير الذكر بين الاناث ، والحصان بين دواب الحمل يسير فى الارض مرحا ويدل بنفسه مزهوا كما يفعل الرجل العظيم بين الاتباع . والطبيعة ذاتها تمد الحيوان الراقى بالوسائل البدنية التى تساعد على الظهور كالريش الملون والذيل الطويل والشعر المسترسل والصوت الجميل

وتبدو هذه الظاهرة عند الطفل مبكرة حتى يتقن المشى والكلام ، فاذا أتى شيئا يحسنه أو يتوهم أنه يحسنه ، استرعى الانظار واستجدى التصفيق والاطراء ، وما أكثر مايقول: « انظروا . انى أستطيع ان أفعل كذا » ، بل ان لذته فى الظهور لتفوق لذته فى الاتقان ، ولذلك يكف عن العمل المحبب الى نفسه اذا لم يجد بجواره من يرقبه أو يهتم به . وبمجرد ان يشعر بشخصيته فى المجتمع يبدأ فى المفاخرة ، وينافس الكبار ويزاحمهم ، وقد يقاتلهم ليظفر بمكانة مقبولة بينهم ان كان حظا ممتازا ، أو يقنع بصحبة من هم أصغر منه سنا كأخوته أو مكانة كالخدم ، ان كان نصيبه من التفوق قليلا ، لا يضمن له التوفيق فى المنافسة . واذا صح ان الرغبات الهامة التى يحرص الانسان على تحقيقها فى الحياة هى الخبرة الجديدة والمغامرة ، والامان والاستقرار ، والتجاوب والتعــاون مع المجتمع ، والظهور، فان متعته النفسية من الظفر بتقدير الغير والوصول الى الشهرة لتفوق كل متعة

والناس فى سبيل الشهرة يتفننون فيما يتخذونه من أساليب ، فمن مباريات فى الالعاب والخطابة والمناظرات والادب ، ومنازعات فى السياسة ولو على غير أساس ، عملا بمــبدأ خالف تعرف ، ورحلات ومغامرات لفتح آفاق جديدة ، ومحاولة الاتيان بما لم يأت به الاوائل ، وضرب الارقام القياسية فى أى عمل ولو كان تافها ، كالرقص وركوب الدراجة أياما متتالية بلا انقطاع أو عبور النياجرا فى برميل، الى جانب اصطناع الحركات والاشارات والملابس والادوات الخاصة التى تلزم للاحتفاظ بالسمعة فى هذه الناحية ، وكثيرا مايركب الناس الصعب من الامور ويتجشمون المشاق فى سبيل الاحتفاظ بالمظاهر ، حتى لا تتغير عقيدة الناس فيهم . وقد تقتر العائلة التى اشتهرت بالارستقراطية على نفسها فى المآكل وتحرم نفسها الضروريات وتنسى حساب البقال والجزار ، ولكنها لاتقبل بحال ان تؤخر

قسط السيارة الفخمة لانها آلة الظهور

وقد يلابس هذه النزعة شيء من النفاق والغرور، ولكنها على كل حال ظاهرة اجتماعية طيبة، فهي تساعد على ابراز ما في الناس من نواح قوية، واظهار كامن العبقريات والاستعدادات، فان وجدت طريق الاشباع سهلا ساعدت على تكوين الشخصية القوية والارادة وعاطفة احترام الذات. والفرد الذي لا يشعر في نفسه بشيء يعتز به لايستطيع ان يحترم ما يعتز به الناس، والامة التي لا تجد في ماضيها وحاضرها، مجموعها وأفرادها شيئا تفاخر به، لا يمكن ان تنهض وتصل بين الامم المنافسة الى مستوى يجعلها جديرة بالفخار. ثم ان الوقوف في طريق الشهرة البريئة وعدم الاعتراف بالفضل لذويه وتثبيط همم الناشئين وحرمانهم هذه المتعة الحاضرة، كل أولئك يصدم الشعور ويخلق في الناس كراهية المجتمع، والحقد على الدهر والناس ويصرف النشاط الى نواح خفية غيرمشروعة تشبع النزعة، فتنزلق الناشئة من حيث لا تشعر الى الشذوذ والاجرام. ولا شيء أقتل للنفس من اليأس، ولا شيء أدعى للجريمة من الحرمان. ومعظم جرائم الاطفال والكبار وشذوذهم وعصاباتهم، التي لا تنتج عن الحاجة الملحة والفقر، ترجع الى هذه الظاهرة، والفقر في ذاته حرمان

والطفل الذي ينشأ في بيئة مستنيرة، تعرف طبائع الطفولة، وتكشف عن مواطن القوة وترسم الطريق لاظهارها واستغلالها، وتقوى النافع وتثيب عليه، وتلطف الضار ولا تقاصص من أجله، وتفتح للنشاط المتدفق آفاقا واسعة يندفع فيها لتحقيق الغايات الطيبة، ينشأ نشأة طبيعية، ويصبح رجلا ذا شخصية قوية وآراء حازمة واحترام لمواهب الناس وحقوقهم، كما احترموا حقوقه ومواهبه. وقد يصل بحق الى العظمة والشهرة التي تساعده على استمرار الانتاج وتضمن لامته استمرار الانتفاع. أما اذا نشأ في بيئة لاتعنى بأمره ولا تأبه لشخصيته، تحرمه حقه في الظهور وتقفل في وجهه الباب، وتخرس لسانه وتلجم نشاطه، فانه يثور ويحقد، فان كان قويا هاجم وصادم وثار وانتقم، وان كان ضعيفا استكان وماتت فيه شخصيته وقبرت مواهبه، وفقدت فيه الامة فردا كان يمكن أن يكون شيئا، أو استعان بعصبة من امثاله الموتورين، يدبرون ويرتبون ويؤلفون عصابة سرية مجرمة تعبث في الارض فسادا، وحاولوا ان يصبحوا عظماء مشهورين بقتل الزعماء والسياسيين المشهورين، فهم مجرمون أجرم في حقهم الناس، وجناة تقع مسئولية جنايتهم على المجتمع، ووراء كل جريمة وشذوذ بيت مهمل ومجتمع فاسد

والطامة الكبرى أن يكون الناشيء على جانب من الذكاء، ويشعر في نفسه بميزة عقلية أو بدنية، أو قوة فنية، ثم تقف البيئة في سبيله، فلا تعترف له بها ولا تقدره من أجلها. فلا هو يقبل ان يستكين ويعيش هملا بين الناس، ولا هو يجد سبيلا للظفر بالشهرة، فينزلق الى مرض البارانويا أو جنون العظمة، فيعتزل دنيا الناس، ويخلق لنفسه دنيا أخرى، يكون فيها الها أو ملاكا كريما، أو أميرا عظيما، ويظفر في خياله بما انكرته عليه

الحقيقة . وليته ينعم بهذا الخيال ، وتطمئن نفسه ، ولكنه معذب بالشك ، شاعر باضطهاد، سيىء الظن بطعامه وشرابه ولا يطمئن لاحد من الناس ، ولا تنسيه موجات عظمته آلام وسوسته ، فهو شهيد المجتمع ، ضحية العقل والجنون ، هو نيرون فى روما ، وايفان فى روسيا ، وعبد الحميد فى يلدز ، وهو الشاب البائس فى مستشفى المجاذيب

ولذلك يقترن جنون العظمة بجنون الشك والاضطهاد ، والتاريخ حافل بالنوابغ الشواذ والعظماء المجانين ، منهم من ظهرت لوثته العقلية فى حياته فقضى بقية عمره فى مستشفى المجانين مثل الكاتب الانجليزى الشهير « سويفت » مؤلف رحلات جاليفر فى بلاد الاقزام والجبل والعمالقة ، ومنهم من كشف عنه علم النفس فى آثاره وتصرفاته كالفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو ، فهم الى جانب شعورهم بنبوغهم واعتدادهم بشخصياتهم يتوهمون اضطهاد الناس والدولة لهم ، والتآمر عليهم ، والوقوف فى طريق شهرتهم ، وتعمد تشويه آثارهم وتسخيف انتاجهم ويتوجسون خيفة من الطعام والشراب واللباس ، فقد يكون فيه سم مدسوس ، وكثيرا ما يقضون فى محبسهم اياما بلا طعام أو شراب

وليس عجيبا ان ينزل روسو ، وهو فى أوج عظمته ، فندقا بلندن ، فيسمع لفظا يتوهمه مؤامرة ، فيقفز من النافذة ويلحق بأول باخرة تعود به الى باريس ، تاركا وراءه قبعته وملابسه ونقوده وحقيبته ، ويتوهم ان بوليس فرنسا عالىء انجلترا عليه فينزوى فى غرفته يحرر التماسا فة ، ويذهب خفية ليضعه على مذبح نوتردام ، ثم يعود مساء فيجده فى مكانه فيطبع رسالة يتهم فيها ربه بالتآمر عليه مع الناس ، والشعور بالاضطهاد قرين الشعور بالعظمة عند الشواذ

ومن الناس من يلتمس الشهرة بوسائل تبدو فى ظاهرها من مكارم الاخلاق ، ولكن النية فيها تفسد الوسيلة ، كاحسان الثرى فى مشروع بر واصراره على ان يذكر اسمه على رأس قائمة المتبرعين ، والتطلع الى عبارة « الثرى الأمثل والمحسن الكبير » مقرونة باسمه فى الصحف . وتطوع الفتاة الارستقراطية فى الحركات الاجتماعية لتبرز حليها المتألقة وثيابها الغالية ، وتتحدث عن سعادة الباشا الوالد والبك الخطيب

وبقى من وسائل الشهرة اسلوب واحد هو أحطها جميعها مستوى واسوأها خلقا ، لانه أسلوب الطير الجارح الكاسر الذى ينقض على الطير الضعيف ، والضبع الذى يقتات بالجيف ، فهناك نفر من ذوى السلطان والجاه والمال يشتهرون بين الناس كخطباء وهم عيون ، وكتاب وهم أميون ، وأدباء وهم أدعياء ، وظرفاء وهم ثقلاء ، لانهم يشترون بسلطانهم أو جاههم أو مالهم عقول غيرهم وثمار قرائحهم ونتاج أقلامهم من الكتاب المغمورين والادباء البائسين ، لقاء دراهم معدودة أو وظيفة موعودة . وهناك من يشكو ولكن ليس هناك من يسمع أو ينصف

محمد مظهر سعيد

« بادر الى الحسنى ايها الشيخ المبجل — جون بول — قبل حرب الذرة .
فمن يدرى لعلك ان ماطلتنا لا تبقى حتى تؤدى الحق الى أهله ، أو لعلنا
لا نبقى لنستخلصه منك ، فتعود الى الحياة الآخرة غير أهل للنعيم »

أعرني سمعك يا جون بول !

بقلم الأستاذ محمد توفيق دياب بك

فاذا أعرتنى سمعك ، فانما تعيره رجلا تعلم لغتك وهو غلام ، ودرس فى عاصمتك وهو شاب ، ثم عاد الى بلاده وفى صدره شعلة من نار الحماسة ونور المعرفة . أما الحماسة فللمثل العليا التى قرأها فى كثير من كتبكم ، وأخذها عن كثير من علمائكم . وأما المعرفة ، فبوجوه الاصلاح التى لا بد منها لكل شعب يريد النهوض : أعنى اقامة نهضته على أساس متين من الاخلاق ، واشعار ذوى السلطان أو العلم أو المال ، بأن سلطانهم وعلمهم ومالهم ، انما هى أدوات فى أيديهم لخدمة المجتمع ، وان قوام الحياة لادنى المواطنين حقا ، يجب أن يكون : غذاء يكفيه ، ومسكنا صحيا يؤويه ، ورعاية طبية تحميه ، أو تشفيه ، وطرفا من التربية والتعليم يسمو بانسانيته ، ويحقق نفعه لنفسه وللوطن

***

بهذه الروح الفتية النقية عاد صاحب هذا الحديث من بلادك يا مستر جون بول ، وعاد قبله وبعده عشرات بل مئات من اخوانه المصريين ، وقد أعجبهم من دياركم وعلومكم وآدابكم ما أعجبه ، وخلبهم ما خلبه من سحر تقديسكم للحرية الفردية ، والارادة القومية ، والعزمات الصادقة الشعبية ، وهى تطمح كل يوم الى مزيد من العدل ، ومزيد من المساواة من نعم الحياة

عدنا من معاهدكم ومجامعكم — لا أوعية من فخار صبت فيها علوم ومعارف ، بل عدنا مشاعل ، حرارتها من القلوب وضوؤها من الرؤوس . عدنا نحمل الى أمتنا رسالة الحياة ، لا حياة الرضى بالواقع الذليل ، واحالة الذنب فيه على المقادير ، بل حياة أرواح خلقت لتفطن ، وتجد ، وتعلو ، لا لتغفل ، وتلهو ، وتلصق بالتراب

***

وعلونا المنابر خلال الحرب العالمية الاولى . وقصرنا دعوتنا أيامئذ على الاخلاق المثلى فى الفرد والجماعة ، وعلى واجبات المواطن لربه ووطنه ونفسه . ولم تنس صحفنا ولا منابرنا

ولا الخاصة منا ولا العامة فى حربك الاولى تلك يا سيد جون بول ـ انك مرهق بالذود عن مجدك بل عن وجودك بين الدول . فلم يخض فيك لسان ، ولم يمسسك بالاذى بنان ، ولا بخل عليك صاحب جمل بجمله ، ولا صاحب حمار أو أتان ، أو شيء مما تنبته الارض أو يدره الضرع ، أو تحويه خزائن البنك من غطاء الذهب ـ بل لم يبخل عليك قرابة مليونين من عمال مصر بعونهم العظيم الذى أطلق لسان لورد اللنبى بثناء سجله التاريخ

وصرفتنا بحربك الاولى يا سيدى عن اصلاح أنفسنا وتنمية مرافقنا ، وحبست فينا أنفاس الحرية بضع سنين أفرادا وأمة . وطال اصطبارنا على الهول والاذى . . والتمسنا لك المعاذير من بلائك ومحنتك يا سيد جون بول . وكظمنا غيظنا من اعلانك الحماية على أمة لم تطلب اليك حمايتها، ولا ضرعت اليك فى أول أمرك أن تسبغ عليها شرف الاحتلال . وقلنا لانفسنا ان الحرب مجنونة فى كل زمان ومكان . وهى فى العصر الحديث أشد جنونا وحمقا . ثم منينا أنفسنا أن تتوب الى الحق والانصاف ، اذا سكنت الحمى ، وطفىء السعير ، وعاد السلام

***

أما الحمى فقد سكنت ، وأما السعير فقد طفىء ، واما السلام فقد عاد ، وأما الرجاء فيك يا سيد جون بول فقد خاب !

أبيت يومئذ الغاء الحماية وقد زالت الاسباب التى انتحلتها للحماية . وأبيت على سعد وأصحابه أن يغادروا الديار ليضربوا فى الارض طلبا للحق المغصوب ، وتأمينا للحياة المهددة

وثارت مصر لا أسفا على ما أنفقت من جهود ضخام ، أو قدمت من رجال وأنعام وأرزاق ، ولكن غضبا وحنقا على هذه الثمرة الشنعاء ، يتمخض عنها ما أسدته اليك مصر من جميل

ويشتد عليك السخط ، وتزداد المرارة ، وتفسد علينا يبدك الغليظة وجوفك المكتظ بجعتك القوية التى تورث الدوار ، وسياستك الجافية التى تورث البغضاء ـ كل ما أخذه صاحب هذا الحديث وأترابه المصريون ، عن السادة المثاليين من علماء بلادك وأدبائها الانسانيين

وتمعن فى شل نهضتنا واذابة أخلاقنا بلظى التناحر الذى أحدثته بيننا أو أعنت على حدوثه ، بما لك من دهاء ونفوذ سناده أيام الحرب سلطتك العسكرية وقواتك الحربية ، وسناده أيام السلام جنود الاحتلال

***

والآن ، وبعد هذه الحرب العالمية الثانية ، وقد جبت فظاعاتها فظاعات الحروب مجتمعة منذ بدء التاريخ ـ هل تظل كما كنت أنت أنت يا جون بول؟ ألا ترق حاشيتك؟ ألا تطامن من غلوائك ؟ ألا ترى ان عشرين مليونا أو نحوها من المصريين ، وعشرة ملايين أو نحوها من أشقائهم السودانيين ، أحق ببلادهم منك ، وأن الذى أجرى النيل منذ القدم ، وأنبتهم

حوله منذ أجراه ، لم يدخر هذا النهر الخالد ليكون لك مشربا وملعبا فى القرن العشرين ، ولم يدخر أمة النيل بفرعيها لتكون لك فى آخر الزمان رقيقا وخولا ، بعد الغاء الرق بأجيال وأجيال !

لقد علمتنا العداوة خمسة وستين عاما يا جون بول ، أفلم يأن لك أن تعلمنا الاخاء !

لقد وقفت لك مصر خلال حربك الاولى ، فلما أسأت جزاءها ثارت عليك . ولو أحسنت الى نفسك واليها لاقتصدت ثمانية عشر عاما من المتاعب والصلات النكداء ، ولقبلت سنة ١٩١٨ ما لم تقبله الا سنة ١٩٣٦.

وها هى ذى مصر قد وقفت لك فى حربك هذه الثانية ، فهل تسيء جزاءها على طريقتك المنكرة ، فتمارى فى الجلاء بمعناه الشامل الكامل ، أو تقاوم وحدة الوادى ـ وحدة الطبيعة ـ ريثما تضطرك الى الحق حرب ثالثة !

بادر الى الحسنى أيها الشيخ المبجل قبل حرب الذرة ، فمن يدرى ، لعلك أن ماطلتنا ، لا تبقى حتى تؤدى الحق الى أهله ، أو لعلنا لا نبقى لنستخلصه منك ـ فتعود الى الحياة الآخرة غير أهل للنعيم

لكن اسمعها يا جون بول كلمة صادقة : لقد اعتزمنا نحن المصريين واخوتنا السودانيين أن نستقل استقلالا صحيحا فسيحا لا احتلال فيه ولا أغلال ، ذرة ، أو لا ذرة

ذلك لنعيش فى بلادنا سادة كما تعيشون فى بلادكم سادة ، ولنبنى سيادتنا على أساس متين من الاخلاق الكريمة لا تفتك بها الزلفى ولا النفاق ، وعلى أساس من العلم الحديث ، والادب الرفيع

ان أملك الوحيد فى استدامة رخائك ومجدك يا جون بول ، وسط هذه اللجة العاتية من تنافس الشعوب صغيرها وكبيرها ، لا فى مجرد البقاء ، بل فى البقاء مقرونا بالعزة ، مدعوما على السيادة الذاتية الوادعة المطمئنة . ان أملك الوحيد : أن تثب وثبة جريئة الى سياسة جديدة ، سياسة الاخلاص ، لا سياسة الدهاء والالتواء ، سياسة تجذب اليك الامم الصغيرة مختارة راغبة ، لا مقهورة ولا كارهة

ذلك مآل الدنيا فى غدها القريب . اذ ليس معقولا أن يثور الضمير البشرى على رق الافراد فيمحوه ، ثم يطول احتماله لرق الامم

ان وفدك الرسمى بين أظهرنا يفاوض المصريين ، يفاوضهم فى حقوق طبيعية أولية ، لا يماحك فيها ولا يمارى الا جون بول العتيق الفانى ـ ونحن نرجو لك ، ولانفسنا ـ أن ينتفض شخصك انتفاضة جريئة ، تبعثك فتى سمحا رشيدا من فتيان العصر الجديد ، فتى سمحا يبتدر أنوار المستقبل بقلب سليم ، ولا يتيه فى ظلمات الماضى بقلب مريض

نرجو لك السلامة من نفسك ، ولانفسنا السلامة منك ـ بل نرجو للانسانية كلها سلامة ونجاة من جموح الانسان

محمد توفيق دياب

من أوليات السياسة الدولية

بقلم الأستاذ سامى الجريديني

يصح لنا بعد أن كشفت هذه الحرب عن تغير كلي فى النظام الدولى ، وعن تكييف شمل السياسات جميعها من النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، ان نلقى نظرة عجلى على بعض ما أصبح فى حكم الاوليات فى قاموس سياسة الامم

السياسة الخارجية

يخطىء من يظن أن انجلترا دون سواها قد انفردت باتباع خطة واحدة فى سياستها الخارجية

فسياسة الامور الخارجية لاى دولة من الدول ليست سياسة مرتجلة تعيش يوما أو بعض يوم ، انما هي خطة تفرضها الجغرافيا والمصلحة الاقتصادية على الدولة ، فلا يمكن أن تتغير بتغير وزارة وقيام أخرى مهما اختلف لون هذه عن تلك

فالسياسة الفرنسية الخارجية لم تتغير منذ أيام ريشليو حتى اليوم ، وكذلك قل فى السياسة الروسية . فالدولة التى ترى مثل فرنسا ان كيانها قائم على منع الساعد الجرماني أن يستد لا يمكن ان تتغير ، لان اساسها قائم على مبدأ الدفاع عن النفس والمحافظة على البقاء

والدولة التى ترى مثل انجلترا ان امبراطوريتها مبعثرة فى البحار السبع ، وان حياتها رهن بتأمين هذه المواصلات لابقاء الصادر والوارد ، لا يمكن أن تتغير بانقلاب وزارة محافظين الى وزارة اشتراكيين . وروسيا ذات الملك الضخم والثروة الكامنة لا يقر لها قرار حتى تصل الى البحار الدافئة سواء أكانت حكومتها قيصرية أم اشتراكية ذلك لان الكيان الجغرافى والبقاء الاقتصادي يقتضيانها هذا

وكل ما فى الامر ان الاسلوب يتغير ، فقد تكون السياسة سياسة كف حديدية ، وهذا مضى زمنه ، وقد تكون سياسة ثقة متبادلة وحسن ظن اكيد يحل اجتماع المصلحة محل الانفراد بالسيطرة

ومصر التى لا يمكن أن تعيش الا اذا أمنت على مياه النيل ان تنصرف الى غير فائدتها ، لا تستطيع ان تغير سياستها الخارجية فى هذا الشأن مهما تتغير الوزارات

وقس على ذلك كل السياسات لكل الدول كبيرها وصغيرها

واننا لم نضرب هذه الامثال ونضع هذه الاوليات أمام القارىء ، الا لان الكثيرين يعلقون أهمية على انقلاب الوزارات فى ظل النظام الدستورى ، وهو نظام ان صح ان يحدث

انقلابا فى الشؤون الداخلية فلا يمكن ان يتناول ما هو من مكونات الدولة نفسها وهو مايسمى بالسياسة الخارجية

السياسة الداخلية

قلنا انه قد يصح ان يتناول التغيير السياسة الداخلية .. فما هى السياسة الداخلية ؟

انها فى نظرنا الحكم الصالح أى الحكم القائم على فائدة الشعب ويتناول جميع أفراده . ولم يكن هذا مما يصح ان يغير فيه ويبدل لو فهم الحاكمون حقهم وعلموا حدهم ، ولو عرف المحكومون حقوقهم وعقدوا العزم على أن لا يعتدى عليها

ولكن سوء الطالع ـ ولا نسميه بغير هذا الاسم حتى لا نغضب أحدا ـ قضى على البشرية ان يستأثر قوم بالحكومة ، فعملوا كأنهم عائشون أبدا ، وضحوا بكل شىء فى سبيل انفسهم من الناحيتين المادية والمعنوية

ثم ظهر الوعى الشعبى عند معظم الامم بما قاسوه من ويلات حروب وما بثته فيهم التعاليم الاقتصادية السليمة ، فادرك القوم حاكمهم ومحكومهم ـ اذا صح ان نكتب هاتين الكلمتين المكروهتين ـ ان المصلحة كل المصلحة فى خدمة الشعب ، وان الاداة الحكومية مهمتها ان تخدم المصالح الشعبية من الناحية الاقتصادية ، برفع مستوى المعيشة ، ومن الناحية الادبية باجراء العدل المطلق بين جميع الافراد

اما رفع مستوى المعيشة فيكون بالسياسة التى تختطها الدولة لشعبها والتى ترمى الى تمكين كل فرد من الحصول على كفايته من الغذاء واللباس والتعليم

وهذا المبدأ جديد تمكن ونما وكاد ان يؤتى ثمره بفضل القوتين العظيمتين الاميركية والروسية . فهما ان اختلفا فى الاسلوب .. هذه تضع كل شىء فى يد الدولة ، وتلك تطلق الامر للفرد دون الدولة ، فانما تتفقان فى الغرض الذى يرمى الى تمكين الجميع من أبسط مبادىء البقاء وهو الغذاء والكساء والتعليم

لذلك وضعنا هذا الذى دعوناه سياسة داخلية من الاوليات أو البديهيات ، لانه يجب ان يكون الهدف الاساسى فى كل أمة . فاذا لم يؤخذ به ساء مصير الشعب حكاما ومحكومين ، وانقلب الامر من نظام مستقر يتمشى من حسن الى احسن الى ثورة تتلوها أخرى

الحضارة الصناعية

اخترنا هذا التعبير ، لاننا لم نهتد الى كلمة تؤدى معنى الكلمة الافرنجية Industrialism فالحضارة الصناعية حديثة عهد بالعالم ، ولدت فى القرن التاسع عشر أو قبل ذلك بقليل ، وهى الآن على أشدها وستكون العامل المسيطر على كل ما قدر للبشرية من عناء أو شقاء ويصح ان نسمى الحضارة التى سبقت هذه بالحضارة الزراعية لانها كانت قائمة على الارض

وعمل الانسان فى هذه الارض . لذلك كانت المبادىء الخلقيــة والمعيشة المادية والتفكير الروحى ، كلها ترمى الى هذه الفكرة أو الكيان الاجتماعى القائم على ما نعرفه من انظمة عائلية ، وتوزيع ثروة يستند الى ساعد الانسان والى الارض

وأما الآن فقد قلبت الصناعة كل هذا أو كادت . ان الحضارة الحالية قائمة وستقوم على الآلة ، وهذه وليدة العلم والتقدم العلمى

فالآلة ستكون الوسيلة التى تحل محل الانسان وتقلل من الحاجة الى الايدى ، وستكون الواسطة الى الاكثار من كل ما يعود على ابن آدم بمتاع الحياة متاعا طيبا . والعلم الذى لايهدأ ولا يقنع ، سيظل العامل الفعال فى تحسين الآلة واتقانها ، حتى انها أصبحت اليوم تحل محل كثير مما كان يقوم على أيد عاملة فنية متمرنة

وقد يسأل السائل : وكيف تكون الحال عند ما تصبح الآلة السيدة المتحكمة والمنتجة . ألا يؤدى ذلك الى تعطيل الذين كانوا يعملون عملها ؟

الجواب : لا ، وبلا تردد

ذلك ان زيادة الانتاج ثم اتقانه وتنويعه يجعل ساعات العمل أقل ، فان ما يشكو منه العامل ليس تفاهة الاجر فقط ولكن قلة أيام بطالته أيضا . فهو يطلب ان يتاح له الزمن الكافى حتى يتمتع بالراحة وباللهو وبالاستمتاع بمسرات الحياة . فالمرء لا يطمع بان يرتفع مستوى معيشته فحسب ، ولكنه يريد وقتا للراحة وللهو أيضا . وعند ما نقول « العامل » فاننا نعنى كل أفراد الهيئة الاجتماعية

وهذه الحضارة الصناعية ستقلب ما تواضع عليه الانسان من علاقة الرجل بالمرأة ، وما تواصوا به من اخضاع فريق لآخر . ذلك بان الصناعة ستكون فى متناول النساء والرجال فلا تسيطر الحاجة الاقتصادية على العلاقة الزوجية ، وانما تكون علاقة اتفاق ومودة ومحبة ليس الا . حتى النظر الى الجمال نفسه يتطور بتطور الصناعة وتقدمها ، وهكذا الأخلاق جميعها بحيث يكون العامل المسيطر عليها ، التوفيق بين أفراد الجمعية لا سيطرة واحد على الثانى

هذه أمور وضعناها موضع البديهيات الأوليات لانها واقعة أمام عيوننا الآن تشاهدها تتحرك وتمشى وتركض حتى تصل الى النهاية

***

فاذا كانت علاقة أمة بأخرى تصدر عن وحى الحاجة الاقتصادية ، واذا كانت علاقة الأفراد فى الامة الواحــدة يجب ان تخضع لمبــادىء الحكم الصالح الذى يجمعه قولك «ديموقراطية» ، واذاكانت الحضارة الصناعية قد أخذت تسيطر على ابن آدم وعلى الارض، فاخلق بهذه البديهيات ان تدفع الناس الى التعاون ، وأخلق بهم ان يجعلوا من مجموعة

الامم هيئة يخضع لها الكافة ، كما بدأوا يفعلون فى تنظيم هيئة الامم المتحدة الآن . فاذا فشلوا وجب على الدولتين الكبيرتين أو الثلاث ان تتفق هى فيما بينها ، وتقود الباقين وراءها

وسنشاهد عما قريب هذا التكيف فى العلاقات الدولية عند ما تتفق الامم الروسية مع الامم الانجلوامريكية على كيفية اتباع الامم الصغيرة لهذا الفريق أو لذاك . فانه لن يصل العالم الى نظام مثالى الا بعد أن يمر بنار التجارب . وقبل ان نختم هذه الكلمات لا بد ان نوضح تعريف الديموقراطية التى تختلف الجرائد اليومية على نعوتها والتى تساق فى عرض الكلام مرة من الجانب الروسى وأخرى من الجانب الآخر

الديموقراطية هى تنظيم الجمعية لفائدة جميع أفرادها وعلى حسابهم بلا استثناء . فهى تتنافى مع أية جمعية تسيطر فيها طبقة على أخرى أو تمتاز فيها طبقة على أخرى

وهذا تعريف جامع يضع فائدة القوم كلهم هدفه ، ثم هو مانع لانه يفرض العبء على الجميع أيضا . وهو لا يعبأ بالاسلوب المؤدى الى هذا الهدف ، سواء أكانت اداة الحكم ملكية أم جمهورية ، أو ما شئت من الاسماء . فالعبرة بان يكون هذا الاسلوب مؤديا الى تلك النتيجة ، وهى خدمة الكل بلا استثناء وتجنيد الكل للخدمة بلا استثناء أيضا

سامى الجريديني



الخوف والمرض

لم يذهب المريض لاستشارة الطبيب ؟ اما بسبب الألم أو خوف المجهول ، وما قد يؤدى اليه هذا المجهول من سوء العواقب . وقد كان الانسان البدائى يخشى كل شىء حوله . كان يخشى الاعداء والغزاة من القبائل الرحل . وكان يخشى الجوع والحيوانات المفترسة والوحوش الضارية والحشرات والزواحف السامة . وكان يخشى عدوان الطبيعة ، من برد وعواصف ورعود وبروق ، وفيضان وريح صرصر

أما الآن وقد خفت وطأة هذه أو اختفت فى البلدان المتحضرة ، فان الرجل المتمدين لم ينس غريزة الخوف لانها جزء من نفسه ، فاذا لم يجد أمامه ما يخاف منه ، أو لم يجد شيئا يخشاه خلق ذلك الشىء خلقا ، فتوهم انه مريض

من أقوال وليم برون ــ استاذ علم النفس بجامعة اكسفورد

مس «لوزة ولف» إحدى الخبيرات الأمريكيات فى فن التصوير



المـــــرأة الامريكية

المرأة الاميركية قوة لا تضارعها قوة فى النصف الشمالى من نصف الكرة الارضية الغربى . ولا يكاد يدرك معنى هذه العبارة ويصدقها ، إلا من عاش فى أميركا ، ولابس الحياة الاجتماعية فيها . فالمرأة هناك - قبل كل شيء - أعز من زميلتها فى أوروبا ، وأصعب منالا . وذلك لأن الملايين من النازحين الى أميركا طوال القرون الخمسة الماضية ، كان أكثرهم من الرجال ، وكانوا لا يدعون النساء ، من زوجات وأخوات وأمهات ، أن يشددن الرحال اليها ، إلا بعد أن يستتب الامر لذويهم من الذكور ، ويطيب لهم العيش . ونتج عن ذلك أن المرأة الاميركية غدت



مس « دوروثى تومبسون » الكاتبة الأمريكية

مسز باركنز سكرتيرة روزفلت سابقاً



الدكتورة « كاثرين بلودجيت » احدى المخترعات الأمريكيات اللاتى ساهمن بنصيب وافر فى تقدم الصناعات

طفلة مدللة ، وأن الجنة هناك تحت أقدام البنات والامهات حقيقة . فما تدخل حفلة راقصة ، عامة أو خاصة ، إلا وتجد عدد الرجال يفوق عدد النساء . وهذا على النقيض من أوروبا حيث تجد فى كثير من الاحايين فى مثل هذه الحفلات زرافات من الفتيات مقابل حفنة من الرجال

والمرأة الأميركية فى المجتمع منزلة لا تضارعها فيها امرأة فى أى بلد آخر فقد غزت الوظائف الحكومية والاهلية ، والمعاهد العلمية ، والدور المالية والتجارية ، والاندية والصالونات الرياضية والعلمية والادبية والاجتماعية والفنية . وبالرغم من أن مرتباتها لا تزال ـ فى دور الاعمال ـ دون مرتبات الرجال ـ فان النسبة بين ما تتقاضاه هى وما يتقاضاه الرجل ، أعلى بكثير من مثلها فى أوروبا . أما عن مكانتها فى التمثيل والسينما ودور الملاهى على اختلاف أنواعها ، وفى معاهد التزيين والتجميل وما على شاكلتها ، فقل إنها معبودة الرجل تملى عليه إرادتها

ولا تجهل المرأة الاميركية مقامها فى المجتمع ، فتسير مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، وقلما تشعر فى حركاتها وسكناتها أنها تختلف عن الرجل فى شىء ، وقلما يتضح فى مسلكها أنها تستحى أن تساهم فى جميع نواحى النشاط ، التى تستحى المرأة الاوربية عادة أن تساهم فيها . وبالايجاز تبدو فى جميع مسالكها وكأنها لا تعرف أنها امرأة . فما السر فى هذا كله ؟ الجواب عند الجامعات والكليات وسائر معاهد التعليم

ففى مرحلة التعليم الثانوى مثلا يوجد سبعة ملايين من الطلاب ، منهم أربعة ملايين من الجنس اللطيف . وكل من هذين العددين يزيد عن مثله فى جميع أنحاء العالم مجتمعة ، اذ لا يوجد فى أوروبا وأميركا الجنوبية وآسيا وأفريقا جميعها هذا العدد من طلاب المدارس الثانوية

ومما يعزى اليه اختلاف المرأة الاميركية عن سواها انتشار التعليم المختلط انتشاراً لا مثيل له فى غير أميركا من البلدان . ففى مرحلة التعليم الابتدائى لا تفريق بين الجنسين على الاطلاق ، والمدارس الثانوية كلها مختلطة تقريباً . أما فى التعليم العالى فتوجد ١٢٥٢ جامعة وكلية مختلطة مقابل ٢٨٧ للبنات و ٢١٧ للبنين . ومما يدل على أن المرأة تحتكر صناعة التربية هناك ، أن فى المدارس الثانوية يبلغ عدد المعلمات ١٩٤ ألف معلمة ، مقابل ١٤١ ألف معلم ، وأن ٩٠ ٪ من القائمين بالتدريس فى المدارس الابتدائية من الجنس اللطيف

ومما يدل على القسط الوافر الذى تناله المرأة من التربية ، ان بعض المهن التى تحتكرها المرأة تتطلب مؤهلات عالية ، لا تتطلبها مثلها فى بلد آخر فى أوربا . مثال ذلك مهنة التمريض ، والمشتغلات بها جيش هائل من زهرة الفتيات ، ـ إذ تشترط أكثر الولايات على الممرضة أن تكون من حملة « البكالوريوس » وأن تحمل درجة أخرى من إحدى كليات المعلمين ، قبل أن يسمح لها بتدريس فن التمريض لسواها . وبغض النظر عن الشروط القانونية التى تفرضها الولايات فان هذا القدر من التحصيل العلمى كاد أن يكون تقليداً بين المحترفات لهذه المهنة



مسز « هاريمان » سفيرة الولايات المتحدة فى النرويج من سنة ١٩٣٧ ــ ١٩٤٠ وقد قلدتها حكومة النرويج « نيشان » اعترافاً بخدماتها

وإذا أضفنا الى هذا الجيش ، جيشاً آخر من المعلمات اللاتى يقمن بتدريس أكثر من ثلاثين مليوناً من الطلاب ، واللاتى يشترط فيهن مؤهلات أكثرها عالية ، فضلا عن جيش السكرتيرات الفتيات اللاتى تعج بهن المكاتب والبنوك ودور الاعمال المنتشرة فى كل مكان ، وسائر المهن والصناعات التى تتطلب مؤهلات وإجازات ــ اذا أضفنا هذه الجيوش جميعها الى مئات الألوف من الفتيات الارستقراطيات اللواتى يتلقين علومهن فى أرقى الجامعات والكليات ، اتضح لنا هذا الجلال الذى تتصف به المرأة الأميركية . وليس هناك منظر يرفع رأس المرأة قدر الذى تراه فى حفلة نهائية فى إحدى الجامعات الكبرى ، حيث تصطف خمس أو ست آلاف طالبة فى أزيائهن الجامعية ، لتوزيع الدبلومات عليهن من « بكالوريوس » الى « دكتوراه » وفى الاحتفاء بين ٣٠ ألفاً من طلاب الجامعة و ٢٥ ألفاً من طالباتها

أمير بقطر

على ذكر زواج الجامعيات

ماذا لقين؟

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« . . ولقد قالوا للفتاة ان فى الجامعة (مجالها الحيوى) ، وأسروا الى حواء المستقرة فى اعماقها ، أن تلك هى فرصتها . فلما تلفتت حولها ، وجدت نفسها بين من لا تراهم كفئا لها ، ومن لا يرونها كفئا لهم . . وكانت تلك هى محنتها التى أرهقت أعصابها ، والناس من حولها يهتفون لها ، ويهنئونها بما تنال من ظفر فى الجامعة ، وما تربح من مجد ومال ، فى الدواوين ودنيا الاعمال . . »

رويت فى العدد الماضى من « الهلال » الاغر ، قصة ستين طالبة جامعية ، دخلن كلية الآداب فى احدى السنوات ، مفتونات بهذا البدع الجديد ، غافلات عما تعانى لداتهن من قلق ورعب فى انتظار نصيبهن المخبأ فى ضمير الغد . ثم ما لبث الغطاء أن رفع عن أعين هؤلاء الجامعيات ، فاذا هن اناث اناث ، تشوقهن الامومة ويستهويهن البيت . وقد تعثرت خطا الكثيرات منذ بدأ القلق يساورهن على مصيرهن ، وأخذ الخوف يخامرهن من الوحشة والفراغ بعد الانتهاء من الدراسة الجامعية ، فرسبت راسبات وتخلفت متخلفات ، ولم يبق منهن الا سبع عشرة طالبة ، بلن درجة الليسانس فى ظروف نفسية وعصبية ، شاقة أليمة

واليوم أقص على الناس بعض ما لقيت هؤلاء الجامعيات فى طريق الزواج ـ وأشهد أن الخوض فى هذا الحديث يؤلمنى ، اذ أحس فيه شيئا من قسوة على بعض زميلات يكرهن ـ وأكره لهن ـ أن تعرى جراحهن على أعين الملأ . لكنها « أمانة » ثقيلة لا مفر من حملها وابلاغها ، وكل عزائنا أن تكون هذه الآلام والجراح فدية كريمة غالية ، توقى بناتنا من بعدنا مثل الذى لقينا !

منذ فتحت لنا أبواب الجامعة ، والناس فى شغل بنا لا يملون الحديث عنا . ولم يكن يكفيهم أن يتحدثوا عن أصلنا وفصلنا ، وأهلنا وعشيرتنا ، وأزيائنا وألواننا ، ومستوى الجمال أو القبح فينا ، ونجاحنا أو فشلنا ، بل كانوا يتكلمون أيضا عن مصيرنا وآخرتنا ، ثم يجاوزون ذلك الى الحديث عما تطويه أفئدتنا من العواطف والاهواء ، وما تكن ضمائرنا من الميول والرغبات ، وما يداعب أحلامنا من الأمانى والآمال

وكانت أصداء من هذه الأقوال تصل الى مسامعنا فنغضى عنها حينا ، ونصيخ اليها حينا آخر . وقد نجد فيها مادة للفكاهة والعبث ، نستروح اليها عقب محاضرة صعبة ، أو نتشاغل بها عن درس ممل ثقيل . غير ان بقية منها كانت تخايلنا فى لحظات السكون والفراغ ، فنسلم اليها نفوسنا ، ونمضى معها الى حيث تحملنا ، فى وعى يخامره ذهول ، واستسلام

هذه البقية التى كانت تشاغلنا ، لم تكن تتصل بالازياء والالوان ، والنجاح والفشل ، وانما هى هذه « المصائر » التى كان الناس من حولنا يتنبأون بها لنا ، وتلك الاقوال التى تدعى العلم بخفايا رغباتنا وبعيد آمالنا

وكان الحديث عن الزواج ، أهم ما يشغلهم ويشغلنا ، ولقد قالوا ان فى الجامعة « مجالنا الحيوى » وأسروا الى « حواء » المستقرة فى اهابنا ان تلك هى فرصتها ، ان تركتها تمضى فلن تعود

ولقد كان من رأينا جميعا أن ننتظر حتى تتم مرحلة التعليم العالى ، ما دمنا قد بدأنا السير فعلا ودفعنا فى سبيله ما دفعنا من جهدنا ، وشبابنا ، وحيويتنا . لكن الغريب أن كل فتاة عرضت لها فرصة زواج موفق أو مقبول ، كانت تخرج على اتفاقنا هذا دون اكتراث ، وتتخلف عنا ماضية الى « البيت » وكأنما تفر من مطارد !

وهكذا دفعنا ــ برضانا أو بالرغم منا ــ الى التلفت حولنا لنرى هذا المجال الحيوى الذى خصونا به ورسموه لنا . وهنا يبدأ تعرضنا لمحنة قاسية ، لا يستطيع القلم ان يصور منها الا ملامح ضئيلة باهتة !!

***

فى الجامعة ، حيث يحتشد ألوف من الشبان ، من مختلف الصور وشتى الطبقات ، وقفت « حواء » تنظر الى مواكبهم وهى تمر من أمامها . ولم يكن يعنيها أن تختار الزوج ، فما هذا من حقها ــ وانما كان يعنيها أن تعرض هؤلاء جميعا ، لترى أيهم يحقق مثالها ، ويعكس الصورة التى رسمتها لرجلها

وطال بها الوقوف ، وانتهى العرض وانفض الجمع ، فاذا هى واقفة حيث كانت ، مطرقة واجمة ، قد نال منها الجهد ، وأعياها التتبع والنظر هنا وهناك !

ماذا ؟ ألا يعجبها واحد من هؤلاء ؟ بلى .. انهم « شباب النيل وعماد الجيل » ، ولكن الايام باعدت بينها وبينهم فما عادت لهم وما عادوا لها ..

ان فى عالمها صورة للرجل : ملامحها الاصيلة ورثتها فى دمها ومزاجها ، من أمها التى عرفت « الرجل السيد » ، وآمنت به واستظلت بجناحه ، وألوانها مختارة من قصص الفروسية وسير الابطال . وقد أضافت الفتاة الجامعية اليها ، ما شاءت شخصيتها ، وثقافتها من سمات وشيات . وامتد أفقها المتسع ، فكبر الصورة ، وأبرز تقاطيعها ، وجلى سماتها ، وزهى ألوانها حتى عادت صورة فريدة للرجل السيد : فى عقله ، وهمته ، وشخصيته . فأين تراها اليوم فى مواكب الزملاء ؟

من الحق أن بين هؤلاء الزملاء ، من يبدو أفضل من الرجل الذى عرفته أمهاتنا ، ولكن الفرق بيننا وبينهن ، أن الفتـاة من قبل لم تكن ترى غير محارمها . ففكرتها عن الرجل محدودة ، وأفقها من هذه الناحية ضيق ، ومثالها مختار من الاب والاخ والزوج ، والعم والخال . ثم هى لم تكن ترى الرجل الا فى البيت ، ولا تعلم عن شؤونه فى عمله ، ومكانه من زملائه ورؤسائه ، الا ما يرويه هو لها . ولقد كانت تصغى مفتونة الى ما يقص عليها من قصص تفوقه ، وتحديه لسلطان الرئيس فلان ، وانتصاره على الزميل علان . وكان الزهو يهزها حين يملأ أذنيها بمواقفه المشهودة ، وبطولته الفذة ، وهمته النادرة ، فأين نحن اليوم من هذه الصورة المروية للبطل المغوار ؟!

لقد خرجنا الى الدنيا ، وزاملنا الرجل فى الجامعة وفى الديوان ، وكانت هذه الزمالة وحدها كافية لتشويه الصورة القديمة بل لتمزيقها ، فكيف وقد صاحبها انكشاف « البطل » أمامنا ؟

رأيناه فى الديوان ، ينتظر بباب الرئيس ساعة من الزمان ، يسوى هندامه ، ويعد الكلمات التى يلقيها أمامه ، ويستشير زملاءه فيما يقول وما يفعل ، فاذا اذن له ، تقدم متعثر الخطا ، مطأطىء الرأس ، خافض الطرف ، مزرور الثياب . وتلقى « الاوامر والتعليمات » فى خضوع أليم . ولقد يتقدم به العمر ، وتجلسه الاقدمية أو المحسوبية أو أية يد أخرى ، فى كرسى « الرآسة » ببعض الاقسام ، ولكنه يظل أبداً يجد من يعلوه فى وظيفته ، ويلقى اليه أوامره ونواهيه ، ويتقاضاه فروض الطاعة والولاء .

ورأيناه يسير فى ركاب سواه ، ممن رفعتهم المناصب وصدرتهم الالقاب ، قد بذل ماء وجهه ، وألغى نفسه ، وراح يدأب الليل والنهار فى طاعة سيده وخدمته ، فاذا ما دالت دولة هذا السيد ، تعلق بركاب سيد جديد ، وراح يهتف له حتى يبح صوته ، ويحرق البخور بين يديه حتى عشيت عيناه ، وينحنى أمامه حتى ما تعتدل له قامة أبدا . .

ورأيناه يشترى « الدرجة » بأعلى الاسعار وأفدح الاثمان : يشتريها بسمعته وكرامته ، وقد يدفع فيها شرفه اذا طالبته به

***

وفى قاعات الدرس الجامعى ، جلسنا مع الطلاب ، نشهدهم وهم يعيون بأسئلة الاستاذ ، ويستضعفون أمامه . وتضحك ملء أفواهنا حين يتعثرون أمامه على مرأى منا ومسمع ، ويرتبكون ويخطئون . ثم جاءت معركة الامتحان ، فاذا منا السابقات المظفرات ، واذا جموع من الطلاب وراءنا ، لا يلحقون بغبارنا . .

وأعترف هنا أننا ظلمنا هؤلاء الزملاء ، فلعلهم لم يكونوا دون لداتهم فى الجيل الماضى ، لكنا نحن كنا فوق لداتنا . ذلك أن الفتى المتعلم ليس بدعا فى عصرنا هذا ، فقد تعلم أبوه وجده من قبل . أما الفتاة الجامعية فهى البدعة الجديدة التى لم يرها الشرق من قبل . وفيها من أجل ذلك غرور يزيد فى عمق الهوة التى تفصلها عن زملائها من الشبان، وكأنها

تأخذ عليهم أنهم لم يثبوا ، مثل تلك الوثبة التى قفزت هى بها ـ فى جيل واحد ـ من الامية العمياء الى مقاعد الدرس العالى . وهى فى هذا ظالمة مظلومة ، فما للشبان ذنب فى هذا ، وانما هو ذلك الانقلاب الاجتماعى العنيف الذى أخل بالتوازن بين الجنسين ، حتى عادت النسبة بين الفتاة وأمها لا تقاس بها ـ بحال ما ـ تلك التى بين الفتى وأبيه

انه نسخة مكررة من أجداده وآبائه ، وتعلمه أمر عادى ألفته الاجيال من قبلنا . أما هى ، فصورة جديدة فريدة تزينها ثقافة عالية ، لم يكن لامها حظ ـ ولو ضئيل ـ منها

ونسمع الناس من حولنا يتحدثون عن الخطر فى اختلاط الجنسين فى الجامعة ، فنهز رؤوسنا ونبتسم ابتسامة هزيلة . لقد كنا وحدنا نعلم أن لا شىء هناك من الخطر الذى يتوهمون ، فبيننا وبين الطلاب حواجز منيعة ، أقامها غرورنا ، وتفوقنا ، وانكشاف الرجل أمامنا

***

وهنا تشهد أروقة الجامعة مناظر قاسية للمأساة :

فهذه طالبة ريفية نزحت الى العاصمة تستكمل ثقافتها ، وفى يمينها « خاتم الخطبة » من شاب يطلب العلم فى كلية الحقوق ، وتربط أسرتيهما صداقة عريقة عتيدة . فلا تكاد تدخل الجامعة ، وتتفوق على الزملاء ، حتى تنفر من خطيبها بادية الذعر ، وهو يلاحقها ويطاردها ، ويتوسل اليها ، فلا تزداد الا شماسا وتأبيا

ويضطرب أمر الفتى ـ وقد كان رقيق المزاج ، وتفسد عليه حياته ، فاذا هو آخر العام راسب فاشل ، واذا هى ظافرة بدرجة الامتياز ! فتنزع الخاتم من يدها فى ألم وتصميم ، ولما سألوها الرفق بالفتى الذى يوشك أن ينهار ، والرحمة بأبيه الشيخ الذى كان يرى فيها أنس شيخوخته ، تساءلت فى حزن وعجب : ان كان من حقها أن تضحى بحياتها لتنقذ حياة أخرى ضعيفة فاشلة ؟

وهذه ثانية ، ذات شخصية قوية ونفس شاعرة ، خطبها شاب مرجو المستقبل ، ورآه الناس كفئا لها ، بل غبطتها أخواتها وسمين خطبتها « فرصة ممتازة » ، وقد اطمأنت هى الى ذلك حينا ، أو راضت نفسها على هذا الاطمئنان ، واستمهلته حتى تتم الدراسة العالية . وهناك فى الجامعة ، ذاقت لذة السبق الظافر ، ورأت صور الشبان تقل وتضمحل أمام الصورة الرائعة للمثال الذى سوته بكل قوتها ، وكل شخصيتها ، وكل ثقافتها

وكان ما لا بد أن يكون . . مضت الفتاة بعيدا بعيدا ، على حين بقى الخطيب حيث عرفته ، وحيث خلفته ، ينتظر صابرا راضيا . فلما أتمت الدراسة واستنجزها الوعد ، أعياها ان تنكفىء راجعة اليه وقد فصلتهما أبعاد طوال ، وقد حملت نفسها حينا على ذلك ، تجملا ، وعطفا ، ومجاملة لقومه وقومها ، واشفاقا من الصخور الصم الصلاب التى تعترض طريقها الى مثالها ، والسحب الكثيفة التى تتراءى فى الافق دونه . لكنها آبت بالخيبة والفشل . كانت تقيسه الى هذا المثال فتراه يتضاءل ويتضاءل حتى ما يكاد يحس أو يرى . وكانت

تأخذ نفسها بالميل اليه فلا تحس نحوه ـ بعد طول المعاناة ـ الا بما تحسه فتاة كبيرة نحو أخ طفل : له منها العطف والرحمة ، ثم لا شيء أبعد من ذاك . .

وهذه ثالثة : عرفتها زميلاتها مغلقة الحس يعوزها التفتح والاشراق . وقد صدمها الفشل أول عهدها بالجامعة فتخلفت فى السنة الاولى تعيد . وهنالك عرفت فتى مجدا فى التحصيل ، أعانها بمذكراته وراح فى آخر العام يطلب يدها من ذويها فرضيت ورضوا . لكنها لم تكد تمر فى الامتحان الثانى وتستأنف السير مع القافلة ، حتى عادت تستصغر فتاها ولا ترى فيه أكثر من زميل . وكان ضعيف الاعصاب فلم يحتمل ، وبدرت منه بوادر الخبال فأنكرته الفتاة ، وأنكره قومها ، وأنكرناه نحن جميعا . فلما عدنا فى العام التالى ، افتقدناه فى مكانه بين طلبة الامتياز ، فاذا هو هائم على وجهه فى دنياه ، يمضى حثيثا الى الجنون !

***

وتلك رابعة ، تأبت على هذا وذاك من الزملاء ، وأتمت دراستها بتفوق زاد فى شعورها بامتيازها عليهم جميعا ، وكانت لها أخت تزوجت من شاب ثرى وجيه ، مع انها لم تظفر بمثل ثقافتها العالية ، فطمحت الى بعيد بعيد . ثم استهوتها أمجاد الشهرة والكسب والوظيفة، فراحت تتشاغل بها عن نفسها ، وتتسلى عما ضيعت من عمر وما فقدت من آمال كبار ، وكانت فى أعماقها تشمئز من الاحتراف ، وترى فيه امتهانا لمثلها . ثم مضت الاعوام عاما فى اثر عام ، وهى ترقب المثل الذى تعلقت به ، وتصيخ بأذنيها فى الفراغ الذى حولها ، لعلها تسمع نداءه المرتقب . حتى اذا أعياها الانتظار وأضجرها الترقب ، ولاح لها على الأفق القريب شبح العنوسة الكئيب ، امتلأت ذعرا وخوفا . وفى لحظة يأس كافر ، دفنت مزاجها وأملها معا ، ورضيت أن تتزوج من زميل لها، دونها سنا ودرجة وثقافة وشخصية. فأمست بين يوم وليلة ، مخلوقة أخرى غير التى عرفناها . لقد زايلتها كبرياؤها ، وأنفتها . وذل غرورها واعتدادها بشخصيتها ، وبدت كأنما أصيبت باشمئزاز مر أليم ، يفسد عليها طعم الحياة

***

حدث هذا كله ، وكثير مثله ، ونحن نرى ونسمع ونرقب ، فانصرفت من انصرفت منا تطلب مثلها فى غير طبقة الزملاء وهنالك بدت صورة أخرى للمأساة

فهؤلاء « الكبار » الذين رأيناهم على البعد ملء أعيننا ، لم نكد نقترب منهم حتى تحطمت كبرتهم الغالبة

لقد ضخمتهم فى سمعنا ألقاب نالوها فى غفلة الزمن ، وارتفعت بهم أمامنا ، مراكز عالية كنا نرنو اليها فى ثقة وافتتان . فلما اقتربنا منهم رأيناهم عن كثب : أطفالا ضعافا مهزولين. وقد كانت فجيعتنا فيهم قاسية ، وخيبتنا مرة ، حتى غدا جلوسنا الى بعضهم مجلس الطلاب، لونا من ألوان التعذيب لعقولنا ، والتمزيق لاعصابنا

واعترف هنا أننا قسونا عليهم،ولكن عذرنا اننا بشخصيتنا الجديدة الممتازة،وقوتنا الطارئة المستحدثة ، شارفنا المثل العليا ، فلم يعد فى طاقتنا أن نغفر لهم خطأ ، أو نعتذر فيهم عن ضعف ، أو نرحم منهم شيخوخة ، أو نقدر فيهم بشريتهم . والله يعلم أننا شقينا بضعفهم أكثر مما أشقيناهم بقسوتنا

***

والى جانب هذه الكثرة المنهارة المهزولة ، قلة نادرة ، رأينا من بينها ملامح المثل الذى استهوانا ، لكنا اصطدمنا بحواجز منيعة تحول بيننا وبينهم ، وتعترض طريقنا اليهم

فقد دخل فى حسابنا حين دخلنا الجامعة ، ان هذه الثقافة العالية تجمل شخصيتنا وتزيد فى قدرتنا أمام الرجال . وكان لنا عذرنا فى ذلك ، حيث رأينا صفوة من رجالنا ينصرفون بالامس عن المصريات ، ويقبلون على الزواج من غريبات أجنبيات ، وليس لهم ما يبررون به صنيعهم الا الثقافة التى كانوا يفتقدونها فينا . فلما نلنا هذا القدر من التعليم العالى ، رنونا الى غير من ترنو اليه غير المتعلمة ، ولكن يظهر ان هذا لم يدخل فى حساب الرجال ، فقد رأيناهم ما يزالون يقيسون الأنثى بمقاييس ليس للتعلم مكان ظاهر بينها . انهم يعجبون بالذكية ، اللبقة ، المتعلمة ، زميلة فى العمل ، أو متحدثة فى « الصالون » . ولكنهم حين ينشدون الزوجة ، يزنونها بموازين أخر : فجمالها وجاذبيتها ، ونضرتها ، وحيويتها ، وسلامة أنوثتها ، وحسبها ، ونسبها ، تأتى جميعا فى المكان الاول . أما الدرجة العلمية العالية فمنهم من يطلبها نافلة فى الزوجة ، ومنهم من يرهبها ويظن بها الكبر ، والغرور ، والتعلق بالاوهام ، ويراها خطرا على البيت ، وعلى سلام الأسرة

يضاف الى ذلك سوء الظن بالجامعيات ، فقد كن طليعة الحركة الجديدة ، ولحقهن غبار من الشائعات الظالمة ، وقالة السوء . ونال من بعضهن ، هذه السهام التى تراشق بها المختصمون فى قضية المرأة ، وكان هذا سببا لاشفاق الكثيرين من التزوج بهن

فماذا لقيت الجامعية اذن ؟ لقد وجدت نفسها بين من لا تراهم كفئا لها ، ومن لا يرونها كفئا لهم . لم يطمئن بها مكان على الارض ، وليست تملك أن تعيش فى السماء

وكانت تلك هى محنتها التى أرهقت أعصابها ، والناس من حولها يهتفون لها ، ويهنئونها بما تنال من ظفر فى الجامعة ، وما تربح من مجد ومال ، فى الدواوين ودنيا الاعمال

***

وهناك من كوة راصدة ، يشرف « الزمن » على هذه الصور والاحداث ، ويسجل ــ فى صمت وصدق ــ فصول هذه المأساة فى حياة هذا الجيل من الفتيات الجامعيات

بنت الشاطىء

من الأمناء

ايزنهاور فى صباه

« ايزنهاور » اسم ملأ الاسماع خمس سنوات كاملة ، وتردد صداه فى جميع أقطار المعمورة وتغنت ببطولة صاحبه الشعوب . واية غرابة فى هذا . ألم يكن الجنرال ايزنهاور القائد الاعلى لجيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الاخيرة وعلى يديه تم النصر للديموقراطية على جيوش البطش والعدوان . كان يخضع لقيادته جيوش بلغت الملايين عدا ، ولم يحدث فى تاريخ البشرية حتى اليوم ان اتسعت ميادين القتال وتعددت أسلحته وتفنن العلم فى استنباط وسائل القتل والتدمير كما حدث فى حربنا الاخيرة . فتصور الى أى حد كبرت مسئولية قائد ، هذا شأن الحرب التى أدار دفتها وسار فيها من نصر الى نصر ، حتى سلم العالم وخاصة الشعوب الضعيفة من حكم الاستبداد والطغيان

« ايزنهاور » اسم قائد كتب له الخلود فى صفحات التاريخ وأصبح يذكر بجانب أسماء القواد الخالدين ، وان يكن يختلف عمن كانوا قبله بأنه لم يكن يقاتل فى سبيل السيطرة والغزو وحب السلطان ، ولكنه كان يقاتل لنصرة الحق والعدل

اتفق علماء النفس ان من تصرفات الاطفال فى ألعابهم وسلوكهم تجاه اخوانهم ما يصلح أساسا للحكم على مستقبلهم ، فمن كان منهم يميل بطبعه الى تزعم رفقائه فى اللعب أو من كان يرغب بدافع من نفسه فى الكيد لهم أو التسلط عليهم ، أو من كان منهم كثير الشقاق والعراك معهم ، من المحتمل أن يصبح يوما ما زعيما لأمته أو مهيمنا على أمورها أو ممن سيكونون سببا فى خلق أسباب العداء والبغى على غيرها من الامم . ولهذا اهتم علماء النفس دائما بدرس أخلاق الزعماء وقادة الفكر فى العالم فى طفولتهم أو صباهم لتعرف الصلة بينها وبين المرتبة أو المقام الذى وصلوا اليه فى أيام شبابهم أو كهولتهم

وسنعالج فى هذه الكلمة درس أخلاق القائد العظيم الجنرال ايزنهاور أيام صباه، لنحكم عما اذا كان هناك ارتباط بين عناده وتمسكه برأيه وقوة احتماله وبين المركز الذى وصل اليه فى الايام الاخيرة

فمما يروى عن الصبى دويت ايزنهاور « الجنرال ايزنهاور » انه خاض غمار معركتين مريرتين قد تكونان أشد قسوة ومرارة من تلك المعارك التى خاضها بعد ذلك باربعين عاما

ولقد كان من التقاليد ببلدة البيلين من ولاية تكساس ان تقوم معركة بين فئتين من الصبية فيها ، احداهما تمثل الناحية الشمالية وهى التى اعتاد ايزنهاور وشقيقه ادجار بيع

ثمار حديقتهما الى أهاليها ، وكانت هذه الفئة تمثل تلاميذ المدرسة الذين كانوا يسخرون من الملابس القديمة التى كان يرتديها ايزنهاور ، اما الناحية الجنوبيـة فهى الناحية التى كان ايزنهاور من صبيانها

ولم تكن تلك السخرية التى تعرض اليها ايزنهاور واخوانه بمانعة لهم من خوض المعركة والمثابرة فيها حتى فازوا فيها بقوة سواعدهم فوزا مبينا ، وكانت تلك المعارك تقوم عادة بين أبطال الجانبين على مثال المعارك التى رواها التاريخ فى قصص ابطال هومر ، وما زال سكان بلدة البين يذكرون تلك المعركة الفنية التى دارت بين الصبى دويت ايزنهاور ووسلى مريفيلد وكانت أشد معركة شاهدوها فى ذلك العهد

وكان وسلى مريفيلد بطل الناحية الشمالية غير منازع ، وكان قصير القامة بدينا طويل الذراعين فضلا عما كان يمتاز به من سرعة الحركة وقوة السواعد وحسن البلاء ، أما دويت ايزنهاور فكان فى الثالثة عشرة من عمره رشيق القوام . ومع التسليم بأنه كان من اللاعبين المهرة الا انه لم يكن معروفا عنه شيء من القوة أو سرعة الحركة ، ولم يكن هناك خلاف فيما ستكون عليه نتيجة المعركة بين دويت ايزنهاور ووسلى مريفيلد ، انما وجه الخلاف الوحيد هو الى أى مدى سيظل ايزنهاور قادرا على الوقوف على قدميه

ففى مساء احدى ليالى شهر اكتوبر قبل ايزنهاور تحدى خصمه ، وظل طلبة المدرسة ساعات عديدة ينتظرون على أحر من الجمر الساعة التى سيلتقى فيها البطلان ، حتى اذا حانت الساعة المحددة رافق جمع غفير من الطلبة البطلين الى ميدان خارج البلدة حيث تألفت حلقة كبيرة ظهر فى وسطها ايزنهاور برشاقته وواجهه خصمه مريفيلد بغلظته وبدانته

وبدأت المعركة على الصورة التى توقعهـا الجميع اذ لم يستطع ايزنهاور التهرب من لكمات خصمه ، أما هو فظل يلكم مريفيلد ويكيل له الضربات بقدر ما تستطيع ذراعاه ، ولكنه كان فى أوائل المعركة صبورا على احتمال جميع لكمات خصمه العنيد ، تلك اللكمات التى أصابت وجه ايزنهاور ومواضع عديدة من جسمه ، وكان يخيل للنظارة ان ايزنهاور قد هزم اذ ان جسمه قد أصيب برضوض عديدة حتى بات داميا ، وورمت عيناه الاثنتان ، وظهرت عليه دلائل الاعياء والتعب ، وفترت عضلاته . ولكن هنا تظهر مشخصات دويت وقوة شكيمته ، فلم يستسلم قط بالرغم من شدة اللكمات التى كالهـا له خصمه ، وظل قابل مريفيلد بلكمات مثلها حتى ظهرت عليه هو الآخر آثار الضربات . وكان كل هم ايزنهاور موجها الى التهرب من الاصابة بضربة قاضية ، وعلى هذا أمست المعركة معركة ارهاق ، وخير المتعاركين من يستطيع الاحتمال مدة أطول من خصمه

وبعد اكثر من ساعة كانت عين دويت ايزنهاور قد اغلقت تماما ، كما ورمت عينا خصمه مريفيلد وازرقتا وفترت قوة الخصمين حتى أصبحا يجدان صعوبة فى تحريك ذراعيهما ، ولكن رغم هذا الاعياء لم يظهر على احدهما أى دليل على الرغبة فى التسليم ، وان يكن من المستحيل عليهما الاستمرار طويلا على هذه الحالة المضنية . وفى النهاية وبعد ساعتين

اعترف وسلى مريفيلد بانه لم يستطع قهر ايزنهاور ، وهو الاعتراف الذى كان ايزنهاور ينتظره بفارغ الصبر من خصمه وكانت تأبى عليه نفسه ان ينطق به ، وهنا قال له ايزنهاور « وانا لم استطع ان اقهرك »

وافترق الصبيان على هذه الحالة ، وعاد ايزنهاور الى بيته وارتمى على فراشه وهو فى غاية الاعياء ، حتى اذا عاد شقيقه ادجار من عمله بمصنع الالبان وجد أخاه على هذه الصورة ، فكان أول سؤال وجهه اليه هو من المسئول عن اصابته وارهاقه بهذه القسوة ، فاجاب ايزنهاور انها جاءت نتيجة معركة قامت بينه وبين وسلى مريفيلد وشهد بان خصمه كان ملاكما عظيما ، وقد انقضت ثلاثة أيام قبل ان يستطيع ايزنهاور العودة الى المدرسة

وبعد هذا الحادث ببضعة اشهر اشترك دويت ايزنهاور فى معركة أخرى ، كانت أكبر دليل على قوة جلده بل واظهرت مبلغ قدرته وشدة شكيمته .. وذلك انه حينما كان عائدا بعد ظهر يوم من الايام من مدرسته زلت قدمه وسقط على الارض فجرحت ركبته اليسرى ، وكان يخيل اليه بادىء الامر ان هذا الجرح لم يكن الا تسلخا بسيطا ، فعاد الى منزله دون ان يشعر بشىء من الألم . ولم يكد ينقضى على هذا الحادث يومان حتى شعر ايزنهاور بألم شديد بركبته اليسرى ، وأخذ هذا الألم يزداد من يوم الى آخر ، وظهر الورم على قدمه وتعذر عليه تحريكها ، الامر الذى استوجب استدعاء أحد الاطباء للكشف عليه ، وبعد الكشف الدقيق قرر الطبيب ان هناك « تسمما فى الدم » وهذا « أمر خطير »

ولما اختلى الطبيب بوالدى ايزنهاور صرح لهما بخطورة الحالة ، ولكنه كان يأمل تجنب بتر الساق واستمهلهما حتى صباح اليوم التالى وقد قضى ايزنهاور تلك الليلة متعبا مؤرقا

ولما عاد الطبيب لزيارته فى اليوم التالى تبين له ان الورم أخذ فى الانتشار ، حتى اضطر الى التصريح بضرورة بتر الجزء المصاب حتى يمكن الابقاء على بقية الساق . ولكن ايزنهاور أبى كل الاباء على الطبيب القيام بهذه العملية ، وفضل الموت على الحياة مشوها ، واستدعى أخاه ادجار وطلب اليه الا يسمح لهم ببتر ساقه . وكان الورم يمتد يوما عن يوم حتى وصل الى أعلى الفخذ ، وكان الألم يزداد كذلك يوما عن يوم حتى أصبح صريخ ايزنهاور وتوجعه يسمعان من مكان بعيد . ولكن ادجار كان عند وعده لاخيه بالا يسمح للطبيب ببتر ساقه ، كما ان والديه خشيا ان يكرههما ابنهما ايزنهاور ، اذا ما صرحا للطبيب باجراء عملية البتر ، مما دعا الطبيب الى اتهامهم جميعا بتهمة القتل لعدم اطاعتهم لنصيحته الفنية ابقاء على حياة المريض

ولكن ما اغرب حوادث القدر ، ففى الوقت الذى كان أهل ايزنهاور يتوقعون موته من ساعة الى أخرى ، اذا بهم يرونه صباح يوم من الايام وقد أخذ الورم يتناقص شيئا فشيئا ، كما أخذت درجة الحمى فى الهبوط واستيقظ ايزنهاور ولكنه كان شاحب الوجه متعبا ، ولم يكد الألم يخف حتى صاح بأعلى صوته « قد انتصرت » وبعد ذلك بثلاثة أسابيع خرج ايزنهاور من غرفته يسير على قدميه

وكان القدر أبى الا ان ينجو الصبى ايزنهاور ليصبح الجنرال ايزنهاور ، فيلعب ذلك الدور التاريخي فى حياة البشرية ، وكانت قوة احتماله وصبره وتمسكه برأيه وحسن تقديره للامور ، كل تلك الصفات ، كانت الاساس المتين والدعامة القوية فى اخلاق هذا الرجل ، بل وكانت السبب المباشر فى نجاحه فى معالجة أمور الحرب وخاصة فى الايام الاولى منها حينما كانت مراكز الحلفاء فى جميع الميادين مهددة بالخطر ، فلم يدخل اليأس الى نفسه يوما من الايام كما لم تفتر عزيمته أو يضعف ايمانه فى النصر حتى كان فى استطاعته ان يصيح بأعلى صوته « قد انتصرت » كما قالها فى ايام صباه

(عن « ايفرى بودى ديجست »)

قانون تلغيه سيدة

تربع الملك هنرى الرابع على عرش انجلترا من سنة ١٣٩٩ حتى سنة ١٤١٣ ، وكان من جماعة « البيوريتان »

ولفت بعضهم أنظار جلالته الى أن أفراد الشعب قد أسرفوا فى لبس الحلى والمجوهرات ولعا بالزهو وحبا فى الظهور ..

فأصدر الملك أمرا يحرم على أفراد الشعب لبسها

ولم يعبأ بهذا القانون أحد !!

ففكر وفكر ، حتى هداه التفكير الى حل شيطانى عجيب .. أمر بتعديل القانون فأضاف اليه مادة واحدة ... تقضى باستثناء المومسات والنشالين من أحكامه !!

وبعد صدور هذا التعديل بيوم واحد، لم ير الناس فى طول لندن وعرضها سيدة واحدة تزين صدرها بحلية !!

وتبرمت الملكة ـ وكانت فرنسية ـ بهذه الصغائر .. وقررت ان تضع حدا لهذه السخافات .. فبرزت ذات ليلة فى حفلة من حفلات البلاط تتألق تألقا ، وقد تزينت بكل ما لديها من حلى ثمينة !!

وكانت مفاجأة أدهشت القوم وعقدت ألسنتهم ، فشدهوا واجمين وألغى القانون فى اليوم التالى ، ثم شطب من سجلات الدولة بعد ذلك !!

« البذرة المتوسطة فى الجودة لا تصنع نبوغا ما لم تكن الفرصة جوادة كرية بالغة أقصى حدود السخاء ، كما ان البذرة البالغة حد الجودة قد تصنع نبوغا اذا أتيحت لها تربة متواضعة ، وأسعفتها الفرصة الملائمة »

هل يصنع النبوغ؟

بقلم الدكتور أمير بقطر

سئل العالم اينشتين مرة فى برلين من اميركا بالتلغراف : هل تعتقد بوجود الله ؟ فأجاب بالتلغراف : ليس هذا مما يستطاع الاجابة عنه بنعم أو لا وحسب ، كما انه سؤال لا يسأله غير اميركي . هكذا عنوان هذا المقال ، يتطلب البحث فى عدة مسائل ، والاجابة عن عدة أسئلة ، وترك الباقى لفطنة القارىء . وهو من المسائل ذات الوجهين ، كالوراثة والبيئة ، والفرخة والبيضة وأيهما سابق فى الخليقة . ولنتناول المسائل التى تكون عناصر هذا الموضوع بايجاز

١ ـ النبوغ والذكاء

يكاد يتفق العلماء على أن فى مقدمة صفات النبوغ الذكاء ، وان اكثر الشروط التى يتطلبها النبوغ توافر فى الذكاء . والعناصر التى ينبغى توافرها فى الذكاء : المقدرة على انجاز أعمال تمتاز بالصعوبة والتركيب والتجريد ، والسرعة والاقتصاد فى الزمن فى انجازها ، وتوجيه الاعمال بعد تكييفها نحو هدف محدود معلوم ، وان يكون لهذا الهدف قيمة اجتماعية ، وان تشمل نواحى النشاط عنصر الابتكار وتكتسب صفة الاستمرار فى ظروف تتطلب التركيز والمثابرة . وأخيرا ينبغى ان يتصف الذكى بقوة يستطيع بها ان يقاوم كل عاطفة ـ أو وجدان ـ تعطل هذه الاعمال

ولا يجزم العلماء بوجوب توافر الذكاء المفرط فى النابغة ، فيكتفى بعضهم بمقدرة عقلية عادية للاخذ بناصية المسائل الشائكة المعقدة ، والاستعداد للابتكار ، واستخدامه فى وجوه اجتماعية ، مع حب مفرط للانسانية وعمل الخير . ويروى لنا التاريخ حوادث ، استشهد فيها رجل فى سبيل أمته والانسانية فى عصر من العصور ، فرفع الى درجة النبوغ فى ذلك العصر أو ما تلاه من العصور . على ان هناك صفات أخرى قد لا تدخل فى نطاق الذكاء ، أو المقدرة العقلية البحتة ، ولكنها تفوق فى آثارها ما يأتيه المرء من اعمال تتطلب فرط الذكاء ، فترفع صاحبها الى منزلة النبوغ . مثال ذلك : الشجاعة الادبية ، المشاركة الوجدانية ، الحيوية ، نبل الاخلاق ، الذوق السليم ، والاعجاب بالجمال . كل هذه أو

بعضها قد تبلغ فى نفس صاحبها مبلغا عظيما ، فتكون عاملا قويا فى تقدم الأمانى الانسانية وتؤدى فى الظرف الملائم الى اسداء خدمات جليلة للحضارة ، قلما يجاريها نبوغ عالم أو مخترع أو مكتشف

ولا شك ان المبتكرين قلائل ، أمثال جاليليو، وجيمس واط ، وستيفنسون ، وباستور، وماركونى ، واينشتين ، ولكن الذين استطاعوا التحسين والتعديل والزيادة فى المبتكرات كثيرون . وهؤلاء يمكن وضعهم فى عداد النابغين ، اذ انه قد توافر فيهم الكثير من صفات الذكاء والنبوغ كالمثابرة وتركيز الجهد والاستمرار ، رغم كل صعوبة واضطهاد ، ومقاومة العاطفة ، والعمل حتى بلوغ النهاية والهدف

من هذا يتضح ان هناك سؤالا لم نستطع الاجابة عنه اجابة قاطعة للآن ، وهو : هل كان يمكن للنابغين والعباقرة ، الذين خلد التاريخ آثارهم ، ان يبلغوا ما بلغوه بغير مقدار ممتاز من الذكاء ؟ أو هل يمكن ان يؤدى الذكاء المفرط وحده الى النبوغ ؟ هناك رأيان متناقضان ، رأى الادباء ورأى العلماء . فقد كان الادباء — ولا يزالون الى حد محدود — يعتقدون ان النبوغ لا يمكن ان يقاس ولا يقبل التحليل ، ولا يتسنى التنبؤ به . أما العلماء فعلى النقيض من هذا الرأى ، يعتقدون ان فى الاعتراف بالنبوغ تسليما لا شك فيه بمقدرة خارقة العادة على القيام بعمل هام . وكلمة نبوغ فى استعمالها المتداول تشمل كل عمل ، حتى اذا كان خاصا بالصوت أو اللون أو الرسم أو الميكانيكا . فالموسيقى ، والكهربائى ، والميكانيكى ، والمغنى ، كلهم نوابغ ، طبقا لهذا الاستعمال المتداول. بيد اننا هنا نرتطم بعقبة يصعب التغلب عليها ، وهى أن هؤلاء رغم نبوغهم فى هذه الفنون — قد لا يجوزون اختبارات الذكاء الحديثة بدرجة عالية ، جديرة بالنوابغ أو ما يقرب منهم . ويجيب عن هذا بعض العلماء بقولهم : ان نبوغ هؤلاء فى ناحية خاصة — اجتماعية أو ميكانيكية أو فنية — وليست عقلية

ومهما يكن من شىء ، فان من المتفق عليه بوجه عام بالرغم من الاستثناءات ، انه يستنتج من دراسة تراجم النوابغ فى كل العصور ، انهم كانوا يجوزون اختبارات الذكاء بتفوق فيما لو كانت معروفة مقاييسها فى زمانهم ، وكانوا يستوفون الشروط السبعة سابقة الذكر . وذلك ان الفنى العظيم مثلا عظيم الآراء . كذلك العظيم فى كل شىء آخر ، سواء أكان مهندسا أم موسيقيا أم ميكانيكيا أم مصلحا اجتماعيا . ومن جهة أخرى قد يكفى الذكاء العادى لاتيان أعمال مبتكرة هامة نافعة للانسانية ، طالما اقترن هذا الذكاء بصفات أخرى كقوة الوجدان والاستقامة ، وتكريس الذات للمثل العليا . ومعنى هذا ان النبوغ يتطلب العقل والقلب « العاطفة » معا . فالعقل هو المدير المرشد ، والادارى الحازم . والقلب أو العاطفة هو القوة المحركة — الوقود أو القوة الكهربائية

ويعتقد الكثيرون من مفكرى القرن العشرين ان العالم لا ينقصه النوابغ الذين يستطيعون الابتكار والاختراع فيما يتعلق بالمسائل المادية ، ولكنه فقير جدا فى النوابغ الاجتماعيين ،

الذين يفتقر اليهم العالم فى تطبيق الطريقة العلمية فى حل المسائل الاجتماعية التى تزداد تعقدا وتركيبا بزيادة العلوم والمخترعات . .

٢ ــ مقاييس الذكاء

لقياس الاشياء طريقان ، احدهما مباشر والآخر غير مباشر . والاول أدق بكثير من الثانى . فالموازين والمكاييل والاشرطة المعروفة ، طرق مباشرة لقياس الأثقال والكميات والاطوال . غير اننا لا نستطيع قياس الحرارة ، والضغط الجوى ، والزمن ، وضغط الدم قياسا مباشرا ، فنلجأ الى عمود الزئبق فى قياس الحرارة ، والى دوران عجلات الساعة فى قياس الزمن وهكذا . كذلك قد اخترع علماء النفس فى القرن العشرين طريقة غير مباشرة لقياس ذكاء الانسان ، لا يتسع المقام لشرحها . وحسب قراء الهلال أن يعلموا ان ارقام الذكاء كالارقام القياسية فى اسعار الحاجيات . . فنحن نعتبر مثلا ان الرقم القياسى لاسعار الحاجيات قبل الحرب عام ١٩٣٩ كان ١٠٠ ، باعتباره رقما متوسطا ، كذلك يقول علماء النفس ان ذكاء الرجل العادى أو المتوسط يرمز اليه بالرقم ١٠٠ ونقول ان الرقم القياسى لاسعار الحاجيات اليوم ٢٥٠ أو ٣٠٠ أو أكثر ، كذلك نتحدث عن الارقام القياسية للذكاء كما يأتى :

اذا كان الرقم القياسى للذكاء للرجل المتوسط ١٠٠ كما قلنا ، فمعنى هذا ان حوالى نصف السكان فى الامة يبلغون هذا الرقم ، وان ١ ./. يزيد رقمهم عن ١٤٠ ، كما ان ١ ./. ينقص رقمهم عن ٦٠ ويغلب ان يوجد النبوغ فى نسبة ضئيلة جدا من هذا الواحد فى المائة ، أى ممن يزيد رقمهم الذكائى عن ١٤٠ وقد قدر للعالم دارون ٢٠٠ ، ولاينشتين ٢١٢ ، واكتشف فى نيويورك قبل الحرب المنصرمة طفل بلغ رقمه الذكائى ٢٣٠ ، وقدر بعض علماء النفس لكل من موليير ، وبلزاك ، وهاين ، واسحق نيوتن ١٣٠ لا غير . ولا يخفى ان هذا الرقم الاخير تقريبى ، لان اختبارات الذكاء لم يكن لها وجود قبل نهاية العقد الاول من القرن العشرين ، ولم تبلغ من الاتقان درجة يعول عليها الا أخيرا ، ولا تزال تفتقر الى الدقة

٣ ــ الصدفة والنبوغ

الصدفة معناها الظرف الملائم ، وهى ما يؤثر الناس تسميتها الحظ . وتتحاشى استعمال هذه الكلمة لأن عامة الناس يعزون الحظ الى القضاء والقدر ، ويعتقدون ان العزة الالهية تصطفى انسانا دون سواه ، فتغدق عليه النبوغ ، كما تغدق على سواه المال والجاه ، وبعكس ذلك قد يكون حظ انسان خمول الذكر ، أو الغباء ، أو البؤس والفاقة ، على ان التفكير العلمى لا يؤيد هــذا الاعتقاد ، فالنبوغ كالنجــاح فى كل شىء ، لا بد له من فرصــة سانحة ، وجو مهيأ ، وبيئة صالحة ، يسطع فيها ضوؤه . فكثيرا ما يكون التعصب والجهل والاضطهاد وعدم التسامح ، معطلة للنبوغ فتطمس معالمه . مثال ذلك ان « وليم هرفى »

لم يكشف للعالم أسرار الدورة الدموية قبل ان يبلغ سن الخمسين من عمره ، رغم انه كان قد اكتشفها قبل ذلك بسنوات ، وذلك انه لم يجرؤ على اعلان هذا الاكتشاف العلمى العظيم خشية الاضطهاد . ومع كل ذلك لم ينقذه التأجيل من الهجو والتعذيب ، فقد قاطعه زملاؤه ، وأبى مرضاه التردد على عيادته ، واستشارة رجل مثله بلغ اعتقاده فى دم الانسان ما يدل على اصابته « بالجنون »

ومن الصدف ان يمر على العالم عصور تظهر فيها نهضة فريدة فى بابها ، تحتاج الى جيش من النابغين ، فتكون حافزة للعمل ، مثيرة للهمم . مثال ذلك عصر اليزابث فى الادب ، وعصر النهضة العلمية Renaissance فى الفنون ، وعصر الاصلاح فى الدين ، والعصر العباسى فى الادب والفن ، والقرن التاسع عشر فى علم الاحياء ، والقرن العشرين فى العلوم الطبيعية . وبين عصر وعصر يسود الظلام وتكسو حقبة من الزمن أوشحة حالكة السواد ، يدفن فيها الذكاء والنبوغ . وقد يظل النبوغ فى فرد من أفراد الامة كامنا ، لا يعرف أحد شيئا عنه ، لان صاحبه لم يتح له ان يتذوق طعم العلم والمعرفة فبقى جاهلا ، وكان مثله مثل اللؤلؤة التى لم تعمل فيها يد الصانع الماهر ، فظلت فى اصدافها أو فى قاع البحر . وقد يقتل النبوغ فى فرد لان صاحبه قد ألقته الصدف فى بيئة حكومية مصرية مثلا ، اشتد فيها روح الحسد والبغضاء ، وتفشت فيها الدسائس ، وترعرعت فيها المحسوبية ، فكلما تأهب للوثوب ، أوقفوه عند حده ، وكلما حاول أن ينير مصباحه ، ألقوا عليه مكيالا

وكثيرا ما تكون البيئة صالحة ، ويكون الذكاء متوقدا ، وشروط النبوغ متوافرة ، ولكن صاحبه يصاب بمرض من أمراض الشخصية ، كالاستهتار ، أو السلوك المعوج ، أو الاهمال ، أو ادمان الخمر . ولذا يقول كل من « ترمان » و « برك » و « جنسن » ان العالم لم يكتشف بعد طريقة لانقاذ الاطفال الموهوبين نوابغ المستقبل ، من أمراض الشخصية . على ان السيدة الدكتورة « ليتا هولنجورث » التى قضت زهرة شبابها فى دراسة الموهوبين ، وقد توفيت أخيرا ، لا تعلق أهمية على هذه النقطة وتعتقد ان الشخص الذى يبلغ ذكاؤه رقما قياسيا ، يكتب له النبوغ ، وفيما عدا ذلك استثناء والاستثناء لايعول عليه . وقد شاركها « لورج » فى هذا الرأى . فقد تتبعا اطفالا بلغ رقم الذكاء لكل منهم فوق ١٨٠ ، وقبل أن يبلغ هؤلاء سن الثانية والعشرين ، ظهر نبوغهم وسطع نورهم فى الحياة العامة . وهذه سن مبكرة جدا ، اذ ان الاحصاءات تدل على ان النبوغ تظهرُ ثماره بعد سن الثلاثين . فقد درس « لهمان » ٥٣٧ من العلماء الذين كانت لهم الايادى البيضاء على الطب ، فوجد ان السواد الاعظم منهم ظهر نبوغه فى العقد الرابع وان اكبر عدد منهم تراوحت أعمارهم بين ٣٥ و٣٩ ، وكذلك توصل الى النتيجة عينها فيما يتعلق بالادب والموسيقى والاختراع والكشف العلمى ، مع ترتيب هذه ترتيبا تنازليا فيما يتعلق بالاعمار

٤ ـ الوراثة في النبوغ

من أغرب النتائج التى توصل اليها العلماء فيما يختص بالوراثة، ان الكثيرين من والدى الموهوبين والنابغين واقاربهم ، كان يشوب تاريخهم شذوذ عقلى . فقد اتضح من دراسات « ترمان » وزملائه ان ٤٠ ./. من أقارب الاطفال الموهوبين الذين عنى بفحصهم ، كانوا مصابين بجنون ، أو ضعف عقلى ، أو مرض عصبى . وكان فرنسيس جالتون ـ ابن عم دارون ـ منذ خمسين عاما يعتقد ان الجنون والنبوغ متقاربان . وكان اتباع لمبروزو يقولون ان فلانا لا يرجى له النبوغ ، لانه لم يعرف عنه يوما انه كان مجنونا ، او ان أحد أقاربه أصيب بجنون أو اضطراب عقلى أو عصبى . وليس معنى هذا ان الجنون يؤدى الى النبوغ ، ولكن المعنى ان النابغة عادة كثير المثابرة الى أقصى حد يتحمله العقل الانسانى . وفى هذه المثابرة يصادف مقاومة شديدة تهز اعصابه، ويلاقى اضطهادات وعقبات قد تقض مضجعه ، فيفقد شيئا من توازنه العقلى . والنابغة عادة يهدم عادات ، ويهزأ بأصنام والهة باطلة ، ويكسر تقاليد ، ويرفس بقدميه عقائد خاصة بأسرته وعشيرته ، فيفقد أصدقاء ، ويكون أعداء . ولا ينتظر من انسان كهذا ان ينثر مواطنوه الورود والازهار والرياحين فى طريقه ، بالغة ما بلغت اعماله الفنية والاجتماعية ، التى تؤدى الى سعادة البشر وخير الانسانية

وقد تغير الموقف عما كان عليه فى عصر لمبروزو وجالتون بانتشار الديمقراطية ، وحرية الرأى ، واتساع الفرص ، وعناية البلدان الراقية بتشجيع النبوغ ومكافأته . ولذا دلت الدراسات الحديثة على ان النبوغ أكثر تبكيرا اليوم عما كان منذ خمسين عاما ، وأن الشذوذ العقلى لم يعد ملازما النبوغ بدرجة يعول عليها

ولما كان من المسلم به ان الذكاء « فى الدم » وان أسرا برمتها اشتهر أكثر أفرادها به ، فليس ثمة من شك فى ان الوراثة عامل كبير فى النبوغ ، اذا سلمنا ان الذكاء فى مقدمة عوامل النبوغ

٥ ـ النتيجة

يستخلص من هذا البحث ان هناك ثلاثة أشياء تتفاعل بعضها مع بعض ، وبغيرها لا يكون هناك نبوغ . أولها الوراثة ، وثانيها البيئة ، وثالثها الصدفة . ومن العبث ان يكون هناك نبوغ ، اذا عدمنا أحد هذه الاشياء . فقد تكون بذرة النبوغ كامنة فى صاحبها بالوراثة ، ولكن أنى لها أن تنمو فى غير بيئة صالحة ؟ وقد تتوافر هذه البذرة بالوراثة ، وتنمو فى بيئة صالحة ، ولكن أنى لها ان تأتى عملا من اعمال النبوغ ، اذا لم تتهيأ لها ما يسمونه الصدفة ، وما يسمونه خطأ الحظ ، وما يسميه التفكير الصحيح الفرصة الملائمة؟ أو كيف يسطع ضوء النبوغ مهما توافر له من العوامل اذا طمسته الاحقاد ، وأطفأ

الحسد والكراهية والمحسوبية وفساد الحكم ؟

وقد كان للوراثة عند العلماء أكبر نصيب من العناية ، لانهم كانوا يعتقدون منذ عهد ليس ببعيد انك لا تستطيع ان تصنع انسانا من قرد ، وانك لا تستطيع ان تصنع كيسا من الحرير من أذن خنزير . أما وقد برهن العلم الحديث على اننا نستطيع ان نصنع قردا جميلا من قرد قبيح — بالانتخاب وتحسين النسل — واننا نستطيع فعلا ان نصنع كيسا من الحرير من أذن الخنزير ، وان نصنع فستانا من الزجاج ، ومطاطا من الهواء — فان البيئة الصالحة والفرصة الملائمة تستطيع ان « تصنع » النبوغ من بذرة وراثية متواضعة ، بشرط ان تكون حية ، خالية من العاهات والآفات ، متوسطة الجودة ، ان لم تكن فوق المتوسط . ولنعلم ان البذرة المتوسطة في الجودة لا تصنع نبوغا ما لم تكن التربة بالغة أقصى الجودة ، وما لم تكن الفرصة جوادة كريمة ، بالغة أقصى حدود السخاء ، كما ان البذرة البالغة حد الجودة قد تصنع نبوغا ، اذا أتيحت لها تربة متواضعة ، وأسعفتها الفرصة الملائمة

أمير بقطر

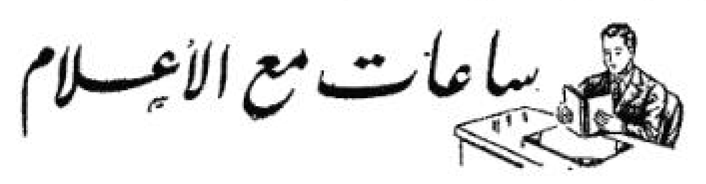
العمر والنبوغ

قلما يمنع كبر العمر النابغة من الانتاج طالما كان سليما معافى . بل نقول ان الكثيرين من النابغين واصلوا العمل حتى ابان الشيخوخة والاصابة بعللها

ألم يكتب فولتير روايته الخالدة « كنديد » وهو فى الخامسة والستين من عمره ؟ ألم يضع « فاجنر » الجزء الأخير من « بيراسيفال » فى التاسعة والستين ؟ ألم يضع غوته الجزء النهائى من « فوست » الخالدة فى سن الشيخوخة ؟ ألم يكتب فيكتور هوجو قصائد رائعة فى أخريات أيامه ؟ وفى العصر الحاضر ، ألم يضع برنارد شو وويلز مؤلفات لا حصر لها واحدهما يوسع الخطا الى القبر ، وثانيهما شيخ جليل يبلغ عمره السبعين ، وقد جاء آخر مؤلفاته آية فى الابداع ؟ وهذا «بول كلوديل» من مشاهير الكتاب الفرنسيين المعاصرين، ألم يعد كتابة L'annonce faite a Marie فى سن ٧٢ وقد كان كتبها فى المرة الاولى فى سن ٢٥ ؟ وهذا غلادستون فى انجلترا وجورج كليمنصو فى فرنسا ، ألم يكونا من أكفأ رؤساء الوزارات فى العالم وأشدهم دهاء واكثرهم نشاطا وقوة وبطشا وهما فوق الثمانين ؟

كتب على قبر أحدهم هذه العبارة « مات فى الثلاثين ودفن فى الستين من عمره » وينطبق هذا القول على الالوف من الناس الذين لا ينتجون بعد سن معلومة ، أقرب الى الشباب منها الى الشيخوخة فيعيشون ما بقى من العمر أمواتا عالة على العالم ، الى أن يهيىء لهم القدر أمر الدفن

ألم تفكر مرة في ان تجلس الى مائدة واحدة مع أرازمس أو شيكسبير أو نابليون أو بيتهوفن ومن على طرازهم ؟ ذلك ما يهيئه لك Hendrik van Loon في كتابه ٧٧٠ الذى تقدم لك صورا منه فى الصفحات التالية :



ذلكم رجل كريم ! تعب من صحبة الناس ، وسئم من صحبة الايام ، فأوى الى قريته الصغيرة الراسية منذ مئات السنين على ساحل الاطلنطى العريض ، وأخذ من معتزله هذا يتأمل الدنيا بأسرها : ماضيها وحاضرها ، بعيدها وقريبها ، تخطر أمام عينيه فى موكب ملىء بالصور والالوان،ووجد فى هذا العرض لذة كبرى ، لانه من هذا النفر من الناس الذين وهبهم الله القدرة على العيش والاستمتاع الصحيح بما يسميه هو عادة « الوجود التافه على هذا الكوكب الصغير!».انه لم يكن من ضعاف النفوس الذين يخرجون عن الدنيا لانهم لم يوفقوا الى الاستمتاع بها ، وانما هو من هذا النفر القليل جدا الذين أتيح لهم أن يعرفوا الناس كما ينبغى أن يعرفوا ، وأن يصاحبوا تاريخ الانسانية مصاحبة الفنان الذى يتلذذ بكل ما يرى ويسمع ، وأن يطوف فى الدنيا من طرف لطرف ، ويستمتع بالحديث اللطيف على موائد نبلاء الانجليز ، وبالحكم البالغة على حصير رهبان الهند والصين ، وهو بعد قد مارس كل فن وشارك فى كل لذة عقلية،فاعتزاله الى قريته انما هو اعتزال العالم الفيلسوف الذى لا تخدعه الحياة وتمضى به فى تيارها فتصرفه عن نفسه وعن روحه فلا يستيقظ الا بعد فوات الوقت أو حين حلول الأجل ! وهو لا يعتزل ليقضى بقية أيامه فى كسل متصل مريح ، وانما لكى يستجمع أفكاره ويستدعى ذكرياته ، ويقصها علينا فى قوالب شتى : يطوف بنا الارض حينا ، ويجرى بنا فى مسارح الفن حينا ثانيا ، ويقودنا فى عالم الاديان حينا ثالثا ، أو يمضى بنا فى مواكب التاريخ حينا رابعا ، وهو لا يستصحبنا فى هذه الميادين استصحاب أهلها فيثقل علينا بالتعريف والاحصاء والتحديد والتعليم ، بل يرفق بنا لانه يعلم اننا ــ أبناء العصر الحديث ــ من قلة الصبر على الدرس ، ومن قلة القدرة على التأمل بحيث ينبغى ان يحتال علينا حتى نصغى ، ويحتال علينا حتى نتلذذ بما نفهم ونشارك فيه ونفيد منه

ولست أظن أن هناك حيلة ألطف ولا أدعى للفائدة من هذه التى لجأ اليها فى كتابه هذا ليعلمنا شيئا من التاريخ وشيئا من الحياة ، فهو لا يقص علينا قصصا متصلا دسما مخافة أن نثور به ونتوقف عن المتابعة . وهو لا يحول التاريخ الى رواية مليئة بالمغامرات

والتخيلات ، لان هذا النوع من التاريخ يفسد التاريخ ، واذن فصاحبنا يبدع أسلوبا طريفا فيه دسامة التاريخ الصحيح وخفة التاريخ القصصي . فهو يدعو الى مائدته جماعات من البارزين في تاريخ الانسانية في شتى النواحي ، وهو يدعوك أنت معهم ويدعك تراهم رأى العين ، وتستمع الى أحاديثهم . وربما جاذبتهم الحديث لو أحسست من نفسك الى ذلك ميلا ، وهو يخشى أن تكون سير هؤلاء الناس قد غابت عنك فيقدم لك قبل الدعوة شيئا يسيرا عميقا عن حياتهم وأعمالهم ومقامهم في التاريخ ، وهو ينتهز هذه الفرصة ليحدثك عن عصورهم وبيئاتهم حديثا فيه من الدقة وحسن الفهم ما يغنيك عن مطالعة المجلدات . وهو يبتكر بخياله الفياض ألوانا من الحديث بين هؤلاء الناس ، وأصنافا من الحوادث بينهم وبين ما ابتكروه من شخصيات في أعمالهم تدعك تفهم كثيرا جدا من أسرار ابداعهم الفني ، فهو يدعو شيكسبير وثرفانتز وموليير الى مائدة واحدة ، ويدير بينهم حديثا طليا فيه من الخفة وصدق الابتكار شيء كثير ، وهو يحرص أشد الحرص على ان يسمعك شكوى ثرفانتز من الدون كيخوته وشكوى شيكسبير من هملت ، ومتاعب موليير من مريضه الموهوم ، وهو لا يكتفي بذلك بل يجعل هؤلاء الاشخاص يناجي بعضهم بعضا ويعزي بعضهم بعضا ! وأي شيء أمتع من رؤية هملت يحاول أن يحسن عزاء المريض الموهوم ، وهو نفسه في حاجة الى من يعزيه ويقوي نفسه ، وأي شيء ألطف من رؤية الدون كيخوته يعدو على بغله المسكين يبغي منازلة أجنحة الطاحون في القرية الهولندية الجميلة !

وأنا أعترف معك أن في هذا الضرب من الكتابة اسرافا في الخيال ، ولكن فيه كذلك متعة كبرى وليس فيه ضرر . فأنت تعلم — على الاقل — انك تقرأ شيئا متخيلا ، فأين هذا من لودويج أو موروا ، وهما ينشئان أحاديث بين شخصيات التاريخ ، ويزعمان لك ان هذه الاحاديث قد دارت فعلا ، وهي — من أولها لآخرها — من ابتكارات الخيال وضروب التفنن ! وأين هذا من ليتون ستريتشي يقدم لك الملكة فيكتوريا كما يراها هو لا كما كانت وكما ينبغي أن تكون ؟

وأنت تذكر انني قلت لك انه رجل كريم ، فهو لا يدعو الناس الى مائدته ويقدم اليهم ما يشتهي ، بل يتكلف ان يقدم لهم ما يشتهون وما عرفوه في حيواتهم . وذلك مطلب عسير كل العسر ، لانه يتطلب الالمام بما كان الناس يأكلونه في كل عصر من العصور ! ولكن صاحبنا خبير بالطعوم والموائد وعنده منها دوائر معارف تسعفه بما يريد ، وله من العلم بتراجم هؤلاء الاشخاص ما يمكنه من معرفة أمزجتهم وعلل أبدانهم ، فيتخير ما يتفق مع هذه الامزجة وما لا يزيد هذه العلل . فقد كان موليير على ما نعرف ممعودا شقيا بأمعائه فهو يتخير له شيئا من السمك كمدخل للطعام ، ثم يعقبه بصنف قرأ في بعض الكتب أن موليير كان يحبه ، وهو طبق من الضأن مهيأ على أسلوب كان مألوفا على موائد لويس الرابع عشر . ثم هو يعرف بعد ذلك أن ثرفانتز كان يشكو من أسنانه فهو لا يطيق شيئا صلبا ،

فهو لهذا يقدم له شيئا لطيفا لا يعسر عليه مضغه ، وهكذا : لكل ضيف طعامه المحبب المألوف من الامبراطورة تيودورا زوجة جستنيان الى الادبة المعروفة اميلي ديكنسون ، ومن ارازمس الى كنفوشيوس ، يصيب كل منهم على مائدته ما يشتهي ، وينهض وهو « يتحدث بكرم الداعي ! » كما يقال في لغة المآدب عندنا ..

وهو لا يكتفي بالطعام ، بل يضيف اليه الشراب ، وذلك باب غريب عنا نحن المشارقة، لاننا أرحنا أنفسنا بشرب الماء نعبه عبا . واما الاوربيون فقد أصبح الشراب عندهم فنا من الفنون له أصوله وله قواعده ، فلكل ناحية شراب ولكل مائدة خمر ، ولكل ذوق مزاج من الخمور ، بل لكل صنف من الطعام ما يناسبه . وهنا يبدو صاحبنا استاذا في هذا الفن خبيرا بشأنه .. وكم وددت لو قرأ بعض أصحابنا هنا ممن يحسبون أنفسهم خبراء بالشراب شيئا مما كتب الرجل ، ليعلموا ان الشرب ليس معناه هذا الجلوس الغبي على ناصية الطريق أو في أركان المخادع ، والاحتساء النهم الجاهل كما يقول أبو نواس :

واسقني حتى تراني   أحسب الديك حمارا

***

وليس هذا كل شيء ، ان الرجل ليذهب في اكرام ضيوفه الى أبعد من ذلك ، فهو يعلم أن الولائم ليست مؤاكلة صرفة ولا مشاربة خالصة ، وانما هي مؤانسة قبل كل شيء . وهو يخشى ألا يستطيع هو وصديقه « فرتز » أن ينادما الضيفين كما ينبغي ، وهو لهذا يتكلف أن يدعو في كل مرة رجلا من أعلام النهضة الاوربية ممن عاشوا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وشاركوا في كل فن وعلم ، وعاشوا في كل قطر ، وكان لهم فضل على كل ناحية من نواحي النهضة الاوربية الانسانية : ذلك هو ديزيديريوس ارازمس ! ولست أحسب أن هناك رجلا كان يستطيع أن يصاحب اشخاص التاريخ كلهم، ويفهمهم ويؤنسهم بحديثه مثل ذلك الفيلسوف الكبير ، وكم كان الرجل موفقا في الوان الاحاديث التي أدارها بين ارازمس وسير توماس مور ، وبينه وبين الموسيقي باخ وبينه وبين ديكارت ولعل هذه الصفحات وحدها تقرر ما لهذا الكتاب الذي أقدمه لك من قيمة وما فيه من متعة

ولست أستطيع أن أصف لك كل هذه الولائم وما دار فيها ، لان هذا حديث يطول ، فعددها عشرون أو احدى وعشرون ، وأشخاصها يبلغون الخمسين فيهم شيكسبير وثرفانتز وموليير وأمرسون ، والملكة اليصابات ، وبوذا ، وبيتهوفن، ونابليون، وموزار، وأفلاطون وليوناردو دافنشي وغيرهم ، وانما سأكتفي بأن اصحبك في بعض هذه الولائم لتطلع على بعض ما يدور فيها ، ولتقف على أسلوب الرجل في اعداد هذا السمر البديع ..

— ١ —

لا مانع عندك ـ فيما أرجو ـ من أن نبدأ بهذه الوليمة الطريفة التي يدعو الرجل اليها ثرفانتز وشيكسبير وموليير ، لان هؤلاء الثلاثة معروفون لنا وقد طالت معاناتنا لمؤلفاتهم

ويعلن اليك يأسه من نفسه التي لا تريد أن تقبل الناس وتحبهم كما هم بعيوبهم وحسناتهم

ولكن ذلك لا يمنعه من الاعجاب بالدون ميجيل ثرفانتز سافدرا ، لان عبقريته ترغم الانسان على الاعجاب به ، وبؤس حياته يرقق قلوب الناس عليه ويحببهم فيه ، وهو بعد أن يفرغ من ذلك يعلن اليك انه لا يود أن يتساءل عن معنى اسم ذلك الاديب ، لان بحثه عن معاني أسماء الناس أدى به في كثير من الاحيان الى خيبة أمل لا ينساها . فقد كان يعجب بتولستوى أشد الاعجاب ، حتى دفعه التطلع مرة الى أن يكشف عن معنى كلمة « تولستوى » فعرف ان معناها « السمين » وهنا تلاشت من ذهنه الصورة الجميلة التي كان يتخيلها لهذا الاديب المصلح الروسي العظيم ، ولم يعد يذكره حتى تخطر له صورة رجل سمين مسرف في السمن فتمحو من نفسه كل خيال لطيف أو غير لطيف !

فاذا فرغ من هذه الدعابة الطريفة ، أخذ يقص عليك سيرة ثرفانتز ، فيذكر انه ولد سنة ١٥٤٧ ، وانه التحق بالاسطول الاسباني الذاهب لحرب الاتراك في سنة ١٥٧١ ، وان سوء الحظ أراد له أن يبلي في هذه الحرب بلاء طيبا ، فيكافئه الدون خوان قائد الاسطول بخطاب توصية كريم يطلب فيه الى أهل المملكة العناية بأمره واكرامه . أقول سوء الحظ لان هذا الخطاب كان فاتحة بلاء على الرجل ، وقد « تأتي الرزايا من وجوه المكاسب » ، كما يقول الشاعر العربي ! فقد وقعت سفينته اثناء العودة في يد القرصان الجزائريين ، واقتيدت بأهلها الى الجزائر ، وهناك وجد في جيبه ذلك الخطاب ، فلم يكد حاكم الجزائر يقرأه حتى أيقن أن في يده أسيرا ذا أهمية كبرى ، وانه يستطيع أن يطلب من الحكومة الاسبانية مبلغا طائلا فدية له ! ومن هنا كانت البلية ! لان الحكومة الاسبانية رفضت أن تدفع هذه الفدية الضخمة لجندي بسيط ، ولم يستطع أبواه دفعها لما كانا فيه من مسغبة ، فلبث المسكين تسع سنوات في هذا المنفى الشاق المؤلم ، وكان قد فقد ذراعه الايسر في الحرب فأصبح من العسير عليه والحالة هذه أن يعمل عملا يعينه على تحسين حاله . ولكن هذا الشقاء البالغ لم يكسر نفسه أو يزهده في الحياة ، فلا زال يطلب الفرار ويحاوله فلا يفلح فيه حتى يئست الحكومة الجزائرية من أمره وقررت بيعه في سوق الرقيق في القسطنطينية . وكأنما استحيت الاقدار أن تذهب في عبثها بذلك الرجل الجليل الى هذا الحد المهلك ، فقد وصلت فديته قبل اقلاع سفينة الرقيق الى القسطنطينية بأيام ، وأطلق سراح الرجل ، وعاد الى وطنه بعد تسع سنوات قضاها في قبور الاحياء !

لو أن هذا جرى على نفس ضعيفة لملأها يأسا ولصرفها عن الحياة صرفا ، ولكن نفس ثرفانتز لم تكن بالضعيفة ولا بالعادية ، فما هي الا قطعة من الصخر الصلد ترتطم بها أمواج الحياة وتعود متكسرة ، فهو لا يكاد يستريح في بلده فترة قصيرة من الزمن حتى يفكر في الالتحاق بالبحرية من جديد ! فاذا أعيته الحيلة في الانضمام لاحدى الحملات رمى بنفسه في عمل أشق من احتراف البحرية بمراحل .. ذلك هو احتراف الكتابة السياسية ، ذلك أن خدمة البحرية كانت تعرض نفسه للتلف بين الحين والحين ، أما الكتابة

السياسية فكانت تجعل رقبته رهن حبل المشنقة فى كل حين !.. وبهذا يكون ـ كما يقول فان لون ـ قد استبدل عبودية الاسر بعبودية أشد منها واكثر هوانا ، هى عبودية الفكر والروح ..

بيد أن هذا ـ على ما كان فيه من شقاء ـ كان مطلع سعده ، فقد ايقظ بهذا الاتجاه الى الكتابة عبقرية أدبية كانت نائمة فى نفسه تنتظر من يوقظها ، فلم يكد يمسك القلم ويجريه حتى أخرج للناس درة استلفتت الانظار على بساطتها وصغرها ، تلك هى قصة «جالاتيا» التى لا تزال تدرس وتتداول الى اليوم ، ولم يكد ثمنها يصل الى يده حتى أسرع ففتح به على نفسه بابا جديدا من المتاعب : ذلك انه تزوج ! ولم تكن المصيبة فى الزواج ، وانما فيما أتى بعد ذلك من الابناء يعقب بعضهم بعضا حتى عجز الرجل عن القيام بشؤونهم ، وأدركته الخصاصة التى كان قد أوشك أن يفلت من برائنها .. كأنما قد كتب عليه أن يظل حياته كلها نهبا للفقر والحاجة على رغم ما وهبه الله من عبقرية فريدة فى التاريخ !..

لم يمكنه قلمه اذن من القيام بشؤون نفسه وآله ، ففكر ـ كما نفكر نحن هنا ـ فى الالتحاق بخدمة الحكومة ، عسى أن يكون له فى راتب الوظيفة المنتظم ما يريحه من الفاقة ومتاعب الدائنين . ولكن هذا الامل لم يلبث أن تبدد ، لان العمل فى خدمة الحكومة الاسبانية فى أيام فيليب الثانى كان يستدعى خلقا وضيعا ونفسا ذليلة لم يقدر للاديب الكبير منهما نصيب كبير ولا صغير ، فحاول مرارا عديدة أن يحصل على وظيفة حاكم لاحدى المستعمرات الاسبانية فى أمريكا ، ولكنه لم يوفق ، وانتهى به الامر الى العودة مرغما الى عالم الادب والكتابة . ولما كانت آماله كلها قد خابت ولم يبق أمامه غير هذا الباب «الضيق» من العيش ، فقد وجه اليه كل همه عساه أن يبلغ منه ما خاب فى بلوغه من سواه ..

ولو قد استقرت به النوى عند هذا الباب لاستراح ، ولسعدت الانسانية براحته .. ولكنه كان شقيا يجرى سوء الحظ فى أعقابه ، فقد حاول التجارة ففشل وانتهى به الامر الى السجن مرات ، واضطربت حياته اضطرابا جعل من الصعب جدا تعقب آثاره فى هذه الفترة التعسة المظلمة من حياته ، فليس أمامنا الا أن ننتظر ظهوره على مسرح الحياة من جديد بعد سنوات ، فاذا بنا نجد اسمه على كتاب متوسط الحجم ، كان الناس يتناقلونه فى شغف ، ويرددون ما ورد فيه من حكايات فى مجالس سمرهم ، ويتساءلون عن مؤلفه . ولم يكن هذا الكتاب غير هذه السلسلة الرائعة من المغامرات التى قام بها فارس غريب الاطوار لا يكاد الانسان يتخيل صورته فى ذهنه حتى يغرق فى الضحك .. ذلك هو السيد السند والبطل الفرد الاوحد « دون كيخوته من أهل المنشا »، ولم يلبث أصحاب المطابع أن تهافتوا على الاديب المسكين يطبعون كتابه وينقدونه شيئا من المال يخفف به ويلات فقره ، وما هى الا فترة وجيزة حتى شاع اسم ثرفانتز وتسامع به الناس من لشبونه الى برشلونه ، ومن سان سباستيان الى قادش .. ذلك ان هذا الكتاب فاجأ عصره بما لم يكن أحد يتوقعه ، فقد كان الناس اذ ذاك مولعين بكتب الفروسية لا يعدلون بها شيئا ، وكانت

أيديهم تتبادل كتبا تفيض بالمغامرات التي يصدقها العقل حينا وينكرها أحيانا ، يقوم بها فرسان مثل أماديس دجاولا الذي هزم بمفرده جيشا فرنسيا كاملا ، وفتح باريس وثل عرش ملوكها ، وجرى بحصانه الى روما دفعة واحدة حيث قدم له ملوك ايطاليا فروض الطاعة ! . .

لو جرى ثرفانتز فى هذا التيار لاختفى من الوجود فى زحمه من اختفى من هؤلاء المؤلفين السخفاء ، ولكن العبقرية تأبى الا أن تمتاز ! فثرفانتز يخلق بطلا متحمسا هماما ولكنه انسان قبل كل شيء ، فهو لا يفتح البلدان ويهدم الممالك ، وانما يحارب الظلم والعدوان . ولكن كيف يحاربه وهو مسكين ضعيف لا يكاد يغلب أحدا فى مبارزة أو مصاولة ، كيف يهزم اللصوص وهو مسكين قد بلغت به السن مبلغا مجهدا . ذلك هو سر عظمة الكتاب ، فالدون كيخوته يتصدى لاهل الشر ويعجز عن مغالبتهم ، وينتصف للحق فلا يستطيع له حماية ، فتتلاحق به الهزائم والمآسى ، ويصور له خياله أعداء لا وجود لهم، فيمضى لحربهم ، فاذا أدركهم لم يجدهم شيئا . وحديثه مع اجنحة الطاحون معروف تستطيع أن تقيس عليه ، وقد حرص ثرفانتز وهو يقص هذه المغامرات الطريفة ، على أن يسخر من ثقلاء الابطال من امثال السيد القمبيطور واماديس دجاولا ، وقد وهبه الله ملكة فى السخرية تبعث الانسان على الضحك على رغمه ، فلم يكد الناس يطالعون هذا الكتاب حتى تبين لهم سخف ما كانوا ينفقون فيه أيامهم من كلام هو الى نفوس الاطفال أقرب ، جعلوا يضحكون من انفسهم ومن أبطالهم حتى اصبحوا يستحيون من قراءة هذه الكتب ! ذلك هو سر ذيوع الكتاب فى يومه . وكان ــ ككل عمل عظيم فى التاريخ ــ بدأ عصر جديد ونوع جديد وذوق جديد ، وأما سر خلود الكتاب فى كل عصر فهو هذا التصوير الرائع الذى صور به الأديب الكبير شخصيات كتابه ! . ومن منا لا يعرف دون كيخوته وسانشوا بانزا ودولثينيا ؟ من منا لا يعرفهم ولا يراهم رأى العين ؟ فأى عبقرية تلك التى تخلق من الوهم صورا وتبث فيها من اللحم والدم والروح ما يجعلها وكأنها من اشخاص التاريخ ، لا يجهلها عالم ولا جاهل . . ان ذلك لمجد لم يدركه غير شيكسبير فى بعض شخصياته مثل هملت ، ولهذا يقال ان مغامرات كيخوته هى أكثر الكتب تداولا بين أيدى الناس بعد الانجيل . .

ولكن هذا المجد كله لم ينج بصاحبه من آلام المسغبة ، فظلت المتاعب تتوالى عليه وترهقه من أمره عسرا ، ولم تأت المتاعب هذه المرة من الحكام أو من عامة الناس ، بل من الأدباء والشعراء! فقد روع لوب دى فيجا من ذيوع هذا الاسم الجديد وطيرانه على كل لسان، وكان لوب دفيجا مصنعا للروايات والمسرحيات حتى لينسب اليه منها ألفان ! وكان بعض رواياته يدور حول الفروسية والابطال ، فلم يكد يقرأ كتاب ثرفانتز حتى حسب الكلام فيه موجها الى شخصه ، فلم يلبث أن أعلن فى الناس أن دون كيخوته هو أسوأ كتاب يمكن أن يصدر عن ذهن انسان ! وأنه لمن عبث الاقدار بالنفس الانسانية أن يصدر مثل هذا الحكم من

رجل يعد فى طليعة رجال الأدب الاسبان ، بل فى طليعة رجال الادب فى تاريخ الفكر الانسانى كله ، ولكنها النفس الانسانية لا تفارقها طبائعها . ولم يكتف الادباء بهذا الهجوم الخطر ، بل عمد بعضهم الى تأليف روايات نسبوها الى ثرفانتز ، وكسبوا من ورائها الكثير، هذا والرجل يتضور من آلام الخصاصة والحاجة ! وأسرع أصحاب المطابع يعينون الادباء، فأخذوا يطبعون كتاب ثرفانتز من غير اخطار ولا استئذان ، حتى كاد اسم الرجل يضيع بفضل الادباء وماله يذهب بفضل أصحاب المطابع .. !

بيد ان الحق لم يضع بين الحسد والطمع ، فقد عرف الناس اسم ثرفانتز وأحبوه ، وأعجب الاسبان بكتابه عجبا بلغ بهم أن ادعوا أن دون كيخوتة ــ بمحاسنه ومساوئه ــ ان هو الا صورة حية للرجل الاسبانى بكل حالاته ، فهل رأيت تكريما أعظم من ذلك ؟ لقد أخرج هذا الرجل الذى قضى حياته بين السجن والحرمان صورة شعب كامل ، وذلك توفيق لم يقدر لاحد من رجال القلم ممن كانوا أحسن منه حالا وأسعد حظا .. بهذا الكتاب الواحد ، أخذ ثرفانتز مكانه بين الخالدين ..

وأخرج الرجل بعد سنوات الجزء الثانى من الكتاب ، فتلقاه الناس بقبول عظيم، وخيل له أنه أدرك آخر الامر الراحة التى طالما تمناها .. ولكن هيهات ! كانت هذه المتاعب كلها قد هبطت بقوة جسده فاعتل ، وقضى أيامه الاخيرة على سرير المرض لا يواسيه أحد ولا يعرفه أحد ، ومات فى ظلال النسيان فى ابريل سنة ١٦١٦ ميتة عرفها وسيعرفها كثير ممن لا يقلون عنه عبقرية ، نذكر منهم الموسيقيين موتسارت وشوبرت ..

ولست أحب أن أعيد على سمعك ما ذكره الرجل عن شيكسبير وموليير لانه ذائع عند كل الناس ، وانما لا بد أن أعجب بتقديره البالغ للمؤلف الفرنسى الكبير ، فهو يسخر من المجمع الفرنسى لانه رفض أن يقبل موليير بين أعضائه، ويسوقه ذلك الى السخط على المجامع العلمية فى كل مكان وفى كل زمان ، لأن « هذه المجموعات من الاحياء المتحجرة ! » كما يقول قد عجزت ــ برغم ما يزعم أعضاؤها لانفسهم من تفرد بالعلم والمعرفة ــ عن تقدير عبقريات من طراز الاديب السويدى كارل ميكايل بلمان ، والموسيقى النمسوى شوبرت والرسام الهولندى رمبرانت ، والرسام فان جوخ والموسيقى فردى ! ولو توقفت قيم أعمال الفن على تقدير أعضاء المجامع المبجلين لخسرت الانسانية معظم من يزدان بهم تاريخها ..

***

فاذا حان موعد العشاء فقد أقبل ثرفانتز فى صحبة شيكسبير ، وقد فاتنى أن أذكر أن الدعوة كانت ترسل على أسلوب ظريف حقا ، فقد اتفق الرجل مع صاحبه فريتز على أن يضعا أسماء من يختارونهم للعشاء تحت تمثال أسد جليل يقوم وسط قرية فير ، لان أهل القرية يزعمون أن هذا الاسد حارس الارواح، وانها تجتمع اليه كل ليلة لتتراءى وتتحدث وكان الاسد كذلك ملجأ لكثير من الملائكة الاطهار .. فيبدو أن صاحبينا كانا اذا وضعا

رقعتهما تحت التمثال لم تلبث الملائكة أن تحملها الى عالم الخلد ، وبهذا تصل الدعوة الى أصحابها على أسرع سبيل ، ولم يحدث أن اعتذر مدعو الا مرة واحدة ، وكان المعتذر بوذا ! ولم يعتذر تعاليا منه على الحضور ، وانما لانه كان قد ذهب قبل الدعوة بست واربعين سنة الى معتزله الروحي ليتعبد قرنا كاملا ! وقد أكد فى اعتذاره ان مدة تعبده اذا انقضت عجل بالحضور ، لانه لا يريد أن يحرم نفسه متاع الجلوس الى الآدميين، بعد هذا الانقطاع الطويل فى عالم الملائكة والارواح !

حضر شيكسبير وثرفانتز فى الميعاد ، وتأخر عنهما موليير بعض ساعة ، ولا أدرى لماذا ضن علينا المؤلف بحديث بين هذين العظيمين. لو فعل هذا لاتاح لنا لذة عقلية لا توصف. ولكنه لم يرد ، أو ان شئت فقل انه لم يستطع ، لان خيالنا مهما بلغ لن يستطيع أن ينشىء حوارا بين هذين العبقريين. ولكنه اذ يحرمنا هذا المتاع لا يضن علينا ببعض حوادث صغيرة وقعت للدون كيخوته الذي أبى الا أن يصاحب ثرفانتز فى رحلته على أن ينتظره فى ميدان القرية ، ولم يستطع ــ لوفرة نشاطه ــ أن يلبث ساكنا ، بل جعل يعابث الناس ويضايقهم ، فثاروا وكاد الامر أن يؤدى الى ما لا تحمد عقباه . . لولا أسراع ثرفانتز الى الميدان . . وكم كان ظريفا من المؤلف أن يصور لنا متاعب الاديب بهذا المخلوق الذى خلقه هو ، كم هو ظريف أن نسمع الخالق يشكو من المخلوق ! بلى ! وأظرف من ذلك شكوى موليير من مريضه الموهوم الذى لا يريد أن يشفى ، لقد وفق المؤلف حقا حينما جعل شيكسبير يستدعى هملت ــ ذلك المريض الخالد ــ ليعالج مريض موليير !

بيد أن ذلك كله ينتهى فى خير : يرضى السادة عما قدم لهم من طعام ، ويطربون لما أدار عليهم ارازمس من ألوان الحديث ، ويجد بعضهم فى بعض لذة وطرافة ، بل أن شيكسبير يأبى الا أن يودع الوليمة بخطاب رقيق يشيد فيه بعبقرية زميله ثرفانتز

وحينما انتصف الليل ، خرج ثلاثتهم واختفوا مع ابطالهم فى ظلام الليل الرهيب

— ٢ —

أما المأدبة الثانية التى نحضرها فتلك التى يقيمها فان لون لبيتهوفن ونابليون والجندى من جنوده الذين صاحبوه فى حملته المشئومة الى الروسيا ، ولست أدرى فى الواقع ما الذى دفعه الى أن يجمع بين بيتهوفن ونابليون على مائدة واحدة ، فان حب الموسيقى لم يكن مما يؤثر عن القائد العظيم، ثم ان بيتهوفن كان لا يكن فى نفسه أى تقدير لملكات هذا الكورسيقى الداهية ، بل انه أنكر عليه جنونه وغروره بنفسه كما أنكرنا نحن على هتلر مذاهبه فى الفكر والسياسة التى انتهت بنا وبه الى كوارث لا نهاية لها، فالجمع بينهما لا يطرب القارىء أو يتيح له من متاع الحديث ما يصبو اليه ، نعم كان نابليون كلفا بالحديث مجيدا فيه ، ولكن بيتهوفن لم يكن من المحدثين الممتعين بل لم يكن يتحدث أبدا ! لانه أصيب بالصمم خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة من حياته . ولكن فان لون وفق توفيقا طيبا فى اختيار

الشخصية الثالثة التى تحضر العشاء مع هذين العظيمين : اختار جنديا من جنود نابليون شقى بجنونه وخسر فى مغامراته شبابه وثلاثة من أصابع يده ، وأظن ان الذى جعل فان لون يختاره هو رغبته فى أن يشعر القائد العظيم بهول جريرته اذ يضعه جنبا لجنب مع احدى ضحاياه ، وتلك رغبة مفهومة من رجل من طراز فان لون ، فهو - كما يتبين من اسمه - هولندي الاصل ، وقد شقى الهولنديون بنابليون شقاء لا يعدله غير شقائهم بهتلر «نابليون عصرنا» ، ثم هو بعد ذلك أمريكى ، والامريكيون لا ينفرون من أمر نفورهم من الاستبداد وأهله ، فهم لا ينظرون الى نابليون كبطل بل كسفاح أساء الى الانسانية اساءات لا تغتفر . وكذلك ينظرون الى هتلر وصاحبه موسولينى : فقد رأيت آراء الشعوب مختلفة جد الاختلاف حول هذين الرجلين ، بل وجدت من الفرنسيين والانجليز من يعجب بهما ، ولكننى لا أعرف أمريكيا واحدا يضعهما فوق مستوى السفاحين والمجانين

فهذه الدعوة لا يقصد بها تكريم نابليون وانما يراد بها اثارة نفسه واشعاره بهول ما فعل . ولهذا نجد المؤلف يتحرى من الطعوم ما عسى أن يثير نفس غريمه العسكرى ، فهو يعلم أن نابليون قد غدر بالدوق دانجان وقتله قتلة تشمئز لها النفوس ، وانه كان لا يحب بعد ذلك أن يذكره أحد بهذا الدوق أو باسمه ، ولهذا يتعمد المؤلف أن يقدم له صنفا ينسب الى هذا الرجل التعس ، وصنفا من اللحم يحمل اسم الاديب الفرنسى شاتوبريان ، وهو يريد بهذا أن ينغص ضيفه باسم هذا الكاتب الذى لقى نابليون من عداوته شقاء بالغا . وهكذا يمضى فى تأليف قائمة طعامه تأليفا من شأنه أن يؤلم نفس المستبد الغاصب ، وكأنى به يجد فى ذلك لذة عظمى ، لانه يشعر فى نفسه أن السخرية بنابليون هى فى نفس الوقت سخرية بهتلر واضرابه . وقد كتب الرجل كتابه فى فترة بلغت كراهة الامريكيين فيها لهتلر مبلغا كبيرا

ولكن فان لون نسى أن اختيار الطعام على هذا الاسلوب ربما ضايق بيتهوفن العظيم ، فكان أولى به أن يهتم ولو بعض الاهتمام بما عسى أن يوائم ذوق الموسيقى الكبير . واستطيع أن أؤكد لك انه حاول فعلا أن يتخير للموسيقى شيئا يرضيه ولكنه لم يستطع ، فان بيتهوفن - على رغم عظمته وعلى كثرة ما كسب من المال - لم يكن من عشاق الطعام ولا المعنيين به ، انما كان يأكل ما اتفق له من غير كبير تدقيق ، ولدينا عن حياته الشىء الكثير ولكننا لانستطيع أن نعرف أى الصحون كان الى نفسه أحب وأى الاشربة كان أقرب الى ذوقه ، بل نحن لا نعرف أين كان يأكل عادة .. لان منزله كان من الفوضى وسوء الترتيب بحيث لم يكن العبقرى الكبير يرتاح للطعام أو للنوم أو للعمل فيه ..

ولست أجد فيما يقصه علينا المؤلف من تاريخ نابليون ما يستحق أن اشغل به وقتك ، فهو شائع فيما بين أيدينا من تراجم هذا القائد الكبير ، ولكننى أحب أن أعرض لك جوانب من حديثه عن بيتهوفن ، فهو طريف الطرافة كلها ، لان فان لون فيما يبدو لى من عشاق الموسيقى ، فهو يخص أهلها بأكبر جانب من عنايته ، وهو يبدى فى حديثه فهما طيبا لها ،

فحديثه عن بيتهوفن جدير أن يهيىء لنا متاعا طيبا . .

هنا نجد أنفسنا أمام رجل أسعد الدنيا بقدر ما أسعدها ثرفانتز ، واشقته الدنيا اكثر مما أشقت خالق الدون كيخوته ، فقد لقى ثرفانتز حرمانا بالغا ، ولكنه ظل حتى أواخر أيامه قادرا على الكتابة فكان فى هذا مفرج آلامه ومراح نفسه ، ولكن بيتهوفن منى منذ الثامنة والعشرين من عمره بأقصى ما يمنى به موسيقى : منى بالصمم ! تصور حسرة هذا الموسيقى الفريد وهو يشعر ان الصمت يشتد من حوله وانه لا يستطيع أن يسمع بأذنيه ما يكتب من النغم ! وليت هذا هو كل ما ابتلى به الرجل من متاعب هذا الوجود الارضى التعيس : لقد رزأه الله بأقارب كانوا أقسى عليه من قراصنة الجزائر بثرفانتز ! لم يدعوا له لحظة من الراحة يستمتع فيها ببعض ثمرات جهده وعمله ، بل كانوا ينفسون عليه ما يكسبه من المال كأنهم هم كاسبوه وهو « عالة » عليهم ! وكانت فى الرجل طيبة تأبى عليه أن يقذف بهم فى عرض الطريق ، فظل حياته كلها شقيا بهم لا يستطيع منهم فكاكا ، وربما حسبت من هذا أن الرجل كان ضعيف النفس أو عاجزا عن البطش ، فأحب أن أؤكد لك انه كان أبعد الناس عن العجز والذل والاستكانة ، وحديثه حين لقى الامبراطور فى الطريق معروف : لقد أبى أن يتنحى له ، وأبى أن يخلع له قبعته ، لانه كان يعتقد انه أفضل من الامبراطور وأعز مكانة! وأمره مع نابليون شائع كذلك : فقد كان أهدى اليه سيمفونيته الثالثة المعروفة بالايرويكا، ولكنه لم يكد يعلم ان نابليون قد توج نفسه امبراطورا ، وانه قد عبث بالمثل العليا للثورة الفرنسية حتى بادر فسحب اهداءه ، وجعلها هدية للابطال الصادقين الذين أعلنوا حق الانسان ثم لم يهضموه ذلك الحق بعد ذلك ، فعل هذا وأعلنه وهو يعلم ان نابليون كان اذ ذاك سيد الارضين لا يجرؤ على مناقشته انسان ! رجل كهذا لا يمكن أن يقال انه كان ضعيفا ولا عاجزا ، وانما كانت نفسه كموسيقاه يجتمع فيها من الرقة ما يجعلك تحسب وانت تسمعه انك تصغى لالحان ايطالية حلوة رقيقة ، ثم يقفز بك دفعة واحدة الى صور من النغم فيها من العنف والقوة ما لم يوفق اليه برامز أو بروكنر أو فاجنر نفسه ! كانت نفسه عالما حافلا جمع الله فيه بين عنف القائد العنيد ورقة الام الحنون . .

ولعل أروع ما فى حديثه عن بيتهوفن هو وصفه ليوم موته فى السادس والعشرين من مارس سنة ١٨٢٧ ، فقد ثارت على فينا عاصفة من المطر والثلج لم تشهدها من قبل ، وكأنما أبت الطبيعة الا أن تشارك الناس حزنهم ، وقد اختارت الطبيعة للتعبير عن حزنها نغما من أنغام بيتهوفن ! تخيرت الجزء الثانى من السيمفونية الروضية « الباستورال » ذلك الجزء الذى تثور فيه العواصف وتتعالى النغمات حتى كأن الانسان يشهد عاصفة حقا ، ولو قد شاء الناس اجمعون أن يكرموا بيتهوفن بأكبر مما كرمته به الطبيعة لما استطاعوا . . وأى شىء أعظم من أن يحييك الكون . . باسلوبك . .

فاذا آن وقت الوليمة فقد أبى نابليون الا أن يشوه علينا جمالها ، فهو يشغل الوقت كله بحديث عن مشاريعه ونياته وسياساته ، وهو يحاول جهده أن يقنعنا انه لم يرد بالناس الا

خيرا ، وانه لولا الانجليز لكان له مع الانسانية شأن آخر ، وهو لا يكتفي بالحديث ، بل يعمد الى العمل ، فيجعل من الخوان ميدانا للحرب ، ويصفف الاطباق والاواني مكان الفرق والجنود ، ويمضي يشرح معاركه وافكاره حتى يصدع رؤوسنا بهذا الكلام الذي لا خير فيه ، فما يكاد الليل ينتصف حتى نشعر بالراحة الكبرى اذ ينصرف هذا الرجل الذي لا يريد أن ينسى الحرب والمواقع حتى في الآخرة . .

— ٣ —

أما وليمتنا الثالثة فلا تقل خطرا ولا امتاعا عن السابقتين ، اذ أننا سنجلس مع اثنين من حكماء الدنيا وفلاسفتها ، أما الاول فأفلاطون ذلك الانسان الكريم الذي سايرت فلسفاته وكتبه الدهر وكأنها تزداد مع القدم جدة ، وأما الثاني فنبي الصين وحكيمها وفيلسوفها ، بل قل ارسطاليسها « كونفوشيوس » الذي هدى — وما يزال يهدي — ملايين من الناس الى معارج الانسانية العالية ، وضرب لهم بحياته الفاضلة مثالا لا يزال الناس يترسمونه منذ نيف وخمسة وعشرين قرنا . .

وليس فيما يقصه علينا فان لون من حياة افلاطون شيء جديد لا نعرفه ، لان حياة افلاطون كانت بطبعها حياة هادئة ليس فيها من المغامرات ما يستحق الذكر ، ولكن المؤلف وفق أعظم التوفيق في عرض آراء افلاطون في السياسة وتقريبها لفكرنا تقريبا لم أر له مثيلا عند غيره ، واليك اجمال ما يقول :

يبدأ فيسخر من مواطنيه الامريكيين الذين يرحلون لطلب العلم في أوربا ، وليس العلم في ذاته وجهتهم ، وانما أقصى ما يرجون من وراء الالتحاق بجامعات اكسفورد والسوربون وبرلين هو أن يصبحوا — اذا عادوا الى بلادهم — أعضاء في نوادي خريجي هذه الجامعات في البلاد الامريكية ! . . ويذكر أن اليونانيين القدماء كانوا اذا رحل أحدهم في طلب العلم تكلف في ذلك عناء بالغا وتكلف نفقات مرهقة ، وانهم كانوا — اذا وفقوا الى الانضمام الى حلقة استاذ — يقضون سنوات طوالا جلوسا على الارض في حدائق مكشوفة أو في منازل ليس فيها من الرفاهية شيء كثير ، وان أساتذة اليونان كانوا أكثر صراحة وحزما من أساتذة هذه الايام الذين يقبلون في حلقاتهم كل من هب ودب ويزودونه بعد وقت طويل بلقب « دكتور » لا يساوي في كثير جدا من الاحيان ثمن الورق الذي يكتب عليه ! . .

ثم ينتقل بالقاريء بعد ذلك الى الاكاديمي ، تلك الحديقة التي تنسب الى البطل اليوناني أكاديموس ، والتي تخيرها افلاطون ليلقي فيها دروسه في الفلسفة والسياسة والاخلاق ، وظل اسمها من بعد علما على كل مكان تعلم فيه الحكمة أو تدرس فيه العلوم . ثم ينتقل من ذلك الى محادثات افلاطون التي بقي لنا معظمها ، فيقرر لهذه المحاورات مكانها في تاريخ الفكر الانساني ، ثم يأخذ يعرض عليك ما يتصل منها بالسياسة ، فيذكر كيف ان افلاطون اهتدى منذ ذلك العصر السحيق الى ما زلنا نحن لا نعترف به وان كنا نعرفه : وهو ان

الاسراف فى الحرية يؤدى فى كثير من الاحيان الى الفوضى ، وان الفوضى تنتهى حتما بظهور مستبد ينتهز الفرصة فيجمع أزمة السلطان فى يده ويعسف بالناس عسفا شديدا .

وقبل أن يمضى فى استعراض ما اقترحه افلاطون من علاج لفساد المجتمع الانسانى يعوز لنا فى عجلة الاساليب التى اقترحها عدد كبير من المصلحين والمفكرين لاصلاح حال الانسان، فعيسى ـ عليه السلام ـ مثلا حل الاشكال بأن وضع مصير الانسانية فى يد خالق الكون يوجهه كيف شاء ، وسلك فولتير وجوناثان سويفت سبيل السخرية ، يكشفان للانسان بواسطتها عن عيوبه وآفات نفسه ، اما السير توماس مور ، فقد اختار ان يضع للانسان فى عشه بيضة عجيبة من الصين . . وقد سمى هذه البيضة «يوتوبيا» ! فظلت على الدهر غريبة على الطبع الانسانى ولم يستطع الافادة منها . وفضل ديكارت ان يحل المسألة حلا رياضيا فى حين سلك سبينوزا سبيل الاخلاق وكارل ماركس طريق الاقتصاديات يحاول علاج فساد المجتمع بدرسها واستكشاف اسرارها ، وهكذا كانت لكل شيخ طريقته كما تقول هنا . أما افلاطون فقد اهتدى الى ان كل جماعة انسانية تستطيع أن تنتظم وتحيا فى رضاء وسلم مع جيرانها اذا قام كل مواطن فيها بنصيبه من العمل على خير وجه يستطيعه ، فان ذلك خليق بأن يهيىء للامة أساسا قويا تستطيع ان تشيد عظمتها عليه ، ولما كان « نصيب كل انسان من العمل » مفهوما غامضا يستطيع كل انسان أن يفسره كما يشاء ، فان افلاطون يجتهد فى تحديد ما يريده من هذا القول ، وينتهى به الأمر الى حصر ما يسميه « الفضائل المدنية» فى أربعة أشياء ، أولها: عدل الانسان فى كل أعماله وأحكامه ، وثانيها: التقى، وثالثها: التعقل ورابعها : الشجاعة ، وهى التى تدفع الانسان الى النهوض فى بسالة للكفاح فى سبيل ما يراه حقا وما يرى فيه سلامة بلاده . لو استمسك كل مواطن بهذه الفضائل الاربعة لاستقامت له الامور وادرك ما يأمل من راحة ورخاء ، ولأحس كل امرىء بما أحس به امانويل كانت حينما تهيأ للقيام كل ما عسى أن تأتيه به الحياة ، ولقى الدنيا هادئا والسماء المتلألئة بالنجوم فوقه و « الواجب المحتم المطلق » ملء قلبه ! . .

واكتفى بهذا القدر مما يعرضه فان لون من فلسفة أفلاطون لانتقل بك الى كنفوشيوس . يبدأ فيذكر لك أن أمر الصين والصينيين حيره ، وانه اهتدى بعد درس طويل الى أن مصدر كل أديان الصين واخلاقها ومثلها العليا رجل واحد استطاع أن ينفث فى كيان الصين الشاسعة روحا ظلت تحيا به منذ خمسة وعشرين قرنا الى الآن ، اسم هذا الرجل كونج ـ فو ـ تس الذى سماه الاوربيون كنفوشيوس حينما اتصلت بهم أخباره بعد ألفى سنة من وفاته . .

ثم يقص علينا من حياة كنفوشيوس ما استطاع أن يجمعه بعد جهد وهو لا يختلف فى مجموعه عما تذكره دوائر المعارف وقواميس التراجم ، ولـكنه ينفرد بذكر ما كان بين كنفوشيوس وبين نبى الصين الآخر لاو ـ تسى منشىء مذهب التاوية من لقاء ، والتاوية عقيدة تقرر أن الانسان خليق ان يدرك السعادة الكاملة اذا هو اطاع القانون واتبعه مخلصا

راضيا ، وهى تستلزم من المخلوق البساطة المطلقة فى شتى نواحى حياته ، وهى فى هذا تلتقى مع فلسفات الانسانية كلها . ويذهب المؤلف الى ان لقاء كنفوشيوس مع لاو ـ تسى قد أثر فى نفسه وفى تفكيره اثرا بعيدا فأصبح هو الآخر يؤمن بقداسة القانون لا يعدل بها شيئا ، فلما اضطرته ظروف الحياة الى التجول فى البلاد أخذ يبشر فى رحلاته بآرائه فى النظام والفضائل الانسانية وطاعة القانون . وفان لون يعترف أن فلسفة كونفوشيوس بسيطة فى روحها ، بدائية فى مجموعها ، وان الانسان يشعر وهو يقرأ شيئا منها وكأنه يطالع مقالا فى الوعظ الدينى فى طبعة يوم الاحد من جريدة ريفية أمريكية ! ولكن هذه البساطة لا تهبط بتفكير هذا الحكيم الجليل عن مستوى العقائد والفلسفات الكبرى ، ويكفى أن يذكر الانسان ان ملايين من الناس عاشوا فى هديها عشرات المئات من السنين

* * *

ثم انتقل بك الى الوليمة نفسها ، فاذكر لك ان الرجل أحسن اختيار الطعام لضيفيه الكريمين على رغم صعوبة مثل هذا الاختيار ، فهو يقدر أن كنفوشيوس لا بد أن يكون من المحبين للارز أو من معتادى أكله على الاقل ، ولهذا فهو يتخير له شيئا منه مهيئا على الطريقة التركية ، وهو يقرر هنا ان البيلاف هو من أجمل ما خلف الاتراك للحضارة الانسانية ! وهو يستحسن ان يضيف اليه شيئا من الدجاج حتى يرضى عنه افلاطون ، وهو يكثر من الزيتون الى جانب ذلك لان قدماء اليونان كانوا يحبونه لا يعدلون بطعمه طعما آخر ، وقد تحير وقتا طويلا فى تخير الموسيقى لانه أراد أن يسمع الضيفين شيئا من الفلوت ـ آلة اليونان المحببة ـ وانتهى به الامر الى اختيار قطعة رائعة من باخ وهى : كونسير براندنبرج ، وهو يتخيرها لانها تهدىء اعصابه مما يصيبها من الاضطراب بسبب ما يتوالى عليه من اخبار أوربا النازية الحزينة

ولم يكن السمر سهلا بين هؤلاء الناس ، لان افلاطون كان يتحدث اليونانية ، فتولى ارازمس الترجمة ، ولهذا انفرد وقتا طويلا بمباحثة الفيلسوف العظيم فى مسائل التربية والدين والسياسة ، وقد حاول فان لون أن يشكو اليه متاعبه من العالم الحديث ، فجعل الفيلسوف يخفف من آلامه ويفيض عليه النصح الهادىء المنطقى ، ولكن كونفوشيوس لم يجد فى الحديث لذة خاصة ، فهو رجل يؤثر الصمت والاصغاء والتأمل ، ويبدو ان انغام باخ صرفته عن الجماعة وأحاديثها . .

— ٤ —

والآن الى مأدبة أخرى تختلف عن هـذه فى كل شىء ، ونحن بحاجة الى جو آخر يسوده شىء آخر غير التفكير المجهد العميق فى مصير الانسانية وطبيعة مجتمعنا التعس ، ومن من أعلام التاريخ يستطيع أن ينقلنا الى أجواء أخرى ليس فيها من الفلسفة شىء ، وانما فيها كثير جدا من العلم والفن ؟ من منهم يستطيع هذا أكثر من دانتى وليوناردو دافنشى :

فأما الاول فمعظم الناس لا يعلمون عنه أكثر من اسم قصيدته وان كان يخيل اليهم أنهم يعرفونه حق المعرفة ويفهمونه أحسن الفهم، وللناس فى ذلك عذر فان «الكوميديا الالهية» قصيدة عسيرة الفهم غريبة الروح ، وقد قدم الدهر بهـا وبقرنها الثالث عشر ، وشغلتنا أشعارنا الجديدة وفنونا المستحدثة عنها وعن صاحبها المجيد ، ولم يعد لدينا من الصبر ما يعيننا على الجلوس الى دانتى أياما طويلة نقرأ له وتستفتى المعاجم وكتب التاريخ .. ! وربما كان من الايسر أن لا نطيل الحديث فى حياته وفى قصيـدته ، وأن تنفق جهدنا مع ليوناردو لان عقله كان من الاتساع والشمول والابتكار بحيث تهيأ لنا ضروب شتى من المتعة ونحن ننتقل معه من تجربة لاخرى ..

بيد أننى أحب أن أنبه القارىء العربى قبل مغادرة دانتى الى شىء على جانب عظيم من الاهمية لنا ، ذلك أن علماء الاسبان قد أثبتوا بعد جهد طائل ان دانتى قد اقتبس فكرة الكوميديا الالهية من المسلمين وأحاديثهم عن العالم الآخر ، ولكن الخلاف اليوم يدور عن المصدر الرئيسى الذى نقل عنه دانتى : هل هو رسالة الغفران للمعرى أم الفتوحات المكية لابن عربى أو هو رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ..

ويبدو أن فان لون نفسه وجد لذة كبرى فى شخص ليوناردو ذلك المفكر الجليل الذى أهدته مدينة فنشى الصغيرة الى العالم ، فهو يعجب به رسـاما ويعجب به مثالا ، ويطرب طربا لا حد له حين يقرأ له كلاما عن النواصات والطائرات ، وحين يعثر له على مشاريع للرى وما الى ذلك ، والواقع ان ذلك الرجل كان من أعاجيب الزمان ، وقد خرج الى الدنيا فى فترة كفيلة بأن تبعث كل صاحب فكر الى الاجتهاد والابتكار ، هى فترة النهضة الاوروبية ، ولكن مؤلف الكتاب يلفت نظر القارىء الى حقيقة لا يتنبه اليها الكثيرون من طلبة التاريخ ، هى ان روح عامة الناس فى ابان النهضة لم يختلف كثيرا عما كان الحال عليه خلال العصور الوسطى ، وأن القوم فى ذلك الزمان لم يكونوا ــ كما نظن ــ مشغولين بأمر العلم والانسانية ، اذ الواقع ان تفكير النهضة انحصرت فى عدد قليل جدا من الناس كانوا معنيين بمصير البشر فبـذلوا ما أمكنهم من جهد فى ذلك السـبيل ، ولم تظهر نتائج جهودهم الا بعد زمن طويل ، أى حين ظهر على سطح الارض خلق جديد استطاع أن يقدر رجال النهضة قدرهم ويفيد من أعمالهم

كان ليوناردو من هـذا النفر القليل الذى أسعده الله بالحيـاة فى عصر كان الانسان يستطيع فيه أن يحيط بكل المعارف الانسانية الشائعة يوم ذاك اذا طلب ذلك واجتهد فيه ــ كما يقول فان لون ــ بخلاف ما نحن فيه فى أيامنا هذه من فيضان المعارف واتساع الآفاق اتساعا يضطر الانسان فيه الى أن يحمد الله اذا هو أتقن طرفا لا يذكر !

وقد كان ليوناردو سعيدا كذلك لانه وفق الى أناس يفهمونه ويقدرون عمله ، ويهيئون له الوسائل المعقولة للانتاج . أولهم حاكم فلورنسة لورنزو دى مديتشى الذى يعرف عادة بلويس المورو أى لويس المراكشى أو الأفريقى ، وكان ليوناردو قد ذهب اليه فى سفارة

فأعجبه واستبقاه عنده ، فأخذ يتشاغل فى أوقات فراغه برسم لوحة « العشاء الاخير » وهى قطعة فنية قدر لها الخلود أبد الدهر . وأنفق معظم وقته فى هندسة أبنية فى ميلان ، ووضع مشاريع لشق القنوات وتحسين حالة الرى فى السهل الايطالى الشمالى الشديد الشبه بسهلنا المصرى ، ثم خطر له أن ينحت تمثالا للامير ممتطيا صهوة جواده ، وقد ذهب به الطموح الى أن يجعل ارتفاعه ستا وعشرين قدما ، فكانت النتيجة أنه لم يتم منه الا جانبا يسيرا أراد له القدر العاثر أن يذهب هو الآخر بددا بعد ذلك بقرون، لان نفرا من الجند كانوا معسكرين حوله فحلا لهم أن يتخذوا التمثال هدفا يتمرنون عليه، فقضوا برصاصهم العابث على ما أخرجته يد الفنان القدير . . .

ولم يكن هذا هو كل ما فعله فى هذه الفترة ، انما وجد سعة من وقته ليبحث ـ ويؤلف أيضا ـ فى التشريح فى الطب وفى صناعة السفن ، بل أخذ يتأمل الطيور وهى تحلق فى الفضاء ليبتكر شيئا يركبه الانسان ويطير . وقد وفق الى تركيب طائرة لا تختلف عن أولى الطائرات فى كثير ، ولو كان لديه محرك صغير لاستطاع الطيران !. . ودعاه أحد الاشراف ليرسم صورة زوجته فلم يلبث أن أخرج للناس درة فنية أخرى هى الموناليزا المعروفة بالجيوكوندة نسبة الى زوجها زانوبى دل جيوكوندو . .

ودعاه فرانسوا الاول ملك فرنسا فى أخريات أيامه ليستعين به فى بعض أعمال هندسية فنية ، فخف اليه . وكان الملك الفرنسى فخورا به محتفيا بمقامه ، ولكن هذا العبقرى شقى بعلة تقرب مما شقى به بيتهوفن : ذلك أن يده اليمنى أخذت تضعف عن العمل ، وأخذ يجد نفسه عاجزا عن الرسم والنحت والهندسة ، فحاول أن يستعين بيده اليسرى فأجهده ذلك كثيرا وان لم يمنعه من العمل . وعاد الى ايطاليا آخر الامر فلم يزل ماضيا فى محاولاته وبحوثه حتى صعدت روحه الى بارئها فى ربيع سنة ١٥١٧ وقد استحق أن يكتب على قبره تلك العبارة الطريفة التى يقترحها فان لون : كما ينتهى يوم أحسن قضاؤه بنوم جميل ، كذلك تنتهى حياة أحسن قضاؤها بموت سعيد !

وكان الرجل قد هيأ لضيفيه طعاما قدر أن يجلب الى نفسيهما شيئا من السرور ، ولم يكن الامر سهلا ولا هينا ، ذلك بأنه لم يستطع أن يقدم لهما شيئا من المكرونة لانها لم تكن معروفة فى ايطاليا فى عصرى الضيفين ، فانتخب لهما أشياء فرنسية، وتعمد أن يضيف اليها شيئا من الطماطم ! وقد تعمد ذلك على رغم أن هذه الثمرة الجميلة لم تعرف فى العالم القديم الا بعد أن جلبها المستكشفون الاسبان من العالم الجديد ، ومن الطريف أن الناس استخدموها للزينة سنوات طويلة لانهم كانوا يحسبون فيها شيئا من السم ! وأما الشراب فلم يتكلف الرجل فى اختياره جهدا خاصا ، لانه يعرف أن الايطاليين ليسوا بذوى ذوق خاص فى الشراب ، فكلهم مغرمون بنوع من النبيذ قريب الشبه جدا من الحبر الاحمر يسمونه الكيانتى . . !

فاذا كانت الليلة المعينة للعشاء فقد أقبل كل من الضيفين بمفاجأة لطيفة . فأما دانتى فلم

يجب أن يأتي وحده ، فقد اعتاد صحبة فرجيل الى حد لم يستطع معه أن يفارقه لحظة، وهو لهذا يستصحبه معه الى هذه الوليمة من غير سابق انذار ! وأما ليوناردو فقد استحسن ان يستغل فرصة هبوطه من السماء ليجرب آلة الطيران التى كان قد وضع تصميمها ، فراع القوم ان يروا قاربه المجنح يخترق الفضاء

ويبدو أن الطعام لم يعجب الضيفين ، ولا الحديث ، وانما اطربتهم الموسيقى ، فقد سمعوا من موتسارت كثيرا ، وأراحوا أنفسهم بذلك من عناء الكلام فى الشعر والفن والعلم والتاريخ ، وانصرفوا آخر الليل سعداء بهذه الرجعة القصيرة الى دنيا الناس بعد النومة الطويلة فى دنيا الأموات . .

— ٥ —

تلك لمحات يسيرة مما يقدمه لك هذا الكتاب ، وقد بذلت وسعى حتى أوفق الى اظهارك على ما يعرضه علينا من سعة العلم وشمول المعارف ، والكتاب ضخم فسيح تقرب صفحاته من التسعمائة ، ولكنه من الحياة والطرافة بحيث تنقضى هذه المئات من الصفحات ولا يكاد يشعر الانسان بشىء من الملل ، لان للرجل اسلوبا من الحديث خليق أن يصرف الانسان عن وقته ، فهو لا يتعالم ولا يتفاقه وانما يتحدث حديثا بسيطا مرسلا . وله الى جانب ذلك سخرية هادئة لا يسلك فيها طريق فولتير فيهاجم فى قسوة تؤلم الخصم وتثير الغضب ، ولا يذهب مذهب برنارد شو فيعبث بأقدس الاشياء عبثا ، بهلوانيا ، يصيب الهدف مرة ويخطئه مرات . وانما هو سخر أقرب ما يكون الى الدعابة البريئة الساذجة : فهو اذا سئم من شىء قال لك ان هذا الشىء اثقل على النفس من قصيدة للورد تنسون ، وهو اذا استسخف طعاما قال لك انه اسوأ من طعام فنادق الأرياف فى انجلترا . وهو يذكر لك كيف ان الحكومات لا تتردد فى استشارة الاخصائيين فى مسائل الأخشاب والفحم والتراب ، ثم هى لا تفكر فى استشارة فيلسوف كبير أو كاتب ذى شأن لعلاج مسائل الحياة الانسانية . وهو لا يكف من أول الكتاب الى آخره عن السخرية بنفسه وبقومه الأمريكيين الذين ينصرفون عن كل ما يتصل بالثقافة العالية العميقة قانعين بما هم فيه من حضارة آلية ، سعداء بما يصيبونه من لذة اذ يرقصون رقصهم الصبيانى المضحك ، مطمئنين الى نظام سياسى لا بأس به وان كان لا يخلو من عيوب

عرض وتلخيص : **حسين مؤنس**



« يكفى أن تكون موقعة العلمين التى كانت نقطة التحول بين الهزيمة والنصر ، قد دارت رحاها فى داخل حدودنا ، وان اسباب النصر ووسائله وجحافله فى تلك المعركة ، قد سارت فوق أديم هذه البلاد ، وأعدت عدتها بكل دقة وطمأنينة فى جو يسوده الامن وتبادل الثقة، ليكون لمصر الحق كل الحق ان تطالب الآن بالجلاء فورا دون تقيد بأية معاهدة »

حديث الجلاء

بقلم الأستاذ محمد رفعت بك

ولدت فكرة الجلاء فى الساعة التى نزل فيها أول جندى بريطانى بأرض الوطن ، وقد سجلتها الحكومة الانجليزية اول ما سجلتها بتاريخ ٣ يناير سنة ١٨٨٣ فى أول منشور دورى بعث به لورد « جرانفيل » وزير خارجية الحكومة الانجليزية الى سائر الدول عقب احتلال البلاد ، قال فيه : « انه اذا كانت القوات البريطانية لا تزال باقية بمصر فى الوقت الحاضر لحفظ النظام والسلام العام بها ، فان حكومة جلالة الملكة لترغب فى سحب قواتها بمجرد ما تسمح بذلك حالة البلاد وتفرغ من تنظيم الوسائل التى من شأنها توطيد سلطة الخديو »

وقد شاءت الحكومة الانجليزية ان تظهر للدول زهدها وتجردها من أى مطمع ذاتى لها فى مصر ، فدعت قبل ارسالها حملتها الحربية كلا من فرنسا وايطاليا للاشتراك معها فى انزال قواتهما بمصر ولو لمجرد الدفاع عن القناة ، فرفضت فرنسا استخدام القوة ضد مصر رغم انها اشتركت مع انجلترا فى المظاهرة البحرية أمام الاسكندرية ، وبذلك اضاعت فرنسا على نفسها وعلى مصر ايضا فرصة نادرة لحراسة وادى النيل من ان تستأثر به انجلترا

اما ايطاليا فاعتذرت بلطف ، واعتبرت دعوة بريطانيا لها تفضلا منها وكرما ما برحت ايطاليا تذكره لبريطانيا بالشكر والعرفان بالجميل طوال عهد الاحتلال

وكان مؤتمر الدول المنعقد فى ذلك الوقت فى القسطنطينية للبحث فى المسألة المصرية ، قد دعا تركيا لارسال قواتها الى مصر لتهدئة الفتنة العسكرية ، وتجددت دعوتها عقب ضرب الاسكندرية . ولكن تركيا تباطأت كعادتها وتعثرت فى سياستها الخارجية ، وانقضى الوقت فى مناقشات سخيفة مع السفير البريطانى وفى معارضات عقيمة كانت انجلترا فى اثنائها تعد العدة لارسال حملتها وحدها الى مصر . وعلى ذلك انفردت انجلترا بانزال قواتها فى البلاد ، وسرعان ما تم لها الفوز على العرابيين ، وخلا لها الجو للعمل دون أية رقابة تستحق الذكر سواء فى الداخل أو فى الخارج

ومع ذلك فقد احس الانجليز فى أول الامر انهم فى قلق مستمر ومركز غير مستقر ،

فهم لم يدخلوا البلاد فاتحين حتى يستطيعوا اعلان حمايتهم عليها أو ضمها الى أملاكهم . وكل ما هناك انهم جاءوا من تلقاء انفسهم باعتبارهم حلفاء أو أصدقاء للسلطان وللخديو ، لقمع الفتنة العرابية واستتباب الامن والنظام فى بلاد حبتها الطبيعة بمركز جغرافى فذ على ناصية المضيق الذى يوصل بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندى ، حيث الهند ألمع جوهرة فى تاريخ الامبراطورية البريطانية . وكانت الحكومة الانجليزية فى ذلك الوقت برياسة مستر غلادستون زعيم الاحرار الذين نادوا بحرية التجارة ، وقالوا بنصرة مبادىء الحرية والديمقراطية ، فلم تشأ الحكومة ان تنقض مبادىء الاحرار علنا وتتحدى الدول صراحة فتنشىء فى مصر حكومة استعمارية على غرار حكومة الهنـد ، وكذلك لم يرق لرجال الحكومة ان تفلت منهم فرصة قد سنحت لتثبيت أقدامهم فى نقطة استراتيجية عالية عظيمة الخطر بالاضافة الى أمن الامبراطورية وسلامتها

لذلك نشأ فى مصر ذلك النظام الحكومى الاحتلالى الذى يظهر غير ما يبطن ويبطن غير ما يظهر ، فتركوا الحكومة الخديوية تتمتع فى ظاهر الامر باستقلالها وامتيازاتها الداخلية وفق الفرامانات السلطانية الممنوحة لها ، وجعلوا المعتمد البريطانى فى الوقت نفسه يجمع فى يديه بواسطة المستشارين والمفتشين الانجليز من السلطات الادارية والتنفيذية والتشريعية ما شل به جميع السلطات الشرعية فى البلاد ، وجعله شبه ملك غير متوج عليها

***

وكان من مظاهر هذه السياسة ان المحتلين كانوا يعملون فى البلاد كأنهم مخلدون فيها ، فى حين كان رجال الحكومة الانجليزية لا ينفكون يذكرون ويعيدون ويكررون فى منتدياتهم وأحاديثهم وأمام العالم أجمع ، ان الاحتلال فى مصر مؤقت وان الجلاء آت لا ريب فيه

١ ــ وجاءت أول مناسبة رسمية للمفاوضة بشأن الجلاء فى اغسطس سنة ١٨٨٣ قبل نهاية العام الاول للاحتلال ، وكان على رأس الحكومة فى ذلك الوقت الوزير الوطنى الاول شريف باشا . انتهز فرصة ارتباك الحكومة الانجليزية بشأن سياستها نحو مصر ، وطالب رسميا بضرورة تقليل القوات البريطانية التى تحتل البلاد ، حتى لا ترهق بنفقاتهم ميزانية الحكومة وهى اذ ذاك فى حالة تقرب من الافلاس . وكان عدد هذه القوات فى أول الامر سبعة آلاف جندى يكلفون الخزانة العامة زهاء نصف مليون جنيه فى العام ، فطلب الوزير تخفيض عددهم الى ألفى جندى . وكانت الحكومة الانجليزية قد عينت السير افلن بارنج Evelyn Baring « لورد كرومر » معتمدا وقنصلا عاما لها فى مصر ليقوم بتنفيذ سياسة الاحتلال الجديدة ، فاستطلعت رأيه فيما تقدمت به الحكومة المصرية . فكتب « بارنج » وكان فى بدء حياته السياسية فى الثانية والاربعين من عمره يحبذ فكرة الجلاء ، ويقول انه قـد استشار الخبراء العسكريين وأدى بهم البحث الى انه لا خوف البتة من جلاء جيش الاحتلال عن القاهرة وتخفيض عدده الى ثلاثة آلاف جندى يكون مقرهم الاسكندرية . ولم يشأ

بارنج ان يعين تاريخا لانسحاب جيش الاحتلال نهائيا ، لانه لم يكن قد مضى عليه فى عمله الجديد سوى شهر واحد ، ولان فكرة الجلاء التام لم تكن قد اختمرت بعد

وكان جواب لورد جرانفل وزير الخارجية سريعا وصريحا فى موافقته على جلاء جنود الاحتلال عن القاهرة وتركيز اقامتهم فى الاسكندرية مع تخفيض عددهم الى ثلاثة آلاف رجل

ولكن مما يدعو للاسف ان حدث قبل الشروع فى تنفيذ هذا القرار ، أن وصلت الى مصر أنباء كارثة حملة « هكس باشا » امام المهديين فى السودان ، اذ بادت الحملة عن آخرها أو كادت — وكان عددها عشرة آلاف مقاتل — وسط غياهب الكردفان وغاباته وقفاره ، وبات الناس يتوقعون بعد هذه الكارثة زحف الجموع المهدية على الخرطوم وتهديد حدود مصر الجنوبية نفسها . وعلى ذلك اقتضت سياسة الحيطة والخوف من خطر المهدية ترك جيش الاحتلال على ما كان عليه دون تغيير فى عدده أو مقره — وتأجلت فكرة الجلاء لاول مرة حتى وقتنا هذا

وليس من شك فى ان ظهور الثورة المهدية فى السودان ، وتعرض النظام المصرى الذى أقامه الخديو اسماعيل فى تلك الارجاء الشاسعة للانهيار ، وبدء تحول اتجاه السياسة الانجليزية الاستعمارية نحو السودان — كل ذلك كان من أهم العوامل التى جعلت بريطانيا تنأى تدريجا عن فكرة الجلاء عن مصر ، وتأخذ اهبتها حتى تسنح لها الفرصة المواتية للسيطرة على منابع النيل كما سيطرت على قناة السويس ، وكلاهما تعتبره بريطانيا شريانا حيويا بالاضافة الى امبراطوريتها . ومن هنا تتضح لنا أسباب تمسك بريطانيا بالدفاع عن القناة ، ذلك انها تعلم ان سيطرتها فى افريقية — لا مواصلاتها الى الهند فحسب — هى التى ستتعرض للخطر متى انسحبت قواتها من مصر

***

٢ — وسنحت الفرصة الثانية للمفاوضة بشأن الجلاء فى سنة ١٨٨٤ وجاءت المفاوضة فى هذه المرة على يد الحكومة الفرنسية التى وضعت مسألة الجلاء عن مصر فى مقدمة أهدافها السياسية الدولية . وظلت ترعى سياسة الجلاء وتناصرها حتى شغلت فرنسا بمصالحها فى شمال افريقية ، وتم الاتفاق الودى بينها وبين انجلترا فى سنة ١٩٠٤ فرضيت انجلترا أن تمد نفوذها فى مراكش مقابل ان تترك يدها حرة فى مصر

ففى سنة ١٨٨٤ اشتدت حاجة الحكومة المصرية الى المال لسد نفقات التعويضات التى تخلفت عن حوادث الاسكندرية وغيرها ، ولتجهيز الحملات الحربية فى السودان ، ولانشاء بعض أعمال الرى الضرورية لرخاء البلاد . ولما كانت موارد الحكومة محدودة بقانون تصفية الدين الذى وافقت عليه الدول ، فقد اضطرت الحكومة الانجليزية الى دعوة الدول الى مؤتمر يعقد فى لندن للبحث فى موضوع المالية المصرية . فلما بلغ أمر هذه الدعوة الى

فرنسا ، أرادت ان تنتهز هذه الفرصة لتحقيق غرضها فى جلاء الانجليز عن مصر ، فاشترطت لقبول الدعوة الى المؤتمر البحث فى مسألة الجلاء مع الموضوع المالى . وعلى ذلك تبادلت الحكومتان المكاتبات فى هذا الشأن ، وقد ذكر لورد جرانفل فى خطاب له الى الحكومة المصرية: «انه يرى من العسير تحديد موعد للجلاء فقد يكون التاريخ الذى يحدده بعيدا أو قريبا . غير ان حكومة جلالة الملكة رغبة منها فى ازالة كل ريبة من حيث نياتها فى هذا الصدد ، تعد بأن تسحب قواتها من مصر فى أوائل عام سنة ١٨٨٨ بشرط ان تقتنع الدول بأن انسحاب الاحتلال لا ينجم عنه احداث أى تأثير فى حالة النظام والسلام فى البلاد . واضاف اللورد الى ذلك انه متى تم الجلاء تعتزم حكومة جلالة الملكة ان تقترح على الدول وعلى الباب العالى أن تكون مصر حكومة محايدة على غرار حكومة بلجيكا »

وما ان ظفرت الحكومة الفرنسية بهذا التصريح ، حتى نسيت فرنسا مصلحتها السياسية وتفرغت لمصالحها المادية ، فلما اجتمع المؤتمر للبحث فى الحالة المالية واقترحت الحكومة الانجليزية تخفيض فائدة الدين العام من اربعة فى المائة الى ثلاثة ونصف ، عارضت فرنسا وتشددت وتشبثت بموقفها حتى انفض المؤتمر دون أية نتيجة . ولما عاد المؤتمر الى الانعقاد فى السنة التالية ، أقرت الدول عقد قرض جديد بضماناتها مبلغ تسعة ملايين من الجنيهات بفائدة قدرها ثلاثة ونصف فى المائة تفريجا للازمة المالية بمصر . وعلى ذلك انتهى الامر بأن سحب مستر « غلادستون » ولورد « جرانفل » تصريحهما السابق الى الحكومة الفرنسية بشأن تحديد تاريخ الجلاء عن مصر . وضاعت على مصر فرصة ثانية للتخلص من الاحتلال، لان فرنسا آثرت ان تضحى بكسب دولى لا شك فيه ، من أجل فائدة مادية لا تكاد تذكر الى جانب سمعتها الدولية

***

٣ ـ اما المناسبة الثالثة التى جرت فيها مفاوضات رسمية بشأن الجلاء فجاءت فى سنة ١٨٨٧ وكانت حكومة الاحرار قد استقالت وخلفتها حكومة المحافظين برياسة لورد سالسبورى . ومع ان السياسة الخارجية التى تتبعها الحكومة الانجليزية لا تتغير عادة بتغير الاحزاب التى تتقلد الحكم ، فان المحافظين أرادوا ان يخففوا من حدة الجو الدولى ، وأن يصلحوا ما أفسده احتلال مصر فى العلاقات بينهم وبين تركيا ، فقرروا ارسال بعثة على رأسها سير « هنرى درمند ولف » لمفاوضة الباب العالى بشأن تحديد تاريخ الجلاء الانجليز عن مصر . وكان على السير « درمند » ان يزور تركيا ومصر ، ويتفق مع مندوبى السلطان على تسوية المسألة المصرية واعادة السكينة والسلام الى ربوع السودان . وقد ظن الانجليز ان لسلطان تركيا من النفوذ الدينى والروحانى ما يجعل المهدى واتباعه يستمعون الى نصحه، وفاتهم ان ثورة المهدى كانت موجهة ضد السلطان والخديو ورجالهم جميعا ، وان الثورة فى السودان بعد كارثة هكس باشا قد أصبح لها من الشأن والقوة والذيوع ما لا سبيل الى قمعه الا بالقوة . وعلى ذلك طوى موضوع تهدئة السودان ، وتركزت جهود البعثة فى

البحث فى المسألة المصرية ، وقد بدىء العمل بتعيين مندوب سام لتركيا بمصر هو الغازى مختار باشا ، وجعل المندوبان الانجليزى والتركى يجتمعان بالقاهرة ، ثم انتقل المندوب الانجليزى الى القسطنطينية وأخذ يفاوض مندوبى السلطان بشأن جلاء القوات البريطانية وتعيين وقت مناسب لذلك . وأخيرا وقع المفاوضون على اتفاق عقد فى مايو سنة ١٨٨٧ اتفقوا فيه على ان تنسحب القوات البريطانية من مصر بعد انتهاء ثلاث سنوات من تاريخ توقيع الاتفاق . فاذا ظهر بعد انقضاء تلك الفترة ان هناك خطرا يهدد طمأنينة البلاد وسلامتها سواء جاء الخطر من الداخل أو من الخارج ، فان جلاء الجنود البريطانية يؤجل حتى يزول الخطر وبعدها ينسحب الاحتلال . وقد نص فى هذا الاتفاق على ان لكل من تركيا وبريطانيا حقا فى اعادة احتلال البلاد اذا دهمها أى خطر ، وانه متى هدأت الحال انجلت الجيوش المحتلة عن البلاد، وكذلك نص فى الاتفاق انه بعد انسحاب القوات البريطانية واقرار الحكومتين للاتفاق ، يطلب الى باقى الدول ان تنضم الى الاتفاق وان تضمن حيدة الاراضى المصرية وسلامتها

وعلى ذلك ما كادت تصل تفاصيل الاتفاق الى علم الدول ، حتى أبدت كل من روسيا وفرنسا معارضة شديدة لمواده ، وتقدمت الحكومتان تحتجان لدى السلطان على فحوى الاتفاق ، وتطلب اليه عدم اقراره ، وقد قال السفير الروسى فى احتجاجه ان الاتفاق معناه تضحية بحقوق السلطان والنزول عنها مجانا لانجلترا . وقالت فرنسا ان الاتفاق من شأنه ان يصحح مركز انجلترا فى مصر ، ويجعله مركزا شرعيا تصبح بمقتضاه شريكة لتركيا فى مصر . وجعلت الحكومتان تشددان الضغط على حكومة الباب العالى ، حتى اضطر السلطان الى اهدار كرامة مندوبيه بعدم اقراره للاتفاق ، وغادر المندوب الانجليزى القسطنطينية وهو بادى الغضب خالى الوفاض بعد ان قضى سنتين فى مداولات ومناورات عديمة الجدوى

واذا كانت بعثة « وولف » قد باءت بالفشل فيما يخص قضية الجلاء ، فان انجلترا قد أفادت منها ايما فائدة ، لانها لم تعد بعد ذلك تقيم وزنا لاعتراض الدول على احتلالها مصر ، فها هى ذى قد وقع مندوبها على اتفاق مع مندوبى السلطان بشأن انتهاء الاحتلال ، ولكن السلطان نفسه قد رفض التوقيع منقادا فى ذلك الى رأى الحكومتين اللتين كانتا تعارضان السياسة الانجليزية فى مصر وهما فرنسا وروسيا

***

وعلى اثر ذلك انتهجت انجلترا فى مصر خطة حاسمة لا تردد فيها ولا هوادة ، فقد اهملت موضوع الجلاء وأودعته زوايا النسيان ، تاركة عناكب الاحتلال تنسج حوله خيوطا استعمارية رفيعة دقيقة الصنع حادة الملمس ، تدمى اليد التى قد تمتد اليها . وظلت انجلترا جادة فى عملها بمصر حتى قام الاتفاق الانجليزى الفرنسى ، فاطمأنت اليه وتفيأت ظلاله

ناعمة البال فترة من الزمن، حاسبة ان التقدم المادى الذى نعمت به البلاد فى عهد الاحتلال سيطغى دواما على القيم الادبية المعنوية للرجال ، فينسون تاريخ بلادهم وجهاد آبائهم واجدادهم فى سبيل تحريرها من حكم الاجنبى . ولكن ما كادت الحكومة الفرنسية تتنكر لقضية الجلاء وتنفض يديها من المسألة المصرية ، حتى استيقظت البلاد على صرخة مصطفى كامل الوطنية واستفاقت الى وعيها القومى ، فقام الوطنيون يجاهدون معتمدين على جهودهم الذاتية ، فأسسوا الحزب الوطنى ونشروا دعاية الدستور والجلاء فى طول البلاد وعرضها، حتى اذا قامت الحرب الكبرى ونشر الرئيس ولسون مبادئه الاربعة عشر واعلنت الهدنة، كان المصريون قد حزموا أمرهم وجمعوا كلمتهم بزعامة سعد زغلول فقامت حركة سنة ١٩١٩ ، وبدأت المفاوضات على قدم المساواة بين مصر وانجلترا لاول مرة فى تاريخ مصر الحديث ، وكان موضوع الجلاء أول المسائل التى تناولها المفاوضون

وأخذت المفاوضات تتابع بين البلدين تتصل مرة وتنقطع أخرى ، حتى أعلن الملك فؤاد الاول استقلال البلاد فى سنة ١٩٢٢، وعقدت معاهدة الصداقة والمحالفة بين مصر وانجلترا فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ . وقد نصت المعاهدة على انتهاء الاحتلال الانجليزى ، ولكن جاء فى المادة الثامنة من المعاهدة انه « الى ان يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها ان يكفل بمفرده حرية الملاحة فى القناة وسلامتها التامة ، يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك الامبراطور بأن يضع فى الاراضى المصرية بجوار القناة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القناة » وحدد عدد هذه القوات بعشرة آلاف جندى و٤٠٠ طيار

***

وقد قبلت مصر المعاهدة على ان حقوقها بقية لم توف بعد ، وانها لن تألو جهدا فى سبيل تكميلها . وجاءت الحرب العالمية الثانية فى اعقاب المعاهدة، فانتصرت مصر لقضية الديمقراطية وآزرت حليفتها بكل ما فى طاقتها وبجميع مؤسساتها ومواردها ، بدرجة فاقت ما قدرته بريطانيا ، وأدهشت العالم بما وصلت اليه مصر فى ظلال الاستقلال من تفوق فى الاستعداد والنضج السياسى . ويكفى أن تكون موقعة العلمين التى كانت نقطة التحول بين الهزيمة والنصر ، قد دارت رحاها فى داخل حدودنا ، وان اسباب النصر ووسائله وجحافله فى تلك المعركة ، قد سارت فوق أديم هذه البلاد ، وأعدت عدتها بكل دقة وطمأنينة فى جو يسوده الامن وتبادل الثقة وقوة الايمان بانتصار المبادىء الديمقراطية ، ليكون لمصر الحق كل الحق ان تطالب الآن بالجلاء فورا دون تقيد بأية معاهدة — ان لم يكن اعترافا بحق مصر الازلى على ارضها داخل حدودها — فاحتراما لميثاق هيئة الامم المتحدة ، ووفاء من بريطانيا لوعود قطعتها على نفسها مرارا منذ أكثر من ستين عاما . .

محمد رفعت



الخوف من المرض ادعى لعجز صاحبه عن العمل من المرض ، اذ انه يحمله الى الاعتكاف فى فراشه ، ويتوهم انه مريض وان دلت جميع وسائل الفحص الطبى والبكتريولوجى على خلوه من المرض . غير ان التناقض فى تصرفات هؤلاء فى حياتهم اليومية ، يفضح حالتهم ويدل على بعدهم عن المنطق . فهم يشكون بمرض من أمراض القلب مثلا ولكنك تراهم يعملون طيلة النهار فى الحديقة أو الحقل بغير انقطاع . ويشكون بضيق الصدر فى بيوتهم ، ومع ذلك يشتغلون فى دور أعمالهم بغير ان يبدو عليهم شىء من هذه الظاهرة . ويشكون من قرحة فى المعدة فى المنزل ، فاذا ما أتيح لهم تناول الطعام فى الخارج أكلوا بشراهة ملء بطونهم

ومما يعزز هذه النظرية ان الكثيرين من المرضى يبدو عليهم المرض أمام طائفة معينة من الناس ، وتبدو عليهم مظاهر الخلو منه ، اذا ما كانوا بعيدين عنهم . مثال ذلك الشاب الأعزب ، قد يبدو مريضا أمام والديه ، سليما وهو بعيد عنهم . والمتزوج قد يبدو مريضا أمام زوجه ، صحيحا بعيدا عنها

قد تحب الزوجة زوجها ، وتفرط فى هذا الحب . . ولكن مرضا وهميا ، لا يجد له الطبيب سببا عضويا ، يحيل حياتها ظلاما دامسا ، بغير ان تدرى . ان مثل هؤلاء المرضى الاصحاء غريبو الاطوار . فهم يستطيعون ان يحبوا أو يكرهوا فى آن واحد ، وان يشفقوا ويقسوا فى آن واحد . ولذا يطلق عليهم علماء النفس صفة مزدوج الرغبة ambivalent وبهذه الصفة المزدوجة يقدر الناس حبهم واشفاقهم ، ويلتمسون الاعذار لكراهيتهم وقسوتهم ، لانهم يعزونهما الى المرض — وهو لا وجود له فى عالم الحقيقة

ان الخوف من المرض ينشأ عادة فى الطفولة ويكون سببه الوالدين غالبا . وخوف المرض هو الصلة المتينة التى تربط الطفل بوالديه . وعند ما يشب ، يصبح هذا الخوف حجة يتذرع بها للاعتماد على والديه ، ويتوسل بها ذريعة للتواكل والعجز عن العمل فى الحياة بدونهما . وهذا ما نشاهده كثيرا فى أولئك الذين لا يستطيعون الانفصال عن ذويهم وأفراد أسرتهم والعمل مستقلين ، وأولئك الذين يعودون الى والديهم وذويهم يطلبون العون كلما صادفتهم فى الحياة عقبة ، متخذين المرض وسيلة لاستجداء العطف منهم ، بغير ان يعلموا ان المرض لا وجود له الا فى خيالهم

وكثيرا ما يبالغ الوالدون فى مراعاة النظافة ويخيفون أطفالهم من كل ما يشتم منه التعدى على قوانين النظافة ، فيشب الاطفال على الخوف من المرض الى حد يوقعهم فى مخالب المرض

وكثيرا ما يكون سبب المرض مدى تقدير صاحبه لذاته ، فالرجل الذى يعتقد انه أخفق فى عمله أو انه دون زملائه وأقرانه ، يستولى عليه الحزن والكمد فيقع فريسة للداء

وثمة فريق من الناس يستمر فى طفولته مدى الحياة ، أى انهم لا يتجاوزون فى تفكيرهم ما يبلغه أطفال فى الخامسة أو السادسة من أعمارهم أو أكثر من ذلك بقليل . ومنهم من ينضجون بدنيا وعقليا ولكنهم يبقون فى سن الطفولة وجدانيا

***

ان الرجل ليحتج بشدة اذا ما قيل له انه لا يزال طفلا ، ولكن قل من يأبى ان يكون متواكلا معتمدا على غيره ، أو أن يكون مركزه الاجتماعى وضيعا لا يليق به ، وذلك بسبب الاصابة بداء وهمى لا يدركون انه وسيلة لهذا التواكل والاعتماد على الغير

ومن الناس من يكون تفكيره مركزا برمته فى جسمه ، وبذا يصبح دائرة معارف أمراض متحركة . فقد يكون مصابا فى عضو واحد من جسمه مثلا ، ولكنه دائم الشكوى من أمراض يخيل اليه أنها تنتاب اليوم هذا العضو ، وغدا ذاك . واذا ما استيقظ صباحا خيل اليه انه منهوك القوى ، فيأخذ فى دراسة ضروب النشاط التى قام بها بالامس دراسة دقيقة كيما يقف على سر هذا التعب . وهو يجد عادة أكثر من سبب يعزوه اليه

ويحتمل ان يكون السبب أى شىء فى الوجود ، كأن تكون قطعة من الحلوى أكلها فى عيد ميلاد أخته ، وان يذكر انه سبق فأكل مثلها من سنوات مضت ومرض بسببها . وقد يكون السبب وقوفه فى الترام ، أو اكتشاف عيب فى حذائه الجديد ، وهكذا يخلق سببا لكل عارض من أعراض المرض . وبمرور الايام تتراكم الاسباب المؤدية لكل مرض . ويصبح كل شىء عدوا لجزء من أجزاء جسمه ، وتصبح البيئة بأسرها مدعاة لاصابته ، الشمس والمطر والحرارة والبرودة والريح والضغط الجوى والربيع والخريف ، وبالايجاز يصبح كل شىء داعيا للمرض

هؤلاء يتلمسون الاذى لابدانهم وعقولهم معا ، فيغمضون عيونهم عن مواهبهم ومزاياهم ، ويهولون فى عيوبهم ونقائصهم . يحطون من قدر أحكامهم الصائبة ، ويبالغون فى عيوب أحكامهم الطائشة ، سواء أكانت مالية أم دينية أم اجتماعية ، وسواء أكانت خاصة بالمهنة أم الزواج أم أى شىء آخر ، وبتعبير آخر يلقون على أنفسهم وشاحا من مركب النقص . بيد انه بجانب كل شعور بالنقص ، بدنيا كان أو عقليا ، يوجد شعور بالكمال ، اذ رغم انه لا يفاخر أو يتباهى أمام الغير ، فانه يعتقد انه ملم بما يضر الجسم وينفع ، من حرارة وبرودة ، وان نقطة من هذا الدواء أو ذاك تحدث أثرا معينا فى الجسم ، وان كل تغير فى عامود الزئبق فى البارومتر ، وكل اختلاف فى نسبة الرطوبة فى الجو ، لها آثار معروفة لديه . ويعتقد انه يعرف جيدا متى يلبس الملابس القطنية ومتى يلبس الصوفية تبعا للاحوال الجوية

وهو فى نظر نفسه فى المنزلة الثانيـة وغيره فى الاولى ، ويرجع ذلك الى انه ينظر الى نفسه كما كان طفلا ، يعتمد على والديه فى طفولته . هو مريض بالنوروستانيا التى تتغلغل كالسرطان فى كل شخصيته

وما العلاج ؟ العلاج يبدأ فى الصغر . ليتجنب الوالدون تشجيع الضعف فى الطفل ، وليتعدوا عن الاسراف فى تدليله والسهر عليه ابان مرضه ، اذ بذلك يخلقون فيه عقلية مرضية ، أى يوجهون ميوله الى خشية المرض وشدة التفكير فى آثاره ، ويخلقون منه طفلا مستديما ، متواكلا معتمدا على غيره

***

ولنتأمل هنا فى واقعة حال بطلها شاب لنكن اسمه « س » . كان نحيفا بعض الشيء ولكنه كان فى نظره أنحف بكثير مما هو ، ولذا كان يحاول بكل وسيلة اخفاء هذا العيب فيه . وقد تمكن فى فترة التلمذة من الحصول على شهادة طبيب أعفى بها من مزاولة الالعاب الرياضية والسباحة وغيرها . وقد ظهر ان العيب كله راجع الى أمه ، فقد كانت تبالغ فى تدليله حتى خلقت منه « بنتا » ، أطلقت شعر رأسه ، وتباهت بخصله المدلاة على خديه الى ان بلغ التاسعة من عمره ، وشجعته على ان يلعب بالعرائس كما تلعب البنات الى ان جاوز السابعة عشرة . وكانت أمه هى التى أوحت الى الطبيب ان يمنحه الشهادة التى بها عوفى من الالعابّ الرياضية ، لوهمها ان ابنها كان بطبيعته رقيق الجسم ، رقيق المزاج . وهى خلة عرفناها فى كثير من الامهات ، وكثيرا ما كن سببا فى تمارض أطفال أصحاء أقوياء بطبيعتهم . وكل طبيب لا يتآمر مع مثل هاتيك الامهات ، ولا يشهد ان الطفل ضعيف البنية وانه عرضة للمرض ، يحكم عليه بالجهل . على ان الطبيب اللبق قوى الشخصية ، يستطيع ان يضع الامور فى نصابها . لقد جاز « س » الامتحانات المدرسية جميعها بتفوق ، ولكنه عاش « مريضا »

ومن هؤلاء البؤساء من يجمعون بين الطفولة والرجولة فى آن واحد . ولنضرب لذلك مثلا فى واقعة حال بطلتها الشابة « ص » . كانت فى سن الطفولة ميالة بطبيعتها للظهور فى كل مظهر من المظاهر ، فى اللعب ، والمأكل ، والملبس ، والحديث ، والاعلان عن نفسها ، والمباهاة والزعم بأنها تفوق كل من سواها . وكانت كلما قلب لها الدهر ظهر المجن شكت من آلام وأمراض وهمية ، أوحى بها اليها العقل الباطن ، حتى يكون حجة فى يديها تثبت بها انها سبب هزيمتها أو تفوق الغير عليها . وهذا عين ما كانت تلجأ اليه فى كبرها ، كلما لم تأت الرياح بما لم تشته السفن . وكانت تلجأ الى الاطباء لتعزيز حجتها ، رغم تأكيدهم خلوها من المرض . وبالرغم من ان الاصدقاء من الجنسين كانوا يحوطونها بالرعاية ، فانها لم تستطع ان تنزع نفسها من والديها ، ولكنها داومت الاعتماد عليهم فى كل كبيرة وصغيرة ، وبذلك جمعت بين الطفولة والكبر

(عن مجلة « ساينس دايجست »)

«مذهبى فى الحياة صبر جميل هل ينجى من البلاء عويل
لم أضق بالحياة ذرعا ، وعندى بسمات للخطب ، وهو جليل»

جحا : شيخ الفكاهة

بقلم الأستاذ كامل الكيلانى

منذ خمسة عشر قرنا تنقص بضعة عقود ـ أعنى تنقص عشرات قليلة من السنين ـ ولد «خرافة» ذلك القاص العربى المخضرم البارع الذى عاش فى العصرين: الجاهلى والاسلامى

وكان «خرافة» ـ فيما يقول عارفوه ـ طرافا وصافا ، بارع المقال ، رائع الخيال : يروى للناس عجائب من أخبار العفاريت والجن وطرائفهم وملحهم ، ويقص عليهم من ذلك غرائب معجبة يزعم لمعاصريه أنها حدثت له

وأعجب بأحاديثه كل من سمعها واشتدت فتنتهم بها حتى نسبوا اليه كل طريف من الحديث تسترعى الأسماع غرابته ، وتبهج النفوس براعته . وما زال ذلك دأبهم الى اليوم . وأصبح اسم «خرافة» مرادفا لكل حديث خيالى جذاب لا حقيقة له ، وكاد الناس ينسون أن «خرافة» علم على شخص بعينه ، عرف الناس وعرفوه ، وألفهم وألفوه

ثم مضى القرن الأول ، ومضى معه «خرافة» ومعاصروه وانطوى بانطوائه محدث بارع ، لم تبق لنا من روائعه المستفيضة الا سطور كأنما بقيت على الدهر ، وغالبت أحداثه ، لتشعرنا بمقدار ما منى به تاريخ القصص العربى من فجيعة لا مثيل لها ، بفقدان أمثال هذه الكنوز الفكرية التى لا تعوض

***

ثم جاء القرن الثانى ، ومعه هدية من أنفس الهدايا الفنية التى يعتز بها عالم الفكاهة والمرح ، فكان من مولوديه شيخ السخرية العربية ، وامام الفكاهة الشرقية : «أبو الغصن دجين بن ثابت» الملقب بجحا

وقد لقى السيد جحا من التقدير والاعجاب فى القرن الثانى من الهجرة مثل ما لقى سابقه «خرافة» مَن قبل ، ولم يقل شأنه عن صاحبه : تقديرا ، واعجابا ، ونباهة ذكر ، وبعد صيت

وأعجب الناس بأسلوبه السهل الممتنع فى فهم الحياة ، كما أعجبوا بما سمعوا به من طرائف وملح

واشتد اعجابهم به فخلعوا لقبه ـ كما خلعوا لقب سابقه «خرافة» من قبل ـ على كل

عجيب من القول وطريف من الحديث . وأصبح للقصص الجحوى خصائصه وميزاته ، كما أصبح للقصص الخرافى ـ من قبله ـ بدائعه وخيالاته

وأضاف بعض الناس الى طرائفه كثيرا من مخترعاتهم وفنون مبتدعاتهم ـ كما صنعوا بألف ليلة ـ حتى تعذر التمييز بين الاصول الجحوية ، والمحاكاة المروية . لا سيما بعد أن اختلطت بفكاهات أشعب وأبى دلامة والبهلول ومن اليهم من أعلام الدعابة العربية

وهكذا أسند الناس الى جحا كل طريف من الملح وعجيب ، فكاد يصبح ـ كما أصبح خرافة ـ علما على فن بعينه من فنون القول بعد أن كان علما على شخص

فلما جاء القرن السابع الهجرى حمل معه ـ فيمن حمل ـ علما آخر من أعلام الفكاهة الشرقية واماما من أئمة الدعابة التركية هو : « الاستاذ نصر الدين » وقد عاش فى عهد السلطان « أورخان » وعمر ـ فيما يقولون ـ ستين عاما أو قريبا

وذاع أمر الاستاذ نصر الدين ، وراجت دعاباته ، ولقى من الحظ مثلما لقى صاحباه : خرافة وجحا من قبل . ولما كان لقب استاذ بالتركية هو لفظ « خوجه » حوله النقلة الى جحا ، لتقارب اللفظين وتشابه الرجلين ، وقد كدنا نقول : تطابق الشخصيتين

وما لبث الاستاذ « نصر الدين » أن استأثر ـ بعد موته ـ بلقب جحا وكاد يستأثر بكل طرائفه وملحه فلا يبقى له منها شيئا جل أو حقر

وأعلنت بعض المجلات مكافأة لمن يبعث اليها بطريقة مروية عن الاستاذ « نصر الدين » أو « نصر الدين خوجه » أو جحا التركى ، فراح الناس ينقبون ويغيرون على نفائس الملح حتى نسبوا اليه جهرة من الطرائف العربية وغيرها فلم ينج من غاراتهم كتاب كليلة ودمنه وبوكاتشو والف ليلة . أما قصص « أبى الغصن دجين بن ثابت » فلم ينج منها الا القليل .

ثم تنازعت الامم كثيرا من القصص الجحوى نصا ومزيدا ، وناقصا ووافيا ، وأمينا ومحرفا ، ومبتدعا ومشوها ، وأسندته كل أمة الى جحاها

وكما أسند القصص الجحوى الى جحا التركى ، معزوا الى الاستاذ « نصر الدين »أسند مثله أو قريب منه الى « جحا الفارسى » ممثلا فى « طلحة » و « جحا الارمنى » معزوا الى « ارتين » ، وجحا الانجليزى ممثلا فى « بات » مرة وفى « سمبل سيمون » مرة أخرى وجحا الالمانى ممثلا فى « هرماجوش » وجحا الفرنسى ممثلا فى « ماريوس » تارة وفى « مسيه دى لاباليس » تارة أخرى ، وفى دوق سان سيمون تارة ثالثة . وليست شخصية « دون كيشوت » الا لونا مبدعا لشخصية جحا كما يتمثلها الاسبان

وقلما تخلو أمة من مثال ـ قريب أو بعيد ـ لهذه الشخصية المرحة الطريفة

وقد طوع القصاصون كثيرا من الطرائف الجحوية وفصلوا منها أنماطا فكرية ألبسوها عرائس أفكارهم وآرائهم

ولم تلبث الفكرة الجحوية على مدى الازمان واختلاف الامم التى تناقلتها أن تشكلت بألوان العصور والامم التى قبستها ، كما يتلون الماء بلون الاناء الذى يستودع فيه

وقد غـلا بعض الناس فكاد يلحق « الجحين » العربى والتركى بالاولياء والاطهار والقديسين الابرار . وغلا آخرون ، فكادوا يتمثلون كليهما آية من آيات الغفلة والبله ، ومثلا من أمثلة الغباء والحماقة ، وتمثلهما آخرون نموذجا للخداع والتدليس

ومهما يكن من أمر ، فقد كان كلا الجحين ذكيا بارعا راجح العقل ، يتغابى فى غير غباء ، ويتباله فى غير بله ، ويمكر فى غير خبث ، ليخلص من كيد الكائدين وبطش المعتدين

وقد لخصت الابيات التالية شعار الاول ، أعنى شعار « أبى الغصن دجين بن ثابت » المعروف بجحا العربى ، رأيه فى الحياة أبدع تمثيل . واليك الابيات :

مذهبى فى الحياة صبر جميل	هل ينجى من البلاء عويل
لم أضق بالحياة ذرعاً وعندى	بسمات للخطب وهو جليل
لا أرى فى الوجود الا جمالا	كل ما فى الوجود حسن أصيل
أضمر الصفح والمحبة للنا	س اذا ما أساء باغ جهول

وهو بهذا يلتقى مع فلسفة الأستاذ نصر الدين خوجه أو جحا التركى كما يسمونه ، الذى اتخذ شعاره فى الحياة قوله :

مذهبنا أن تسلى بالحياة
بما نلاقى من سرور وأذاة
فالكون محبوب بهيج ما حواه
وما نرى الا جميلا ما نراه

على أن كلا الجحين كان كما يقول فيلسوف المعرة :

اذا سألوا عن مذهبى فهو بين	وهل أنا ، الا مثل غيرى أبله
خلقت من الدنيا ، وعشت كأهلها	أجد كما جدوا ، والهوكما لهوا

فقد عبر عن مذهبهما أبدع تعبير ، وان كان يفصله عن كل منهما زهاء قرنين من الزمان بعد مولد أولهما ، وقبل مولد الآخر منهما ــ وكأنما ألهم أولهما المعرى قوله :

ان جد عالمك الارضى فى نبأ . يغشاهم ، فتمثل جدهم لعبا

لقد تشابه الجحيان ــ كما أسلفت فى هذه الوجازة ــ كما تشابه الموز أو البرتقال ، فى رأى بعض الشعراء حين قال :

. . . .	فالفم ملآن بـه فارغ
سيان قلنا مطعم طيب	فيه والا مشرب سائغ

تشابه الرجلان ، وامتزجت آثارهما حتى أصبحت كلمة جحا كافية للتعبير عن أحدهما . فلا عجب اذا اجتزأ بهذا اللفظ من يعرض للحديث عنهما ، اقتصادا للوقت ، واختصارا للبحث فى التفاصيل والشروح

كامل كيلانى

قضى كاتب هـذا المقال أكثر من عشرة أعـوام لا ينى عن التحدث عن الكسل والقاء المحاضرات عنه . وعنده أن خير وسيلة للفوز فى معركة الحيـاة هى أن يكون المرء كسولا



الكسل نوعان : كسل جسمانى ، وهو ذلك الفتور الذى يعترى الانسان فلا يقوى على الحركة بسهولة ، بل يميل كل الميل الى الخلود والى السكينة ، وقد يكون هذا ناشئا عن مرض أو ضعف فى احدى الغدد ، أو يكون ناشئا عن الطقس وخاصة فى المناطق التى ترتفع فيها درجة الحرارة فى أيام الصيف ارتفاعا يقتل فى المرء كل نشاط . اما النوع الثانى فهو الكسل العقلى ، وهو ذلك الركود الذى يصيب حركة المرء الذهنيـة ، فلا الكاتب يجد فى نفسه الاستعداد الفكرى للكتابة أو التفكير ، ولا الفنان يواجد فى نفسه تلك القوة الخلاقة لالوان الفنون الجميلة . ولهذا ولغيره من الاسباب عد الكسل عيبا من العيوب التى يعاقب من أجلها الطالب فى مدرسته ، وينتقص من كرامة الرجل فى عمله ، ويسوء مركز المرأة بين لداتها

وقد يبدو عنوان هذا المقال غريبا ، ولكن الكاتب الامريكى المحبوب « وليم هازلت ابسون » وهو من أقدر الكتاب الامريكيين وارفعهم مكانة خرج علينا بهذا الرأى ، وقد يكون من المدهش حقا أن يكون صاحب هـذا الرأى من كبار المؤلفين ، ولا يغيب عن القارىء مبلغ الجهد الذى يبذله المؤلفون فى اخراج كتبهم وكسب ثقة القراء وتقديرهم . ومن الحكمة ان نقف على وجهة نظره فى هذا الرأى حتى نحكم له أو عليه

الكسل ، فى رأيه ، مرض شائع بين فريق كبير من الناس ، وهو عبارة عن الخوف من العمل والنشاط أو الرغبة فى البعد عنهما كلما وجدوا الى ذلك سبيلا . وقد قضى الكاتب شطرا طويلا من حياته فى دراسة الكسل ، اذ انه يعد نفسه مصابا به من أيام طفولته وهو يتمنى أن يسدى النصح للمصابين به عسى أن يجدوا طريقا لعلاجه

وليس أدل على اهتمامه بموضوع الكسل وشغفه بدراسته دراسة واسعة ، من انه قضى أكثر من عشرة أعوام لا ينى عن التحدث عنه . وعنده ان خير ما يصنعه المرء أن يحصل على أكبر مرتب من وظيفته دون أن يكلف نفسه أى عناء ، وهذا حلم يتمنى كثير من الناس تحقيقه ولو انه لا يتفق مع كبر الهمة فى شىء ، ولنضرب لذلك مثلا ذلك الكاتب الذى يكد ذهنه ويرهق أعصابه ليضع بحثا علميا عميقا يحتاج الى اطلاع واسع وتحقيق دقيق فى حين ان زميلا له لا يعالج الا الموضـوعات السطحية ككتابة قصص قصيرة .

ولا شك فى ان الاخير كان أحسن حظا من زميله فى نظر المستر ايسون

ودعى مرة لالقاء بعض المحاضرات على جمهور مستعد لدفع مكافأة طيبة لقاء استماعها، ولم يتردد فى قبول الدعوة وأخذ فى التجول فى انحاء البلاد الامريكية ، ملقيا نفس المحاضرة التى ألقاها فى المرة الاولى ، وما ذلك الا لان المستمعين فى بلد كانوا غيرهم فى بلد آخر وهكذا . ومما يدعو الى الدهشة ، ان لم يكن الى الضحك ، ان هذه المحاضرة التى ألقاها فى طول البلاد الامريكية لم تكن الا تلك المقالة القديمة التى كتبها عن الكسل ونشرت منذ مدة طويلة ، حتى انه كان من المحقق ان اكثر المستمعين قد نسى ما جاء فيها، فى حين انه قد حفظها عن ظهر قلب من كثرة القائها

وكان من سوء حظه ان اعلان الحرب بعد اعتداء اليابان على الاسطول الامريكى فى بيرل هاربور ، قد صرف المستمعين عن الاهتمام بمحاضرته ، اذ ان ما يصلح لزمن السلم لا يصلح لزمن الحرب . فلم يعد من الصواب التحدث عن الكسل ومزاياه فى وقت يجب على كل مخلص لوطنه ان يعمل بهمة للمساعدة على انتصار أمته على اعدائها

ولقد حفزه هذا الى العمل على تغيير محاضرته للتدليل على خطئهم فى لومهم اياه . ولكن الحقيقة ان التكاسل اذا احسن أداؤه ، يكون اكثر ضرورة فى أيام الحرب منه فى أيام السلم . وهو يقرر هذا الرأى ويقدر أهمية ما يقول ، اذ انه كان جنديا فى المدفعية فى الحرب العالمية الاولى وقد أتيحت له فرص عدة لملاحظة تفوق الجنود الكسالى كرجال محاربين ، ولاهمية هذا الرأى بالنسبة لسياسة الدفاع القومى أورد القصة الآتية لتأييد رأيه :

كان ايسون أحد أفراد فرقة المدفعية التى كلفت بالهجوم على سان ميهيل فى سبتمبر سنة ١٩١٨ ، وقد اتبعت خطة السير ليلا لتجنب هجوم الطائرات الالمانية عليها ، وكانت المدافع تجر فى تلك الايام بواسطة الخيول ، وكان فى استطاعة الفرقة ان تقطع خمسة عشر ميلا كل ليلة ، ولذا احتاجت الفرقة الى نحو اسبوع لقطع المسافة من خطوطها الامامية حتى تتوه سان ميهيل

وكان من الطبيعى بعد السير طول الليل ، ان يحتاج افراد الفرقة للراحة بعض ساعات النهار . ولكن الضباط لم يهتموا باعطاء الجنود فرصة للاستجمام ، اذ كانوا من النوع الذى لا يكل من العمل ولا يفتر عن الحركة . ولهذا كان جنود الفرقة يقومون بأعمال تنظيف المدافع وغسل الخيول وتشحيم العجلات واعداد المعسكر واقامة الخيام أثناء النهار، وكان من نتائج ذلك ان ظهرت امارات التعب والملل على الجنود ، حتى انه لم تمض عدة ليال حتى فكر الكسالى من أفراد الفرقة فى خير الطرق لمعالجة هذه الحالة . ولم يكن عددهم قليلا بل كانوا لا يقلون عن ثلثى القوة ، وقد عمد نصفهم الى اتباع طريقة السير خمسين دقيقة والاستراحة عشر دقائق فى كل ساعة يستطيعون ابانها من الاستلقاء بجانب الطريق ، للاستمتاع باكبر قسط يمكن الحصول عليه من الراحة ، وخصوصا وان الطرق

الفرنسية كثيرا ما تحسر خلال الغابات المظلمة . وقد ساعد هذا لفيفا من أعضاء الفرقة على الاختفاء فى الغابات ، والتخلف عن السير مع بقية القوة ، والبقاء طول الليل حيث هم ، ينامون ويستجمون دون ان يشعر بهم أحد ، حتى اذا انبثق الفجر تمكنوا من اللحاق على ظهور الخيل أو على عربات الذخيرة ، التى لم يجدوا اية صعوبة فى الحصول عليها .

ولم يحرم من هذه المتعة الا سواقو العربات الذين لم يكن فى مكنتهم ترك عرباتهم . وقد يخيل الى البعض انه من العار ان يلتجىء فريق من الجنود الى مثل هذه الاساليب ، التى تدل على عدم الانقياد وسوء السلوك ، فى وقت كانوا فيه فى مواجهة العدو ، ولكن هذا الرأى خاطىء ، فهؤلاء الكسالى قد وصلوا الى واجهة القتال وهم أكثر ما يكونون نشاطا واستعدادا للقتال من زملائهم الذين كانوا متعبين الى درجة لم يكن فى استطاعتهم ابداء أى نشاط بعد انتهاء هذا السير الطويل الشاق . وكانت النتيجة انهم تخلفوا عن اتمام الطريق ، وحمل كثير منهم على عربات الصليب الاحمر ، وأودعوا المستشفيات العسكرية وأصبحوا لا يصلحون لاى عمل

***

وان أعوز القارىء دليل آخر ، فلنذكر سنة ١٩١٤ حين قالوا : ان الانجليز لن يكتب لهم النصر لضعف نشاطهم وميلهم الى الراحة بعد الظهر وعدم اقبالهم على عملهم ، اقبال الالمان على واجباتهم وشدة نشاطهم وعملهم ليل نهار فى القيام بواجباتهم . وما قيل عن الانجليز قيل كذلك عن الامريكان فى سنة ١٩١٧ حينما كانوا لا يعملون الا ثمانى أو عشر ساعات فى اليوم ، بينما كان الالمان يعملون من ١٤ الى ١٦ ساعة يوميا ، فكيف السبيل الى تفوق هاتين الدولتين على الالمان ، وهذا كان حالهم ومبلغ نشاطهم فى تلك الايام . ولكن جاءت النتيجة على عكس ما كان يتوقع هذا الفريق من المفكرين ، وكان النصر حليف الدول التى استطاعت الاستمرار فى الحرب أطول مدة ممكنة

وجملة القول ان المرء الذى يستطيع أداء مهمته فى خلال ايام الحرب أو فى أيام السلام على السواء ، هو ذلك الرجل الذى يكون قد نال قسطا وافرا من الراحة . ولم يتردد المستر ايسون عن اعلان هذا الرأى والتمسك بصحته فى جميع المحاضرات التى ألقاها ، وهو قوى الرجاء بانه كان لهذه المحاضرات اثرها الطيب فى زيادة مجهود البلاد الحربى .

ومما يدل على ان هذه الآراء لم تكن خالية من الفائدة انه قد طلب اليه من بعض هيئات النشر ، ان يبعث اليها بمقالات حول هذا الموضوع على شريطة ان تتضمن آراءا جديدة لم يسبق نشرها أو القاؤها فى المحاضرات التى أذيعت منذ اثنتى عشرة سنة ، وقد كتب هذا المقال الجديد دون كبير عناء . واذا طال عمره فسوف يكتب مقالا آخر ، ولكنا لا نأمل فى الحصول عليه — كما يقول — الا بعد انقضاء اثنتى عشرة سنة أخرى من الآن ، على شريطة ان يجد فى نفسه النشاط الكافى لتحريرها

(عن سترادى ايفننج بوست)

فنـــانات مصـــريات

بقلم احمد راسم بك



رأس غلام للمثالة « شلهوب » يذكرنا بعض الشيء بطريقة مختار

اذا استعرضنا آثار فناناتنا هـذا العام وقد بلغت مئات اللوحات لوجدناها تمتاز عن سابقاتها بوضوح الميول الفنية من الفنانات بما ينم عن تعمقهن فيما اعتنقنه من مذاهب فنية مختلفة

ومن بين اللوحات التى اشترتهـا سمو الأميرة شويكار تشجيعاً لفناناتنا ، لوحة كبيرة للآنسة مرجريت نخلة ، وهى للصالة التى تعقـد فيها سوق الأوراق الماليـة فى بورصة الأسكندرية وقد ملأ جوها ضجيج العملاء والسماسرة الذين يشغى بهم المكان ، كما ارتسمت على وجوههم وتمثلت فى حركاتهم ونظراتهم مظـاهر اليقظة والاهتمام وهم فى غمرة السوق منصرفون عن كل ما عداها

ومن بين الفنانات مدام « بهمن » التى امتازت كعادتها بأسلوبها وفلسفتها الفنية الخاصة التى تتجه الى تسجيل العاطفة دون تقيد بالأوضاع كأن ترسم مجموعة من الزوارق ذات القلاع الملونة ، بغير مراعاة البتة للشبه بينها وبين شكلها الطبيعى ، وتعتقد أن السرور لمرأى قواربها هو بعينه ما تبعثه مشاهدة القوارب الطبيعية . وهذه هى رسالة الفنان الذى لا يتقيد بالأوضاع الطبيعية عند تسجيل مناظره . . غير أن مدام بهمن تمادت فى الأخذ بهذه النظرية حتى انها فى العام الماضى عرضت لوحة رسمت فيها زجاجة من النبيذ وكوب ماء وآلة فوتوغرافية بجانب كتاب ، وكل



عرفت الآنسة « بادارو » باهتمامها بتسجيل الجو الفني للصورة ، ورسومها تذكرنا بأسلوب « محمود سعيد »

هذه الأدوات على مفرش من القماش ، وكتبت عنواناً للوحتها هذه « الكابتن براون بالجيش البريطاني » . . وغير خاف أن هذه النظرية هي مما جاء بعد الحرب العظمى الأولى مع غيرها من النظريات التي كانت تدعو الى التجديد والثورة على القديم

ورأيت للآنسة « بزبك » لوحتين احداهما تمثل جانباً من حديقة يداعب النسيم أشجارها وقد كستها الشمس وسمحت لاشعتها أن تتخللها فكان منظراً جميلا ترتاح اليه النفس

وكذلك رأيت للآنسة « جان » لوحة تمثل صالوناً فاخراً مؤثثاً بأفخر الاثاث ومنسقاً أبدع تنسيق مما ينشده طلاب الراحة والهدوء بعد يوم مليء بالمشاغل والهموم

ومما أثار إعجابي لوحة للسيدة « بشتلي » فيها صور عارية جمعت الى جمال التأليف ودقة

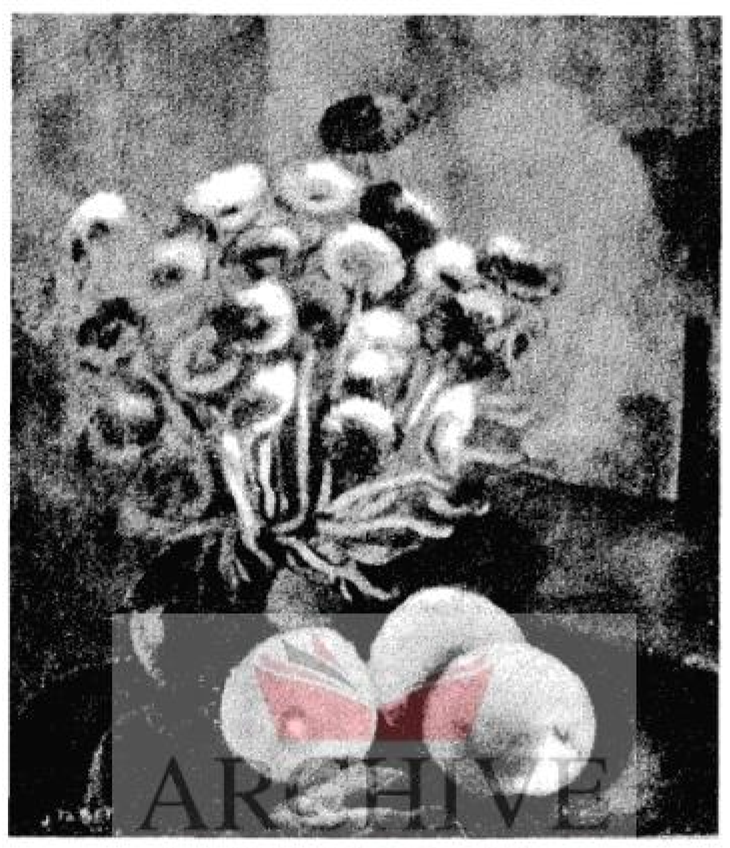


لوحة رائعة للآنسة « روميير » يشيع فيها روح الفن الفرنسي

التصميم انسجام الالوان وقوة التعبير .. وأيضاً صورة بديعة للسيدة كارولينا رينر وهي لمجموعة من الحوانيت التي تباع فيها عرائس المولد ليلا ، وقد أمكنها أن تظهر في ظلمة الليل تلك الحوانيت وأصحابها وما حولها من زحام المولد على الانوار المنبعثة من « الجلوبات » المعلقة على واجهاتها

ويوجد غير من ذكرنا من الفنانات من اشتركن في المعارض الفنية بلوحات بديعة حازت الاعجاب والتقدير

وكانت ألوان لوحات الآنسة « أنجى أفلاطون » قاتمة تنطق بالحزن والكآبة . الا أنها بدأت هذا العام تتخلص من هذه النزعة ، والتفتت الى متانة البناء وقيم التوازن في لوحاتها فاكتسبت مسحة من الدعة والهدوء



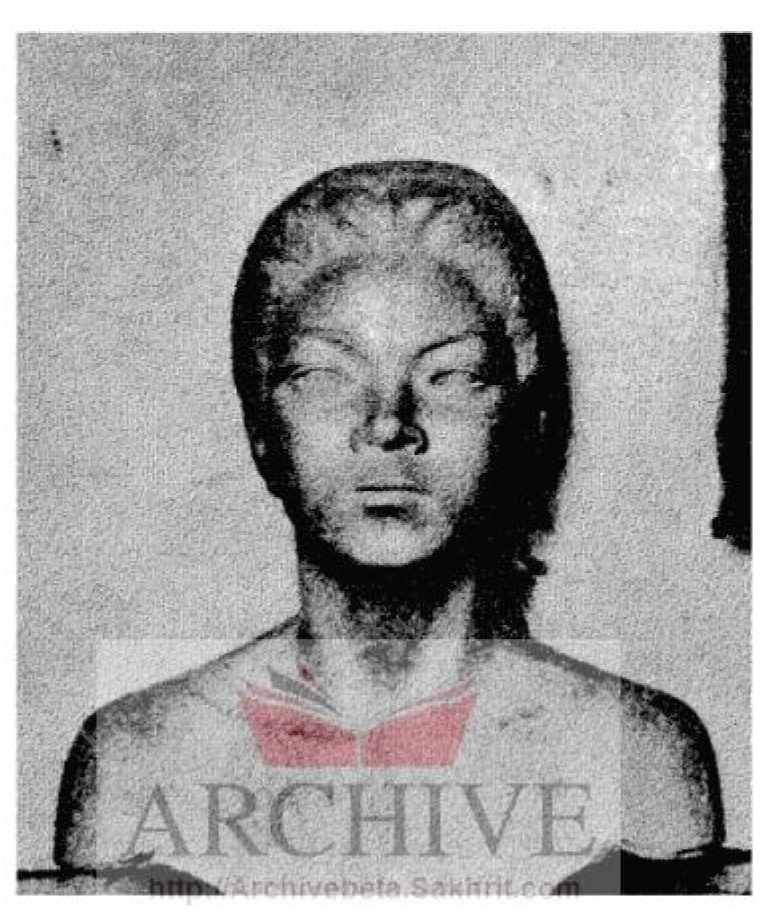
تعنى الفنانة « ياسمين ثابت » بتسجيل الطبيعة الصامتة أكثر من عنايتها برسم الموضوعات الحية . وهذه باقة من الزهر الى جانب ثلاث برتقالات فى وضع فنى جميل

وهناك أيضاً الآنسة « بادارو » التى تهتم اهتماماً خاصاً بتسجيل الجو الفني للصورة . . وتذكرنا بعض لوحاتها بأساليب الفنان « محمود سعيد »

ومن بين فناناتنا اللواتى يعنين بالفن الزخرفى « كوكب يوسف » وقد صورت فى لوحتها التى تمثل وادى الغزلان جو الرشاقة وخفة الروح

وتعنى « ياسمين ثابت » بتسجيل الطبيعة الصامتة أكثر من عنايتها برسم الموضوع الحى ، ولها فى هذا المجال جولات لا بأس بها

وتقترب الآنسة رومر من نظرية الفن النموذجي . وتشيع فى رسومها روح الفن الفرنسى ، وألوانها مشرقة لطيفة



رأس « السودانية » من صنع الآنسة « فريدا كساب » وهى إحدى الفنانات البارزات فى فن النحت

وهناك فنانتان وجهتا همهما للنحت هذا العام ، وهما الآنستان « شلهوب » و « فريدا كساب » وتذكرنا الاولى بعض الشىء بطريقة مختار في تماثيلها . ولا ندرى ان كان هذا التعبير يعتبر مدحاً أو ذماً . وان قطعتها التى سمتها السودانية لتلفت النظر . أما الثانية فهى تنحو فى تماثيلها نحو مدرسة الفنون الجميلة العليا

وعلى العموم فان ملاحظتى على انتاج فناناتنا هذا العام انه لا يتميز بروح خاصة تمثل الروح المصرية ، فللفن الانجليزى طابع خاص وللفن الفرنسى طابع خاص ، وقل المثل عن باقى الفنون . أما انتاج سيداتنا وآنساتنا فلم تشع فيه بكل أسف الروح المصرية بعد ، بل يكاد يختلط بالفن الفرنسى أو الفن الايطالى

احمد راسم



صورة رمزية للفنانة « يلدز » تمثل « بوذا » الصغير

←
بورصة الأسكندرية وقدملأ جوهاضجيج العملاء والسماسرة للفنانة « مرجريت نخلة »

من أساطير اليونان القديمة

طيف الحب

بقلم الدكتور حسين مؤنس

أقبل الشتاء مبكرا ذلك العام ، وأخذت ريح الشمال تهب باردة عاتيـة ، والذئاب والضبع وبنات آوى تعوى فى أطراف الغابات ، اذ بدأت تستشعر البرد والجوع . ثم أخذ المطر ينهمل مدرارا ، مكتسحا معه أوراق الشجر ، وما بقى على الارض من عشب خفيف . ولم يلبث الثلج الابيض الناصع أن أخذ يتساقط ويذوب على الاشجار ، لان الجو لما يبرد بعد، ثم أخذ يتراكم فى كثرة حتى غشيت كثبانه الارض والاكواخ والاشجار . وما هى الا أسابيع قليلة ، حتى أخذت الغابات والبطاح المجاورة لاثينا ثوبها الشتوى ، الابيض الموحش . وأخلدت الطبيعة الى راحتها الطويلة شأنها فى كل عام فى هذه البلاد الجبلية القاسية

وكان أكثر الناس برما بهذا الضيف الثقيل سيدة فقيرة وابنتها ، كانتا تسكنان كوخا صغيرا اتخذتاه على حافة الغابة على مقربة من ضواحى اثينا . كانتا منفردتين فى هذه الغابة ، قانعتين بوحدتهما بعد ان استأثر الموت بمائلهما . وكانت الام سيدة عوانا وهبها الله شدة فى الجسد وعزة فى النفس ، فأبت الا أن تقوم بأودها وأود ابنتها بعمل يديها . وكان زوجها محاربا مضى لسبيله فى احدى الغزوات القاصية ، فأقامت الأم بابنتها فى ذلك الكوخ ، قانعة بما تصيبه من الرزق من العمل فى أحد المعابد . فكان الصباح اذا أصبح أخذت طريقها الى هـذا المعبد على ربوة قريبة من البلد . وهنـاك تمضى النهار طوله ، فاذا آذنت الشمس بالمغيب أوقدت مصابيح المعبد ، وحملت ما تركه لها الزوار ، وعادت لتجد ابنتها قد أصلحت من أمر الكوخ وحملت اليه الماء ، وجلست على بابه تنتظرها

بيد أن أمر هذه الفتاة كان يثير فى قلب الام القلق والمخاوف ، لانها كانت عاطلا من كل حسن . كانت طويلة فى غير اتساق ، نحيفة الى غير حد ، شاحبة حتى ليظن الناس بها المرض ، وكان شعرها قليلا متناثرا وعيناها صغيرتين لا يكاد يبين منهما شيء . فكانت الام كلما رأتهـا اغرورقت بالدمع عيناها ، وأخـذت تبتهل الى الآلهة ان تعينها على الاطمئنان على مصيرها ، اذا حان الحين وتولت هى لسبيلها . وكانت الفتاة لشدة هزالها كسولا أو كالكسول ، تقضى الساعات جالسة بباب كوخها ، مسترسلة فى أحلام لا يعلم أحد كنهها . ولكنها كانت عطوفا قد ملىء قلبها رقة وحنانا ، لا يكاد يمر بها راع مجهد أو

مسافر عطشان حتى تسرع اليه بما عندها . وكانت الارانب والظباء وصغار الطير أصدقاء لها ، لا تزال تفد اليها وتتواثب حولها طول النهار ، فكان فى هذا عزاء لهذه الام الحنون

***

وكانت الام اذا ما تهيأت للنوم من كل ليلة ، انتظرت حتى تنام ابنتها ثم تأخذ تصلى للآلهة وتسألها العون على ما هى فيه من حيرة وتقول :

ـ أيتها الآلهة الرحيمة ! يا من قضيت حياتى فى خدمتكم وخدمة المخلصين لكم ! انتم ترون كيف قضى زوجى فى سبيلكم ، وكيف لم يقصر عاما واحدا عن زيارتكم فى دلف والتقريب لكم . وها هى ابنتنا المسكينة لا أعرف ما يكون من أمرها اذا حان حينى! لكم أخشى أن تأكلها الضبع وهى وحيدة منفردة هنا من غير عائل ! أنبئونى فان صوتى قد بح فى ندائكم ، وحياتى قد تقضت على اعتابكم

ثم تأخذ تنشج نشيجا ساكنا خافتا مخافة أن تستيقظ ابنتها ، ثم تعمد الى مجمر فتضع فيه بعض البخور وتطلق النار فيه وتلقى نفسها فى فراشها ، وتظل تصلى حتى يأخذها النعاس وهى تتأمل البخور المتصاعد

فلما فرغت من صلاتها ذات ليلة ، وأوقدت المصباح والبخور ، وسكنت فى فراشها تستريح ، اذا شبح جميل يتبدى خلف الدخان ، ثم لا يزال يزداد وضوحا حتى يبدو الهة جميلة تحلى رأسها بالزهر والورد . فريعت المرأة وارتسم الرعب فى عينيها ، ولكن الإلهة ابتسمت ، ومدت يدها الناصعة البياض مطمئنة ، وانشأت تقول فى نبرات حلوة هادئة :

ـ خففى عنك ايتها المرأة الكريمة ، فان الآلهة لم تنسك ولم تنس ابنتك قط ، ولقد أرسلتنى لأخفف عنك قلقك، فقرى عنا : فابنتك هذه ستصبح أجمل بنات الدنيا يوم يحبها رجل نبيل . .

ثم أخذ شبح الالهة يختفى خلف الدخان ، والام قد ملأها الدهش وعقد لسانها . ولكنها لم تلبث ان صاحت باكية ، حين غاب الشبح الجميل خلف الدخان

ـ ولكن . . يا ديانا . . كيف ! كيف يقع أحد من الناس فى حب هذه المسكينة وهى على هذه الحال . امنحيها انت الجمال يحبها الناس كلهم . . ايتها الآلهة الرحيمة !. .

ومضت فى ضراعتها حتى مضى من الليل هزيع ، دون أن ترق الآلهة وتعود . .

***

وانقضت على ذلك شهور ، وأقبل الربيع وتلاه الصيف . وأخذت الفتاة تقضى يومها خارج الكوخ ، تعابث الطير وتجمع الزهر ، وتعين الرعاة ، وتستمتع بأغانيهم الحلوة . وكانت أمها قد حذرتها أن تقرب جدول الماء، حتى لا تقع عينها على صورة وجهها وتشعر بقبحها . .

وفى ذات يوم ، وقد انقضى من النهار صدر ، ورقد الرعاة تحت الاشجار يتقون وهج الشمس ، وغابت الطيور فى جحورها ، وساد الغابة والسهل سكون شامل ، بصرت الفتاة فاذا شبح انسان يتراءى لها فى الافق فى أقصى العدوة . فنهضت من مجلسها وأخذت تتطلع ، فاذا بها تستبين شبح انسان يتعثر فى خطاه لا يكاد يقف حتى يقع ، ثم يحاول النهوض من جديد ، فأدركتها الشفقة وأسرعت نحوه ، فوجدت نفسها أمام رجل لم تستطع تبين ملامحه لكثرة ما كان يسيل على وجهه من دماء . فأخذت تحاول انهاضه حتى استطاعت بعد جهد أن ترفعه من التراب ، ثم ما زالت تجره حتى أسندته الى جذع شجرة . ثم أسرعت الى كوخها فحملت اناء من الماء ، وعادت مسرعة فغسلت له وجهه وسقته بعضه ، فأخذ يفيق مما غشيه ولكنه لم ينبس . ثم بحثت فى الناحية حتى وجدت كوخا مهجورا من الاكواخ التى يلجأ اليها الرعاة ، فلم تزل تجر الفتى ، وتعينه على المشى حتى آوته فى الكوخ ، وهيأت له فرشا من القش والاعشاب . والتمست له من كوخها غطاء ، وأقبلت فاضجعته ، وما زالت تعالجه حتى أفاق . فهيأت له بعض الطعام ، فأكل أكل المجهد ، ثم استلقى على فراشه واستغرق فى نوم عميق ، لفرط ما كان به من اعياء . وكان المساء قد أقبل ، فأغلقت عليه باب الكوخ ، وعادت الى كوخها وهى أشد ما تكون اشفاقا عليه . فوجدت أمها فى انتظارها فقصت عليها ما حدث ، فلم يستوقفها منه شيء ، لان ابنتها كثيرا ما أعانت الضالين والمتعبين . .

***

فلما أصبح الصبح وانصرفت الام الى عملها ، عجلت الفتاة فأخذت اناء من الماء وشيئا من الطعام ومضت الى كوخ الجريح المسكين ، فوجدته قد استيقظ . فلم تكد تدخل حتى سألها أين يكون ، ورجاها ان تعطيه ماء يغسل به عينيه لانه لا يرى شيئا ، فأقبلت تغسل له وجهه . . فما راعها الا صوت هذا الجريح يصيح بصوت تخنقه العبرات :

ـ ماذا جرى أيتها الآلهة . . اننى لا أرى شيئا . .

وتبينت الفتاة وقد بلغ بها الحزن مداه ، أن هذا الغريب المسكين قد فقد بصره ولم يعد يرى شيئا . وأخذت تتفرس ملامحه ، وقد سكن روعه وكف عن البكاء ، وعلا وجهه الوسيم حزن شامل عميق . ولبث لحظة وقد استغرقه الفكر وثقل به الهم ، حتى رقت الفتاة لحاله وجعلت تبكى وتسأله أن يرفق بها وبنفسه ، وأن يعتمد عليها ، فهى من هذه اللحظة أخته وقائدته وخادمته . ولكن الفتى ظل على وجومه هذا ، حتى يئست الفتاة من التسرية عنه فتركته لحاله برهة تعد له فيها شيئا من الطعام

ومضت الايام سراعا ، واجتهدت الفتاة فى خدمة الفتى حتى هونت عليه مصابه ، فأخذ يخرج معها يتنزهان فى الغابة ويتعاونان على العمل . وكان الخريف قد أقبل فجعلا يعملان فى اصلاح أمر الاكواخ واعدادها للشتاء ، وكان المساء اذا أقبل أعادت الفتاة

الفتى الى كوخه وأعدت له بعض ما يحتاج اليه فى الليل ، ثم هيأت له فراشه وجلست تحدثه برهة ، ثم حيته وأغلقت عليه الباب ومضت الى كوخها . وكانت تلك هى اشق اللحظات على هذا الفتى المسكين ، فقد كان قد ألف الفتاة الفا شديدا وتعلقت بها نفسه ، فكانت اذا انصرفت خلا الى نفسه وهمومها ، وأخذ ينتظر طلوع النهار حتى يؤنس سمعه بصوت الفتاة الحبيب وحنانها الفياض

***

وفى ذات يوم ...

استيقظت الأم مع طلوع الشمس ، والتفتت الى ابنتها لتوقظها على عادتها كل يوم . ولكن بصرها لم يكد يصافح وجه ابنتها النائمة ، حتى انعقد لسانها واتحبس الصوت فى فمها ، ولم تدر ان كانت هذه هى ابنتها حقا .. من أين لها هذا الوجه الفاتن وهذا الشعر الذهبى الغض الفياض ؟ ثم أخذت تتفرس فاذا كل شىء فى الفتاة قد تبـدل ، فلم تملك ان صرخت تناديها ، فأفاقت يملؤها الذعر وفتحت عينين لم تر الأم أملح منهما . ونهضت واقفة فاذا قوامها ساحر ، لم تعرف الأم أكمل منه ولا أجمل ! ومدت الفتـاة يدها الى شعرها ترفعه عن كتفها فلم تكد تتناول خصلاته فى يدها حتى صاحت : أماه .. من أين لى هذا الشعر الجميل ، وأخذت تتأمل جسدها وتقول : « أماه .. من أين لى هذا كله؟ .. » ثم قفزت الى الباب تريد الخروج فصاحت الأم :

ــ الى أين ؟

ــ الى غدير الماء لأرى وجهى

ــ ثم ؟

ــ الى صاحبى الخبره

ــ لا يا بنيه ! لا تخبريه بشىء! انت فى خياله هكذا من أول يوم رأيته فيه . وانما الاولى بك ان تضعى بعض البخور فى المجمر ، وتقيمى للآلهة صلاة طويلة ، فاذا ذهبت الى صاحبك فكونى على عهده بك كل يوم .. اياك ان تنبسى بشىء مما حدث ..

ثم خرجت الى عملها وقد امتلأت نفسها بشرا وشكرا للآلهة

***

وعملت الفتاة بنصح أمها ، فلم تذكر للفتى مما حدث شيئا . ومضت الايام بينهما على ما كانت عليه ، ولكن نسائم الخريف أخذت تبعث فى نفس الفتى كآبة وهما . فكانت الفتاة اذا فتحت بابه فى الصباح ، وجدته جالسا فى فراشه وقد انحنى رأسه على صدره ، فكان فؤادها يمتلىء حسرة ، وكانت تقول لنفسها .. « وماذا يغنينى ان أكون بهذا الجمال اذا كان هو لا يراه ؟ » ، وكانت اذا أوت الى فراشها جعلت تبكى ، وتسأل الآلهة ان ترد

عليه بصره حتى تزول عنه كروبه ، وحتى يستطيع ان يفعل شيئا ينجيه من برد الشتاء المقبل . . .

فاذا كانت ذات ليلة فى صلاتها وضراعتها ، وقد فاض دمعها على وجهها . . اذا بدخان المجمر يكثف ، واذا الهة جميلة تبرز منه وتقول وعلى وجهها بسمة مسعدة :

ـ خففى عنك يا بنية ! فسأرد على صاحبك بصره !

فصاحت الفتاة صيحة ايقظت أمها . .

ـ ديانا . . يا سيدتى المقدسة ! عجلى . . كيف ؟

وأخذت الأم تنصت فاذا الآلهة تقول :

ـ استيقظى غدا من الفجر ، وسيرى مع جدول الماء فى الجبل صعدا ، حتى اذا بلغت ثلاث السنديانات السامقة التى تقوم على يساره ، فانحرفى الى اليمين قليلا ، وهناك تجدين زهرا أبيض ، فاجمعى شيئا من الرحيق الذى تجدينه فى كاساته ، واقطرى منها فى عينى صاحبك يرتد اليه بصره . . ولكن ينبغى ان تفعلى هذا كله قبل طلوع الشمس . .

ثم اختفى طيف الآلهة خلف الدخان

ولبثت الفتاة ذاهلة لحظة ، ولم يخرجها من ذهولها الا صوت أمها الحنون يقول :

ـ الآن تستطيعين ان تنامى يا حبيبتى ، لتستيقظى مع الفجر المبارك الجديد . . .

واستلقت الفتاة فى فراشها، ولكنها لم تنم مما ملأ قلبها من الفرح . وكلما أفاقت الأم من نومها ، وجدتها تنظر من النافذة تنتظر الفجر . . حتى اذا تبدت لها أولى بشائره صاحت :

ـ أماه . . ها هو النور . . أنا ذاهبة

ـ فى حراسة الآلهة يا ابنتى ، وتمهلى فعندك من الوقت متسع

***

ومضت الفتاة تعدو مع الجدول الصغير صعدا، حتى اذا بلغت السنديانات الثلاث انحرفت يمنة ومضت حتى أدركت الزهر . فأخرجت من ثيابها اناء صغيرا كانت قد حملته معها ، وأخذت تفرغ فيه الرحيق المندى حتى امتلأ . ثم كرت تعدو حتى اذا بلغت كوخ الفتى طرقته لشدة فرحها فى شىء من العنف أجفل منه ، ثم فتحت ودخلت تقول :

ـ بشراك بشراك أيها الصاحب الكريم ! هذا نور عينيك يرتد . .

فخيل للفتى ان الفتاة قد أصابها مس ، ولبث لحظة لا ينبس ، فاستطردت تقول :

ـ استلق على فراشك . . ودعنى أقطر من هذا الرحيق فى عينيك . .

ولم يجد الفتى بدا من ان يطيعها، وفتحت الفتاة عينيه وسكبت فيهما قطرات من الدواء ذى السحر العجيب،ووضعت يديها الجميلتين على عينيه، وأخذت تصلى للآلهة وتستحلف ديانا ان تبر بوعدها . . ثم رفعت يديها . .

وفتح الفتى عينيه فظل لحظة دهشا

لقد عاد النور الى عينيه .. وأبصر ضياء هذا الصباح الوليد .. ثم التفت ليرى الفتاة فانعقد لسانه مرة أخرى . لم يكن يتصور ان لها هذا الجمال كله .. واغرورقت عيناه بالدمع ، ونهض فارتمى عند قدميها ، يبكى ويبللهما بدمعه ، ويقول ...

ـ أنت ! أيها الملاك الحارس ! يا رمز الرحمة ومصدر النور ! كيف أشكرك ..

وأدرك الفتاة من السعادة ما أذهلها عن نفسها وعن الدنيا، وجعلت تتأمل عيني صاحبها، الذي لم يكف لحظة عن تأملها بعيون ملؤها الحب والشكر والسرور . وسعد الحبيبان بحبهما أياما نسيا خلالها برد الخريف وريح الشتاء ، وسعدت الأم بأبنتها ، واطمأن بالها على مستقبلها ، وزادت فى خدمة المعبد تفانيا ، وأخذ الثلاثة يجدون فى اعداد العدة للشتاء

وفى ذات يوم ...

أقبلت الفتاة مع الصبح الى كوخ الفتى فوجدته مفتوحا ، ولم تجد فيه أحدا ، فحسبته مضى لبعض شأنه .. فلبثت تنتظر ولكنه لم يعد . فخرجت مسرعة تناديه ، ولكن أحدا لم يجب نداءها . ومضت تبحث عنه فى كل مكان دون جدوى ، حتى انقضى النهار كله وعادت الى كوخها مع المساء،فوجدت أمها تنتظرها فى قلق،فما كادت تبصرها حتى صاحت:

ـ أماه ! لقد ذهب .. لقد اختفى

ثم ألقت بنفسها على صدر أمها وأخذت تبكى . فانتظرت الأم لحظة ثم قالت :

ـ لعلك لم تقرئى ما كتبه على كوخنا قبل أن يمضى

ـ ما كتبه ؟ أين ...

فأرتها الأم عبارة يسيرة كتبها الفتى على الباب فى عجلة « ذهبت لأمر خطير .. وسأعوده

ونظرت الفتاة الى أمها والدمع ملء عينيها وصاحت ...

ـ أمر خطير ! أى أمر خطير يا ترى .. ومتى .. متى يعود يا أماه !.

***

وفى ذات يوم ..

أفاقت الأم وابنتها على أصوات خارج الباب قريبا ، وأخذتا تسمعان فاذا أصوات خيل تصهل ورجال تتحدث ، ثم سمعتا نقرا خفيفا على الباب واذا صوت يقول :

ـ هو أنا يا حبيبتى عدت اليك ...

وقفزت الفتاة من فراشها فكانت عند الباب . وفتحته فاذا بصاحبها الفتى فى حلة فارس أمير على صهوة حصان فاره . وجعلت تتأمله لحظة وهى لا تكاد تصدق عينيها ، ثم ترجل الفتى وأقبل وركع عند قدميها ، وتناول يديها يقبلهما ويبللهما بدمعه ، ثم وقف والتفت الى أصحابه وقال :

ـ اليكم يا أصحابى أميرتكم .. هذه هى ملاكى الحارس ، الذى رد الى الحياة ووهبنى

نور البصر ، ومكنتني من استعادة ملكي ، بعد ان غدر بي أعدائي على ما تعرفون .. وتقدم أصحابه الفرسان يركعون عند قدمي الفتاة الذاهلة، وأمها حيرى لا تكاد تصدق عينيها ..

ثم تقدم اليها الامير وقال :

ـ أنا يا سيدتي أمير فيودوسيا .. غدر بي أعدائي ، وها أنا قد استعدت ملكي بفضلك وفضل ابنتك . فهل تأذنين لي ان أتخذها زوجا لتكون على رعيتي أميرة .. وآخذكما الى دار ملكي وعزي ؟

وانقضى النهار في اعداد عدة الرحيـل . ولم تمل الشمس للمغيب حتى كان الامير وصاحبته وأصحابه في طريقهم الى بلدهم النائي البعيد .. غير ان الأم أبت ان تذهب معهم وقالت :

ـ أما أنا فأظل هنا في خدمة هذه الآلهة الكريمة التي وهبتنا كل شيء .. الآن قرت عيني واطمأنت نفسي ، فسيرا في أمان ، ودعوني هنا أحرسكم، سأزوركم وستزورونني .. سيروا في أمان الآلهة

ولم يجد الامير بدا من تركها ، ولم يكد يعود الى بلده حتى أرسل اليها عددا من الجواري يقمن بخدمتها ، وعددا من البنائين ليقيموا لها قصرا الى جانب الكوخ ، وتعهدها بالهدايا والنفائس وكل ما تتوق اليه النفوس ...

وانقضت على هذا الحال السعيد سنوات .. . .

***

وفي ذات مساء ..

وقد عادت الأم من خدمة المعبد وجلست تسمر مع جواريها في قصرها ، اذا الباب قد فتح واذا ابنتها تدخل وحدها ناكسة الرأس ، فلم تكد الأم تراها حتى ريعت ، فقدكان حسنها قد زايلها وارتدت شوهاء كما كانت قبل سنين ..

دخلت الفتاة على مهل .. وارتمت على مقعد ورأسها الشائه منحن على صدرها وقالت بصوت تخنقه العبرات :

ـ لم يعد يحبني !

حسين مؤنس

متى تنتهي الحرب ؟

قال المرحوم المستر ستانلي بولدين رئيس وزراء انجلترا حين سئل هذا السؤال :
ـ تنتهي الحروب حتما ـ .. حين يرجع موتاها الى الحياة !!

سيرة حياة روبرت اوين أحد آباء الاشتراكية

لون من البطولة

بقلم الأستاذ على أدهم

من الامور الواضحة أن الصراع فى سبيل الحصول على الفوائد التجارية والصناعية يعين على الحرب ويمهد لها ، ولكنه برغم ذلك ليس السبب الرئيسى المباشر . وانما السبب المباشر هو المطامع الشخصية ، التى تضطرب بنفوس من بيدهم مقاليد الامور ، والذين يستطيعون أن يسوقوا الناس أمامهم ، ويغرروا بهم ، ويدفعوهم الى الحرب . والتاريخ يعلى شأن أمثال هؤلاء ، ويشيد بأعمالهم ، ويمجد الحرب ، ويعتبرها أجل الاعمال . والواقع أن التاريخ السياسى كثيرا ما يطغى على التاريخ الاجتماعى ، فالناس تعرف الكثير عن أبطال الحرب وأفذاذ السياسة ، ويجهلون الكثيرين من أبطال الاجتماع ، الذين حرصوا على خير الانسانية ، وقصروا جهودهم على رفع مستواها وتحسين أحوالها

من هؤلاء الرجال النوادر والمصلحين الاجتماعيين المخلصين ، روبرت أوين ، أحد آباء الاشتراكية والحركات العمالية ومن المفكرين الذين أثروا فى القرن التاسع عشر ومذاهبه الاجتماعية والسياسية . ومعظم الرواد فى الحركات الاجتماعية الكبيرة الشاملة ، لا يكونون من حيث قوة التفكير وسعة الاحاطة ، فى مرتبة أضرابهم الذين يجيئون فى آثارهم . فقبل لوثر ظهر مصلحون كثيرون ، وقبل هومر نبغ شعراء عديدون ، وتقدم جيمس وات مخترعون للبخار ، وكان لهؤلاء الرواد طرافة الابتكار ، واصالة التصور ، ولكن لم يكن من نصيبهم التوفيق فى التنفيذ ، وتحقيق الغاية ، واصابة الهدف . وروبرت أوين من طراز هؤلاء الرواد ، فليس هو ندا لكارل ماركس فى سعة العلم وقوة التفكير ، وليس هو مفكرا منطقيا صارم التفكير ناصع الحجة مثل بعض معاصريه الذين بنوا على الاساس الذى وضعه آدم سمث ، ولم يضمن أفكاره مذهبا فلسفيا ، ولم يحطها بسياج من المنطق الآسر المتماسك . وربما كان نبل أخلاقه ونزاهة قصده وبراءة نفسه ، أكثر من دقة تفكيره وتعمقه فى البحوث والنظريات ، وربما كان هذا الرجل قديسا أكثر منه حكيما . وقليل من الناس الذين يقرأ الانسان سيرة حياتهم ، ويلم بأعمالهم ومواقفهم ، يثيرون فى نفسه من الحب والعطف والاعجاب ، ما تثيره حياة هذا الرجل الفاضل النبيل العظيم الخلق الكبير القلب

ولد روبرت أوين فى بلدة نيوتاون بمقاطعة مونتجومرى سنة ١٧٧١ ومات بها فى سنة

١٨٥٨ ، ومر خلال حياته الطويلة الخصبة المليئة بالجهاد بمراحل شتى ، بعضها له أهميته والبعض لا يستحق التنويه به ، ولكنها جميعها تكشف عن خلق كريم فذ ونفس طيبة ممتازة . وكان أبوه سروجيا ، ويعمل كذلك وكيلا لاحد مكاتب البريد ، وكان مرتبه السنوى لا يتجاوز عشرة جنيهات . والحق أوين بالمدرسة فى الرابعة من عمره ، وفى السابعة كان يعرف القراءة والكتابة ومبادىء الحساب . واختارته المدرسة مدرسا مساعدا فى هذه السن المبكرة ، ولم يفد من المدرسة علما فى السنتين التاليتين ، ولكنه كان متصلا بأسر المدينة جميعها . وكانت مكتبات رجال الدين والمحامين والاطباء بالمدينة فى متناول يده يستعير منها ما يريد ويقرأ ما يشاء . واسترعى نظره فى الكتب الدينية كثرة الخلافات بين الفرق الدينية المختلفة ، وساءته تلك العداوة المستحكمة بين المسيحيين واليهود والمسلمين والهندوس ، ثم العداوة بين هؤلاء ومن يسمونهم الوثنيين والكفار . وأدرك وهو فى العاشرة من عمره أنه لا بد أن يكون هناك عيب أصيل فى الاسلوب الذى يتلقى به الناس مبادىء هذه الاديان ، ثم صارح والديه بأنه بلغ السن التى تحتم عليه الاعتماد على نفسه واحتمال تبعتها وشق طريقه فى الحياة . فأعطاه أبوه أربعين شلنا وأرسله الى لندن ليقيم مع أخيه الاكبر الذى كان يعمل سروجيا بها . وبعد ستة أسابيع أخذ هذا الغلام الناشىء يعمل مع صاحب أحد الحوانيت فى ستامفورد بمقاطعة لنكولنشاير . وكان صاحب الحانوت معجبا به راضيا عنه ، وكان هو كذلك مرتاحا لمعاملته مقدرا لاخلاقه ، ولم تختلف آراؤهما الا فى بعض المسائل المتصلة بالدين . وكان مصدر الخلاف أن أوين قد هداه تفكيره الى ان صفات الانسان قد وهبته اياها الطبيعة وفرضتها عليه فرضا ، وان لغته وديانته وعاداته ارغمه عليها المجتمع ، فالانسان ابن الطبيعة والمجتمع معا ، فالطبيعة تحبوه الصفات ، والمجتمع يرشده ويوجهه . ومن أجل ذلك حلت فى نفسه نزعة العطف الانسانى العام محل المشاعر الدينية ، وصحت رغبته فى أن ينفع الناس ، وعقد عزيمته على أن يصلح من شأنهم

***

وانتقل الى عمل آخر بشركة بالمر ، واصبح راتبه فى السنة خمسة وعشرين جنيها ، وصار يعتبر نفسه من الاغنياء ! وكانت أعباؤه شاقة مرهقة ، فقد كان عليه أن يكون حاضرا بالحانوت فى الساعة الثامنة صباحا ، ولا ينصرف الا بعد منتصف الليل . وضايقه ذلك لانه لم يترك له متسعا من الوقت لتعليم نفسه وانماء ملكاته . وخشى تأثير السهر الطويل فى صحته ، فانتقل الى عمل آخر فى منشستر ، وظل به الى أن بلغ الثامنة عشرة ، ورأى أنه قد نضجت سنه وأصبح أهلا لان يستقل بعمل خاص

وكان اختراع آلات الغزل حديث العهد ، ولم يكن قد سجل باسم المخترع . فاستعار أوين من أخيه مبلغ مائة جنيه ، وشارك رجلا آخر ، وأنشأ مصنعا للغزل . وفى السنة التالية تركه شريكه ، فانفرد أوين بالعمل ، وحصل على ربح مناسب . ثم سمع أن المستر

درنكوتر ـ أحد أصحاب مصانع القطن الاغنياء ـ في حاجة الى مدير، فتقدم لهذه الوظيفة. ولما سئل عن المرتب الذى يريده طلب ثلثمائة من الجنيهات فى السنة، فعجب المستر درنكوتر من طلبه واستهوله، ولكن أوين رفض المساومة، وأفهمه أنه يربح من عمله الخاص فى السنة مثل هذا المبلغ .. وأثرت شخصية أوين الجذابة فى المستر درنكوتر فقبل عرضه وأدخله شريكا فى العمل. وأراد المستر درنكوتر بعد ذلك أن يشرك صهره ـ زوج ابنته ـ فى العمل فاستفسر أوين عن المبلغ الذى يريده ليترك الشركة، وجرح هذا شعور أوين، فمزق عقد الشركة واعتزل عمله، وسرعان ما دخل فى شركة أخرى، وكان التوفيق كعادته ملازما له

والخطوة التالية التى كان لها تأثير ملحوظ فى حياته، هى زواجه من ابنة دافيد ديل أحد أصحاب المصانع الاسكتلنديين الاغنياء .. وكانت سنه حينذاك لا تتجاوز الثامنة والعشرين. وقد تردد دافيد ديل فى قبوله زوجا لابنته لما يعرفه عنه من حرية التفكير، ولكن دماثة أخلاق أوين ورقة حاشيته كانتا من القوة، بحيث لايستطيع أحد ان يغالبهما. وكانت زوجته تقية صالحة، ولذا كانت تعتقد أنه سيذهب الى النار، ولكنها ظلت مع ذلك تحبه وتفى له طوال حياتها

وقد أتاحت له السنوات التى قضاها فى منشستر فرصة الاتصال بطائفة من الرجال ذوى العقول الممتازين، وصار عضوا فى جمعية منشستر الادبية الفلسفية، واقترح عليها ادخال دالتن الكيميائى وصاحب نظرية الذرة، وكان دالتون صديقا لاوين، وكان السير برسيفال ـ رئيس الجمعية ـ من المدافعين عن تشريع المصانع، ويحتمل أنه اثر فى أوين من هذه الناحية

***

وفى هذه المرحلة الطويلة من مراحل حياته، يبدو أوين بطلا من أبطال الاعتماد على النفس، وعصاميا قديرا. وبامتلاكه لمصنع نيولانارك بدأ عهدا جديدا وصفحة حافلة من صفحات حياته النموذجية، وهو فى هذه المرحلة صاحب المصنع الحازم الذى يحسن معاملة العمال والموظفين، ويتحرى نفعهم، ويعطف عليهم، ويحاول النهوض بهم، وقد صحبه التوفيق فى هذه المرحلة لجمعه بين الكفاية العملية والفضيلة والانسانية. وقد انتقل بعد ذلك الى دور الزعيم المحترم المكانة، ثم الى مرتبة رأس شيعة صغيرة، وأخذ يفقد أهميته وتأثيره ومكانته فى نظر الرأى العام. ونجاحه واخفاقه سببهما واحد وهو الثقة بالنفس والاعتماد عليها، ففى صدر أيامه حينما أقبل على أشياء ممكنة، كانت ثقته بنفسه تذلل له الطريق وتزيده قوة، ولما حاول أخيرا أن ينجز فى سنوات معدودات ما يتطلب زمنا طويلا وتمهيدا شاملا أخفق وتخلى عنه التوفيق

ولجميع المجددين ثقة مفرطة بنفوسهم. ويلمح الانسان هذا العيب فى حياة أوين، ولكن من الحق ان يقال أن ثقته بنفسه كانت تبدو فى صورة مهذبة مقبولة محببة. وكان

يعجب لاعراض الناس عن الاستماع الى صوت العقل ويحسن الظن بالقلب البشرى

وقد نجح فى نيولانارك نجاحا فائقا،فقد أعد آلات حديثة، وعين مديرا قديرا،واستأصل السرقة ، وكانت شائعة فى طبقة العمال دون أن يستعين بالقانون والحكومة والعقوبة ، وتناول مسألة الافراط فى الشراب فنجح فيها نجاحا باهرا

وصمم على ألا يقبل اطفالا دون العاشرة ، وألا يستخدمهم إلا بعد موافقة آبائهم . وأصر شركاؤه على أن تكون ساعات العمل فى المصنع اربع عشرة ساعة ينقص منها ساعتان لتناول الطعام ، ونجح أوين فى تقليل تلك الساعات بعض الشيء ، وكان شركاؤه ينعون عليه هذه النزعة الانسانية ويضيقون بها ذرعا

وأنشأ مدرسة متصلة بالمصنع ليرفع مستوى العمال الفكرى ، وذاعت فى انحاء العالم شهرة مصنع نيولانارك ، وأمه الكثيرون من الزوار ، وكان بعضهم من علية القوم وأعيان العصر مثل الغراندوق نيقولا شقيق القيصر الاسكندر الاول الذى خلفه على عرش روسيا وقد قضى ليلة فى منزل أوين وظل ساعتين يستمع الى أحاديثه فى الاصلاح الاجتماعى

ولما زار أوين لندن فى سنة ١٨١٣ لكى يضم اليه شركاء جددا ، تعرف بالشخصيات البارزة ، وقابل رئيس الوزارة وكبير اساقفة كنتربرى وغيرهما من الاعلام . وكان الجميع معجبين بجهوده مأخوذين بسحر شخصيته الجذابة المحبوبة . وطبع بعد ذلك كتابه « رأى جديد فى المجتمع » وقد بسط فيه نظريته الخاصة بقوة أثر الظروف فى تشكيل الاخلاق ، واستخلص من ذلك أنه يمكن ادخال اصلاحات كثيرة على المجتمع ، وأرسل نسخا من الكتاب لكل من اعتقد أن له قوة على الاصلاح وتأثيرا فى المجتمع . ولم ينس أن يرسل منه نسخة لنابليون وهو أسير فى جزيرة البا ، وقرأ نابليون الكتاب وأرسل اليه رسالة يثنى فيها على جهده ، ويعده بالعمل على الاخذ بهذه الاصلاحات اذا عاد اليه الامر

وبدأ أوين يحتك بالسياسة العامة ، وأراد أن يقدم الى مجلس النواب الانجليزى لائحة تنظم عمل الاطفال فى المصانع . وحاول أن يمنع استخدام الاولاد الذين تقل سنهم عن العاشرة ، وألا تزيد ساعات عملهم على العشر ساعات ونصف الساعة لمن كان دون الثامنة عشرة . وسارت الامور على ما يرام فى بادىء الامر ، وأبدت الحكومة عطفها على الاقتراح وحسن نيتها ، وأقنع أوين الكثيرين من أعضاء البرلمان ، واستنهض أريحيتهم ، ولكن أرجىء النظر فى اللائحة ، وأحيلت على احدى اللجان . ولما عرضت بعد لأى على البرلمان لم يقرها ، ولم ينل ذلك من عزيمة أوين واصراره ، فأعاد عرضها بعد سنوات معدلة بعض التعديل ، وأقرها مجلس النواب ، ورفضها مجلس اللوردات لان بعض الاطباء أفتى أنه مما يصلح صحة الاولاد وتصح به أجسامهم أن يعملوا فى المصانع خمس عشرة ساعة ، وأن تقليل ساعات العمل مفسدة للاخلاق وبدعة لا مسوغ لها . وبعد بذل مجهود آخر وافق المجلسان على أن تكون سن الاولاد لا تقل عن التاسعة ، وان تكون ساعات العمل بالمصانع ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومنها الزمن الذى يخصص لتناول الطعام

وكان هذا أول هدف من أهدافه فى الاصلاح الاجتماعى التى رمى الى تحقيقها

وكثر العاطلون من العمل بعد عهد الحروب النابليونية ، وكانت الآلة قد أخذت تحل محل العمل البشرى . وكان أوين فى طليعة من أدركوا طبيعة المشكلات التى أثارتها قوة الآلة المنتجة ، وأيقن أن استمرار عمل الآلات سيؤدى الى كثرة العمال العاطلين ويجر أزمات البطالة ، وأنه يجب التفكير فى تدبير عمل لهؤلاء العمال واستدراك الامر قبل استفحاله ، وأن الآلات يجب أن تسخر لخدمة الانسان لا لارهاقه واستعباده وتركه يتضور جوعا ، ويفنى حسرة وهزالا

ونرى من ذلك أن أوين كان من أسبق المفكرين الى فهم مشكلة العصر الحديث ، فانه لا فائدة من الحملة على الآلات وذم استعمالها ، ولكن ترك الامور تجرى فى أعنتها ، معناه ايجاد عالم تسوده الآلات ، وتستعبد فيه العمال ، وتبتليهم بالفقر والجوع . ولا علاج لذلك الا بوضع الخطط والتنظيم الاقتصادى ، والاعراض عن سياسة ترك الامور تجرى فى مجراها التى أصبحت سياسة عتيقة بالية غير ملائمة للعصر وأحواله ومشكلاته

وقد حجبت حقيقة المشكلة حينا من الدهر مسألتان ، وهما نمو التجارة الخارجية ، ثم نشوء عهد الامبريالزم ، وهو العهد الذى مكن للتجارة عن طريق التوسع الاستعمارى . وأهمية أوين فى تاريخ الفكر أنه أدرك المشكلات المتصلة بوفرة الانتاج الصناعى ، ورأى أن زيادة الانتاج الناشئة من تأثير الآلات تؤدى الى تكاثر الانتاج وتراكمه من ناحية ، والى البطالة من ناحية أخرى . ولا علاج لذلك الا اذا وسع نطاق السوق توسيعا واضحا ملموسا ، وأن خير السبل الى ذلك هو رفع أجور العمال . وقد رأى أوين أن هذه الزيادة فى الاجور ، لا ينتظر أن تتم وتقدر أهميتها فى خلال انعقاد غبار المنافسة الحرة ، ورأى أوين انه لا مفر من التنظيم الاشتراكى اذا أردنا أن يكون الانتاج الوافر سبيلا للرغد والرخاء . وقد تحاشى القرن التاسع عشر هذا المشكل الخطير بايجاد أسواق جديدة ، وأبطل بذلك حجة الذين أشاروا بخطر الانتاج الوافر واسلوب علاجه ، ولكن انتهاء عهد المنافسة الاستعمارية أظهر صدق تحليل أوين وبعد نظره

وقد كان أوين رجل أعمال ومشروعات ، ولكنه لم يزن الحياة بميزان الربح والخسارة فحسب ، وانما عنى بانماء عقل الانسان ومشاعره ومستوى معيشته، وعمل على ايجاد الطفولة السعيدة ، وتفجير ينابيع الرحمة فى قلوب جعلها حب المال والنجاح فى الحياة قاسية متحجرة . وكان رائدا للنزعات الانسانية فى عصر طغت عليه الميول الفردية والمنافسة الطليقة ، وان كانت تعد له عيوب ففى طليعتها استهانته بالصعاب القائمة فى طريق الاصلاح واعتقاده بسهولة نقل الانسان من حال الى حال ، وهذا العيب هو فضيلة كل مصلح ومزية كل ذى نفس كبيرة ، ولا تزال أفكاره تحمل الثمرة وتشع الضوء

على أدهم

« التمثيل فن متأصل فى أعماق النفس البشرية متغلغل فى حناياها ، ولا غنى للنفس عنه ، باعتبار انه لون من الوان التعبير ، ولا مفر لنا من التعبير ما دمنا نحس ، أى ما دمنا على قيد الحياة »

وقفات ..
فى تاريخ فن التمثيل

للاستاذ زكى طليمات

مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

يروى تاريخ فن التمثيل ، عدا ما يرويه عن مراحل تطور الذهن البشرى ، ومظاهر ابتداعاته فى مجالات الفنون والادب ، الكثير العاجب الذى يكشف عن واعية المجتمع فى بداوته الطارئة . ولتاريخ فن التمثيل فى هذا وقفات تثير العجب وتحفز المطالع لها الى التأمل والتفكير !

فمن المعلوم ان فن التمثيل سخر نفسه لخدمة الدين قبل أن ينزل لخدمة المجتمع ، فكان لشؤون العقائد فى عصور الوثنية وفى عهد المسيحية ، مفسرا وهاديا وداعيا .. فعل هذا قبل أن يتناول أحوال الناس فيكون لهم المرآة التى تنعكس فيها طباعهم ، فيرون انفسهم فيما هم عليه وما يجب أن يكونوا عليه . وقام كهنة المعابد وقساوسة الكنائس بمهمة التمثيل قبل أن يقوم بها من هم من غير رجال الدين . ولا نبالغ اذا قررنا أن العقائد الدينية على اختلافها ـ ما عدا الاسلام ـ اتخذت من فن التمثيل ، وذلك فى عهودها الاولى ، وسيلة مباشرة للتبشير بأصولها واذاعة طقوسها ومناسكها . وكانت وسيلة فعالة تغزو بها القلوب وتدخل بها على الافئدة ، من غير أن تحس مرارة الغزو وقسوة الدروس ووطأة الوعيد ، الذى يوعد به كل مارق فى العقيدة أو متقاعد عن النهوض بفرائضها

وما اظننى فى حاجة الى الاستشهاد على صحة ما أقرره ، وذلك بتقصى مدارج الادوار التى لعبها المسرح الدينى لدى قدماء الفراعنة والاغريق والرومان وغيرهم من الامم الوثنية ، ثم برسم ما أفادته العقيدة المسيحية من مسرحها الدينى فى القرون الوسطى وما قبلها ، فكل هذا أمره معلوم

الدين يناهض المسرح

وموضع النظر ، أن ترى العقيدة الدينية تقف من هذا الفن ـ خادمها الاول ـ موقف

العداء فتناهضه وتعمل على اضطهاد القائمين بأمره ، ويتناسى رجالها ان التمثيل غريزة متأصلة فى الانسان ، باعتبار انه فطر على التعبير ، وانه بحكم هذا لا سبيل الى أن يخرج عنها ، مهما اصطلحت عليه أسباب الكبت والعسف والجور

وأول حادث يسجله التاريخ فى هذا الصدد ، ما قام به زعماء رجال الدين المسيحى فى القرن الرابع بعد الميلاد ، حينما أصدروا أمرا بحرمان كل من يعتلى المسرح من مغفرات الكنيسة ، وبحرمان أولادهم من التعميد ، ثم ما أصدره بعد ذلك الامبراطور قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية ، بمنع زواج رجال الدولة وأعضاء مجلس الشيوخ من الممثلات ، هذا المنع الذى أنزل الممثلات الى مرتبة الرقيق وبنات الهوى

حقا أن التاريخ ليروى أعجب القصص عن مفاسد المسرح اللاتينى فى ذلك العهد ، بعد أن فشا فيه ذلك النوع من المهازل السافرة التى كان الرقص الاجماعى قوامها ، كما يروى أن الشعب كان يقبل على مشاهدة هذه المهازل اقبالا شديدا ، على الرغم من أوامر رجال الدين بتجنب غشيان مسارح هذا اللون من المهازل السافرة . وأعجب من هذا أن حكام المدن أنفسهم كانوا يشملون برعايتهم سرا ، أصحاب هذه المسارح والقائمين بالتمثيل فيها ، وكأنهم لم يسمعوا بأوامر الكنيسة ونواهيها ، وكانوا يمدون هذه المسارح بالاعانات المالية ، بدعوى انها وسيلة من وسائل الترفيه عن الشعب ، وهم فى الحقيقة يفعلون ذلك ليشغلوا الشعب بما يصرفه عن محاسبتهم فى تدبير شؤون الحكم لخير البلاد !

ومما يثير الضحك أنه حينما وقعت مجاعة مهلكة فى مدينة روما ـ وذلك فى أواخر القرن الرابع الميلادى ـ وأخذ السكان يهاجرون المدينة الجائعة الى المدن الاخرى التى تزخر بالاقوات ، خشى رجال الحكم أن يهجر المدينة الممثلون والراقصات ، فأصدروا الامر بحجز ثلاثة آلاف منهم عن مغادرتها ، بدعوى أنهم يؤلفون ناحية ضرورية من نواحى الحياة الاجتماعية فى المدينة ، هى ناحية الترفيه عن الشعب ، وبدعوى أن هذا الشعب المنهوك قد يجد فى فنهم اللطيف ما يصرفه عن التفكير فى مأساته الوافدة !

وزالت هذه المجاعة الوافدة ، وما برحت هذه المسارح قائمة ، ولم يفد فى غلقها وانصراف الناس عن غشيانها أوامر الكنيسة وتهديداتها

وتعقيبنا على هذه الظاهرة ، أنه اذا صح لرجال الدين أن يحزموا الامر على مناهضة لون سافر من ألوان التمثيل صيانة للاخلاق واعلاء لشأن الفضيلة ، فما كان يجوز أن يناهضوا ألوان التمثيل الاخرى المنزهة عن مباذل الرقص الاجماعى ، وذلك باعتبار أن فن التمثيل كائن حى مربوط الى النفس بوشائج لا تنفصم ، وكل كائن حى له وجه نفع ووجه خير ، وناحية مشرقة وأخرى مظلمة ، وشأنه فى هذا شأن الحياة نفسها . ولا شك فى أن رجال الكنيسة قد أحسوا بعد ذلك فشلهم فى القضاء على ما تألبوا للقضاء عليه ، فقد خرج فن التمثيل ظافرا من هذه المحنة ، وقد كان سلاحه فى الظفر ـ كما هو الآن وفى مستقبل الايام ـ انه متأصل فى أعماق النفس البشرية متغلغل فى حناياها ، ولا غنى للنفس عنه ،

باعتبـار أنه لون من ألوان التعبير ، والتعبير كما نعلم هو الرد على ما يدخـل الى النفس بواسطة الحس ، ولا مفر لنا من التعبير ما دمنا نحس ، أى ما دمنا على قيد الحياة

المسرح يعود الى خدمة الدين

ويروى تاريخ المسرح بعد ذلك كيف اتخذ رجال الدين فى العقيدة المسيحية المسرح وسيلة لتفسير بعض مغلقات اركان العقيدة ، وتيسير فهمها للناس ، وكيف أصبح المسرح الدينى المسيحى اداة بعيدة الاثر فى اذاعة ما يريد رجال الدين أنفسهم أن يخلد فى أفئدة الناس من طقوس العقيدة وأصولها فصار هذا المسرح مذياعا ينشر فى ارجاء العالم المسيحى كرامات السيد المسيح منذ يوم أن ولد الى يوم أن رفع الى السماء ، بعد ان حمل على كتفه الصليب الذى شد اليه أو شبه للناس أنه لاقى محنة الصلب عليه . ثم صار هـذا المسرح للاشادة بفضائل الحواريين والقديسين ، بحيث يدخل الطمأنينة عـلى القلوب ، ويغرى بالرضاء ، ويغذى النفوس بمكارم الاخلاق . .

وقد استمر هذا المسرح الدينى يؤدى واجبـه نحو الدين والناس مدى خمسة قرون طوال ، أى من القرن الحادى عشر الى أوائل القرن الخامس عشر ، واعتلى رجال الدين أنفسهم فى أوائلها خشبة المسرح ممثلين يؤدون أدوارا تمثيلية خالصة

بيوت الشيطان

وما كاد القرن السادس عشر يتجاوز العقد الثانى بعد منتصفه ، حتى نقف أمام ظاهرة أخرى شبيهة بتلك التى طالعتنا سابقا

كان ذلك فى انجلترا ، وعلى أثر حركة الاصلاح الدينى التى قام « مارتن لوثر » فى المانيا بها ، وزميله « كالفين » فى فرنسا وبلاد الشمال . وهو اصلاح ، كما نعرف ، اتجه نحو تخليص المسيحية ــ فى مذهبها الكاثوليكى ــ مما علق بها من أوهام ومغالاة بفعل بعض رجال الدين ، ولارجاع هذه العقيدة الى صفائها الاول وبساطتها الاصيلة

ونحن لا تهمنا هذه الحركة الاصلاحية العنيفة الا من ناحية انهـا امتدت الى المسرح وتعرضت له فى عنف تحاول القضاء عليه . وذلك باعتبار انه كان نصيرا للمذهب الكاثوليكى وعاملا من عوامل الدعوة له ، وباعتبار انه وسيلة للترفيه والتسلية ، وهذه وسيلة لم يكن يرمقها رجال المذهب الجديد « البروتستانت » بعين الرضى ، لانهم كانوا يريدون فى دفعتهم الاولى نحو الاصلاح ، ان يروا كل شىء فى الحياة يلبس ثوب الجد والوقار ، ويعف عن التمتع بلطائف العيش اللين . .

فقد هب رجال الدين من اتباع ابطال هذا الاصلاح الدينى يناهضون المسرح بمختلف الوسائل . هذا فى حين ان المسرح فى ذلك العهد لم يكن ملوثا بما لوث به «المسرح اللاتينى» السابق الذكر من مهازل سافرة

ولوثر وكالفين استطاعا أن يقهرا أحبار النصارى، وأن يخضعا الملوك والامراء لتعاليمهم وأن ينفذا بهـذه التعاليم الى مكانة العقيـدة فى قلوب الناس ، فتـداعى كل شىء أمامهما وتهدم ، الا المسرح . وعبثا أنزل أتباعهما من رجـال الدين والدولة اللعنات والحرمان والاضطهاد والظلم بالممثلين ورجال المسرح ، كل هذا لم يجد شيئا فقد ظل المسرح قائما عزيز المنال

لقد ظلت المسارح أو « بيوت الشيطان » كما يسمونها دعاة الاصلاح الجـديد ، تؤدى مهمتها ، بل ازدادت نموا وازدهارا ، وأنشئت منها احدى عشرة دارا جديدة فى خلال السنين الثلاثين (١) التى نشط فيها أعداء المسرح لمناوأته باسم الدين أو بطريق الحكام

وقد خرج المسرح من هـذه الكارثة كما خرج من سـابقتها ، ظافرا ، صلب العود ليستأنف حياته واسباب ظفره معروفة كشفنا عنها فيما تقدم

وأعجب ما فى الامر ، وهذه ظاهرة جديرة بالتأمل ، ان المسرح يحظى باقبال من الناس فى الوقت الذى يهب فيه الدعاة لمناهضته ومحاولة القضاء عليه !

واستخراج العبرة من هاتين الحادثتين أمر غير عسير ، وهو أن لا سبيل الى القضاء على ما هو أصيل فى النفس البشرية ، ولا سيما بعد أن تنمو مظاهره وتتدرج فى مدارج الرقى، وتتجلى عن خير عميم . وانه من الحكمة أن لا تأخذ أى عنصر من عناصر الحيـاة بجانبه السىء فحسب بعد أن تتناسى جانبه الحسن وتغمط قدر ناحيته المنتجة المحسنة ، اذ لا شىء فى الحياة ، كله للخير والمنفعة ، وان من يغالى فى طلب الجانب النافع المشرق من أى شىء دون أن يوطد النفس على تحمل جانبه الآخر ، يكون كمن يطالب البحر بأن لا تهدر أمواجه ، والهواء بأن لا يعصف ، والانهار بان لا تفيض أحيانا ذلك الفيضان الذى يغرق بعض القرى والمزارع ، فاذا الماء الذى يخرج منه كل شىء حى ، ينقلب مقبرة لكل حى

زكى طليمات

سمع أحد الصحفيين اثناء محاكمة نورمبرج حديثا دار بين شاهد ألمانى كان ينتظر دوره للادلاء بشهادته وبين مترجم سويسرى

قال الالمانى : لماذا يعينون لبلادكم وزيرا للبحرية وسويسرا كلها بلد قارى لا سواحل له ولا أسطول

فأجاب السويسرى على الفور : وماذا فى ذلك .. ألستم تعينون فى ألمانيا وزيرا للعدل ؟!

---

(١) أى ما بين عام ١٥٧٠ــ١٥٩٩ وذلك فى عهد الملكة اليصابات

لقد أطلقوا سراح الشيطان ولا يدرى الا
الله ما هو فاعل بهم ... وبنا ... !

أسرار القنبلة الذرية ينبغي إذاعتها !

ترتعد الدنيا كلها من هول القنبلة الذرية ، ويزعم الناس أن أشد الامم رعبا منها هم الروس ، ولكن الواقع أن أحفل الناس بالمتاعب بسببها هم الذين اخترعوها ورأوا بلاءها فى اعدائهم . فمنذ أن ألقيت القنبلة الاولى على هيروشيما ، والحكومة الامريكية لا هم لها الا المحافظة على سر القنبلة ومنعه من التسرب الى بلد آخر ، حتى لقد أقيمت فى القارة الامريكية شبكة هائلة من رجال البوليس ، ثم ان الولايات المتحدة بعد ذلك نهبة للاشاعات عن « افلات » السر ! فمرة يزعم الناس ان الروس حصلوا عليه عن طريق الكنديين ، ومرة يقال ان علماء نازيين يعملون فى خدمة فرانكو ، وانهم انتجوا فعلا قنبلتهم الأولى لحساب الدكتاتور الاسبانى ..

وقد كتب العالم الامريكي الدكتور ليوبولد رانهوف يسخر من قومه لهذه الضجة الكبرى التى يثيرونها حول « كوم » من القنابل الذرية . فالعلماء لا يشكون فى أن سنتين أو ثلاثا ، لن تنقضى حتى تكون القنابل الذرية قد صنعت فى بلاد أخرى كثيرة ، بل ربما كان فى الامكان صنعها من معادن أقل ندرة من الاورانيوم . وقد كتب البرت اينشتين أكبر علماء عصرنا يقول : ما دامت الولايات المتحدة وبريطانيا تنفردان بسر القنبلة دون روسيا ، فانه من واجبهما أن تدعوا روسيا لوضع القانون الاساسى للحكومة العالمية المأمولة ، فان هذا ربما أعان الروس على التخلص من سوء الظن الذى ينظرون به الى حلفائهم الذين يستأثرون بالسر الرهيب دونهم ، بل ربما حال هذا بين الروس وبين الحصول على ذلك السر ، اذ انهم اذا شعروا بالطمأنينة وحسن النية من الجانب الآخر كفوا عن البحث والتجسس ..

فاذا قبلت الدول الثلاث الكبرى أسس هذا الدستور الدولى واقرته ، دعت الدول الصغرى للاشتراك فى حكومة العالم ، وينبغى أن تظل الدول الثلاث الكبرى فى القيادة والرئاسة سواء انضمت الدول الصغرى أم لم تنضم

***

ثم يقول الدكتور رانهوف معلقا على كلام اينشتين : اننى أشارك الاستاذ الكبير رأيه فى ان اذاعة السر أمر لا مندوحة عنه لاسباب : أولها انه لا يوجد سر يظل سرا الى

الابد ، وثانيها ان اختراع القنبلة كان نتيجة جهود اشتركت فيها الدول كلها تقريبا ، ولم تنفرد به دولة دون أخرى ، وثالثها ان أولى المحاولات للاحتفاظ بالقنبلة سرا مغلقا قد أوجد بين الدول الكبرى شعورا خطرا من سوء الظن .. بيد انني أجد أن ما يتحدث به العلامة الكبير سابق لاوانه ، لانه يجب أن يسبق ويمهد له بتعليم عالمي ، أي بنظام دولي من التربية يمهد نفوس الناس لقبول فكرة الحكومة العالمية والتعاون على انجاحها

ولا شك في أن الوقت الذي نعيش فيه يتطلب من العلماء أن يغادروا عزلتهم الذهبية ويخرجوا الى ميدان السياسة ، لان القنبلة التي اخترعوها أصبحت لعبة في يد السياسيين وحدهم ، وهم يسوقوننا بسياستهم نحو غاية غير مأمونة ، ولن يوجد انسان واحد يعفي العلماء من مسئوليتهم اذا تركوا رجال السياسة يتصرفون بهذا الشيء الخطير حسب أهوائهم، بل ربما كانت مسئولية العلماء في هذا أعظم ، لانهم يعلمون انهم هم الذين وضعوا أساس سياسة كتمان السر ، فقد كانت مسائل الذرة والابحاث حولها معروفة مذاعة حتى سنة ١٩٤٠ ، ومن ذلك الحين حدث شبه سباق بين علماء كل بلد للوصول الى استخدام الطاقة الذرية استخداما عمليا ، وربما كان وصول الولايات المتحدة وانجلترا وكندا الى تحقيق ذلك قبل غيرها من الدول مسألة صدفة محضة

***

وقبل أن يلقي الامريكيون قنبلتيهما على هيروشيما ونجازاكي كان الناس يتساءلون عما اذا كانت القنبلة الذرية تفعل فعلا ، فاما وقد رأى الناس كلهم ذلك رأى العين ، فلم يبق هناك مجال للسرية ولا للتساؤل . وكل دولة لديها من المال كفاية تمكنها من الانفاق على الابحاث ولديها طائفة متوسطة من العلماء الأذكياء تستطيع أن تتوصل الى تركيب قنابل ذرية . وحتى اذا ظلت الولايات المتحدة محتفظة بهذا السر ، فماذا عساها صانعة بما لديها من القنابل ، انها لا تفيد شيئا في الدفاع ، والاحتفاظ بها هكذا أمر لا معنى له ولا فائدة منه

لا زلنا نتبع دون تفكير القاعدة الرومانية التي اثبتت أفلاسها ألف مرة ، وهي : ان أردت السلم فاستعد للحرب ، ولقد ساقنا ذلك الى عشرات الحروب دون أن نتعظ ونعدل عنه الى سياسة أخرى ، ونحن اذا لم نستعمل ما لدينا من القنابل في الاشهر — بل الاسابيع القليلة القادمة — فان الدول الاخرى ستأخذ في صناعة قنابل وتكديسها ، وحتى لو كان ما لدينا من القنابل اكثر عددا مما لديهم فان ذلك لا يغني عنا شيئا ، لان أعداءنا اذا بدأوا الحرب قبلنا بوقت قصير ضربوا بلادنا وذخيرتنا من القنابل قبل أن نستطيع الاستفادة منها . ان مصير الحرب الذرية سوف يتقرر في الساعتين أو الثلاث الساعات الاولى . وينبغي أن لا ننسى ان الخوف سوف يدفع احدى الدول الى البدء بالهجوم علينا لمجرد علمها أن ما لدينا من القنابل يفوق ما لديها ، أي أن ذخيرتنا من هذا السلاح ستكون من أسباب هلاكنا

فاذا كان هذا هو الحال ، فليس أمامنا مخرج آخر غير البحث عن سلاح دفاعى ، ولكن هذا جد عسير . فقد كتب الدكتور اوبنهيمر صاحب اليد الطولى فى صنع القنبلة الذرية يقول : لا يوجد شيء ما يستطيع ان يوقف فعل القنبلة أو يعطله ، ولو انه من المستطاع منع حاملاتها من الوصول الى المكان الذى يراد القاؤها فيه . أما منع حاملات القنابل من الوصول فأمر قليل الجدوى ، اذ لو أفلتت واحدة فقط من كل مائة واستطاعت ان تلقى علينا قنابلها لحولتنا وبلادنا رمادا !

***

وليس هناك الا وسيلة واحدة للنجاة ، هى ان نطلب باطن الارض فنتخذ فيه مساكننا ومصانعنا وجامعاتنا . . وهل مثل هذا يسمى حياة ! وقد كان نفر من الناس يرون ضرورة مراقبتنا لكل مصادر الاورانيوم فى العالم ، وقد ثبت لهم استحالة هذا ، فهناك مناجم كبيرة لخاماته فى روسيا وفى تشيكوسلوفاكيا . ثم ان الابحاث تظهر لنا يوما بعد يوم أن الاورانيوم ليس المعدن الوحيد الذى يصلح لتركيب القنابل الذرية

ولنتصور شعور دولة كروسيا : خاضت الحرب الى جانبنا ، وبذلت فى سبيل النصر ما بذلنا ، ثم تجدنا الآن محتفظين بهذا السر دونها . تصور أى شعور من سوء الظن وخيبة الامل تشعر به نحونا . ان التفسير الوحيد لهذا الكتمان هو أننا نحتفظ بالسر لكى نستعمله ضدها وقت الحاجة . . لكى تظل يدنا فوق ايديها على كل حال

واذا كان رجال السياسة لا يتنبهون لهذه الحقائق ، فان أهل العلم يلمسونها ولايشكون فيها ، وواجب تنبيه الناس اليها ملقى على عواتقهم ، ولهم اليوم كلمة مسموعة فى كل ميدان

***

ومهما يكن من الامر فانى أرى أن هناك حقيقة لا مندوحة عنها وهى أن استعمال القنبلة الذرية فى أعمال التخريب ينبغى أن يعتبر أمرا غير قانونى ، وأنه ينبغى ان يعقد اتفاق دولى معززا بوسائل الرقابة الدقيقة لتحريم صنع القنابل الذرية تحريما تاما . فاذا كان هذا لازما فأول ما ينبغى فعله هو ان تبادر الولايات المتحدة فتذيع سر القنبلة ، فسيكون فى هذه الاذاعة تقرير لعظمة الولايات المتحدة وتأكيد لحسن نياتها

والخطوة التالية لهذه هى عقد مؤتمر فى الولايات المتحدة غرضه وضع الاسس اللازمة لتحقيق فكرة الهيئة الدولية التى تشرف على القوة الذرية واستخدامها

وينبغى كذلك ان توضع فكرة انشاء حكومة عالمية — وهى التى ينادى بها اينشتين — موضع البحث والاعتبار ، وينبغى أن يكون لاهل العلم نصيبهم فى كل هذه المناقشات

(عن « مجازين دايجست »)

يعتبر عقد زواج الجنرال مينو من أعجب وثائق الزواج التى عرفها التاريخ فقد روعى فى صياغته منتهى الدقة فى تحديد المسئولية الحالية والمستقبلة بين الزوجين بل وبين الامتين المصرية والفرنسية

عقد زواج الجنرال مينو!

فى يوم الاربعاء ١٥ رمضان سنة ١٢١٣ هـ. الموافق ١٣ فبراير سنة ١٧٩٩ م شهد ثغر رشيد حفلا عظيما بمناسبة عقد قران الجنرال مينو القائد الفرنسى ، وأحد رجال الحملة الفرنسية التى جاءت بقيادة نابليون الى مصر سنة ١٧٩٨ واستولت عليها . ولقد أصبح هذا القائد مينو حاكما لمصر من قبل الفرنسيين بعد هذا الزواج بسنتين تقريبا ومن ذلك يتبين لنا ان هذا الزواج طبيعى لا دخل للسياسة فيه

وقد اشتغل نابليون فى هذه الفترة بصد الاتراك عن الشام

وكان حاكم ثغر رشيد هو الحاج على نور الدين افندى ، كما ورد ذلك فى نص الوثيقة

ولما كان زواج الجنرال مينو من سيدة مصرية مسلمة ، فقد سبق العقد اشهاد اسلام الجنرال مينو فى حفل حضره رجال الدين واعيان المسلمين فى ثغر رشيد . وهذا هو نص الاشهاد الشرعى : « بمحضر كل من (المذكورين) دام أعمالهم بعد أن أقر واعترف مينو باشا سارى عسكر القطر المصرى حالا بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتى الشهادتين، وهما اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله، عارفا معتقدا معناهما ومصدقا لمضمونهما تاركا لدين النصرانية ، والاديان والترتيب، واعادة الطريق واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما طائعا مختارا ، من غير اكراه ولا اجبار . وبمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وظهرت منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم وسمى نفسه عبد الله باشا ، واشهد على نفسه الجماعة المذكورين بجميع ذلك اشهادا شرعيا »

***

عند ذلك وجه السيد احمد الحضرى المفتى الشافعى استفتاء هذا نصه « ما قولكم دام فضلكم فى رجل أحب الاسلام وأهله ورغب فيهما تاركا لدين النصرانية ناطقا بكلمتى الشهادتين مصدقا على الوجه الاكمل ثم أراد ان يتزوج بامرأة مسلمة على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ الزواج بها والعقد عليها بشروط شرعية » فرد عليه المفتى الحنبلى وكذا المالكى بالايجاب ودونت اجابتهما فى نفس المحضر

وكانت السيدة التى سيعقد قرانها على الجنرال تدعى زبيدة ابنة محمد البواب ، وكانت مطلقة سليم أغا وانقضت عدتها ، واتفق مبدئيا على أن يكون الصداق ألفى ريال ، يدفع منها مقدما مائة دينار « ذهبا محبوبا »

وسلم الحاج احمد شهاب الوكيل الشرعى عن الجنرال مينو مقدم الصداق الى وكيل العروس الحاج حسين بن السيد محمد الموقت الحاضر بالمجلس، وشهد بذلك اخو العروس لامها السيد على الحمامى بن حسن البواب ، وكذلك السيد احمد وشقيقه السيد ابراهيم ولدا السيد سليمان النقرزان

وحضر هذا العقد رهط عظيم من المدعوين ، ومن بينهم أولئك الذين حضروا اشهاد اسلام الجنرال . كذلك شاهد العقد بعض أفراد الجالية الفرنسية ، نذكر من بينهم لوى جوسف وفكتور جوليان ـ صارى عسكر حاكم ولاية الثغر ـ ولوى جوسف دورى ـ رايس طايف عسكر وكتخدا صارى عسكر الآتى ذكره فيه ـ وجان فرنسوا لوى لويكه ـ مهندس وميقاتى الجيش الفرنساوى ـ وكذلك كويزى دانولى ـ باش تحكيم القرنتينة

وعقد زواج الجنرال مينو هذا يعتبر من اعجب وثائق الزواج التى عرفها التاريخ ، فقد اشتمل على أحد عشر بندا روعى فى تنسيقها منتهى الدقة وتحديد المسئولية الحالية والمستقبلة بين الزوجين ، بل وبين الامتين المصرية والفرنسية . فدرست ثروة الزوجين فى الحياة وبعد الممات ونسلهما فى حالة وفاة أحد الزوجين ، وعلاقة هذا بالوطن المصرى والفرنسى ، ولمن تكون الوصاية على أطفالهما بعد وفاة الزوجين

وها هو نص العقد ، فبعد ان أثبت حضور رجال الافتاء الثلاثة السابق ذكرهم ، وكذا من حضر العقد من المدعوين ، وبعد التوافق والتراضى بين وكيلى الزوجين والمعرفة فى حضرة الشهود ، ذكر الاحد عشر شرطا الآتية بين الزوجين :

اولا ـ ان زبيدة اقامت زوجها المذكور وكيلا عنها فى سائر (ساير) ما تملكه يدها وفيما يوجد لها من مال (يتصرف لها فيه فى ذلك بحسب نظره السديد)

ثانيا ـ ان عبد الله باشا مينو الزوج المذكور أقر بان كامل ما هو تحت يدها من متاع ومصاغ وحلى فهو ملك لها بمفردها

ثالثا ـ عبد الله باشا مينو الزوج المرقوم أعطى (اعطا) لوكيله الحاج احمد شهاب المذكور مائة (ماية) محبوب كل واحد منها بمائة وثمانين نصف فضة فى نظير صداق زوجته المذكورة، وان الحاج احمد شهاب سلم جميع ذلك ليد وكيلها الحاج حسين المذكور ، فسلمها ذلك عددا بالمجلس وذلك على حسب عادة عقودات المسلمين

رابعا ـ ان الزوج المذكور شرط على نفسه انه ان حصل بينه وبين زوجته فراق ، يدفع لها ألفى ريال نظير فراقه لها، وكل ماكان تحت يدها وقت ذلك يكون جميعه ملك لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين

خامسا ـ ان زبيدة الزوجة المذكورة ان كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين ، لم يكن لها من الالفى ريال المذكورة (ولا نصف فضه) ما عدا ما تحت يدها من مصاغ وغيره فهو لها

سادسا ـ زبيدة لم تزل وارثة فى كل ما كانت ترثه شرعا

سابعا ــ ان زبيده أقرت بنفسها انه اذا مات زوجها المذكور وهى فى عصمته ، تأخذ من ماله الالفى ريال المذكورة ، وليس لهـا مقارنة ولا طلب فى تركته وذلك فى نظير ارثها الشرعى حسب رضاها بذلك

ثامنا ــ انه ان مات المذكور ، وخلف أولادا من زوجته المذكورة وهم قصر ، يقام عليهم رجلان ناظران ووصيان، واحد فرنساوى والثانى ابن عرب ، يتصرفان فى أموالهم بحسب المصلحة فى طريقة الفرنساوية وطريقة المسلمين

تاسعا ــ ان الزوجة المذكورة ان ماتت وخلفت أولادا من زوجها المذكور فى حياته يكون أبوهم هو الوكيل الشرعى على أولاده وعلى حالهم (وربما كانت صحتها مالهم)

عاشرا ــ الناظر الوصى الفرنساوى المذكور فى الشرط الثامن يقام من طرف حكام الفرنساوية الموجودين فى بر مصر وقت ذلك . والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين ، وان حصل تداعى بحسب اختلاف تقام على يد الحاكم الشرعى ان كان ببر مصر أو بر الفرنساوية

الحادى عشر ــ عبد الله مينو وزوجته ان ماتا جميعا وخلفا أولادا ، يكون اولادهما تحت حماية جمهور الفرنساوية (والزوجين المذكورين يقصد افضل الحكام الخمسة التى ببلاد فرنسه يكون نظارا على أولادهما)

وقد ورد فى نهاية العقد ما نصه : ان الزوج والزوجة أقرا واعترفا برضاهما على هذه الشروط المذكورة على يد وكيليهما الاقرار والاعتراف الشرعين الصادرين منهما بالمجلس بحضرة من ذكر اعلاه ، وانهما التزما بهذه الشروط ليفعلا بها وقت الاحتياج اليها من غير اكراه ولا اجبار . وثبت ذلك لدى مولانا افندى ثبوتا شرعيا وحكم بموجبه فى ١٥ رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ــ نسختان متطابقتان . شهود الحال . وتبع ذلك توقيعاتهم

رشوان أحمد صادق

اعلان

وزعت وزارة الطيران فى انجلترا اعلانا كبيرا مصورا ترغب الشبان فى التطوع لسلاح الطيران الملكى البريطانى وكتب تحت الصورة ما يأتى :

« التحق بسلاح الطيران تر العالم »

وجاء مجهول ظريف فأضاف على الاعلان كلمة واحدة قلبت المعنى رأسا على عقب ، فأصبح الاعلان هكذا :

« التحق بسلاح الطيران تر العالم .. الآخر ! »



بقلم الأستاذ محرم كمال

الأمين بالمتحف المصرى

من آثار مصر الادبية الخالدة ، كتاب قديم كتبه الحكيم « بتاح حتب » فى عصر الملك اسيسى ، أحد ملوك الاسرة الخامسة ، يتضمن مجموعة كبيرة من النصائح والحكم والامثال التى كتبها الحكيم لابنه منذ نحو خمسة آلاف سنة . وهى تكفى لاعطائنا صورة واضحة عن حكمة مصر وآدابها ومثلها العليا فى العصر القديم

وقد وجدت نسخة من هذا الكتاب مكتوبة على ورق البردى ، اشتراها عالم فرنسى يدعى « بريس » من أحد الفلاحين فى الاقصر ، وأهداها الى المكتبة الاهلية بباريس حيث ظلت محفوظة به حتى الآن . ويبدو أن النسخة المذكورة ، قد نقلت فى عصر الاسرة الثانية عشرة عن أصل قديم . وبالرغم من انقضاء نحو أربعة آلاف سنة على هذه النسخة، فان كتابتها واضحة حتى ليخيل الينا انها كتبت منذ أيام قليلة

والآن لنترك بتاح حتب الحكيم المصرى يتكلم ويتولى تقديم نفسه وكتابه (١) :

« تعاليم حاكم المدينة الوزير بتاح حتب فى عصر ملك مصر العليا والسفلى « اسيسى » المستمتع بحياة خالدة أبدية

« هنا تبدأ أقوال الحكمة التى قام بها الامير ، الاب المقدس ، حبيب الاله ، ابن الملك الاكبر الحق ، حاكم المدينة ، الوزير بتاح حتب ، سائها لتثقيف الجاهل ، وليفقهه فى فنون الحكمة والقول الحسن ، فتكون مجدا وفخارا لمن يعمل بها ، وعارا وشنارا لمن يغفلها قال مخاطبا ابنه :

ـ لا تغتر بما حصلت عليه من العلم فتتكبر ، حادث الرجل غير المتعلم كالمتعلم ، لانه ليس هناك حد للمعرفة ، ولا رجل وصل الى نهاية العلم بفنه

ـ اذا وجدت رجلا يتكلم وكان أكبر منك وأشد حكمة ، فاصغ اليه واحن ظهرك أمامه ـ دليلا على الطاعة ـ ولا تغضب اذا لم يتفق رأيه مع رأيك

ـ اذا وجدت رجلا مساويا لك يتجادل وأثار حديث السوء فلا تسكت ، بل اظهر حكمتك وحسن أدبك ، فان الكل سيثنون عليك ، وسيحسن ذكرك عند العظماء

ـ اذا وجدت رجلا يتكلم وكان فقيرا أى ليس مساويا لك ، فلا تحتقره لانه أقل منك بل دعه وشأنه ، ولا تحرجه لتسر قلبك ، ولا تصب عليه جام غضبك . فاذا بدا لك أن

---

(١) ما يلى هو ترجمة تكاد تكون حرفية لما ورد فى ورقة بريس البردية التى سلفت الاشارة اليها

تطبع أهواء قلبك فتظلمه ، فاقهر اهواءك لان الظلم لا يتفق مع شيم الكرام

ــ اذا كنت فى صحبة جماعة من الناس ، وكنت عليهم رئيسا ولشؤونهم متوليا ، فعاملهم معاملة حسنة حتى لا تلام ، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص . ان العدل عظيم ، طريقه سوية مستقيمة . هو ثابت غير متغير ، انه لم يتغير منذ عصر آزريس . من يخالف القوانين يعاقب ، ومن استحل حقوق الناس حراما ، أخذ الحرام معه الحلال وذهب . ما كان الشر يوما بموصل مقترفه الى شاطىء الامان . ان حدود الحق واضحة ثابتة ، والحلال بين والحرام بين ، والمرء يفعل ما تعلمه من أبيه

ــ لا تنشر الرعب بين الناس ، فهذا أمر يعاقب عليه الهك . هناك من الناس من يقول : « ها هى الحياة قد اقبلت » فيمشى فى الارض مرحا ويتكبر ويتجبر ، فيجازى بالحرمان من خبز فمه . وهناك من الناس من يقول : « ها هى سطوتى » ويخيل اليه انه يستطيع أن يستولى على كل ما يخطر له بالباطل ، وبينما هو يتشدق بذلك تنزل به النازلة ، فلا يملك لها دفعا ، ولا لنفسه نفعا . وهناك من يتحايل على الحصول على ما ليس له ، ليقتنى بذلك ثروة تغنيه ، وليهيىء لنفسه الامن فى مستقبله ، ولكن المستقبل لا يهيئه أحد لنفسه لانه بيد الرب . فما من شىء هيأه المرء لنفسه قد وقع ، وانما يقع ما أمر به خالق السموات والارض فعش اذن فى بيت الامان والطمأنينة ، قانعا بحاضرك ، واثقا بمستقبلك ، فيأتى الناس اليك من كل فج عميق برزق لك من حيث لا تدرى ولا تحتسب

ــ اذا كنت بين جماعة من الاضياف فى منزل رجل أعظم منك ، فخذ كل ما يعطيه لك وضعه أمامك . واذا نظرت اليه فلا تحملق فيه ، فان الروح تكره من يتفرس فيها . ولا تتكلم الا اذا وجه اليك الخطاب ، لان المرء لا يعرف ما يشمئز منه ويرغب عنه . تكلم عند ما يتكلم اليك ، وعند ذلك تكون كلماتك شهية اليه حبيبة الى قلبه

ــ اذا كنت مكلفا باداء رسالة من أحد النبلاء الى نبيل آخر ، فأدها كما أخذتها تماما ، دون تحريف ولا تبديل . ولا تثر عداوة بكلماتك ، ولا تؤلب نبيلا على نبيل بقلب الحقائق والباس الباطل ثوب الحق . ولا تكن نماما ، فالنميمة تمجها النفس وتأباها الروح

ــ اذا كنت مزارعا فاحصد نتاج حقلك ، وسيبارك لك الرب فيه . ولا تطمع فيما هو لجارك . ان الانسان ليصير الها عند ما يكون على رأس جماعة تضع ثقتها فيه

ــ انك باحترامك من هم أعظم منك تعمل أحب شىء الى الهك . واذا عرفت رجلا صغيرا ارتفع فصار عظيما ، فقدم له فروض التجلة والاحترام التى تتناسب مع المركز الذى وصل اليه

ــ اسمع يا بنى ، ان الثراء لا يأتى وحده ، انه يفد على من يريده ويعمل له . فاذا عملت له وسعيت وراءه ، فان الرب ينيلك اياه . اما اذا قعدت وتوانيت وتمسكت باهداب الكسل والخمول فان الرب لك بالمرصاد ، ينزل عليك غضبه وعقابه

ــ اشتغل بجد فى حياتك ، واعمل اكثر مما قد طلب اليك . لا تضيع وقت شبابك

وفتوتك ، لان الذي يسيء استعمال وقت شبابه يستحق اللوم . ولا يفوتك أن تضيف الى ثروتك شيئا جديدا فى كل يوم ، لان النشاط يزيد الثروة ولكن بغير النشاط يذهب الخير والثراء

ـ اذا كنت رجلا عاقلا فليكن لك ولد ، تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك شيء يسر الآلهة . فاذا اقتدى بك ونسج على منوالك ونظم من شؤونك ورعاها ، فاعمل له كل ماهو طيب ، لانه ولدك وقطعة من نفسك وروحك . ولا تجعل قلبك يجافيه ، فاذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى ، وتكلم بالافك والبهتان ، فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله . وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد

ـ اذا كنت عضوا فى مجلس ، فاعمل طبقا لما كلفت به أول يوم . ولا تتغيب بل كن حاضرا قائما بعملك خير قيام ، فقاعة المجلس ينبغى أن يسيطر عليها نظام دقيق ، وان تسير أمورها وفق خطة محكمة

ـ اذا كنت بين جماعة من الناس ، فاجعل حب الناس هدفك ومنيتك ومبتغى قلبك وهواك . فيقول من يراك : « هذا هو رجل ناجح واته الثروة فلأقلده » ، فيحسن ذكرك وينبه ، دون أن تتكلم . ويعلو قدرك بين جيرانك ، ويكتمل من أمرك ما ينقصه . أما من يسير على هواه فلا يكون نصيبه الا الاحتقار وهوان الشأن ، وما هو ببالغ من حب الناس شيئا ، فيصبح قلبه مليئا بالبؤس ، وجسمه بغيضا ، ويغدو مرذولا عند المؤمنين بالرب . ان من اتبع هواه ضل ، وله من نفسه عدو مبين

ـ كن صريحا ، ولا تخف من أعمالك شيئا . بل صارح بها رئيسك فى مجلسه حتى ولو كان يعلم بها ، فلا يضير المرء أن يقال له : « هذا شيء أعلمه »

ـ اذا كنت زعيما على قوم ، فتصرف فى شؤونهم بما تقضى به قواعد القوانين والانظمة ، ناظرا الى ما يتأتى فى قابل الايام عند ما لا يفيد الكلام

ـ اذا كنت حاكما ، فكن عطوفا مستأنيا عند ما تصغى الى شكوى مظلوم ، ولا تجعله يتردد فى أن يفضى اليك بدخيلة نفسه ، بل كن به رفيقا ولحاجته قاضيا ولظلمه مزيلا رافعا . أجعله يسترسل فى كلامه على سجيته حتى تقضى له حاجته التى أتى من أجلها اليك . فانه اذا تردد فى أن يفضى اليك بما يجيش فى صدره قيل : « ان القاضى يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعا » . بيد أن القلب الحانى العطوف ، يستمع ويصغى عن رغبة

ـ اذا كنت تريد أن تكون موفور الكرامة فى أى منزل تدخله ـ سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق ـ فلا تقرب النساء ، فما من مكان دخله التعلق بهوى النساء الا وفسد . ومن الحكمة أن تجنب نفسك مواطن الشطط والزلل ، ولا توردها موارد التهلكة . فان آلافا من الرجال أهلكوا انفسهم وعملوا على حتفهم من أجل خاطر تمتعهم بلذة عارضة تذهب كحلم فى لمح البصر

ـ اذا أردت أن تكون أعمالك حسنة مستطابة ، فكن بعيدا عن المساوىء والشرور .

وهدىء من طباعك ، وتجنب الطمع ، لان هذه رذيلة تقود الى الهلاك ، فهى تفرق بين الآباء والامهات ، والاخوة والاخوات ، وتبذر بذور الشقاق والكره بين الزوج وزوجته

ــ لا تكن شرها فى القسمة ، فلا تأخذ منها ما ليس لك ، ولا تطمع فيما هو لجارك ، والكلمة الطيبة اللينة خير من القوة وأجدى . والطماع يخرج صفر اليدين من بين جيرانه وأخدانه ، لانه حرم موهبة الكلام الرقيق . والمرء يؤنبه ضميره على اطماعه مهما قلت وتضاءلت ، عند ما تذهب فورة مطلبه

ــ اذا كنت تريد أن تكون عاقلا فاتخذ لك بيتا واحب زوجتك وخذها بين ذراعيك . أشبع جوفها ، واكس جسدها . أفرح قلبها طول حياتك لان مثلها مثل المزرعة التى تعود بالخير الوفير على صاحبها . لا تكن فظا لان اللين يفلح معها أكثر من القوة ، انتبه الى ما ترغب فيه والى ما تتجه نحوه رغبتها وتنظر عيناها واجلبه لها . انك لو قاومت ارادتها فالهلاك لك ، خاطب قلبها واظهرها على حبك

ــ أشبع خدمك الاجراء بما لديك ، مما أفاءه الرب عليك . فهذا واجبك ، ولو أنه من الصعب ارضاء الخادم الاجير . فواحد يقول انه فقير محروم ، وانت لا تعرف ماذا يتأتى منه فى قابل الايام . وفى الغد يقول أنه قانع وباق حيث هو ، وعند ما تطوق الخدم بفضلك وكرمك يأتون اليك ويقولون : « نريد أن نذهب ونتركك » ، الا فلتذهب الرحمة من مدينة يقيم فيها خدم خبثاء تعساء !

ــ لا تردد كلاما قيل فى ساعة غضب ولا تصغ اليه ، لانه خرج من بدن أحمته سورة الغضب . واذا أعيد هذا الكلام عليك ، فلا تستمع اليه بل أنظر الى الارض ولا تتكلم بشأنه ، فيخجل من هو أمامك ويعرف الحكمة . واذا أمرت باقتراف سرقة فعليك أن تتفادى الامر ، لان السرقة شنيعة طبقا للقانون

ــ اذا كنت عاقلا وجلست فى مجلس سيدك ، فثق ان السكوت خير وأجدى لك من الثرثرة فى الكلام . وانها لحماقة أن تتكلم عن كل شأن وأمر ، لان من يعارضك يستطيع أن يثبت كلامه

ــ اذا كنت ذا بطش وسلطان ، فدعهم يوقرونك من أجل علمك ورقة حاشيتك . ولا تصمت ولكن حذار من أن تقاطع أحدا وهو يتكلم ، واياك أن تجيب وأنت فى فورة غضب

ــ اذا كان أمير منهمكا فى عمل فلا تثر ما يعوقه ، وكذا لا تظلم قلبا مثقلا بالهموم

ــ اذا كنت استاذا تقوم على تعليم ابن نبيل ، فعلمه الاشياء التى تعود عليه بالنفع ودعه يختلط بالناس ويقر بالفضل لاستاذه

ــ اذا كنت ابن أحد رجال الكهنوت ورسول سلام بين جموع الناس .. فتكلم دون أن تحابى طرفا ، ولا تجعلهم يقولون : « ان شأنه شأن النبلاء يحابى طرفا فى كلامه » . وليكن هدفك اصدار أحكام دقيقة

ـ اذا كنت قد تسامحت فى سابق الايام فصفحت عن شخص بغية هدايته فدعه وشأنه ولا تذكره بفضلك فى الغد

ـ اذا صرت رجلا عظيما وكنت فى وقت من الاوقات صغيرا ، واذا صرت غنيا وكنت فى وقت من الاوقات فقيرا ، واذا صرت حاكم المدينة ، فلا تتكبر لانك بلغت هذه المرتبة العالية ولا يقس قلبك بسبب رفعتك ، فما أنت سوى قيم على الحسنات التى أعطاها الرب لك . ولست أنت الاخير ، فسرعان ما يبلغ سواك المرتبة التى بلغتها فيكون مساويا لك ، يأتيه من الثروة والجاه ما أتاك

ـ انحن أمام رئيسك ، أمام المشرف عليك فى شؤون الادارة الملكية حتى يظل بيتك مفتوحا ، ويستمر رزقك ومرتبك جاريا ، ولا تعصه ، فان عصيان من بيده السلطة حماقة وشر مستطير

ـ لا تسلب منازل المزارعين ، ولا تسرق أشياء صديق حتى لا يتهمك فى مواجهتك فينقبض قلبك ، واذا علم بأمرك فانه لن يتوان عن أذاك وضررك . ما أحمق الخصام بدل الصداقة

ـ اذا كنت تبحث عن اخلاق صديق فلا تسأل أقرانه عنها ، ولكن اختلط به وأقض وقتا معه حتى تختبر أحواله . تناقش معه بعد زمن وامتحن قلبه فى معرض كلام . فاذا كشف لك عن ماضى حياته فقد هيأ لك الفرصة اما لكى تخجل منه أو لكى تكون له صديقا . ولا تكن متحفظا عند ما يبدأ الحديث ، ولا تجبه بخشونة ، ولا تتركه ، ولا تقاطعه حتى ينتهى من حديثه ، فقد تستفيد مما يقول

ـ كن وضاح الجبين مشرق الطلعة ما دمت حيا ، ولا تحزن على ما فات ، والمرء يذكر بأعماله بعد موته

ـ اعرف جيدا من يعاملك من التجار ، فانه اذا ساءت حالك فان شهرتك الحسنة بين أصدقائك ستكون لك ذخيرة . انها خير من الالقاب ومن الغنى . فالغنى يزول ، وينتقل من شخص الى شخص ، والذكرى الحسنة باقية للمرء مفخرة له . ان الخلق الحسن يبقى شيئا مذكورا

ـ ألا فلتعلم أن الرذيلة يجب أن تمحق حتى يتأتى للفضيلة أن تعيش وتبقى

ـ اذا أخجلت امرأة ذات قلب لعوب ماجن عرفت بين أترابها بالخلاعة ، فترفق بها لحظة ولا تطردها بل أعطها ما تأكل منه ، فان شهوة قلبها ستقدر هدايتك وارشادك

ـ ما أجمل طاعة الابن المطيع ، يأتى ويستمع مطيعا :

انه عبقرى فى سمعه ، عبقرى فى كلامه ، ذلك الذى يطيع كل ما هو نبيل ، وطاعة المطيع شىء نبيل

ان الطاعة هى خير ما فى الوجود ، انها تكون الرغبة الحسنة وما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته اليه الشيخوخة

ان ما يريده الرب هو الطاعة ، أما العصيان فهو بغيض الى الرب

حقا ان القلب هو الذى يجعل صاحبه يطيع أو يعصى ، لان حياة المرء الصحيحة الحقة هى وحى قلبه

ان من يطيع يطاع

كم هو جميل أن يطيع المرء أباه ، فيصبح أبوه من ذلك فى فرح عظيم وأنس مقيم . ويغدو هذا الابن رقيقا لينا عند ما يكون سيدا ، وكل من يستمع اليه يطيعه ، فيصح جسمه ويوقره أبوه وتكون ذكراه خالدة فى أفواه الاحياء الذين يعيشون على الارض ما داموا أحياء

ـ دع الابن يتقبل كلام أبيه . وعلم ابنك على هذا المنوال ، لان المطيع هو رجل كامل فى نظر الأمراء . فاذا تقبل كلامك بقبول حسن وتنبه واطاع فان ابنك يكون حكيما وتكون أعماله موفقة . أما الاهمال فيفضى الى العصيان ، والغبى يجب ان يسحق

ـ أما الغبىّ الجاهل فهو لا يطيع ولا يعمل شيئا ، فالعلم والجهل عنده سيان ، ويستوى عنده النافع والضار ، وهو يقترف الاخطاء فيأتيه اللوم كل يوم . وهو يعيش كالميت ، والكل يعرض عنه بسببه ما يقع عليه من جزاء كل يوم

ـ مهما يكن قلبك مليئا يفيض بما فيه من شجون ، فحذار أن يتكلم فمك ، وليكن مسلكك متزنا عند ما تكون بين النبلاء ، ولبقا أمام سيدك ومولاك ، ولتفعل كل ما يأمر به

ـ نفذ وصية سيدك ومولاك التى أوصاك بها ، فما أجمل نصيحة الاب لابنه الذى أنجبه . حقا ان الابن النجيب هبة من الرب . فهو يعمل أكثر مما يؤمر به ، ويفعل الخير ، ويضع قلبه فى كل أعماله . فاذا وصلت الى مركزى وقدرت ما أوصيتك به ، فسيكون جسمك سليما معافى ، وسيسر الملك بكل ما تعمل ، وستبلغ من العمر ما لا يقل عما بلغت من سنوات أمضيتها على الارض ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وأغدق على الملك من وفير نعمائه ما يفوق آلاءه على أجدادى ، لانى أقمت الحق والعدل للملك حتى شيخوختى »

« لقد انتهى »

« من بدئه حتى نهايته »

« كما وجد فى الكتابات القديمة » (١)

هذه هى نهاية الكتاب ، ولا يسعنا الا أن نعجب بما أوتيه هؤلاء القوم من حكمة لا تفقد قيمتها ولا روعتها مهما توالت الاجيال وتعاقبت القرون .. تلك هى حكمة مصر ، بل حكمة الشرق ، منبع الحضارة ، ومهبط الوحى .. والحكمة !

محرم كمال

---

(١) هى العبارة التقليدية التى تختم بها النسخ المنقولة عن كتب قديمة وهى بمثابة خاتمة الكتاب

العلم والعالم

صحافة اللاجئين

١ ـ السويد

عقب انتهاء الحرب فى أوربا فتحت السويد أبوابها للاجئين من مختلف الجنسيات الاوربية ، وتعاون الشعب السويدى مع الحكومة فى ايواء اللاجئين ومدهم بالطعام والكساء والعلاج . ولما كان يوجد بينهم كثير من الكتاب والصحفيين والمفكرين المنتمين الى دول مختلفة، فقد استطاعوا ان يتحدوا .. ويصدروا مجلة نصف شهرية باسم « فياسوريسيا »

وهذه المجلة هى اغرب المجلات فى العالم . ذلك لانها تصدر بخمس لغات وهى : الرومانية والمجرية والالمانية والبولندية والسويدية، وتشرف عليها « لجنة التكوين الديموقراطى السويدية » وتحرر بكل عناية وتهتم بوجه خاص بالسياسة الدولية والتطورات العالمية وانباء الدول المختلفة كما تنشر بجانب ذلك فصولا مطولة عن العقائد والتقاليد والآداب السويدية ، وهى تعتبر لسان حال هؤلاء اللاجئين الذين يربو عددهم على ثلاثين ألف شخص

٢ ـ انجلترا

تصدر فى انجلترا مجلة خاصة عبارة عن نشرات دورية باسم « بيم » و « بيم » هو الاسم المستعار للصحفى الالمانى المعادى للنازية والذى يصدرها منذ ان رحل الى انجلترا فى سنة ١٩٣٥

وهو ناقد فنى قدير قوى الذاكرة واسع الاطلاع ملم بأحوال معظم الشخصيات البارزة فى العالم وبكل التطورات والانباء العالمية ، مما جعل آلاف الالمان المعادين للنازية والمشتتين فى كل انحاء العالم يراسلونه ليعرفوا منه اخبار أصدقائهم وأقاربهم . فهو يرسل هذه المجلة للمشتركين فيها فى مختلف الانحاء ، ويقبل على الاطلاع عليها باهتمام اللاجئون الاجانب فى انجلترا

وهذه المجلة تصدر بانتظام فى لندن وتحرر بالانجليزية وأصبحت لها، بعد ان وضعت الحرب أوزارها ، أهمية كبيرة فى الاوساط السياسية

٣ ـ نيويورك

فى سنة ١٩٣٣ هرب كثير من الالمان المعادين للنازية الى نيويورك واستوطنوا فيها وهناك استخدموا بعض صحف نيويورك للتعبير عن حالهم . ثم لم يلبثوا ان اصدروا مجلات خاصة بهم لا تزال تصدر بانتظام حتى الآن

وكانت اول صحيفة اصدرها اللاجئون الالمان فى نيويورك هى مجلة « نيو فولكزايتونج » الاسبوعية وهى فى الاصل الجريدة الاشتراكية الالمانية « فورفارتز » ـ أى الى الامام ـ التى كان يصدرها الالمان المعادون للنازية فى كارلسباد ثم نقلوها الى براج وبعدها الى باريس وأخيرا الى نيويورك حيث اخذت اسمها الجديد

وتصدر فى نيويورك أيضا مجلة اسبوعية للاجئين وهى « أوفباو » ويشرف على تحريرها الصحفى المعروف « مانفرد جورج »

وكانت مجلة « أوفباو » من أوائل صحف العالم التى نشرت تفصيلات وافية عن جرائم النازية وعلى الاخص حوادث تعذيب الاسرى فى بلسن وبوشنفالد وداشاو . واهم ما يلفت النظر فيها ألوف الاعلانات الصغيرة التى يبحث فيها ناشروها عن أقاربهم

الوجه وجماله

تختلف المقاييس التى يتخذها الناس فى نواحى الارض لتقدير جمال الوجه الانسانى ، فالشائع عندنا نحن المشارقة ان الوجه الجميل هو الوجه المستدير ، أما الاوربيون فلا يزالون يتخذون الوجه الاغريقى البيضاوى الهيئة نموذجا للوجه الانسانى فى اجمل صوره ، وهذا الوجه البيضاوى هو بعض ما خلف لنا اليونان من تراث يونانى ، ولا زال الفنانون من أقدم العصور الى اليوم يعجبون برأس « فيرنه » التى اتخذها المثال اليونانى الخالد براكسيتيل نموذجا ينقل عنه تماثيله ، وموضع اعجاب أهل الفن بهذه الرأس هو انها تنم عن ذكاء وحساسية الى جانب ما يجتمع فيها من تناسب واتساق ، واجتماع هذين العنصرين فى وجه واحد أمر نادر ، لان الوجوه التى تبلغ من التناسق أقصى مداه تنم فى الغالب عن خمول داخلى يتعب الناظر اليها ، وقد ذهب بعض الناس الى أن هذه النماذج البديعة التى خلقها اليونان وصوروا فيها الجمال الانسانى فى أكمل صوره لو بعثت الى الحياة وعاشت بيننا لضايقتنا

فهناك اذن مقياس لجمال الوجه غير مجرد تناسب الملامح ، فقد تتناسب الملامح فيما بينها ولكنها لا تتناسب فى مجموعها مع هيئة الوجه كله ومساحته ، كما ترى فى كثير من الناس : كل لمحة فى وجوههم جميلة على حدة ، ولكنها فى مجموعها صغيرة بالنسبة لصفحة الوجه العريضة ، فتكون النتيجة أن هؤلاء الناس يبدون لنا وكأنهم الى الاطفال أقرب ، وقد يحدث العكس فتضيق صفحة الوجه عن الملامح فيبدو الوجه كله فى هيئة لا تريح كثيرا

والغالب ان ظروف حياتنا الحديثة بما فيها من تقلب وسرعة هى التى قللت من جمال النماذج اليونانية الكلاسيكية فى نظرنا ، لان تناسبها الزائد عن الحد وما يشيع فى ملامحها من هدوء يضايقنا ؛ ولهذا كان ليوناردو دافنشى سعيد الحظ جدا اذ جعل الجيوكوندا تبتهم لان ابتسامتها خلعت على وجهها حياة قربتها من مزاجنا ونفوسنا ولو قد جعلها ليوناردو صامتة ساكنة كغيرها من جميلات الفن القديم لضاعت فى غمارهن

القلق وتصلب الشرايين

القلق وتهيج الاعصاب من أضر الاشياء بكيان الانسان ، وأثرهما على حالته العقلية معروف ، والاطباء اليوم معنيون بتتبع أثرهما السىء على حالة الجسم وعلاقتهما ببعض الامراض ، وقد ثبت بالفعل انهما من أسباب اضطرابات المعدة والامعاء وما يتبعها من القروح والاضطراب . فقد لوحظ أن معظم من يصابون بقروح المعدة والامعاء انما هم المشغولون القلقون الذين لا يجلسون على طعامهم الا وهم فى شغل بمشاربهم وافكارهم . فاشتغال الفكر هذا من شأنه أن يثير الجهاز الهضمى كله ، فاذا أكل الانسان زاد هذا الجهاز تهيجا وتوقف سير الهضم والامتصاص ، وهكذا تبدأ سلسلة التعقيدات التى تنتهى غالب الامر بقروح فى المعدة والامعاء

والآن يتبين الاطباء ان تصلب الشرايين يكون فى حالات كثيرة نتيجة لقلق الانسان واشتغال ذهنه بما يقض مضجعه . وقد أتيح للاطباء التثبت من ذلك لكثرة من أصيب بهذا المرض الخبيث اثناء هذه الحرب ، حينما كثر قلق الاهل — الامهات والآباء والزوجات خاصة — على اقاربهم فى ميادين القتال ، فقد لوحظ أن عددا عظيما ممن تساورهم المخاوف بسبب أبنائهم فى ميدان الحرب تظهر عليهم أعراض تصلب الشرايين

والسبب فى ذلك كما يتبين من ابحاث عدد عظيم من الاطباء الامريكيين والانجليز ان اشتغال البال واضطراب النفس يصحبه فى الغالب اضطراب فى الدورة الدموية ، فاذا استمر هذا القلق استمر اضطراب سريان الدم فى الجسم فتتسبب عن ذلك أمراض فى المفاصل وتصلب فى الشرايين

المرأة فى خدمة التعليم

قررت لجنة الابحاث العلميــة الامريكية منح ثلاث جوائز دولية قيمة كل منها ألف وخمسمائة دولار لثلاث فتيات : الاولى بولنـدية والثانية فلسطينية والثالثة سويدية تقديرا لابحاثهن العلمية العظيمة الفائدة

أما الفتاة الاولى وتدعى « ايرين ايجر » فقد ولدت فى فارسوفيا واتمت فيها الدراسة الثانوية ثم سافرت الى انجلترا لاتمام دراستها العلمية ، وانضمت الى الصليب الاحمر البولندى ورحلت الى كندا والولايات المتحدة حيث قامت بابحاث علمية جليلة الشأن فى الكيمياء العضوية فى جامعة كولومبيا بامريكا . وقد افادت ابحاثها الاعمال الحربية فائدة كبيرة حتى كوفئت عنها بهـذه الجائزة

وكوفئت الفتاة الفلسطينية واسمها « بروريا فريدمان » من مدينة بيت المقدس عـلى ابحاثها العلمية فى علم الحشرات

كما اعطيت الجائزة ايضا للفتاة السويدية « استريد بابكلفد » المتخصصة فى اللغات الحية ، على رسالتها عن الارتباط بين اللغتين الروسية والتشيكية

لماذا تزهد النساء فى الاطفال ؟

مشكلة تشغل البال فى كل قطر أوربى أو أمريكى . . هبوط النسل ورغبة الكثيرات عن انجاب الاطفال . والعلماء والباحثون فى كل هـذه الاقطار دائبون على البحث للوصول الى الاسباب الحقيقية لهذه النزعة الخطرة . وقد ذهب بعضهم الى أن ذلك راجع لاسباب اقتصادية أو لسوء التغذية ، ولكن أحدا منهم لم يشر الى أن هذه الظاهرة ترجع فى بعض اسبابها الى التقدم القليل الذى وصلت اليه ابحاثنا فى الامراض النسائية بالنسبة الى ما وصلنا اليه فى نواحى الطب الاخرى ، أما القول بأن السبب انما هو سوء الاحوال الاقتصادية فأقل ما يدحضه هو ما نرى من أن الطبقات الفقيرة هى أوفر الطبقات ذرية وأولادا !

ان تقدم الانسان فى مراقى التحضر يصحبه فى العادة قصوره عن احتمال الآلام والصبر عليها . والحمل والولادة أمران شاقان تتفاداهما المرأة المتحضرة وتتهرب منهما ، لان قواها على احتمال الآلام قلت مع الزمن

لذلك يبدو لنا ان احجام النساء الحديثات عن الولادة ليس مجرد أنانية منهن كما يحسب معظم الناس ، فنساء الدنيا من كل جنس وطبقة يرغبن فى الاولاد ويتمنين لانفسهن أطفالا ، ولـكن الآلام المبرحة التى يقاسينها اثناء الولادة أو بعـدها تزهدهن فى الاولاد ، فيفضلن مرارة الحرمان على أهوال الوضع وأخطاره . فعلى الذين يلومونهن أن ينظروا فى ذلك كله وينصرفوا الى علاجه فذلك أجدى على الامهات وعلى الشعوب كلها من البكاء على الصبر والثورة على النساء المسكينات

(عن مجلة «الكتمبررى»)

دماء الخيول

أثبت عالمان امريكيان بعد تجارب طويلة أن دم الخيول السريعة العدو يختلف فى تركيبه عن دماء غيرها من خيول الجر والحمل

وقد توصل العالمان الى اكتشاف هذه الحقيقة باحصاء عـدد الكريات الحمراء وحساب كمية الاوكسيجين فى كمية معينة من دماء كل صنف من الخيل ، فلاحظا ان كريات الدم الحمراء فى الخيول السريعة العدو أصغر حجما منها فى غيرها من الخيول ، ولاحظا كذلك ان كمية الهيموجلوبين عندها أقل مما عند غيرها ، ولكن عددها عنـد الخيول السريعة أكثر بصورة ظاهرة

ويعتقـد العالمان الامريكيان أن الخيول التى نسبها أصيلة تتوارث هذا الدم وان مرجع تفوقها هذا الى نوع دمها لا الى التمرين والتدريب كما يظن الكثيرون

علاج جديد للملاريا

أجرى العلماء الامريكيون بالاشتراك مع لجنة الابحاث الطبية فى الجيش الامريكى ، تجارب كثيرة على اكثر من خمسمائة سجين امريكى قدموا انفسهم لهذه الهيئة ، لاختبار دواء جديد لشفاء الملاريا فى أمد قصير

وقد وفقوا أخيرا الى اكتشاف دواء ناجح يفوق « الاتبرين » كثيرا فى مقدرته على شفاء الملاريا

والدواء الجديد يعرف باسم « ٧٦١٨ » نسبة الى رقم التجربة التى نجح فيها الدواء الجديد ، بعد ان كانت تدخل عليه تعديلات مختلفة فى كل تجربة حتى بلغ عدد التجارب التى أجريت على الاسرى الخمسمائة هذا الرقم

والدواء عبارة عن اقراص بيضاء صغيرة لا طعم لها ولا رائحة ولا تأثير له على الجلد أو القلب ولا يحدث آلاما معوية

واستعمل هذا الدواء فى كثير من المستشفيات الامريكية ، واعطى لاكثر من ألفى مريض فشفوا جميعهم شفاء تاما فى وقت قصير

مرآة المخ

وفق الدكتور « سيلفرمان » العضو الفنى فى هيئة الابحاث الصحية الامريكية الى صنع جهاز جديد يعرف باسم « مرآة المخ » لاختبار القوى العقلية ، ومعرفة نوع الضعف العقلى الذى يصيب الانسان

وهذا الجهاز يشبه آلة تسجيل ضربات القلب ، وطريقة العمل به هى ان يوضع الشخص المراد الكشف على قواه العقلية فى غرفة قليلة الضوء مبطنة جدرانها بالقطن ، وتوضع على رأس المريض لوحات معدنية صغيرة مستطيلة الشكل متصلة بآلة حساسة فى نهايتها ابرة صغيرة تسجل خطوطا على لوحة معدنية ، ويدل شكل الخطوط على حالة القوى العقلية فى الشخص

فاذا كانت الخطوط التى تسجلها الآلة مستقيمة فانها تدل على ان المريض سليم وليس بقواه العقلية أى خلل أو اضطراب

واما اذا تذبذبت الخطوط فانها تدل على وجود ضعف فى القوى العقلية

الدماغ الآلى

ترجع الفكرة الاولى فى صنع هذا الجهاز الى عالمين نرويجيين من علماء الظواهر الجوية . فقد شاهدا انه يوجد شبه غريب بين حركات الكتل الغازية فى الجو وبين حركات المياه فى المحيطات . وقد لاحظا أيضا ان الجليد اكتسح كاليفورنيا سنة ١٩١٣ فى نفس الوقت الذى فاض فيه نهر « اوهيو » مغرقا مساحات شاسعة من الاراضى وفى الوقت الذى انخفضت فيه الحرارة فى الهند الصينية انخفاضا بالغا . وقد حدث مثل هذا الاتفاق فى فترات مختلفة . فاستنتج هذان العالمان انه لا بد من وجود رابطة وثيقة بين الظواهر الجوية فى مختلف البلدان

وبناء على هذه النظرية اخترع الامريكيون هذه الآلة التى اطلقوا عليها اسم « الدماغ الآلى » وهى شبيهة بالجهاز الخاص بمعرفة شخصيات المجرمين الذى يكفى ان تضع فيه صورة بصمة من البصمات فتخرج اليك بطاقة بها جميع أوصاف صاحب البصمة

ويعتمد هذا الجهاز على جميع المشاهدات التى أجريت فى مختلف المراصد العالمية منذ عام ١٨٩٩ فاذا أردنا معرفة حالة الطقس العامة إبان شهر من الشهور فما علينا الا أن نكتب ميزات اليوم الذى تبدأ منه ونضع الورقة فى الجهاز ، ثم ننتظر برهة فاذا به يخرج لنا ورقة تحمل تاريخا معينا فاذا رجعنا الى هذا التاريخ فى المذكرات المتيورولوجية ، نرى ان الايام الثلاثين التى تلى هذا اليوم تبين لنا حالة الطقس خلال الشهر الذى نود معرفته . والملاحظ ان هذه التنبؤات تصدق بصفة عامة

الحركة الفكرية

برناردشو

لا يكاد الانسان يقرأ اسم جورج برنارد شو حتى يبتسم ، ونحن لا نبتسم ولا نطرب حين نقرأه لانه يأتينا بنكات حلوة تثير الضحك ، ولا لانه يقلب الجد هزلا ، ويبحث عن الناحية المضحكة فى كل شيء فيبرزها ، بل لانه ينظر الى الاشياء من ناحية تختلف عن وجهة نظرنا ، فنحن نكتشف حين نقرأه أننا كنا ننظر للموضوع الذى يبحثه من ناحية خاطئة ، ونكتشف كذلك أنه هو تناول الموضوع من ناحية أكثر جدا وأكثر عمقا ، ولهذا فنحن نضحك من جهلنا قبل ان نضحك من هزله ، ولست أظن ان هناك رجلا أكثر جدا فى حياته وأبعد عن الهزل فى نظرته الى الحياة من هذا الفيلسوف الذى ظل طول حياته يضحكنا من أنفسنا ويظهر لنا جوانب الضعف فى نظرتنا للحياة ، فكثير من الناس مثلا يغرقون فى الضحك حينما يقرأون قول شو : « اذا أردت ان تعمل شيئا مخالفا للقانون فاستشر محاميا ! » نحن نضحك لاننا نحسب ان هذه نكتة لطيفة ، وان موضع النكتة هو انه قلب الوضع الطبيعى للمحاماة .. فاذا دققنا النظر وجدنا انه يقول الحق الصحيح ، واننا نحن المخطئون ، ولهذا نضحك ، ولهذا لا ننسى كلمته أبدا .

ونحن حينما نسمعه يقول للامريكيين : « انكم قوم تقربون من الفناء .. وكل ما ينقصكم لتسرعوا اليه هو مقدار قليل آخر من الترف ورئيس وزارة انجليزى ! » نحن نضحك لاننا نحسب أن هنا نكتة موجهة الى رؤساء الوزارة الانجليز ، والواقع خلاف ذلك ، لان الرجل يفهم طبيعة الامريكيين أحسن منا بل أحسن من الامريكيين أنفسهم، ونكتته موجهة الى الامريكيين لا الى رؤساء الوزراء الانجليز وحدهم

وهو حينما يقول : « ان الفرق بين الانجليز والامريكيين هو أن الانجليز لا يعرفون كيف يقرأون أما الامريكيون فلن يعرفوا ذلك أبدا ! » لا يقصد مجرد التنكيت ولا التلاعب بالالفاظ ، وانما هو يكشف للشعبين عن حقيقتين يعرفهما من يعلمون معنى القراءة كما يفهمها برنارد شو ولا يعرفهما عامة الناس

وقد كتب اليه شاب مرة يشكو اليه الفقر وقلة العمل ، ويرجوه ان يسمح له بان يعطيه غرفة فى داره الواسعة يسكن فيها ليستطيع القراءة والكتابة، فرد عليه قائلا : « ان كنت تريد ان تقرأ وتكتب فاسكن نهارك فى قاعات المطالعة فى المتحف البريطانى» يضحك الناس اذ يحسبون أن شو قد تهرب بحيلة لطيفة من هذا الشاب ، والواقع غير ذلك ، لان شو فى رده على الشاب ذكر له انه هو نفسه — أى شو — كان يفعل ذلك حينما كان فى الحادية والعشرين من عمره ، وانه كتب أحسن كتاباته فى قاعات المكاتب وعربات الترام ، وكذلك فعل دكنز وكارل ماركس وغيرهم كثيرون : فهو يريد أن يؤنب الشاب على قلة احتماله وأن يؤكد له أنه ان كان يريد أن يكون عظيما كهؤلاء فعليه بالصبر والدرس والانصراف عن الراحة ، فاذا لم يكن له هذا الصبر فليتفضل ويسكن معه ومع أسرته فى بيته، وشو يرجوه فى الخطاب ان لا يقبل على نفسه مثل هذا الوضع لما فيه من المهانة لنفسه ، ثم يسأله فى آخر الخطاب : وعلى فكرة — ان كانت سنك احدى وعشرين سنة فما هو موقفك من الخدمة العسكرية ؟.. يلومه بذلك على طلبه الراحة بينما امثاله يموتون فى ميدان القتال

زوجات للبيع !

لعل القارىء لا يصدق أن الانجليز كانوا الى أوائل القرن التاسع عشر لا يرون غرابة فى أن يبيع أحدهم زوجته ليتخلص منها ! ففى سنة ١٨٠٢ باع جزار انجليزى فى هيرفورد زوجته بجنيه واربعة شلنات وزجاجة من الخمر ، وفى نفس السنة بيعت زوجة وولدها وبعض الاثاث بسعر رخيص جدا هو أحد عشر شلنا ! وفى سنة ١٨٠٣ بيعت زوجة فى شيفلد بجنيه واحد . وحدث بعد ذلك بثلاث سنوات أن باع أحد أهالى كنارسبرو زوجته بستة بنسات وبعض الدخان ! ولكن السعر ارتفع بعد سنوات فوفق أحد أهالى جورستهورب الى التخلص من زوجته مقابل عشرين جنيها وذلك فى سوق القرية الكبير

وقد كان الناس يعتبرون ذلك نوعا قانونيا من أنواع الطلاق ، فكان الرجل اذا تضايق من زوجته وأراد الخلاص منها استطاع ان يختار بين الطلاق الرسمى والبيع ، وفى الحالة الثانية كان يضع فى عنق زوجته رباطا دليلا على عرضها للبيع ثم يمضى بها الى السوق ، والغريب ان القانون لم يتعرض لهذا الاجراء المهين الا فى حالات قليلة جدا ، فقد قدم رجل الى المحاكمة سنة ١٨٥٨ بتهمة بيع زوجته فحكم عليه بالسجن وبالاشغال الشاقة شهرا ، وليس معنى ذلك أن القانون كان يبيح ذلك أو يقره ، وانما كان يحدث أن يتغاضى الناس عنه رغم مخالفته لروح القانون ونصوصه .

وكان ذلك يحدث فى الغالب فى النواحى التى يسود أهلها الفقر الشديد ويسيطر عليهم أحد أشراف الناحية أو أحد أصحاب المصانع ، فكان الناس يلجأون الى البيع لشدة فقرهم أو لعجزهم عن دفع استبداد الاشراف الاغنياء بهم ، ومن أمثلة ذلك ما حدث سنة ١٨١٥ فى قرية رافنجهام ، فقد تزوج رجل يسمى هنرى كوك بامرأة من قرية أخرى ، ثم أخذها معه الى المصنع لتكسب لنفسها شيئا ، ولما كان الاشراف لا يبيحون لاهل النواحى الاخرى العمل فى مصانع بلادهم فقد غضب سيد الناحية على هذا الرجل وزوجته والزمه بأن يتخلى عنها ، فلم يجد الرجل بدا من الذهاب بها الى سوق قرية كرويدون حيث اشتراها منه رجل يسمى جون ايرل بشلن واحد ، ومن الغريب أن ايرل هذا كان من الفقر بحيث اضطر الى اقتراض هذا الشلن لشراء المرأة المسكينة ، وقد اعطاه الشريف قطعة كبيرة من اللحم ليقيم بها وليمة عرسه ، وسجل البيع فى دار العمدة ودفع الشريف أيضا نفقات التسجيل ! وعاشت المرأة مع ايرل زمنا طويلا وانجبت منه عددا كبيرا من الاطفال ، ولكنها اختلفت معه فطلقها ، وعادت الى افنجهام حيث طالبت زوجها الاول بأن يقوم بشؤونها وشؤون أبنائها الكثيرين ولكنه رفض ، وأيدته المحكمة فى رفضه فحكمت لصالحه !

وقد حفظت لنا السجلات بعض التفاصيل عن طريقة البيع وما كان يجرى فيه ، فقد قرأنا فى تاريخ قرية كارليل ان رجلا يسمى يوسف تومبسون حينما عرض زوجته للبيع بالمزاد فى سوق القرية ، أخذ ينادى قائلا : « ايها السادة ان رغبتها ورغبتى اجتمعتا على الطلاق ، انها لم تكن لى زوجة وانما حية رقطاء ! لقد تزوجتها لتكون لى سكنا وراحة فاذا بها عذاب وبلاء ، كانت حربا على فى الليل وشيطانا فى النهار ! » واستمر ينادى على هذا الاسلوب طالبا خمسين شلنا ثمنا لهذه المسكينة ، ولكنه لم يظفر بها فاضطر آخر الامر الى القنوع بعشرين شلنا وكلب من نوع خاص

والظاهر أن الزوجات كن لا يعلمن ان المسألة مسألة بيع حقيقى ، وانما مسألة طلاق أو انفصال فقط ، اذ انه كثيرا ما حدث أن ثارت الزوجة حينما علمت انها معروضة للبيع حقا ، ومن أمثلة ذلك ان رجلا أراد اقتياد زوجته الى سوق قرية بيزل لبيعها فى سنة ١٨٣٠ ، وفهمت المرأة أن

الرجل يريد أن يبيعها حقا ، فاتفقت مع عدد آخر من النسوة ، وما أن سمعت زوجها ينادى فى السوق ويعلن السعر حتى انهالت عليه هى وصاحباتها ضربا بالعصى وربما وقع تحت أيديهن وتدخل البوليس ودفع الامر الى القضاة فأوقفوا البيع وقرروا بطلانه

وربما كان الشيء الوحيد الذى كان يبرر أمثال هذه البيوع فى نظر أهل ذلك المجتمع هو انه لم تكن لدى الفقراء منهم أية وسيلة ممكنة للطلاق

ومن غريب الامر أن الناس ظلوا زمانا طويلا يرون ذلك ويقرأون عنه دون أن يجدوا فيه حرجا ، حتى جريدة التيمس نفسها كانت تنشر أخبار هذه البيوع على انها فكاهات يتسلى بها القراء ، وقد ظلت التيمس تطرف قراءها بهذا النوع من الفكاهات حتى سنة ١٨٣٨ .. فقد غيرت اسلوبها فى التعليق على أحد هذه الاخبار بقولها : « وقد كان حريا بالبوليس أن يتدخل لايقاف هذا العدوان المثير على المجتمع » (عن « ليليبت »)

شخصيات الاطفال فى خطر

شكوانا من أساليب التعليم عندنا لا تنقطع ، واجتهادنا فى اصلاحها وتحسينها لا ينقطع كذلك ، ولكن جهودنا فى هذا السبيل تكاد تسلك منهجا واحدا ، هو تقليد ما نرى من أساليب التربية فى أوربا وأمريكا دون التفكير فى نقد ما ينقل واصلاحه أو محاولة تعديله الى النحو الذى يناسبنا ويأتينا بأكبر نصيب من الخير . فنحن نعجب مثلا بأنظمة رياض الاطفال ومدارس البنين والبنات فى انجلترا وأمريكا ، ونحاول جهدنا أن نجعل من مدارسنا صورا مما نراه فى هذين القطرين . ولو أننا تناولنا هذه الانظمة بنظر الناقد لتبينا فيها ألوانا كثيرة من النقص والخطأ ، والى القارىء ما كتبه مدرس انجليزى مارس التدريس زمنا طويلا فى رياض الاطفال والمدارس الابتدائية الانجليزية ، نعرضه رجاء أن يجعله القائمون بشؤون التعليم عندنا موضع الاعتبار ليفيدوا مما فيه من أوجه النقد :

أصبح التعليم عندنا آليا صرفا ، فالمدرسون والتلاميذ « يعبأون » تعبئة فى سيارات كبيرة ، ويرسلون جماعات الى مدارس يقضون فيها معظم أوقاتهم ، ثقيلة التكاليف ، مهيأة بكل ما يستطيع كرم الحكومات أن يهبه اياها من الآلات والمعامل والاجهزة . فاذا وصل الطلبة الى هذه المدارس وجدوا مدرسيهم منهمكين فى اعمال ادارية تذكرنا بما كان يعمله المشرفون على تهيئة الجيوش أثناء هذه الحرب الاخيرة ! مشرفون على اعداد طعام التلاميذ ويحسبون النقود اللازمة للبن وغيره من أصناف الطعام .. باذلين أقصى جهدهم فى الحساب والتدقيق ، كأن مهمتهم انما هى الحساب والشراء والبيع واستحضار الكتب واعداد الاثاث أو كأنهم موظفون فى محال تجارية ناسين ان مهمتهم الاولى هى التعليم والتربية . وهم ينفقون وقتا طائلا فى وزن التلاميذ وتقسيمهم جماعات صغيرة لعرضها على أطباء المدرسة ، وهم ينفقون كذلك وقتا لا نهاية له فى تنظيم صندوق ادخار التلاميذ والاشراف على حدائق المدارس واعداد ما يلزمها من بذور ! فاذا زاد لديهم بعد ذلك وقت انفقوه فى توزيع زيت السمك وعصير البرتقال على التلاميذ ، وفى استقبال جيش لا ينقطع من المفتشين والمشرفين والاطباء والمرضات وأولياء الامور

فكيف يجد المدرس بعد هذا وقتا للتدريس .. وكيف يتاح للتلاميذ ان يستفيدوا وهم مضطرون الى انفاق وقت الدروس فى اتباع التعليمات واستيفاء الانظمة ! ان نتيجة هذا كله هو أن المدرسين والتلاميذ يصبحون كالمزارعين وما لديهم من الماشية !

وثمة شيء آخر ، فنظم الدراسة عندنا تباعد بين الاولاد وبين بيوتهم ، وللبيت أهميته فى تربية الانسان . فمهما يكن جمال هذه المدارس،

ومهما تكن معداتها وحداثتها وأغذيتها وانظمتها، فانه ينقصها جو الاسرة وروح البيت الهادىء الذى يحتاج اليه الانسان كما تحتاج افراخ الطير للعش وحضانة الام . وقد ابتكر الالمان فيما مضى نوعا من هذا التعليم الاجماعى وهيأوا له مدارس بالغة اقصى المدى من التنظيم والاستعداد ، وحشر الاطفال فى هذه المدارس حشرا وقام المدرسون والمدرسات بكل ما يلزمهم ، فماذا كانت النتيجة؟ حدث ان كل الاطفال ذوى الطبائع الحساسة والشخصيات المستقلة أخذوا يمرضون فى هذه المدارس وتأخروا عن رفقائهم ، وبدوا وكأنهم أقل من غيرهم ذكاء وقدرة . ذلك لان الاطفال الممتازين محتاجون للهدوء والسكون والى شىء من الوحدة والشعور بالاستقلال

من هنا يبدو لنا خطر المدارس الضخمة الحديثة على شخصيات الاطفال حيث يجد الاولاد انفسهم فى عالم حافل بالمئات من أترابهم ، فيصبحون كأنهم سمكات صغيرات فى محيط واسع ، ثم تطبق ادارة المدرسة عليهم عشرات الانظمة حتى يشعر الطفل انه عبد خاضع للانظمة والتعليمات وروح الجماعة المستبدة

فمن الخير ان نعدل عن هذه المدارس الشاسعة وعما يتبع فيها من انظمة دقيقة لا تنتهى ، وان نعود الى المدارس الصغيرة حيث يتعلم الطفل وتنمو شخصيته فى آن واحد ، وحيث يستطيع ان يقضى الصغار وقتا أكبر فى البيت فيسعد بحنان أبويه فتترعرع هذه الشخصية وتزدهر

(عن « مجلة تروث »)

اليابان فى ظلال الهزيمة

لا يزال الامريكيون فى خوف من اليابانيين ! لقد غلبوهم وملكوا بلادهم ومع هذا فهم لا يريدون أن يشعروا انهم قد أمنوا شرهم . وليس هذا لان اليابانيين يقومون بأعمال عدائية نحو المحتلين أو لانهم يدبرون لهم المكائد ويصارحونهم بروح العداء ، بل على العكس من ذلك تماما . .

فاليابانيون يبدون اليوم وكأنهم أطوع الناس للمحتل وأوفرهم أدبا معه وأسرعهم الى عونه : يتطوع نفر منهم فى خدمة الجيش الامريكى ويعملون باخلاص ، ويتقدم كبارهم كل يوم بالهدايا القيمة لاصحاب الشأن من الامريكيين محاربين وغير محاربين ، وهم اذا لقوا أمريكيا فى الطريق سارعوا بالانحناء فى أدب وافر

فماذا يخيف الامريكيين من ذلك ؟

ان مصدر هذا الخوف ليس مجرد سوء الظن فان سوء الظن يسود اليوم علاقات الامم كلها غالبين ومغلوبين ، وانما مصدره ان الامريكيين يعلمون ان اليابانيين يسيرون فى حياتهم على فلسفة خاصة أخذوها عن الفيلسوف الصينى القديم لاو ـ تسى التى تنصح الانسان بان يتواضع ويخفض من جناحه لكى يصل الى العظمة والقوة الحقيقيتين ، فهذا الخضوع المطلق انما هو سياسة الصبر على المحنة حتى تسنح الفرصة للوثوب والنهوض من جديد

ويفسر الامريكيون ذلك الجانب من الخلق اليابانى بما يعرفونه من أسرار فن المصارعة اليابانية المعروف بالجودو أو الجوجوتسو ، وهو فن يقوم على الصبر وترك الخصم يجهد نفسه والمحافظة على هدوء النفس حتى تسنح الفرصة للضربة القاضية ، ومعنى كلمة جوجوتسو نفسها هو « الطريق اللين » أى انه يعلمك كيف تغلب خصمك باللين له ومطاوعته وعدم مقاومته : دعه يلقى بك على الارض ، دعه يقفز حولك ويرتد اليك الهجمات من شمال ومن يمين ، ولا تدع ذلك كله يخيفك أو يزعزع نفسك ، واجعل التفاتك كله موجها الى فرصة طيبة تسنح لك فيه وهو يقفز ويدور ، انه يفقد قوته باستمرار بينما انت محتفظ بقوتك ، وستجىء من غير شك اللحظة التى يكون هو فيها أضعف منك لفرط ما ناله من أجهاد : تلك هى لحظتك ، وما عليك الا أن تنتهزها بمهارة القوى الثابت الاعصاب فلا تلبث أن تملك خصمك وتدرك منه ما تريد

ويبدو أن خضوع الياباني الظاهر ليس الا تطبيقا واسعا لفلسفة لاو ـ تسي ولاسلوب الجوجوتسو في المصارعة ، والامريكيون يخشون هذا الاسلوب لانه نذير لهم بما قد يصدر عن هؤلاء اليابانيين المؤدبين الصامتين الذين يتأملون عدوهم المنتصر في شوارع طوكيو بهدوء من يتفرج على لعب يسليه

انهم يخافون هذا الهدوء وهذا الادب لانهم يحسبون أن ذلك حيلة من عدوهم المغلوب حتى يحسن رأيه فيهم وتطمئن نفسه اليهم وتغمض عينه عن مراقبتهم .. وعنا ؟ ..

(عن مجلة «سبكتيتر»)

لمحة من تاريخ الفنون

يحدثنا التاريخ عن ذلك الانسان البدائي الذي عاش منذ حوالى خمسين الف سنة والذي ترك رسوما تخطيطية للحيوان على الصخور وفي جدران مغارات عدة أشهرها الرسوم الموجودة في مغارة قرب مدينة « سانتاندر » باسبانيا . وهذه الرسوم ترينا بوضوح كيف كان ذلك البدائي يحاول أن يرسم ما يحيط به في الطبيعة من حيوان واشجار . كما واننا نلاحظ استمرارا لهذه الظاهرة في الرسوم التي تمارسها الشعوب المتأخرة في الوقت الحال أمثال قبائل البوشمان بجنوب افريقيا والسكان الاصليين في استراليا وهذه الرسوم والصور لها قيمتها من الناحية الفنية والسيكولوجية لانها تعبير صادق عن شعور الرجل الهمجي وحبه للحياة وتذوقه للجمال واستمتاعه به

وعند ما يتقدم بنا الزمن قليلا الى عصر التاريخ نجد أن فن الرسم قد خطا خطوات واسعة الى أن سطع نوره في كل من مصر واشور واليونان وكلنا نعرف ما للفن المصري من روعة ، فان التماثيل والنقوش الجميلة التي تركها أجدادنا المصريون لا تزال تعمر دور الآثار في جميع انحاء العالم كآيات بينات للجمال الصافي مع روعة الوضع وقدسية الايحاء

أما الفن الاشوري فقد كان دون الفن المصري روعة ولكنه أكثر منه تعبيرا عن الحياة . أي انه كان محاولة ناجحة للتعبير عن الطبيعة كمناظر صيد الاسود والدقة في نقل الطبيعة عند عمل تماثيل الاشخاص

أما الفن اليوناني فهو فن جمال الحركة وليونة الجسم الذي صقلته الرياضة البدنية . وقد ترك قدماء اليونان ثروة كبيرة من التماثيل اشهرها ـ وان لم يكن أهمها ـ تمثال « فينوس » .. وهي آلهة الجمال عند اليونانيين القدماء

ثم جاء على الفن حين من الدهر عانى فيه الكثير من الضعف والانحطاط ، فبعد ظهور الاديان السماوية خاف رجال الدين أن يفتن العامة بالصور والتماثيل فينصرفوا الى عبادتها من دون الله . ومن هنا اضطر من بقي من الفنانين الى مجاراة العرف والرضى بالقيود الثقيلة التي وضعها رجال الدين ، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الخوف شيئا فشيئا ولكن بعد أن ترك لنا آثارا تدل على ما عاناه الفن في تلك الحقبة من الزمن . فكان الفن المسيحي ممثلا في صور جامدة لا حياة فيها نستطيع ان نرى بعضها على جدران كنائس القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ، وكان الفن الاسلامي ـ في أول عهده ـ لا يخرج عن زخارف وخطوط هندسية متداخلة أبعد ما تكون عن الاوضاع الطبيعية التي توحيها الحياة

وفي عصر النهضة الاوربية ثار الفنانون على هذه الاوضاع القديمة وحرروا الفن من القيود واتجهوا الى الطبيعة ذاتها يستوحونها في رسومهم وتماثيلهم ، واذا بما يفعلون تعبير صادق عن نفس تحس بالجمال ثم تستطيع التعبير عنه

بعد ذلك تطور الفن الى أن خرجت لنا المذاهب الحديثة التي يعد بعضها ثورة على الطبيعة وتحريرا للفنان من جميع القيود

شفيق رزق الله

الكتب الجديدة

ساعات بين الكتب

للاستاذ عباس محمود العقاد

مكتبة النهضة المصرية ــ فى ٣٨٧ صفحة

« ولكن ما هذه الساعات بين الكتب وماذا عسى أن يكون محصولها الذى تخرج به منها على الاجمال ؟ أهى ساعات منقطعة للطروس والمحابر تنقلب فيها من الدنيا الحية النابضة الى دنيا أخرى من الحروف والاوراق ؟ أهى ساعات بين الكتب لانها ليست ساعات بين الاحياء ؟ أود أن أقول فى ايجاز وتوكيد : كلا !

« ان ساعاتنا مع القارىء بين الكتب ليست الا ساعات نقضيها فى غمار هــذه الدنيا بين الاحياء العائشين أو بين الاموات الذين هم أحيا من الاحياء .. انها ساعات بين كل شىء وانها قد تجمع فى نسقها كل ما ترددنا فى اختياره من الموضوعات، فتكون فى آن واحد هى الرسائل المتفرقة وهى القصص وهى الذكريات وهى كذلك التحليل للاشخاص والوصف للحوادث والاطوار»

هكذا يقول أديب الشرق العربى الاستاذ العقاد فى تقدمة هذا الكتاب الذى يزخر بالمعانى ويفيض بالقوة . وقد عودنا ان نلمس فى جميع مؤلفاته سعة الاطلاع وعمق التفكير وبعد النظر وبلاغة المنطق

وترجع كتابة فصول الكتاب الى السنوات العشرين الماضية ، طالع فيها المؤلف مئات من الكتب وقضى فيها ساعات طوالا فى التصفح والدرس والتأمل ، فخرج علينا بثروة فكرية ممتعة تجمع بين الادب والسياسة والفلسفة والفن وغيرها ، كما انها تتضمن دراسات قيمة لبعض نواحى العظمة فى رجالات التاريخ والادب كسعد زغلول وماكيافللى وشيكسبير وبتهوفن وجورج رومنى

وقد صدرت أخيرا الطبعة الثانية من الجزء الاول

السودان القديم والجديد

للاستاذ عبد الله حسين

مطبعة الشباب الحديثة ــ فى ٥٣٦ صفحة

لا حاجة بنا لتعريف المؤلف ، فهو كاتب وصحفى قديم عاصر فى صباه الحركة الوطنيــة والفكرية الاولى التى كان من اعلامها محمد عبده وعلى يوسف وقاسم أمين ومصطفى كامل ومحمد فريد ، ثم عاصر فى شبابه الحركة الوطنية الثانية التى تزعمها سعد زغلول وقد اشترك بقلمه فى تأييدها ومناصرتها . وهو صاحب مؤلفات عديدة فى التاريخ والسياسة والاجتماع والادب

والكتاب الذى نقدمه للقراء يحتوى على اربعة اجزاء ، تناول فيها المؤلف موضوع السودان منذ أبعد العصور الى فتح محمد على الكبير ، ثم عالج موضوع السودان منذ فتح محمد على حتى الثورة المهدية واستعادته فى سنة ١٨٩٩ ، ثم موضوع السودان منذ استعادته حتى الآن . وتضمن الجزء الرابع وصفا لرحلة البعثة المصرية الى السودان عام ١٩٣٥ وما تلاها من الزيارات والشؤون المصرية والسودانية حتى الآن

والكتاب ثمرة بحث علمى شاق رجع فيــه المؤلف الى كثير من الكتب والوثائق باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية ، فكان صورة صادقة لشؤون السودان ووصفا شاملا دقيقا لوجهات نظر ابنائه الكرام

ولسنا نشك فى ان القراء فى مصر والسودان والاقطار الشقيقة سيرحبون بهذا السفر الممتع

جورج برناردشو

للاستاذ ميشيل تكلا

دار نشر الثقافة — فى ١٨٥ صفحة

هذه دراسة تحليلية بارعة ، نفذ فيها المؤلف الى المنطويات الغامضة فى نفسية ذلك الفيلسوف الكبير والعالم الاديب الذى عرف بتفكيره لخير الانسانية ، وبكتاباته فى سبيل العدالة والحق والحرية دون تفريق بين وطنه وبين غيره من البلدان

ولم يترك المؤلف ناحيــة فيما يتعلق بأدب « برنارد شو » وحياته الا درسها درسا دقيقا محكما . لذلك لم يكن عجيبا أن تفخر « دار نشر الثقافة » بأن تفتتح برنامج كفاحها الادبى باصدار هذا الكتاب

ويقول الدكتور اسماعيل حسين استاذ الادب العربى بالجامعة الامريكية فى تقدمة هذا الكتاب : « وانا اذ اقدم هذا الكتاب وواضعه ، فانما أزف للشرق العربى متعة وجوهرا ثمينا أتمنى أن ينتفع بما فيه أبناء الشرق . وفى الوقت نفسه أهيب بل واستحلف كتابنا ان يحاربوا الادب الفاتر ، وان ينهجوا نهج ذلك المؤلف الفاضل»

والحق انه مجهود ضخم تبدو فيه روح الاديب وذوق الفنان وممارســة الباحث الذى لا يسأم التنقيب والجرى وراء الحقيقة

الديمقراطية

قسم الخدمة العامة

بالجامعة الامريكية بالقاهرة

فى ١٠٦ صفحات

فى أخطر فترة من فترات الحرب الاخيرة ، حين كان العالم يتأرجح فى كفة القدر ، دعا قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية نخبة من قادة الرأى فى مصر ليبحثوا فى مختلف وجوه الديمقراطية . وقد رأت الجامعة ان تقدم للجمهور هذه البحوث مجموعة فى كتاب واحد

والكتاب يتضمن البحوث التاليــة « معنى الديمقراطية » للدكتور محمد عبد الله العربى بك ، « سيكولوجية الديمقراطية » للدكتور أمير بقطر ، « أثر الديمقراطية فى الحياة الاقتصادية» للاستاذ عزيز ميرهم ، « العلم بين الدكتاتورية والديمقراطيــة » للاســتاذ فــؤاد صروف ، « الديمقراطية وتكوين الاخــلاق » للدكتور منصور فهمى باشا ، « الديمقراطية والحياة الاجتماعية» للدكتور طه حسين بك، «الديمقراطية والحياة الدينية » للدكتور ابرهيم بيومى مدكور

والمكتبة العربية ترحب بهــذه الدراسة القيمة وتستزيد قسم الخدمة العامة من أمثالها

صورة دوريان جراى

لاوسكار وايلد

تعريب الاستاذ لويس عوض

دار الكاتب المصرى

صورة دوريان جراى — كما يقول عميد الادب العربى — من أشد القصص تصويرا لحياة المترفين من الانجليز ، ولما يكون بينهم من هذا الاقبال على العيش فى تكلف وفى بساطة وفى جد وفى سخرية وفى تأنق وفى اهمال . كل ذلك يصور فى القصة تصويرا رائعا

لقد أحسن المعرب فى نقل هــذه القصة الى العربية .. فانا ندعو الى تعريب ما يتيسر من الانتاج الفكرى الاجنبى طالما كان النقل أمينا والعبارة سائغة مستقيمة

وقد وفق الاستاذ لويس عوض الى نقلها فى اسلوب رقيق رشيق

فلسفة الاسلام فى التشريع

للاستاذ صبحى محمصانى

مكتبة الكشاف بيروت — فى ٢٧٩ صفحة

هذا بحث فقهى عالج فيه المؤلف الشريعة الاسلامية على ضوء مذاهبها المختلفة وضوء القوانين الحديثة . وهو يقول فى مقدمة هذا السفر : «لقد اعتمدت فى بحثى على المراجع الصحيحة الموثوق بها رغم أن معظمها — ان لم أقل جميعها مطبوع طبعا رديئا على ورق ردىء فكان من نتيجة ذلك أن صعبت مطالعتها وأورثت فى بعض الناس ضجرا وسأما فتركوها أو هجروها متأثرين بالشكل الخارجى دون الجوهر

« وان غايتى الاولى من هذا الكتاب أن استخرج ما استطعت من هذه الكنوز الفكرية وان أضع ما استخرجه امام ما يقابله من الآراء الحديثة موضحا أوجه الوفاق وأوجه الخلاف فيما بينها .. وقد عرضت ما توصلت اليه مع مصادره دون أن أذهب مذهبا معينا أو أن أفاضل بين رأى وآخر تاركا الامر للقارىء »

فلا عجب اذا كان هذا المجهود الضخم موضع تقدير الخاصة من الباحثين وطلاب القانون كما كان موضوعا شائقا لجمهرة القراء

الزواج والمرأة

للاستاذ احمد حسين

مطبعة دار الكتب — فى ١٠٤ صفحات

هذه رسالة من عشر رسائل كتبها المؤلف ابان اعتقاله خلال الحرب الاخيرة ، وكان هدفه منها تعليم ابنه الصغير الذى حرمه الاعتقال من فرصة ملازمته ابان طفولته . وقد بدئت هذه الرسائل صغيرة متواضعة ولكنها لم تلبث أن تضخمت وتطورت فأصبحت مناقشات مستفيضة لمشكلاتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية

يقول المؤلف فى تقدمة هذا الكتاب : « فى العالم الشرقى الاسلامى نزوع نحو التحرر والانطلاق فى مجالى الرقى والرفعة . وعندى انه لا سبيل لتحقيق ذلك كله ما لم تنهض المرأة وتأخذ بنصيبها الكامل فى هذا الجهاد وتتبوأ مكانتها اللائقة فى المجتمع كعضو عامل يتمتع بكل الحقوق التى يتمتع بها أى عضو آخر مدنية كانت أم سياسية »

وقد دلل المؤلف على أن الاسلام لا يقف حجر عثرة فى سبيل نهضة المرأة ورقيها وتمتعها بالاهلية الكاملة كالرجل سواء بسواء فى سائر شؤون الحياة . وقد تضمن الكتاب بحوثا فى الزواج والمرأة وحقوقها والسفور والحجاب والشروط اللازمة لنجاح الحياة الزوجية

وانك تلمس فى كل فقرة من فقرات هذا الكتاب روح المؤلف المتحررة الجريئة الطموحة

شيطان آدم

للاستاذ حسن رجب

فى ١٥٣ صفحة

يحوى هذا الكتاب مجموعة من المقالات ، شن فيها الكاتب حربا شعواء على الفتاة العصرية التى تنادى بالمساواة بالرجل والتى تريد أن تهجر ميدانها فى البيت لتزاحم الرجل فى عمله ووظيفته

وقد يكون للمؤلف بعض الحق فى الاشفاق عليها من الاشواك التى تعترض سبيلها فى معترك الحياة .. ولكننا نأخذ عليه تطرفه واسرافه فى تشويه صورتها

ومهما يكن من أمر فانه لا يضير الكتاب ألا يتفق ورأى القارىء فى بعض نواحيه . فلكل أديب وجهة نظر تختلف عن غيره . وانما الخير فى الغاية وهى الاخلاص للادب وحرية الرأى وهذا ما نلمسه واضحا بين ثنايا هذا الكتاب

تطور الري في العراق

للدكتور احمد سوسه

مطبعة المعارف ببغداد — في ٢٢٤ صفحة

يشتمل هذا الكتاب على اربعة فصول ، تضمن الفصل الاول منها معلومات عامة عن العراق كتعداد السكان والمساحات والمحاصيل الزراعية وحالة الجو وغيرها من الامور التي تتصل بالزراعة والري . ويبحث الفصل الثاني في تطور الري في العصور القديمة وما صاحبها من تطور في الحضارة حتى نهاية القرن الماضي . وعالج المؤلف في الفصل الثالث موضوع تطور الري في العصور الحديثة وضمنه تفاصيل وافية عن منشئات الري الرئيسية الحالية في العراق على كل من نهري الفرات والدجلة ، ومشروعات الري التي يرجى تحقيقها في المستقبل مع رسوم تعطي القارىء فكرة واضحة عن كل منها

أما الفصل الرابع فيتحدث فيه المؤلف عن سياسة الري في العراق ومشاكله في الآونة الحاضرة

والمؤلف يعد حجة في شؤون الري بالعراق، وله مؤلفات عديدة وبحوث قيمة في هذا الصدد ، وقد عرض هذا البحث الذي نقدمه للقراء بطريقة سهلة واضحة حتى يتسنى للقارىء العادي أن يستسيغه ويستوعبه

كتب أخرى

لمحة من سيرة الملك عبد العزيز : مجموعة مقالات للزميل الاستاذ محي الدين رضا تناول فيها نواحي العظمة في عاهل الجزيرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز . وقد اتيح للمؤلف أن يرى جلالته عن كثب وان يتشرف بالحديث معه أكثر من مرة . لذلك كان كتابه — رغم ايجازه — صورة [illegible] لشخصية جلالته صيغت في اسلوب سلس

(مطبعة العلوم — في ٨٤ صفحة)

موسيقى وضياء : قصة للاستاذ فؤاد حنا . . فيها الحب وفيها العبقرية . . وفيها الكفاح . وقد وفق المؤلف في تصوير النوازع النفسية والمشاعر والاحاسيس التي تختلج في نفوس ابطالها . فكانت قصة طلية شائقة صيغت في أسلوب رصين

(مطبعة ابو الهول — في ٥٩ صفحة)

* * *

بين العلم والادب : مجموعة بحوث سبق أن نشرها متفرقة الاستاذ قدري حافظ طوقان . وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب : « كان شعاري دائما الاخلاص للحق وابراز الحقيقة في أقوى مظاهرها . وقد دفعني هذا الاخلاص الى السير في كتاباتي على أساس قومي هو خدمة العرب لا سيما وهم في أول مراحل نهضتهم التحريرية وعلى عتبة اليقظة الفكرية » ونحن نحمد للمؤلف هذه الروح الطيبة ونرجو لكتابه ما هو أهل له من الاقبال والرواج

(مكتبة فلسطين العلمية — في ٣٠٨ صفحات)

* * *

الحكومة المحلية في السودان : ان الاهتمام بشؤون الحكومة المحلية في السودان في السنوات الاخيرة ، وصدور القوانين واللوائح الخاصة بتنظيم عمل الحكومة المحلية وسلطاتها وواجباتها وانشاء المجالس ذات الصبغة التمثيلية والسلطات التنفيذية جعلت اهتمام الناس بأمر الحكم « الذاتي » المحلي يتزايد يوما بعد يوم

وقد رسم لنا الاستاذ محمد احمد محجوب في هذا الكتاب صورة واضحة لنظام الحكم المحلي في السودان حاضره وماضيه

وقد أضفى المؤلف برشاقة اسلوبه وجمال عرضه على هذه الدراسة كثيرا من الطلاوة تشوق القارىء في مطالعته وتحببه في استيعابه

(مكتبة مصطفى البابي بمصر — في ٢٢١ صفحة)